



المشروع القومي للترجمة

تأليف

آن تيلر

ربما كان قديسًا

ترجمة : عبدالحميد فهمى الجمال

مراجعة : ماهر شفيق فريد

506

لمشروع القومى للترجمة

ربما كان قديساً

(رواية)

تأليف : آن تيلر

ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال

مراجعة : ماهر شفيق فريد

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٥٠٦
- ربما كان قديسًا
- آن تيلر
- عبد الحميد فهمى الجمال
- ماهر شفيق فريد
- الطبعة الأولى ٢٠٠٣

هذه ترجمة لكتاب

Saint May Be

by

Anne Tyler

Vintage الناشر

1992

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 **Fax :** 7358084.

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

مقدمة

لوسى امرأة شابة فائقة الجمال . تزوجت من شاب وأنجبت طفلة وطفل ، ولكن سرعان ما حدث الطلاق بينهما بسبب ظروفهما المالية البالغة الصعوبة .

وعندما ذهبت لوسى إلى مكتب البريد لكى ترسل طرداً به بعض حاجيات زوجها السابق تعرّفت على موظف البريد دانى بيدلو الشديد الوسامة والذى كان يتخذ إجراءات إرسال الطرد . ولقد حدث بينهما حبٌّ جارف من أول نظرة . وتم الزواج بينهما بالفعل وعلى الفور .

وأنجبت لوسى من زوجها دانى طفلة عقب مرور سبعة شهور فقط من الزواج مما جعل إيان - وهو الأخ الأصغر لدانى - وكذلك بعض أفراد عائلة بيدلو يشعرون أن لوسى كانت بالفعل فى حالة من الحمْل قبل زفافها إلى دانى .

وظلت تلك الفكرة عالقة فى ذهن إيان الذى كان لا يزال طالبًا فى المرحلة الثانوية والذى كان يذهب إلى منزل أخيه دانى لكى يقوم بدور جليس للأطفال فى حالة خروج لوسى لزيارة صديقة لها .

وتلاحظ لإيان أن لوسى تكون فى حالة من الاضطراب الشديد فى كل مرة تعود فيها إلى منزلها وأدرك أنها دائمًا ما تحضر معها ملابس

غالية الثمن للغاية بما يفوق الامكانيات المالية لزوجها دانى . فزاد هذا من شكوكه واعتقد أنها تخون زوجها وتحصل على نقود مما يُمكِّنها من شراء هذه الملابس الفاخرة . [ولسوف يتضح فيما بعد أنها كانت تسرق هذه الملابس من المحلات الضخمة وكان ذلك مغامرة بالغة الخطورة مما كان يجعلها تعود إلى منزلها محتقنة الوجه وفى حالة من الارتباك والاهتياج الشديدين] .

وذات يوم خرجت لوسي من منزلها لكى تذهب فى نزهة مع صديقة لها تمتلك سيارة وطلبت من إيان البقاء مع الأطفال وأكدت له أنها لن تتأخر مثلما حدث فى المرات السابقة . وكان زوجها دانى قد ذهب إلى حفلة لتناول الخمور أقامها صديق له .

وشعر إيان بالقلق الشديد بعد أن مرت فترة طويلة للغاية بدون أن تعود لوسى حيث كان قد حدَّد موعداً مع صديقته الخصوصية للذهاب إلى منزلها وقضاء الليل معها حيث ذهب والداها فى رحلة إلى خارج المدينة لمدة يومين .

وأخيراً ترامى صوت جرس الباب . فاعتقد إيان أن لوسى قد جاءت أخيراً . وما أن فتح الباب حتى أدرك أن أخاه دانى هو الذى عاد من الحفلة .

وطلب إيان من أخيه دانى أن يوصله بسيارته إلى منزله أولاً لكى يحضر بعض الأشياء ثم يوصله بعدئذ إلى منزل صديقته الخصوصية .

وأثناء انطلاقهما بالسيارة اضطر إيان أن يعبّر لأخيه دانى عن شكوكه فى زوجته لأنها تذهب فى مشاوير الخارج وتعود محتقنة الوجه ولأنها أنجبت طفلة بعد مرور سبعة شهور فقط على زواجها وليس بعد تسعة شهور كما هو معتاد .

وتوقفت السيارة . وظل دانى فى داخل السيارة وصعد إيان بسرعة إلى منزله . وبينما كان يستخرج الأشياء التى يريدها سمع صوت ارتطام للسيارة فى جدار بالشارع .

لقد انتحر دانى لأنه كان يحب لوسى للغاية ولم يكن يخطر على ذهنه على الإطلاق أنها تخونه .

وشعرت لوسى بالصدمة الهائلة لأنها كانت تحبّ دانى . ثم أدمنت على تناول الخمور والأقراص المنومة . وذات ليلة تناولت كمية كبيرة من هذه الأقراص مما أدى إلى استغراقها فى نوم عميق للغاية إلى الأبد .

وأدرك إيان أنه السبب فى موت أخيه وموت لوسى . وأصبح يمرّ بحالة من الحزن العميق والاكتئاب الشديد . وبينما كان يسير هائماً على وجهه فى إحدى الشوارع الجانبية ترامى إلى أذنه تراتيل دينية منبعثة من مبنى عادى . إنه مبنى قد تم تحويله إلى كنيسة . وقرأ لافتة مكتوب عليها عبارة «كنيسة الفرصة الثانية» .

إنها كنيسة مهمة محددة : مهما حدث من أمور فلا يأس على الإطلاق من رحمة الله . حيث يكون هناك دائماً أمل فى الأنقاذ .

وتصادق إيان مع إميت الموقَّر وهو القسيس المسئول عن هذه الكنيسة . وقصّ عليه كل ما حدث . فقال إميت الموقَّر «دع الخطيئة تختفي الآن من أرواحنا باسم السيد المسيح آمين» وطلب من إيان أن يترك الدراسة الجامعية حيث كان إيان قد أصبح في السنة الأولى بالكلية وذلك لكي يتفرغ لتربية ورعاية الأطفال [أجاثا وتوماس وهما ابنا لوسى من زوجها الأول ودافني وهي ابنة لوسى من زوجها داني] .

وظل إيان يشرف على تربية هؤلاء الأطفال الثلاثة على مدى سنوات طويلة إلى أن تخرجوا جميعًا من الجامعات وشقوا طريقهم في الحياة . وكان حبّهم جارفًا نحو إيان . وكثيراً ما بحثوا له عن عروسة ملائمة له ومتدينة مثله لأنه كان قد أصبح كبيراً في السن بل وكاد أن يفوته قطار الزواج . وتحدث بعض المواقف الطريفة ذات الطابع الإنساني ... وتتوالى الأحداث .

ويرى بعض النقاد أن آن تيلر هي أعظم مَنْ يكتب الرواية باللغة الإنجليزية حاليًا في العالم كله . وهي تتناول في رواياتها الحياة الاجتماعية في أمريكا وبصفة خاصة في منطقة بلتيمور التي تعيش فيها .

ولقد حصلت آن تيلر على جائزة بوليتزر الأمريكية عن روايتها «دروس التّنفّس» وتحولت الكثير من رواياتها إلى أفلام سينمائية ناجحة وحاصلة على جوائز عالمية . وذلك مثل فيلم «ربما كان قديسًا» الذي عُرض في برنامج نادي السينما بالقناة الأولى بالتلفزيون المصري في خلال عام ٢٠٠٢ .

عبد الحميد فهمي الجمال

(١)

كرة البولينج المرسلة بالبريد الجوى

فى شارع ويفرلى كانً كل شخص يعرف كلٌ شخص آخر . فهو شارع لا يضم سوى صف قصير من بيوت متلاصقة - مجرد شريط ضيّق من رصيف تم ترميمه ثم أُعيد ترميمه ، وهو شريط محصور ما بين جدار حجرى عالى لجبانة عند أحد الجانبين ، والركام التجارى لطريق جوفانز عند الجانب الآخر . وكانت الأشجار هى نباتات القيقب الطاعنة فى السن ذات الجذوع البصلية الشكل المليئة بالكتل ، وكانت المنازل المنخفضة الممتلئة المكسوة بالألواح الخشبية تبدو مثل شرفة أمامية .

وكان لكل منزل دوره المحدَّد الذى يلعبه ، فالمنزل رقم تسعة - على سبيل المثال - كان أجنبيًا . إذ دائمًا ما كانت تجيىء إليه تشكيلة متنوعة من الطلاب الجامعيين الوافدين من الشرق الأوسط من أجل تلقى الدروس والمحاضرات فى معهد جونز هويكنز . وكانت رائحة التوابل الغريبة للغاية تنبعث من مطبخهم فى كل مساء فى وقت تناول طعام العشاء. وكان المنزل رقم ستة يُشار إليه على أنه منزل "المتزوجين حديثًا" رغم أنه قد انقضى عامان على زواج كرين وزوجته حتى الآن وبدأ يظهر

عليهما البلى و التهرؤ بعض الشيء عن الحواف مثل كتاب قديم .. أما المنزل رقم ثمانية فكان يُعرف بمنزل العائلة بيدلو ولم يكونوا أبداً مجرد البيدولوويين وإنما دائمًا عائلة بيدلو . وهم بمثابة شكل معين من أشكال الأسرة المثالية الممتازة بشارع ويفرلى : رجل وزوجته لطيفان وثلاثة أطفال لهم شكل جميل وقطة وعدد قليل متناثر هنا وهناك من السمك الملون الذهبى .

وحقيقة الأمر أن أكبر هؤلاء الأطفال سنًا وهى فتاة قد تزوجت منذ فترة طويلة وغادرت ذلك الشارع حيث ذهبت إلى مقاطعة بلتيمور وشرعت فى تكوين أسرة خاصة بها . وكان الطفل الثانى يقترب الآن من عمر يناهز الثلاثين عاماً . ولكن أفراد أسرة بيدلو كانوا مترسخين فى أذهان الناس عند مرحلة ترجع إلى ١٢ عامًا مضت عندما كانت كلوديا طالبة فى الكلية ترتدى جوربًا قصيراً وكان دانى هو كابتن فريق كرة القدم بمدرسته الثانوية بينما كان إيان الطفل [ولذى يشكل المفاجأة الكبرى لوالديه] مازال يتلف رصيف المشاة وهو يقود دراجته الهوائية ذات العجلات الثلاث والتى بها لوحة رخصة صغيرة متدلية من صندوق حبوب مربوط بسلك بمقود الدراجة .

والآن نجد أن إيان قد وصل عمره إلى ١٧ سنة وأصبح مثل باقى أفراد أسرته عريض المنكبين ووسيماً ومتأنيًا وهادئ الأعصاب ومقبلاً على عقد أواصر الصداقة مع الأخرين ومغرماً بقضاء الأوقات الممتعة . وكان له مثل باقى أفراد عائلة بيدلو شعر بنى / ذهبى وبشرة ذهبية وعينان ناعستان لهما لون بنى على الرغم من أن فمه كان شبيها بفم

والدته : فم له لون بيج فاتح وملتوى لأعلى عند الزاويتين . وكان يحب ارتداء البنطلونات الجينز الخشنة والقمصان المصنوعة من نسيجٍ مربَّع النقش – بحيث يكون من نسيج قطنىّ فى الصيف ومن نسيج الفلانيلا الصوفى الناعم فى الشتاء – مع فتح كافة أزرار القميص لكى يكشف عن قميص حرف تى من النايلون المطاط المرن موجود تحته . وكان يلبس أحذية من النوع الخفيف الذى تتماسك أجزاؤه من خلال شريط كهربائى . وكان هذا فى عام ١٩٦٥ عندما كانت مدرسة " بو " الثانوية مازالت تحتفظ على الأقل ببقايا ضئيلة من المبادئ المتعلقة بالزى المدرسى ولذلك كثيراً ما كان مدرسوه يرسلونه إلى منزله لكى يرتدى ملابس أكثر ملاءمة [ولكن على الأرجح كانت أمه تستقبله وهى مرتديه بنطلونًا فضفاضًا مغطى بنساله كتانية وأحد قمصانه هو ، بينما لفائف شعرها الأشقر الذابل متجمعة إلى الوراء فى مشقة بواسطة قوس الشعر البلاستيك الأحمر الوردى الذى يخص حفيدتها ، فهى أيضًا لم تكن ملابسها تتوافق مع أى زى على الإطلاق] . كما كانت هناك أيضًا شكاوى بشأن جودة أعمال إيان بالمدرسة . إذ أشار مدرسوه إلى أنه ذكى ولكنه كسول . حيث اكتفى بالحصول على تقديرات منخفضة وأصبح فى السنة قبل الأخيرة بالمدرسة الثانوية وهو بذلك إذا لم يسارع إلى إصلاح طرائقه فلن تقبله أى كلية تحترم نفسها .

واستمع إيان إلى كل هذا الكلام فى شىء من الدهشة والتسامح . إذ كان يشعر أن الأمور دائمًا ما تتغير وتصبح على ما يرام . ألم تتحسن الأمور دائمًا فى نهاية الأمر ؟ [ولم يكن أى فرد من أسرة بيدلو من النوع الذى يموج بالهم والقلق] . ولقد أحدقت به جماهير خفيرة من

الأصدقاء المخلصين منذ أن كان فى الحضانة . كما أن محبوبته سيسلى براون كانت أجمل فتاة فى الصف قبل الأخير بالمدرسة الثانوية . كما أن أمه كانت شغوفة به . كما كان والده - وهو مدرس الجبر ومدرب البيسبول بمدرسة " بو " الثانوية - يجعله يقذف الكرة فى كل مبارة تقريبًا ولم يكن ذلك نابعًا من مجرد أنه والده . إذا كان والده يشير دائمًا إلى أن إيان موهوب . وحقيقة الأمر أن إيان كان يغرق فى أحلام اليقظة فى بعض الأحيان ويتخيل نفسه وهو يلقى بالكرة مع فريق الأوريولز ولكنه كان يدرك أنه لم تكن لديه تلك الموهبة الكبيرة التى تعينه على ذلك . فهو لم يكن سوى ولد من النوع المتوسط .

ومع ذلك كانت تجىء عليه لحظات يعتقد فيها أنه سيصبح على نحو ما ذات يوم شخصاً مشهوراً .

فى أى مجال ؟ هذا هو ما لم يستطيع تحديده على وجه الدقة ، ولكنه سيصعد على السلالم الخلفية أو أى شىء من هذا القبيل ، وعندئذ وعلى نحو مفاجئ تقترب منه كاميرات التصوير السينمائى من أجل تصوير فيلم تسجيلى عن قصة حياته . وتخيل الصوت الرتيب المهذب للمذيع الذى يحكى قصة حياته : " لقد صعد إيان على السلالم . وفتح الباب . ودخل إلى المطبخ "

وتساءلت أمه وهى تمر ومعها سلة الملابس المعدة للغسيل " أقضيت يوماً حسناً . يا حبيبى ؟ "

فقال " أوه ...... السلسلة المتواصلة الاعتيادية من الانتصارات المدرسية والأمجاد الرياضية " ثم وضع كتبه على المنضدة .

فقال المتحدث عن سيرته الذاتية : " ووضع كتبه على المنضدة " .

* * *

وكان هذا هو الربيع الذى وقع فيه شقيق إيان فى الحب.فحتى ذلك الحين كان دانى يحتفظ بنصيبه من الفتيات المعشوقات – العديد من الفتيات المليئات بالزخارف اللائى لهن أسماء مشتقة من اسم مارجريت : مثل جريتا وماجى ومادجى ومارجوت. واللائى لهن أسماء مشتقة من اسم ديبى – اللائى يتأبطن ذراعه أثناء السير فى الشوارع ودائمًا ما كان يتم التخلص منه على ما يبدو أو كانت تخيب آماله على نحو مثير للشفقة والحزن.فبدأت أمه تشعر بالقلق عليه وبدأت تخشى من أنه قد يتخطى نقطة اللاعودة ويصبح رجلاً أعزبًا متوعك الصحة ومتسمًا بالقذارة . والآن كانت لوسى وهى فتاة جميلة مرتدية فستانًا أحمر اللون تقف فى الصالة الأمامية لعائلة بيدلو منتصبة القامة للغاية وقد وضعت كيس نقودها فى إحكام بين يديها حتى أنها بدت أصغر حجمًا مما كانت عليه . بل وبدت مُتَّسمة بالطابع الطفولى رغم أن دانى وصفها بأنها "امرأة" لدى قيامه بتعريفها على أفراد أسرته حيث قال "يا أمى . يا والدى . يا إيان : يسعدنى أن تشاهدوا المرأة التى غيَّرت مجرى حياتى" . ثم التفت دانى نحو المسز جوردان التى اختارت هذه اللحظة غير المناسبة لكى تعبر الشارع وتستعير المقص المشرشر وقال : " المسز جوردان : لوسى دين "

فقامت والدته بتخطى مراحل عديده من بناء الصداقة وجذبت لوسى نحوها فى احتضان ساحق [من الواضح أن الأمر كان يتطلب أكثر من مجرد المصافحة بالأيدى]. وقال والده : " حسنًا ! يالها من مفاجأة سعيدة ! " وراح الكلب يتشمم فى صداقة فى الزاوية الناجمة

عن إنفراج ساقي لوسى بينما راحت المسز جوردان – وهى سيدة كبيرة فى السن ومتسمة بالذوق والحساسية واللباقة – تتمتم بسرعة بكلام ثم انسحبت فى هدوء خارجة من الباب ، وقام إيان بوضع راحتى يديه فى إحكام تحت إبطه ثم ابتسم بدون أن يوجه ابتسامته لشخص معين .

وانتقلوا جميعًا إلى غرفة المعيشة بينما كان إيان يسير فى مؤخرة الطابور . وجلست لوسى فى كرسى مريح بينما جلس دانى على ذراع ذلك الكرسى وقد وضع إحدى يديه فى حماية خلف العقدة المفكوكة لشعرها الأسود . فاعتقد إيان أن لوسى تشبه طائرًا من نوع ما له ريش براق وقع أسيراً فى أيدى عائلته المرتدية ملابس من نسيج مربع الشكل . كان وجهها صغيراً للغاية . إنه وجه شبيه بحجر كريم به نقوش بارزة . وكان فستانها مجوفًا عند الرقبة ونحيلاً عند الخصر وبه تنورة كاملة . وكانت تضع أحمر شفاه شديد الاحمرار على شفتيها ولسبب ما لم تبدو مبهرجة ومُزوَّقة بطريقة خالية من الذوق السليم . وإنما بدت أنيقة وحسنة المظهر . وظهر على إيان أنه منبهر بها .

وقالت بى بيدلو فى لهجة آمرة " نريد أن نسمع منكما كل شئ . أين تقابلتما وكيف تعرفتما ؟ على بعضكما البعض ؟ ..... وكل شئ "

وجلست هى ووالد إيان على الأريكة [وراح والد إيان الذى له البنية اللطيفة المائلة للانحدار للاعب كرة البيسبول يدفع بكرشه إلى الداخل] بينما ظل إيان مسنداً فى كسل وترهل على إطار الباب .

وقال دانى " لقد تقابلنا فى مكتب البريد " ثم نظر مبتسماً فى بهجة إلى لوسى التى ردت عليه بالابتسام له فى ثقة .

فقالت بى " أوه ؟ أنتما الاثنان تعملان سويًا ؟ " فقالت لوسى بصوت منخفض وأجش ومتشدق بعض الشيء مما أثار دهشة الحاضرين " لقد دخلتُ إلى مكتب البريد لكى أرسل طردًا . وكان دانى هو الشخص الذى يقوم بالخدمة علىّ " فقال لهم دانى " كانت تريد إرسال طرد إلى شيان / ويومينج بالبريد الجوى . فقلت لها إن ذلك سيكلفها عشرين دولارًا و ٢٧ سنتًا . وأدركت أن هذا المبلغ كان يزيد كثيرًا عن التقديرات التى كانت قد وضعتها ..... "

فقالت لوسى فى صوت عالى وحاد مما جعل كل شخص يجفل "فقلت له [عشرين دولارًا و ٧٢ سنتا . يا إلهى]"

" لذلك قلت لها [إذا أرسل هذا الطرد بالبريد العادى فإنه لن يتكلف سوى ٤ دولارًا و ٦٣ سنتًا وهذا أرخص بكثير من إرساله بالبريد الجوى] فقالت لى [دعنى أفكر فى هذا الموضوع] و سارت خارجة من الطابور وتخلّت عن مكانها عند الكاونتر ، وظلت واقفة على مسافة أقدام قليلة منى وراحت تنظر إلى الحائط فى تجهم "

فقالت لوسى فى توضيح " كان علىّ أن أتخذ قرارًا على وجه السرعة "

" وراحت هى تنظر للحائط فى تجهم لفترة طويلة وأخذ مكانها ثلاثة من الزبائن . وأخيرًا قلت لها [يا آنسة هل اتخذت قرارًا ؟] ولكنها لم ترد على واستمرت فى النظر إلى الحائط فى تجهم . "

وقالت لوسى " كنت أريد أن أرسل بالبريد بعض البقايا والمتعلقات التى تخصّ زوجى السابق وكنت أريد التخلص من تلك الأشياء بأسرع ما يمكن "

فتفجرت فى أرجاء الغرفة صدمة أو خيبة أمل خفيفة . وقالت بى فى تساؤل " الزوج السابق ؟ "

"كان نصف عقلى يريد له أن يحصل على ذلك الصندوق غداً بل ويحصل عليه بالأمس إن أمكن ذلك ، ولكن النصف الآخر كان يحصى البنسات . حيث راح ذلك النصف الآخر من عقلى يقول [الفارق يزيد على ١٥ دولاراً . وفكرى فى كافة تلك مواد البقالة التى يمكن شراؤها بمبلغ ١٥دولاراً أو الأحذية أو الأشياء اللازمة للأطفال] "

" الأطفال "

وقال دانى " ولقد أعجبت بالطريقة التى تناولت بها هذا الموضوع . فهى لم تتسرع ولم تهتم بما قد يظنه الناس فيها ، أعنى أنها أكتفت بالوقوف هناك مع الانخراط فى التفكير ثم قالت أخيراً [حسناً] واختارت أن ترسل الطرد بالبريد الجوى "

وقالت لوسى " لقد رأيت أن الأمر يتطلب إرسال هذا الطرد بالبريد الجوى لكى أشعر بالرضا والارتياح :

وقال دانى " وربما كنت سأصرف النظر عنها لو أنها اختارت إرسال الطرد بالبريد العادى . ولكنى أعجبت بها عندما قررت إرساله بالبريد الجوى . وعندئذ سألتها عمّا إذا كانت تود تناول طعام الغذاء معى "

فقالت لوسى موجهة كلامها إلى جميع أفراد أسرة بيدلو " وكان هو أجمل إنسان رأيته فى حياتى منذ فترة طويلة للغاية . ولذلك قلت له إنه يسعدنى للغاية أن أتناول الطعام معه "

وكانت بى وزوجها دوج بيدلو يجلسان بجوار بعضهما البعض ويبتسمان ابتسامات عريضة للغاية كما لو كان شخص ما قد أخبرهما بأنه يتم التقاط صورة فتوغرافية لهما .

* * *

وكانت توجد هذه المعلومات عن آل بيدلو : كانوا يعتقدون أن كل جانب من جوانب حياتهم رائع للغاية . ولم يكن ذلك مجرد تظاهر حيث كانوا يصدقون ذلك بالفعل . أو على الأقل كانت أم إيان تؤمن بذلك . وكانت هى بالتالي التى أرست هذا الطابع أو المزاج . إذ كان زواجها يشكل بهجة كبيرة بالنسبة لها . وكان منزلها يجعلها تشعر بالسعادة فى كل مرة تدخل فيها إلى منزلها بل وكان أطفالها جذابين وشفوقين ومحبوبين من الجميع . وعندما كانت تحدث أشياء رديئة – مثل الحوادث الاعتيادية والأمراض والتغيرات الفجائية فى النموذج المترسخ كانت بى تتعامل معها فى روح من الفكاهة مع دحرجة عينيها كما لو كانت هذه الأشياء هى مادة لكوميديا الموقف . وكانت هذه الأشياء بمثابة فصول جديدة فى الملحمة البطولية المستمرة الخالية من الهموم التى تسلى الجيران بها : كيف تمكنت كلوديا من توفير مبلغ يكفى لشراء سيارة وكيف فصل إيان مؤقتًا من الصف المدرسى الأول .

أما بالنسبة لإيان فكان يعتقد فى ذلك أيضًا ولكن عقب نوع من الجذب أو عقب لحظات من التردد . مثال ذلك أنه كان يشعر من وقت لآخر أن والده مثير للسخرية فى مدرسة بو الثانوية – فهو غير ناجح فى الحفاظ على النظام كما أنه يصبح مشوش الذهن عندما يقوم بشرح

الدلالات الرياضية الأكثر تعقيداً في علم الجبر ولكن بي أشارت إلى أنه أكثر المدرسين الذين عملوا في مددرسة بو شعبية وكان ذلك قولاً صادقًا في حقيقة الأمر . نعم كان ذلك أمراً حقيقياً بكل تأكيد . وكان إيان يدرك أنها على حق في ذلك .

أو أنظر إلى كلوديا وهي الوحيدة في أسرتها التي تتميز بالموهبة في الدراسة ومع ذلك فهي قد تركت الكلية وهي بالسنة الأخيرة من أجل أن تتزوج وبعد ئذ بدأ أطفالها يتوافدون بغزارة وفي سرعة هائلة حتى أن الأسرة اضطرت إلى تسميتهم وفق الحروف الأبجدية : أبي و بارني وسندي و دافي ...... إلى أين سينتهي كل ذلك ؟ هكذا تساءل صوت ساخر منطلق من أعماق ذهن إيان . هل سينتهي الطابور إلى : إكسافيار Xavier ؟ زيلدا Zelda ؟ وبعد ئذ شاهد إيان أطفال كلوديا كخليط ممتزج في اضطراب في داخل سلة فاضطر لأن يبتسم .

أو أنظر إلى داني . ألم يكن ذلك نوعًا من الانحدار عندما ذهب للعمل في مكتب البريد عقب حصوله على الثانوية العامة مباشرة بينما كان الأب والأم في هذه الأسرة يعملان في مجال التدريس منذ فترة طويلة للغاية ؟ ومع ذلك أشارت بي إلى أن داني كان سعيد الحظ لأنه كان يعرف في وقت مبكر للغاية من جياته ماذا يريد ورتب حياته وفقًا لذلك في رضا واطمئنان شديد وبعد ئذ أعاد إيان تنظيم نفسه وغير اتجاهه وراح يتدحرج مع الآخرين بعد أن تأثر بالحظ الحسن الذي صادف داني .

كان دائمًا ما يفترض أنه الشخص الوحيد الذى يشهد ذلك التوقف الفجائى فى أفكاره . كان يفترض ذلك إلى أن جاء اليوم الذى وصلت فيه لوسى وشاهد الجفول الفجائى المستتر الذى ظهر على والديه لدى سماعهما كلمة " الزوج السابق " . ففتاة أحلام دانى سبق لها أن اختارت شخصًا ما قبله ؟ وكانت تحملّه أيضًا بعبء أطفال شخص آخر ؟ وظهر الارتباك على وجه والده كما ظهر على وجه والدته العريض سطح هشّ مشدود مثل شيء يسهل انكساره .

إيان نفسه قد استوعب الفكرة بدون متاعب . فهو بالطبع لم يكن يريد لدانى سوى أفضل الأمور . فهو كان يعبد دانى منذ طفولته – فدانى هو اللاعب الرياضى الشامل المتعدد البراعات فى أسرته وهو الشخص الموهوب فى كل رياضة معروفة وإن كان غير مُبرز فى أى منها ، وهو متفائل بطبيعته بشكل واضح وصبور مع أخيه الصغير . ولكن إيان بدأ يدرك أن لوسى هى الأفضل . فزوجها السابق لم يكن سوى نكسة بسيطة فى حياتها وكذلك الحال بالنسبة لأطفالها . فأهم شيء هو تلك الكومة من الشعر الأسود الغزير وتلك الرموش السوداء الطويلة ، ولم يكن بين فتيات دانى السابقات من تستطيع البدء فى التنافس مع هذه الفتاة .

ولكنه أدرك كيف أن والديه كانا يبتسمان فى ثبات بابتسامات زجاجية ومتحجرة أثناء دخولهما فى دردشة هامسة . حيث أشارت أمه إلى أن تلك الطريقة التى تقابل بها هذان الحبيبان كانت بالتأكيد شاذة وغير عادية . وأشار والده إلى أنه لو كان مكانها لاختار إرسال الطرد

بالبريد العادى لكى لا تُوجَّه إليه الدعوة لتناول الغذاء ها . ها . ها . ...
وقالت أمه إنه بمناسبة الكلام عن الغذاء فإن لوسى ينبغى أن تبقى لكى تتناول مكرونة الأسباجيتى . فقال دانى إنه لا يمكنها البقاء لأنه سوف يصطحبها إلى " مطعم حسنى " لكى يحتفل بخطوبتهما . وأثارت كلمة " الخطوبة " صدمة أخرى فى أرجاء الغرفة حيث اتضح الآن على نحو أكيد أن دانى كان مصمماً على البدء فى إجراءات هذه الخطوبة . فقالت بى إنه ربما يكون ذلك فى وقت لا حق من هذا الأسبوع . فشكرتها لوسى بصوتها المبهر الضبابى . ونهض الجميع واقفين . وابتعد إيان عن إطار الباب وتلقى أول نظرة مصوبة إليه من جانب لوسى . كان لها عينان صافيتان رماديتان يكاد يكون لونهما فضياً . وبجوار أنفها الصغير كان يوجد قدر ضئيل من النمش .

وبعد أن غادر دانى ولوسى عاد والداه إلى غرفة المعيشة وجلسا على الأريكة. وحل موعد العشاء فلم يذكر أحد أنه يريد تناول الطعام . وسار إيان إلى البيان العمودى فى الركن . كانت عشرات الصور الفوتوغرافية العائلية التى لها إطار نحاسى معتم أو إطار خشبى مدهون بالورنيش تقف على سجادة عاجية اللون . وكانت توجد صور فوتوغرافية أكبر حجماً معلقة فى الخلف وتكاد تطمس معالم ورق الحائط المزخرف بالأزهار والذى أصبح بعد مرور سنوات عديدة شبيها بلون ورق المانيلا . فراح يتأمل ويدرس تلك الصور : جدته واقفة فى تجهم ومنتصبة القامة بجوار جدّه الجالس على كرسى بينما عمة أبيه التى تسمى " بيس " تحاول التحكم فى شباك الطوق فى فستانها فى حين

كان دانى مرتدياً زياً رسمياً من الساتان خاص بسباق رياضى وقد تدلّى شريط من حول رقبته . وكلما كان دانى يستمتع بعمل شىء ما كان وجهه يلمع بعرق خفيف بل وكان يعرق أثناء تناوله الطعام أو استماعه للموسيقى . وفى هذه الصورة - حيث كان قد جرى فى سباق للعدو وتحت أشعة الشمس الساخنة واستمتع إلى جانب ذلك بالفوز فى المباراة - كانت بشرته لامعة وشبيهة بالمعدن . وكان بمقدورك أن تتخيل أنه كان تمثالاً . ولمس إيان الإطا ر باصبعه [فكسى الغبار إصبعه . فعلى الرغم من أعمال التنظيف الهائلة المدوية التى تقوم بها بى إلا أنها كانت تميل إلى ترك الأشياء الصغيرة لكى تزول وتتبدّد من تلقاء نفسها] . ومن خلفه قالت والدته " حسنًا لقد ظللنا على مدى سنوات نتمنى له أن يتزوج "

فقال والده " هذا صحيح "

" والآن بدأت قوة الجذب فى التزايد ... "

فقال والده فى خفوت " أوه . نعم . قوة الجذب "

" أنذكرتْ هى عدد أطفالها ؟ "

" لا أستطيع تذكر ذلك "

فقالت بى له " لو كان لديها عدد كبير فإنه يمكن لنا أن نخلطهم مع أولاد كلوديا ونكون منهم فريق كرة بيسبول تابع لنا "

وضحكت . فاستدار إيان لكى ينظر إليها ولكنه استدار بعد فوات الأوان . فهى كانت قد انزلقت فى خفة إلى المتعة التامة وفقد هو فرصته فى مشاهدة الكيفية التى فعلت بها ذلك .

ومع ذلك لم يكن لدى لوسى أطفال كثيرون : لم يكن لديها سوى اثنان . طفلة عمرها ست سنوات وطفل عمره ثلاث سنوات . وكانت تسكن على مسافة ميلين وفقًا لما قاله دانى فى شقة مستأجرة تقع فوق صيدلية هامبدون ، وقد اعتادت أن تترك طفليها مع زوجة الصيدلى لدى ذهابها للعمل يوميًا . وقال لإيان هذا الكلام فى وقت لاحق فى تلك الليلة عندما توقف عند غرفة إيان لدى اتجاهه إلى غرفة نومه . وقال إنها تعمل جرسونة فى مقهى فل إر آب كافية - و أن هذه الوظيفة الوحيدة التى سمحت لها بتنظيم الوقت فيما يتعلق بطفليها . وأشار دانى إلى أنه سرعان ما سيضع حداً لذلك . حيث يرغب أن تكون زوجته ربة بيت ومتفرغة للشئون المنزلية .

وقال إنها قامت بإرسال ذلك الطرد بالبريد بناء على طلب من زوجها السابق . إذا كان زوجها السابق يستعد للزواج مرة أخرى ويريد منها أن ترسل إليه حاجياته . فقامت لوسى بتعبئة وحزم كل الأشياء التى تخصه : التمثال الصغير لفتاة الجيشا الذى كسبه فى لعبة إلقاء السهام المريشة فى السوق الخيرية بالإضافة إلى كرة الباولينج الموجودة فى الحقيبة المصنوعة من قماش القنب والتى لها خطوط حمراء / بيضاء والتى تشبه حقيبتها تمامًا . وكتب دانى قائمة تفصيلية بهذه الأشياء مع التلكؤ فى بطء كما لو كانت قد وقعت فى دائرة حبة . وقال إن كرة الباولينج هى السبب فى زيادة وزن الطرد [والذى يبلغ إجمالى وزنه ٢٨ رطلاً] وأشارت لوسى إلى كأس تذكارى وهو كأس لايمكن أن يكون خفيفًا للغاية أيضًا .

وحاول إيان أن يتخيل لوسى وهى تدحرج كرة الباولينج . وعلى نحو غير منطقى تخيلها وهى مرتدية نفس الحذاء الذى جاءت به إلى المنزل – وهو خف أحمر به ورود حمراء قماشية فى المقدمة . فالأحذية ذات الكعوب العالية قد تحدث ما يشبه الغمازات فى الخشب اللامع المصقول للممر .

وقال دانى " وهى طباخة رائعة . ففى كل مرة أجىء فيها لتناول طعام الغذاء فإنها تعد لى وجبة خاصة وتوقد شموعًا جديدة . وتشعر لوسى أن الناس ينبغى عليهم أن يتناولوا الطعام تحت ضوء الشموع . وهى أحيانًا تعد الحاملات التى تمسك بالشموع ففى الليلة الماضية استخدمت تفاحتين حمراوتين . ألم يكن ذلك شيئًا متسمًا بالبراعة ؟ فهى لها أفكار رائعة للغاية . كما أنها ماهرة أيضًا مع ورق السُّفرة . فهى تطويها وتخلق منها أشكالاً مختلفة مثل الأوكرديون أو الفراشة أو أكواخ الهنود الحمر المستديرة الشكل لأن لوسى تقول ......"

لوسى تقول . لوسى تشعر . لوسى تعتقد بدت وكأنها تكاد تكون موجودة معهما فى الحجرة . وتسكع دانى فى المدخل وقد وضع يديه فى جيبى بنطلونه وقد مالت عيناه قليلاً مثلما تفعلان عندما يثير شىء ما مشاعره وتعلقت عقدة رباط عنقه سائبة على صدره مما جعله يبدو مترنحًا فى سكر رغم أنه لم يكن مخمورًا .

وأراد إيان أن يتساءل : وكيف كانت تنتهى أمسياتهما ؟ وهل كان كلاهما يحرز تقدمًا على أريكتها ؟ أو ربما كانا يتماديان إلى أقصى درجة ؟

وتحدث دانى عن براعة لوسى فى الديكور الداخلى وعن اهتمامها بطفليها وعن حياتها الصعبة الماضية . وقال : " لقى والداها مصرعهما فى حادث تحطم سيارة عندما كانت هى فى سن المراهقة ومن المؤكد أن زوجها ذاك لا يتسم بالشهامة لأنه تخلى عن تقديم المساعدة لطفليه وهى لا تشتكى من ذلك . فهى لا تقول كلمة واحدة ضد أى شخص فالشكوى ليست هى أسلوبها فى الحياة . ودعنى أقول لك يا إيان إننى ظللتُ أبحث عن امرأة مثل لوسى طوال حياتى ولكنى بدأت أعتقد أننى لن أعثر عليها أبداً . بل وبدأت أميل إلى الاعتقاد بأنه يوجد شىء ما خاطىء فى داخلى . ولقد تقابلت مع هؤلاء الفتيات اللطيفات الجميلات للغاية على ما يبدو ثم يتضح لى أننى قد خُدعت بمظهرهن الكاذب . إذ كن عابثات ومغازلات أو استغلاليات أو كاذبات وكان كل شخص يعرف تلك الحقائق عنهن باستثنائى أنا . ألا ينبغى أن يكون هناك تدريباً من نوع ما يساعد المرء على إصدار حكم صحيح على المرأة ؟ وكيف يفترض فى الفتية والأشخاص أنهم يكتشفون هذه الأمور فى حالة وجودها فى المرأة ؟ حسناً البعض يحققون النجاح فى اكتشاف هذه الأمور فهذه نوعية من الموهبة على ما أعتقد . وبدأت أشعر بالقلق بسبب ملاحقة الحظ العاثر لى . وبعدئذ تظهر لوسى أمامى . منذ أسبوعين فقط لم أكن قد تعرفت عليها على الإطلاق . هل يمكن لك أن تصدق ذلك ؟ ومع ذلك فأنا متأكد تماماً من أنهاالمرأة الوحيدة التى تصلح لى كزوجة . فهى تصنع ستائرها بنفسها وتقص شعر طفليها بنفسها وبمقدورها أن تزرع غصناً فى وعاء فخارى فيتحول إلى اللون الأخضر ويبدأ فى النمو . وعندما أطوق خصرها بيدى تكاد أطراف أصابعى أن تتقابل" .

وعلى نحو ما أدرك إيان على وجه الدقة المشاعر التى تكتنف ذلك : إذ كان جسدها يضيق ويتقلص بين راحتى يده مثل فازة نحيلة ورشيقة .

وبعد أسبوع تزوج دانى ولوسى فى الكنيسة المشيخية التى توجد بشارع دوبار والتى يذهب إليها آل بيدلو من أجل تأدية الصلاة : والاستماع إلى المواعظ الدينية من وقت لآخر وكانت لوسى مرتدية حلة وردية اللون وقبعة بيضاء صغيرة مستديرة لها حافة وعقدة أنشوطية . وكانت تقف أمام القسيس وقد تأبطت ذراع دانى وضمت قدميها فى احتشام حتى أن عينى إيان انجذبتا نحو خطوط الالتحام الموجودة فى مؤخرة جوربيها . فهو لم يسبق له أن شاهد خطوط التحام على الجوارب من قبل إذا استبعدنا الأفلام القديمة السوداء / البيضاء . وساءل نفسه فى تعجب : كيف جعلت هذه الخطوط مستقيمة للغاية على ذلك النحو . إذ كانت تشبه خطوط مرسومة بقلم حبر مع الاستعانة بمسطرة

وعلى نحو مثير للشفقة لم يحضر سوى عدد قليل للغاية من الضيوف فى الجانب المخصص للعروسة بالكنيسة . ففى المقصورة الأولى كانت توجد الجرسونتان من العاملات فى مقهى فل أر أب كافيه وقد ارتدت كل منهما تسريحة الشعر المخروطية مما جعلهما تبدوان أطول الناس الموجودين . وخلفهما كان يجلس الصيدلى وزوجته بينما طفلا لوسى متكومين حول الزوجة . وكان إيان قد تقابل مع هذين الطفلين فى عشاء عائلى فى الليلة السابقة فلم يجذبا انتباهه كثيراً . إذا كانت أجاثا بلهاء وغبية مثل اسمها – عادية وغبية وشاحبة اللون . وكان

توم نحيلاً وأسمر البشرة وذكيًا ولكنه لم يعد يستجيب لليافعين . وأثناء الزفاف راحا يحملقان سويًا فى مكان آخر - لأعلى نحو السقف المقنطر وفيما حولهما نحو النوافذ الوردية - إلى أن انحنت المسز ميردال وهمست فى حدة وكانت أجاثا من ذلك النوع من الأطفال الذين يتنفسون من أفواههم .

أما الجزء المخصص للعريس بالكنيسة فكان يضم فى المقصورة الأولى الوالدين : دوج بيدلو مطوق بشدة بحزام ومصقول ولامع بطريقة غير مألوفة بينما بى كانت ترتدى فستانًا جديدًا مقلمًا من محلات هاتزلر وفى المقصورة الثانية كان يوجد صف من عائلة دالى : كلوديا وزوجها ماسى وجميع أطفالهما الخمسة المندفعين فى حركاتهم المتململين فى عصبية بل وأيضًا إبلين الصغيرة على الرغم من أنه قد تم استئجار حاضنة لكى تتواجد فى مؤخرة الكنيسة وبحيث يمكن الاستعانة بها إذا لزم الأمر . وكان إيان يجلس فى المقصورة الثالثة مع سيسلى وقد أمسكت بيدها ، وإذا التفت فيما حوله يمكنه مشاهدة أصدقاء دانى اللذين كانوا معه فى المدرسة الثانوية علاوة على زملائه فى العمل بمكتب البريد بالاضافة إلى جميع الجيران : أفراد عائلة كاهن وعائلة كرين وعائلة مرسار ووالد و والدة سيسلى وأخيها ستيفى والمسز جوردان فى روبها القرائى البسيط حتى فى هذا اليوم الحار من شهر مايو ، وكل شخص أخير من الأجانب - صف من الشبان من ذوى البشرة السمراء الضاربة إلى الصفرة المرتدين حللاً سوداء لامعة متماثلة . وكان هؤلاء الأجانب يحرصون دائمًا على الحضور فى كافة المناسبات والاحتفالات .

وتحدث القسيس فى شىء من التفصيل عن الزواج من حيث هو سلوك حضارى راسخ الجذور . وتململ دانى فى مكانه مرات قليلة ولكن لوسى ظلت ملتزمة بعدم التحرك وساءل إيان نفسه فى تعجب عن السبب الذى يجعل قبعة مثل قبعتها تسمى Pillbox . ثم قال لنفسه فى تفكير : إنها تشبه حبة الدواء Pill أكثر مما تشبه صندوقًا box إنها قرص إسبرين أبيض كبير .

وضغطت سيسلى بيدها على يد إيان فرد عليها إيان باعتصار يدها ولكن ليس فى نفس القوة [فهى كانت تلبس خاتمه الزجاجى والذى كان ضخمًا مثل مفصل نحاسى] ومن على مسافة قام إيان بتسجيل القسم الزواجى – حيث كان صوت دانى متسمًا بالتأكيد الشديد مما جعل أطفال عائلة دالى يضحكون بينما كان صوت لوسى نابعًا من الحلق ومتسماً باستمالة الآخرين . ثم أعلن القسيس أنهما أصبحا : رجلاً و زوجته . فقاما بتبادل القبلات . ولم تكن قبلات استعراضية من النوع الذى يشاهده المرء فى حفلات الزواج . إذ اكتفت لوسى بالاستدارة والنظر فى عينى دانى بينما وضع دانى يديه على كتفيها وانحنى لكى يضغط بشفتيه على شفتيها فى رقه شديدة . وبعدئذ تراجعا إلى الوراء وابتسما للضيوف . فنهض جميع الحاضرين واقفين وساروا للأمام لكى يقدموا التهانى .

ثم أقيم حفل استقبال بمنزل آل بيدلو مع تقديم الكعك الصغير الفاخر الذى قامت بإعداده بى و كلوديا على مدى أيام . علاوة على تقديم المشروب المنعش المضاف إليه كحوليات والذى قام بإعداده دوج

فى وعاء بلاستيك بينما قُدِّم للأطفال المشروبات الخفيفة المحفوظة فى زجاجات . وكان عدد الأطفال أكثر مما هو مطلوب ، وكان أطفال كلوديا يطاردون بعضهم البعض عبر غابة من سيقان اليافعين والكبار . وكانت ابنتا رافى هامنت وهما توأم فى سن العاشرة ومثيرتان للغريزة الجنسية تقفان بجوار البيانو وقد رفعت كل منهما ردفها مع التلويح بقشة ورقية وكأنها سيجارة . ولكن طفلى لوسى هما فقط اللذان لم يظهر عليهما أنهما يشعران بالاستمتاع . إذ جلسا على عتبة نافذة وقد اختفيا تقريباً عن الأنظار وراء الستائر الموجودة على كلا الجانبين .

وقامت سيسلى بجذب إيان لكى يذهبا سوياً إليهما عند الستارة ويتصادقا معهما – وكانت سيسلى مشهورة بالمدرسة بأنها من النوع الذى " يراعى مشاعر الآخرين " – ولكنهما لم يحققا النجاح . إذ انكمش توماس وتشبث بأخته وراح يعبث بأصابعه فى شريط طبى ملفوف حول إبهامه وأبقت أجاثا على ذراعيها مطويين ، وحملقت إلى ما وراءهما نحو أمها التى كانت تمد يداً صغيرة لكل ضيف لدى قيام دانى بتعريفها على الناس ["حبيبتى . هذا هو ملفين كاهن الذى يسكن بجوارنا . وأنت يا ملفين أود أن تتقابل مع المرأة التى غيرت مجرى حياتى"] .

وتساءلت سيسلى موجهة كلامها لأجاثا " أليس لطيفاً أن يكون لك عم جديد ؟ فكرى فى ذلك : إنه العم إيان " .
فقامت أجاثا بتحويل حملقتها نحو سيسلى كما لو كان ذلك يتطلب منها بذل مجهود كبير .

فقالت سيسلى : " أليس ذلك لطيفًا ؟ "

فأومأت أجاثا أخيراً برأسها بما يفيد الموافقة .

فقال إيان لسيسلى " لقد اجتاحتها مشاعر البهجة "

فنظرت سيسلى إليه فى تكشيره . لقد كانت سيسلى فتاه مفعمة بالحيوية و النشاط و كانت لها عينان جميلتان مستديرتان و رأس فوار به لفائف من الشعر الأشقر . واليوم كانت ترتدى قميصاً تحتانيًا أصفر اللون حوّل ثدييها إلى فنجانى شاى مقلوبين . وشابك إيان أصابعه مع أصابعها وقال لها " هيا بنا نذهب إلى منزلك ".

" نذهب ؟ إننى لم أقل مرحبًا لأهلك حتى الآن " .

ولكنها دعته يقودها إلى الخارج مروراً بدوج بيدلو الذى كان يوازن مغرفة خموره ومروراً بأخيها الصغير الممسك بمسدس صغير للأطفال ومروراً بالأجانب الذين كانوا يتدرّبون على استخدام اللغة الإنجليزية أثناء وجودهم بالشرفة الأمامية . إذ قال أحدهم "أليس هذا اليوم جميلاً" وربما كان المتحدث هو جو أو جيم أو جاك . فهم جميعا كانت لهم تلك الأسماء الأمريكية الممتازة المختصرة . وتراجعوا إلى الوراء فى احترام لإفساح الطريق مع متابعة سيسلى بعيونهم [دائمًا ما كانوا يظهروا إعجابهم الشديد بالشقراوات] بينما كان إيان يمسك بها أثناء نزولها على السلالم .

وإلى جوار إفريز الطريق كانت سيارة دانى الشفرولية الزرقاء تقف فى انتظار . فالعريس والعروسة كانا بصدد الذهاب بالسيارة إلى

وليامزبرج لقضاء شهر العسل . وهى رحلة لمدة ثلاثة أيام فقط لأن لوسى شعرت أنها لا تستطيع أن تترك طفليها لفترة تزيد عن ذلك . ولقد قام بعض المراهقين من الجيران بربط علب صفيح فى الإكصدام الخلفى للسيارة وكتبوا بالطباشير على صندوق السيارة عبارة " لقد تزوجا توًا " . وراح إيان يفكر فى كلمة : متزوجان . ثم أدرك على الفور أن دانى قد أنجز هذا الزواج بالفعل . فقد أصبح الآن زوجًا وبحيث لن يتوقف أبدًا مرة أخرى بجوار باب غرفة نوم إيان ليلاً وقد علّق جاكتتة فى إبهامه لكى يتحدث عن " مراهقى بالتيمور السذج " فشعر بموجة فجائية من الحزن . ولكن والدىّ سيسلى لن يبقيا للأبد فى حفل الاستقبال ولذلك قال : " هيا بنا نذهب " وشرعا فى السير نحو منزلها .

* * *

فى ذلك الصيف حصل إيان على وظيفة فى شركة للنقل تسمى Sid n eds A-lMovers وهى شركة محلية للغاية تتألف من عربة فان Van للنقل واحدة . وهى شاحنة مغلقة لنقل الأشياء وفى كل صباح كان يذهب إلى جراج فى جرينمونت ويوقع فى دفتر الحضور ثم يتجه بالشاحنة مع رجلين نحيلين أسودين مثيرين للضحك إلى منزل متداعى حيث يقومون هناك برفع كراتين مليئة بالكحوليات علاوة على رفع قطع الأثاث إلى داخل الشاحنة على مدى ساعتين . ثم يتجهون بالشاحنة إلى منزل ما آخر غالبًا ما يكون أكثر تداعيًا ويفرغون كل شئ هناك وحاول إيان إقناع نفسه بأنه يستمتع بهذا العمل لأنه نظر إليه على أنه بمثابة رياضة رفع الأثقال . وهو دائمًا ما كان ينظر إلى عضلاته فى اهتمام .

وهو عندما كان ولداً صغيراً كان ينظر إلى عضلاته فى اهتمام ، وهو عندما كان ولدا صغيرا كان ينظر فى إعجاب إلى أخيه دانى وأصدقاء أخيه أثناء تأديتهم التمرينات الرياضية ، وكان يركز نظراته على سواعدهم وعلى العضلات المفتولة تحت الجلد أثناء ضرب الكرة بالمضرب أو أثناء مباراة الكرة الطائرة واعتقد أن العضلات هى الفارق القوى وأكثر أهمية من السوالف أو الأصوات العميقة . وكان قد تفحص ذراعيه النحيلتين وساءل نفسه في تعجب : أيمكن أن يتغيّرا فى أى وقت من الأوقات ولكن عندما حدث التغير بالفعل لابد أنه كان نائمًا لأنه كان قد لاحظ فجأة منذ أجازتين صيفيتين أثناء قيامه بجز المساحة العشبية الخضراء - يا إلهى انظر إلى ذلك ! . العضلات المفتولة من المعصم إلى المرفق وحبال أوردته الزرقاء الواضحة البارزة . وقام بثنى جُماع يده وحملق لأسفل فى شىء من التنويم المغناطيسى إلى أن نادت عليه أمه بصوت مرتفع من الشرفة وسألته : إلى متى سيظل واقفًا هناك على هذا النحو .

ولكن اتضح أن العضلات - شأنها شأن أمور كثيرة أخرى - ليست شيئًا هامًا للغاية [أعتقد الآن أن الاضطجاع مع فتاة ربما كان أكثر أهمية] . ولكنه على الرغم من ذلك استمر فى العمل على تقوية نفسه وعضلاته إلى أقصى درجة . بل وكان يتعمد اختيار أكثر قطع الآثاث ثقلاً ويتقدم أمام كل من لو Lou ولودون Le Don اللذين كان يسعدهم أن يسيرا وراءه فى تباطؤ { وهما يحملان الزهريات والخزف الصينى والتماثيل الصغيرة وبعدئذ كان يرجع فى الفترات المسائية إلى

منزله متفجراً بالسخونة والعرق ومتمايلاً فى تأرجح . وعندئذ كانت أمه تقول " يا إلهى ! اذهب وخذ حماماً قبل أن تفعل أى شىء آخر " . فكان يقف تحت الدش إلى أن تصبح المياه باردة ثم يرتدى تغييرة جديدة : بنطلون جينز وقميص تى - تشرت وينطلق لكى يتناول طعام العشاء فى منزل سيسلى . فنادراً ما كانت أمه تطبخ طوال ذلك الصيف . إذ كانت كلوديا مريضة بسبب حالة الحمل الأخيرة التى تمر بها مما كان يجعل بى Bee تقضى اليوم فى رعاية الأطفال الصغار . وفى بعض الأحيان كانت تقول " هل رجعت إلى تناول الطعام فى منزل براون مرة أخرى ؟ " ولكنه مع ذلك كان يدرك أنها مسرورة . فهى وأبوه كانا يكتفيان بتناول ساندويتش أمام التليفزيون أو يذهبان إلى مطعم لبتون . ثم تضيف : "لا تتسبب فى القضاء على الترحيب بك" وبعدئذ تنساه } .

كان هو و سيسلى يتلامسان بأقدامهما تحت المنضدةبينما كانت أمها تقدم له كميات مضاعفة من كل شىء . وكانت سيسلى تنزلق بيدها فى السر إلى أعلى فخذه فكان إيان يعيد ترتيب منديل المائدة الخاص به ويبتلع الطعام ، ويعبّر للمسز براون عن مدى حبه الشديد للطهى الذى تقوم به . ولكن غالبًا ما يكون المستر براون غائبًا حيث يكون موجوداً بالخارج ومنهمكًا فى بيع وثائق التأمين لأصحاب البيوت الذين لا يمكن الوصول إليهما إلا فى الفترات المسائية ولكن شقيق سيسلى الصغير كان دائمًا موجوداً وهو ولد بغيض ومثير للإزعاج . وكان يحرص على أن يظل على مقربة عقب تناول العشاء ويسبب إزعاجًا شديداً لإيان بأن يوجه إليه أسئلة عن لعبة البيسبول . وكان يظل على مقربة منهما فى

الشرفة الخلفية المزودة بحجاب منخلى لمنع البعوض فكانت سيسلى تقول له " يا ستيفى !! " وعندئذ كان ستيفى يتسائل " ماذا ؟ ما الذى أفعله أنا ؟ "

" أليس لك أصدقاء من نفس سنك مقربين إليك ؟ "

" إننى لا أتسبب فى أى إزعاج "

" يا أمى . لقد أصبح ستيفى مزعجًا للغاية مرة أخرى "

فكانت المسز براون تنادى عليه بصوت مرتفع " يا ستيفى . تعال إلى هنا إلى داخل المنزل الآن وعلى الفور " .

وعندئذ كان ستيفى يغادر الشرفة ويركل بقدمه الزحافة المنزلقة أثناء مروره ويخفض من رأسه الأبيض / الأشقر المثير للغيظ لكى لا يتمكن أحد من مشاهدة وجهه .

وكان إيان وسيسلى قد ترافقا وتصادقا منذ أن كانا فى الصف التاسع بالمدرسة . وكانا يخططان للارتباط بالزواج عقب التخرج من الكلية ، ورغم أن سيسلى كانت تضايقه فى بعض الأحيان وتقول له إنه سيكون عليها أن ترى من هو الشخص الآخر الذى سيطلب يدها أولا وتقول " غيّر الاسم وليس الحرف وغيّر إلى الأسوأ وليس إلى الأفضل " ولكنها بعدئذ كانت تجلس فى حجره وتلف ذراعيها حول رقبته . وكانت تنبعث منها رائحة بودرة الأطفال الدافئة الوردية . وكانت ترتدى ملابس داخلية وردية أيضًا - صدرية للثديين وردية ومنزلقة وذات حواف مزركشة . وفى بعض الأحيان عندما كانا يتبادلان القبلات لبعض الوقت

كانت تسمح له بأن يقوم بفك المشبك الموجود فى الخلف ولكنه كان عليه أن يحرص على عدم التمادى فى دغدغة مشاعرها . لأنها سريعة التأثر للغاية من خلال الدغدغة وعلى نحو يفوق أى فتاة أخرى تقابل معها . فالأمور قد تصبح مثيرة وممتعة ولكنها تنسحب على نحو مفاجئ وتنخرط فى نوبات عالية من الضحكات اليائسة . وعندما كان يحدث ذلك كان إيان يشعر بأنه مثل إنسان ساذج وعندئذ كان يقول " أوه . هذا شيء عظيم " فتقول له "إذا كانت يداك باردتين تصبح الغلطة ليست هى غلطتى"

" باردتين ؟ الحرارة بالخارج تبلغ ٨٨ درجة "

" هذه ليست غلطتى "

هل الفتيات الأخريات يتصرفن على هذا النحو ؟ كان على استعداد لأن يراهن على أنهن لا يفعلن ذلك . كان يتمنى فى بعض الأحيان أن تكون متسمة بالمزيد من الأنوثة . وأكثر خبرة . وقال " هذه اللحظة يفترض فيها أنها لحظة عاطفة رومانتيكية " كما قال " نحن هنا لسنا فى دار حضانة " وقال ذات مرة " هل فكرت فى أى وقت ارتداء جورب حريمى به خطوط التحام ؟ " ولكن عندما كانت سيسلى تنفجر فى الضحك فإنه يتعذر عليها على ما يبدو التوقف عن الضحك وكل ما استطاعت أن تفعله هو أنها هزت رأسها بما يفيد النفى ومسحت الدموع من عينها .

* * *

وذات يوم من شهر أغسطس وفى فترة ما بعد الظهر رجع من عمله إلى منزله ليجد ورقة على منضدة الصالة كتب عليها : " كلوديا فى المستشفى . وأنا ووالدك تجلس مع الأطفال الصغار " فى بادئ الأمر لم يشغل باله بهذا الموضوع . إذا بدا له أن كلوديا كانت دائمًا ما تتواجد بالمستشفى من أجل أن تضع مولوداً . فألقى بالورقة فى سلة المهملات وتسلق صاعداً على السلالم بينما الكلب يلهث فى أمل خلفه . ولكن بعدئذ وبينما كان يأخذ دشًا خطر على ذهنه أن كلوديا لا يمكن أن تكون قد ذهبت للمستشفى لكى تضع مولوداً لأن موعد ولادتها لم يحن بعد . بل ولم يكن قد ظهر الحمل على بطنها بشكل واضح . ولذلك فمن الأفضل له أن يتصل تليفونياً بوالدته لكى يعرف ما حدث من متاعب على وجه الدقة .

وما أن فرغ من ارتداء ملابسه حتى هبط نازلاً إلى الدور الأول لكى يستخدم التليفون . وما أن وصل إلى السلمة ما قبل الأخيرة حتى سمع شخصًا ما يعبر غرفة الطعام . وأصدر الكلب بيستى الذى كان يهرول فى أعقابه مباشرة زمجرة خفيفة وبعدئذ ظهرت لوسى فى المدخل وقالت " إيان ؟ "

فقال " أوه ؟ "

كانت ترتدى إحدى القمصان الكبيرة البيضاء التى تخص دانى وسروالاً نسائيًا أحمر اللون يصل إلى ربلة الساق . وكان شعرها مربوطًا إلى الوراء بمنديل أحمر . وكانت تبدو وكأنها تبلغ من العمر ٢١ عاماً . وسألته : " هل تحدثت مع والدتك ؟"

" لا . لقد تركت لى مذكرة . ماذا حدث لكلوديا ؟ "

" أوه . لاشئ خطير .مجرد نزيف بسيط ... "

ويدأ إيان يدرس مساحة موجودة فوق رأسها بعض الشيء .

وقالت " على كل حال . لقد اعتقدت أنه يمكن لى أن أجهز لك العشاء . وكان ينبغى علىّ أن أوجّه إليك الدعوة لكى تجيء إلى شقتنا ولكننا بصدد الخروج ، ولذلك أحضرت لك بعض الطعام : سلطة بطاطس وشرائح لحم الخنزير ووضعت البسلة على الموقد لكى تسخن "

لم يقل لها أنه عادة ما يتناول الطعام فى منزل سيسلى . وطوال الصيف كانت الأسرة قد حرصت فى شيء من اللباقة على تركها ودانى بمفردهما والسماح لهما بتخطى مرحلة شهر العسل لذلك كانوا لا يتقابلون إلا فى بعض المناسبات الخاصة مثل عيد ميلاد بى Bee وعيد الاستقلال الموافق ٤ يوليو . ومن المؤكد أن لوسى لم يكن لديها فكرة عن أسلوب حياتهم اليومية .

وسار وراءها عبر غرفة الطعام إلى المطبخ حيث وجد توماس وأجاثا جالسين فى كرسيين لهما ظهر مستقيم . كان يوجد شيء ما غريب فى هذين الطفلين اللذين ظلا ملتزمين بالهدوء الشديد حتى أنه تعذر عليك أن تدرك أنهما كانا بالمنزل . كان توماس ممسكًا بدمية كبيرة عارية لها باروكة متلبدة . وكانت يدا أجاثا مطويتين فى أناقة على المنضدة أمامها . ونظرا إلى إيان نظرات خالية من التعبير تمامًا مثل نظرات الدمُية . فقال إيان " حسنًا . مرحبًا يا جماعة " ولكن أحدًا منهما لم يرد .

فـانحنى مـسـتنداً على الحـوض وراح يرقب لوسـى وهـى تمشى بسـرعـة فى أرجاء المطبخ . وكـان شـعرها يتـلاطم فى منتصف المسافة أسـفل ظـهـرها وعلى نحـو أطول مما كـان يتـوقـع . وكـانت تلبس صندلاً أبيض اللون وكانت أظافر قدميها مطلية فى لون عربة الحريق الحمراء . ولم تعد فتيات المدارس يطلين أظافرهن . كانت كل فتاة تكافح وتجاهد من أجل أن تتخذ الشكل الطبيعى مما جعل إيان يدرك على نحو فجائى أن ذلك شىء قبيح

وأدرك أنها قد تحدثت إليه بكل تأكيد . إذ كانت تواجهه وقد أمالت رأسها على جانب . فقال لها فى تساؤل " معذرة ؟ "

" أتريد لحم الخنزير بارداً أم ساخنًا ؟ "

" أوه .أوم . أفضله بارداً "

فقالت وهـى تفتح باب الثـلاجة " لن يكـون رائعًا للغاية وهـو بارد " وأضـافت " غداً لو ظلت والدتك مشـغولة سنوجه لك الدعوة لكى تتناول مـعنا طعـام العـشـاء خـاصـة وأنك لم تجىء عندنـا منذ أن قـمـت بطلاء غرفة المعيشة !"

فقال إيان " لا . أظنّ أننى لا أستطيع "

كانت هـى ودانى يستأجران منزلاً من طابق واحد يقع شمـال حارة كولد سبرنج لين مباشرة . والمنزل بعيد للغاية حتى أنهما لم يكن لديهما سوى قدر ضـئيل من الأثاث . ولكن كل شـىء حصلوا عليه كـان حديثًا وعصرياً - بلاستيك أسود وألمونيوم وزجاج . وأشارت بى إلى أن المرء يحتاج لبعض الوقت لكى يعتاد على شكل ذلك الأثاث ولكن إيان أحبه .

قالت لوسى " سوف أبدأ فى الأسبوع القادم فى تجهيز غرفة الأطفال "وأضافت" فقد عثرت على هذه المجلة ووجدت بها أفكاراً رائعة . إجلس . لماذا لا تجلس فجذب كرسياً وجلس فى مواجهة الطفلين . وكان قد تم تجهيز مكان له مزود بالطبق الفضى وبآنية الخزف الصينى الرائعة التى تخص والدته . وكان اثنان من الشمعدان الماخوذان من غرفة الطعام يحيطان بزهرية مليئة بزهور الثالث البنفسجية . فبدأ يشعر بأنه مثير للضحك وشبيه بأحد أولئك الناس الأغنياء الذين يظهرون فى الرسومات الكاريكاتورية والذين يستمتعون بالطعام والشراب بمفردهم بينما رئيس الخدم يقف على أهبة الاستعداد لتلبية أية مطالب . وقال لتوماس وأجاثا فى تساؤل " هل أنا الشخص الوحيد الذى سيتناول الطعام ؟ "

فحملقا فيه . وكانت عيونهما مثل ظل حزين من اللون الأسمر .

فسأل دمية توماس " وماذا عنك ؟ ألن تشتركين معى فى تناول وجبة خفيفة ؟ " .

وضبط شفتى توماس وهما ترتعشان فى انتفاض – هذا انتصار إذ انفلتت منه ابتسامة خفيفة . ولكن أجاثا ظلت غير شاعرة بالمتعة والتسلية . وقالت فى استنكار " هذه الدمية تسمى دولكيمار "

" دولكيمار "

فقالت لوسى لهما : " إيان لا يهتم بكل تلك الأمور "

وقالت أجاثا : " لقد اعتادت أن تكون لها ملابس ولكن توماس تسبب فى تدمير ملابسها "

فقال توماس فى صياح " لم أفعل ذلك "

فقالت لوسى :" صه . اسكت " ثم أضاءت الشموع " لقد اعتادت أن يكون لها فستان به جيبان . ولكنه وضع الفستان فى الغسالة فخرج من الغسالة مهلهلاً وممزقًا " .

" الغسالة هى التى فعلت ذلك وليس أنا ! "

" والآن فهى مضطرة لأن تكون عارية لأن ملابس دمياته الأخريات صغيرة للغاية "

وغرز إيان الشوكة فى شريحة من لحم الخنزير ونظر إلى دولكيمار مرة أخرى . كان جسدها من القماش المتسخ المتخذ اللون الرمادى الغامق . وكان رأسها فينيلا ورديا وكذلك كانت ذراعاها وساقاها المفرشحتان المتباعدتان عن بعضهما البعض . وقال ربما يمكن لها ارتداء ملابس طفل رضيع حقيقية " .

" أمى لن .... "

فانفجر توماس قائلاً " وذلك هو ما أقوله أيضًا " فاستطردت أجاثا فى عناد "أمى لن تسمح لها " كان يوجد بها شىء ما غير منحرف . وكانت تذكر إيان ببعض مدرسى المرحلة الابتدائية الذين عرفهم . وأضافت " ماما لديها كافة هذه الملابس الخاصة بالأطفال الرضع والتى تشتريها من محلات هوتشيلد : ثياب النوم وأحفضة الأطفال وأشياء أخرى تحبها دولكيمار وتتمنى الحصول عليها ولكن أمى ليس لديها الرغبة فى إعطاء هذه الملابس لها على سبيل الإعارة " وقالت لوسى لإيان " تناول بعض البسلة "

" أوه . شكرًا جزيلاً . لسوف اكتفى بـ .... "

وقالت أجاثا " لقد اشترت اليوم قبعة طفل صغير صغيرة للغاية لها شرائط زرقاء ولكنهـا تقول إن تومـاس إذا لعب بهـا فإنها سـرعان ما تصبح متسخة "

ونظر إيان عبر كتفه إلى لوسى فنظرت إليه لوسى فى حزن واكتئاب . ثم قالت " لا تخبر الآخرين . ممكن ؟ "

" أوكى "

" أريد الانتظار لحين خروج كلوديا من المستشفى " فقال : "شفتاى مغلقتان تمامًا" .

لقد كانت المشاركة فى سرّ مع لوسى بمثابة لحظة مليئة بالرضا والسرور . ولو أنه لم يكن متأكدًا من نوعية ذلك السرّ فى حّد ذاته . وفكر فى دانى وهو يطوق خصرها بيديه بينما أطارف أصابعه تكاد تتلامس . ألم يكن بمقدوره أن يجعلها تبقى فى المكان الذى كانت تقيم فيه أكان ينبغى أن يواصل كل شىء السيّرللأمام طوال الوقت ؟

وقالت " ينبغى علينا أن نذهب الآن أيها الأولاد" فقال لها إيان "حسنًا، شكرًا جزيلاً لك على هذا الطعام"

" أنت على الرحب والسّعة، مرحبًا بك"

وبعد أن ذهبوا كان بمقدوره التوقف عن تناول الطعام – إذا كان قد أصبح متأخرًا بالفعل عن موعد تناول العشاء فى منزل سيسلى .

ولكنه كان يخشى من أن تكتشف لوسى ذلك على نحو ما فتحس بأن مشاعرها قد أوذيت . لذلك شق طريقه متناولاً كلّ شيء بينما العرق يتصبب منه تحت ضوء الشموع التى كانت فى حقيقة الأمر غير مريحة فى شهر أغسطس . وكانت قد قطعت لحم الخنزير فى شرائح سكالوب رقيقة مما ذكره بالنماذج التى انطبعت فى ذهنه على طول شواطىء المحيط . وعلى الرغم من أنه كان يحزنه أن يلقى باللحوم فى سلة المهملات فإنه كان يحزنه أيضًا أن يأكلها إلى أن يصبح الطبق شاغراً .

* * *

لقد تمكنت كلوديا من الاحتفاظ بطفلها . وحقيقة الأمر أنها قد تخطت موعدها المحدد وكان طبيبها قد توقع لها أن تلد فى الأسبوع الأول من شهر ديسمبر إلا أن الأمور سارت ببطء حتى أن إيان بدأ يراهن على أن الطفل سيولد فى نفس يوم عيد مولده وهو ٢ يناير . فقالت كلوديا " أوه . من فضلك . ندعو الله أن تكون مخطئًا فى رأيك " كان بطنها منتفخًا للغاية بالحمل وكان رسغا قدميها متورمين واضطرت لأن توافق على قطع خواتمها بمنشار المعادن . وفى الكريسماس كانت لا تزال تمشى فى تثاقل هنا وهناك وكان عشاء الكريسماس بمثابة مشهد ملفت للأنظار حيث كانت كلوديا ولوسى جالستين متلاصقتين وقد ارتديتا ثوب الأمومة الفضفاض المنتفخ . واتضح أن لوسى من النوع الذى يحمل طفله لمسافة بعيدة أمامها [وربما هذا الشىء له علاقة بهيكلها الصغير] لدرجة أنها على الرغم من انقضاء شهرين فقط على حملها بدت ممتلئة بالحمل مثل كلوديا تمامًا . لقد أصبحت لوسى من

الناحية الرسمية عضوة فى العائلة الآن . ولقد انتهى شهر العسل فى بهجة - من وجهة نظر عائلة بيدلو - فى اللحظة التى أعلنت فيها الأخبار السارة . وأصبحوا يتوقفون فى كثير من الأحيان عند منزلها لكى يوجّهوا الدعوة لها ولدانى على حواضر البيت وبحيث يتناولا الطعام العادى الذى يوجد بالبيت عادة .

ومن تقاليد عائلة بيدلو أن وجبات العشاء الهامة التى تتم فى الأجازات وغيرها من المناسبات لم تكن تلك التشكيلة المتنوعة المملة العادية من اللحوم والخضروات . فبدلاً من ذلك كانت بى تقدم الصنف المفضل لديها : فاتحات الشهية . ويكون هناك ديك رومى فى عيد الشكر ويكون هناك كعك فى أعياد الميلاد . ولكن هذا كان مجرد توافق مع التقاليد . والأشياء الهامة كانت تتمثل فى عش الغراب المحشو وأنواع الجبنة الراشحة بالسوائل ومفارش المائدة والشموع وفطائر اللحم وسمك الأربيان . وكانت الأسرة فخورة فى السر بهذه الطريقة وكانوا يستمتعون بمراقبة ردود الفعل لدى الضيوف . لا شيء مثير للملل لدى أفراد عائلة بيدلو ! وفى ذلك الكريسماس كان لديهم المحار الموجود فى الصدفة المشقوقة ونظرات الرعب التى ظهرت على وجه طفلى لوسى جعلت كل شخص ينفجر ضاحكًا . فقال لهما دانى " لا داعى للقلق . لستما بحاجة لأن تأكلا من هذه المحارات إذا لم تكن لديكما الرغبة فى ذلك "

كان دانى ممتلئًا فى هذه الأيام وكان قد وصل إلى مرحلة شبيهة بالحمل وكما لو كان يتوقع أن يلد الطفل بنفسه . واحتفظ فى جيبه بورق مسحوقة تضم قائمة طويلة بالأسماء المقترحة . ولسبب ما غريب بدا

عليه أنه معجب للغاية بتوماس وأجاثا . وقال إيان لنفسه : حسنًا . لقد كان توماس على ما يرام . فهو كان يبدو جذابًا وأنيقًا فى بدلة الضابط البحرى الأنيقة التى كان يرتديها . أما أجاثا ! لقد كان فستانها الوردى ذو الأهداب يجعل وجهها يبدو أكثر تخشُّبًا كما كان شعرها يبرز عند فكها مثل وتد مثلثى . وفى بعض الأحيان كان إيان يضبطها وهى تحملق فيه بنظرات خاوية مثل نظرات الدمية التى كان توماس مرتبطًا بها للغاية . الدّمية دولكيمار . نفس الوجه الخالى من التعبير ونفس العينين اللتين لا تشاهدان .

وانتقلوا إلى غرفة المعيشة وجلسوا وهم يزمجرون . وألقت القطة بمحارة خلف الأريكة . وقدم بارنى فتات الشيكولاته للمسك الملون . وقامت بى بعزف انشودة " عيد الميلاد الأول " على البيانو فى ايقاع ثقيل وممل مثل أحذية الجنود بالجيش ، واستخرج دوج كاميرا "البولارويد لاند" الخاصة به والتقط صوراً لهم جميعًا . واستيقظت ساندى التى كانت قد استغرقت فى النوم أمام المدفأة فى تململ وانزعاج ومشى عليها الكلب بالصدفة مما جعلها تصيح فى بكاء . فقالت كلوديا " هذه هى كلمة التنبيه المسرحية التى تخصنا ! لقد حان الوقت لكى نذهب ! " ثم نهضت واقفة على قدميها . فرحلوا جميعا على الفور – عائلة كلوديا وعائلة دانى – مخلفين وراءهم ركامًا متناثرًا من لفائف الهدايا الممزقة والتناثرات غير المتلائمة وأصداف المحارات . وقالت بى موجهة كلامها لدوج فى تساؤل " كان هذا هو أفضل كريسماس شاهدناه . أليس كذلك ؟ " ولكنها دائمًا ما كانت تقول نفس تلك العبارة .

* * *

بعد يومين أنجبت كلوديا طفلتها وسموها : فرنسيس فقال إيان : "حسنا . لقد كنت على صواب إلى حدٍّ كبير . فالمولودة جاءت فى نفس عيد ميلادى تقريباً "

فقالت بى له " ابتهج . دائمًا ما يكون هناك الطفل التالى "

" الطفل التالى ! "

وكان كلاهما يعنيان الطفل التالى لكلوديا . إذ لم يخطر على بالهما أن طفل لوسى قد يصل فى عيد ميلاده . ولكن ذلك هو ما حدث .

وكان قد أمضى المساء فى منزل سيسلى حيث أقامت هى وأصدقاؤه حفلة من أجله . وعندما رجع إلى منزله وجد أمه جالسةً وساهدة فى انتظاره . وقالت له " أتستطيع أن تخمن ما حدث ؟ " وأضافت " لقد أنجبت لوسى مولدها !"

" ماذا . بهذه السرعة ؟ ؟ "

" لقد أنجبت طفلة صغيرة دافنى . وهى صغيرة الحجم ولكنها فى صحة جيدة . وهى تتنفس بسهولة ... ولقد اتصل بنا دانى تلفونيًا منذ حوالى ساعة وكان يشعر بالإثارة البالغة حتى أنه كان يتكلم بصعوبة " فقال إيان فى اكتئاب " بعد هذا لن يكون ملائمًا للعيش معه " .

" وصحة لوسى فى حالة جيدة . أوه . ألن يضايقنا الجيران ؟ أنهم سوف يقومون بالعد على أصابعهم اللهم إلاَّ فى هذه الحالة يكون من الواضح أنه ... أتريد الذهاب معى إلى المستشفى غدًا ؟

فقال إيان " ينبغى علىّ الذهاب إلى المدرسة غداً"

علاوة على ذلك أنه لم يكن يهتم كثيراً بالأطفال على الإطلاق فى أى وقت من الأوقات .

بل ولم يشاهد المولودة الجديدة على مدى أسبوع فى حقيقة الأمر . وكذلك لم تذهب كلوديا لمشاهدة ابنة لوسى لأنها كانت ملتزمة بعدم مغادرة المنزل مع مولودتها الجديدة . ولذلك ففى يوم الأحد عندما تجمع كل شخص فى منزل آل بيدلو من أجل تناول طعام العشاء أعلن دانى بصوت عالَى عن تقديم ابنته قائلاً " الطفلة الصغيرة Ta-da " ثم دخل إلى المنزل وقد رفعها لأعلى بين يديه - كمية صغيرة من نسيج محبوك محبوك بالإبرة " ها هى الآنسة دافنى بيدلو أيها الناس " . وبدت لوسى أكثر شحوباً عن ذى قبل لكنها ضحكت عندما انحنت لكى تفك زراير جاكتة توماس .

وأصدرت كلوديا أوامرها وهى موجودة على الأريكة " هيًا بنا نشاهدها " وكانت قد شيدت نوعًا من العُشّ هناك وكانت ترضع فرانى من ثديها . وكان إيان قد تراجع إلى الجانب الآخر من الغرفة بمجرد أن شاهد كلوديا تتحسس تحت بلوزتها ولم يقم الآن بحركة لكى يقترب أكثر . وكان يعتقد أن جميع الأطفال المولودين حديثًا يشبهون بعضهم البعض إلى حد ما . وربما يكون هذا المولود بمثابة جنين غير مكتمل . ظل متخلفًا إلى الوراء ودفع بيديه فى جيبيه وراح يتتبع بفردة حذائه الخفيفة قوسًا فى السجادة .

ولكن داني قـال " ألا تريـد أن تلقى نظـرة أيضـًا يا إيـان ؟ " وكانت نبرة صوته تدل على أن مشاعره قد أوتيت للغاية مما جعل إيان يضطر لأن يقول " أوه . بكل تأكيد " وأخرج يديه من جيبه واقترب .

وقام داني بوضع طفلته على الأريكة بجوار كلوديا وبدأ يفك طبقات القماش "البطانية ذات النسيج المحبوك أولاً ثم بطانية داخلية ثم قلنسوة . وبدت أصابعه سميكة للغاية بحيث لا تستطيع أداء هذه المهمة . ولكنه قال في نهاية الأمر " ها هي ! " ثم وقف منتصب القامة وقد اجتاحته ابتسامة عريضة .

ماهذا الجمال الرائع ؟ ربما هي " الجمال الناعس " أو ربما هي "البيضاء كالثلج" البشرة بيضاء كالثلج والشعر أسود كالفحم والشفاه حمراء كالورد . إذن فهي كانت أكثر جمالاً من معظم الرضيعات الأخريات . نعم ولكن كل ذلك لم يكن مشوقًا للغاية إلى أن فتحت عينيها .

لقد فتحت عينيها وألقت نظرة مليئة بالتفكير والتأمل على إيان مما جعل إيان يشعر بتفكك فجائي في صدره .بدا الأمر وكأنها قد مدت يدها وجذبت خيطًا من مكان ما عميق في داخل كيانه . بدا وكأنها كانت " تعرفه " من قبل . فنظر بعينين طارفتين في دهشة .

وكان داني يقول " إنها لها نفس تاريخ ميلادك " وأضاف " أو هي مولودة معك في نفس الزمان أليست هي لها أهميتها ؟ "

ولكي يستعيد إيان تحفظه ترك عينيه تنزلقان على كلوديا . فوجدها تنظر على نحو مباشر إلى وجهه بنظرات لها معنىً معّين بينما كانت

تضيق من عينيها . ولم يخطر على ذهنه ما كانت تريد أن تنقله إليه . ولم يفهم الحدّة التى ظهرت عليها . وبعدئذ هبطت الفكرة على ذهنه بوضوح شديد كما لو كانت قد تكلمت بالفعل :

هذه الطفلة ليست مبتسرة أو مولودة قبل الأوان

وذُهش للغاية مما جعله يلقى نظرة أخرى على المولودة ، وقد نسى السبب الذى جعله يشيح بوجهه بعيداً فى بادئ الأمر . وكان رأى كلوديا صادقًا : ربما كانت هذه المولودة صغيرة الحجم ولكن خدّيها كانا مستديرين كما كانت توجد غمازات فى جُماع يديها الصغيرتين . لم تكن تشبه تلك الصور الفوتوغرافية الموجودة فى مجلة " لايف " والتى تعبر عن الحياة فى مرحلة ما قبل الولادة " .

وتساءلت بى " أليست هى محبوبة ؟ " ثم أضافت وهى تقذف بقبلة نحو قرانى " إنهما محبوبتان " وقالت كلوديا " إنها جميلة يا لوسى" .

والتفت إيان لكى يدرس وجه كلوديا . كانت الآن منخرطة فى ابتسامة . وكان وجهها نسخة مصغرة وأكثر شباباً ونعومة من وجه بى وكان وجهها مليئًا على ما يبدو بالاسترخاء والهدوء . فالمشكلة قد تلاشت ولم يتبق منها أىّ أثر . فهنا كانت توجد أحدث عضوة فى العائلة وهى قد وُلدت قبل الموعد بعض الشىء ولكنها فى صحة جيدة وشكراً لله لأن كل شىء فى عائلة آل بيدلو كان رائعًا مثلما كان دائماً .

* * *

قال إيان لنفسه : حسنًا . انتظر . ولا تكن متسرعًا أكثر من اللازم . وعلى كل حال لم تعد دافنى جديدة تمامًا . فهى قد أمضت ستة أيام كاملة قبل أن يقع بصره عليها . . ومن الأفضل أن يخرج هذا الموضوع من دماغه .

إلاَّ أن هذا الموضوع على مدى الأسابيع القليلة التالية ظل يقفز فى بطء إلى داخل ذهنه على نحو ما .

لو كان دانى ولوسى قد اعتادا على اللقاء سويًا منذ فترة طويلة للغاية لأصبح بالإمكان التغاضى عن طفلة لهما وُلدت بعد سبعة شهور من الحمل . ولكنهما لم يكونا على علاقة منذ فترة طويلة . فمنذ تسعة شهور لم يكونا قد تعرفًا على بعضهما البعض ولم تكن لوسى قد دخلت إلى مكتب البريد لكى تضع ذلك الطرد الشهير الخاص بها على كونتر دانى . وربما كانت تتقابل فى مواعيد غرامية مع شخص ما آخر.

وفى المدرسة فى العام الماضى اضطر طالب فى صف التخرج أن يتزوج من فتاة لا يكاد يعرفها حيث أقسم وأكد أنه لم يكن يعرفها إلاَّ فيما ندر . أو بالأحرى هو أقسم بأن كل شخص يعرفها . وكان هذا أول تلميح من جانب إيان عن الورطة التى قد يجد الرجل نفسه واقعًا فيها . إذ اتضح له أن الفتيات والنساء هن اللائى يقمن بالإمساك بزمام الأمور ودائمًا ما يكن متيقظات وقريبات من الأمور وكثيرًا ما يتم صيد الرجال وإرغامهم على قبول آراء النساء فى كافة الأمور التى تحدث . وربما هذا هو ما كان والد إيان يحاول أن يقوله له أثناء تلك المناقشة التى دارت بينهما منذ سنوات قليلة مضت . إلاَّ أن إيان لم يفهم ذلك الكلام تمامًا فى ذلك الوقت .

وذات ليلة وجّه سؤالاً لسيسلى " ما رأيك فى لوسى ؟ "

فقالت سيسلى " أوه . أننى أحبها "

" نعم . ولكن ...... "

" فدائمًا ما يكون من السهل التحدث معها وهى دائمًا ما تسألنى تلك الأسئلة التى تدل على أنها كانت تصغى لى فى انتباه شديد . أقصد أنها توجه أسئلة حقيقية ودقيقة وليست تلك الأسئلة المتسمة بعدم المبالاة والتى يوجهها معظم الناس اليافعين "

فقال إيان " نعم ..... " لأنه كان قد لاحظ نفس هذا الشىء بنفسه . إذ كانت لوسى تنظر إليه فى اهتمام وتركيز ووقار . وكان بمقدوره أن يتخيل أنها كانت تفكر فيه فى اهتمام كبير منذ لقائهما الأخير .

وقالت سيسلى " أعتقد أن دانى سعيد الحظ لأنه تزوجها " فقال إيان " حسنًا . نعم . إنه سعيد الحظ ، إنه سعيد الحظ بالفعل "

* * *

وكان إيان قد ترك عمله فى شركة sid n eds عندما فتحت المدرسة أبوابها من جديد . وتم ذلك بناء على رغبة والدته . إذ كانت هذه هى آخر سنة له وأرادت منه أن يركز على تحصيل العلم لكى يتمكن من الالتحاق بكلية ملائمة . وقالت له إن آخر شىء تريده منه هو أن يُضيع وقته فى حمل ونقل مراتب الناس الآخرين .

ولكن مالم تدركه هو أن الشخص الذى فى نفس عمره ينبغى أن تكون له حياة اجتماعية خاصة به وأن الحياة الاجتماعية تحتاج نقوداً .

وبحلول شهر فبراير أصبح مفلسًا من الناحية المالية . ولذلك عندما اتصلت به لوسى تليفونيًا وسألته عما إذا كان يرغب فى الاعتناء بطفلتها أثناء غيابها – وهذه وظيفة كان يكرهها وكان غير مهيىء لها من الناحية النفسية أيضًا نظرًا لأنه أصغر شخص فى أسرته – فإنه لم يرفض على الفور . وقال فى شىء من التردّد : " حسنًا ولكنى لا أعرف كيفية تغيير الحفاظ " .

فقالت له لوسى " لن تضطر لأن تفعل ذلك ، فلسوف أغيِّر لها الحفاظ قبل مغادرتى المنزل مباشرة ، وأغلب الظن أنها ستكون مستغرقة فى النوم ، لأن ذلك سيكون فى فترات ما بعد الظهر " .

" أوه . فترات ما بعد الظهر " .

" مجرد ساعتين فقط عقب فترة المدرسة من وقت لآخر ، أرجوك يا إيان ؟ فأنا أكاد أفقد صوابى لأننى محبوسة فى مكان ضيق طوال اليوم ، ولا أستطيع الاستمرار فى استغلال طيبة والدتك والمسز ميردال لم تعد تستطيع المجىء وسيسلى منخرطة فى أعمال التسلية والمتعة ، أريد فقط أن أخرج بمفردى لبعض الوقت بحيث أذهب لشراء الحاجيات من السوق أو أتنــزه وأتريض بمفردى ، ولسوف أدفع لك دولارًا عن كل ساعة "

فقال " ستدفعين دولارًا؟ "

وفى مناسبات نادرة كانت كلوديا قد طلبت منه أن يجالس طفلتها الصغيرة فى مقابل خمسين سنتًا .

" كما أن توماس وأجاثا قد عبراً عن اعجابهما الشديد بك . وهما اللذان اقترحا ذلك ورشحاك للقيام بهذه المهمة "

فقال إيان " أوه حسناً . فى تلك الحالة وإذا كانت المسألة مسألة مطلب جماهيرى شعبى ..... "

لذلك بدأ يترك المدرسة فى فترة ما بعد الظهر مرة واحدة أو مرتين أسبوعياً ويظل باقياً فى منزل لوسى حتى غروب الشمس . لم تكن مهنة تتطلب عملاً كثيراً ولكن على نحو ما وجدها متعبة أكثر من العمل فى شركة Sid n eds A - lmovers ولا عجب فى أن لوسى كانت تريد تغييراً ! إذ كان هذا الوقت هو أشد أوقات السنة برودة والأثاث الحديث تماماً والذى بدا جميلاً فى الصيف قد أصبح كئيباً فى فصل الشتاء . وكانت لعب الأطفال وكتب الأطفال المزودة بالصور تغطى الأريكة الفينيل البيضاء . كما كانت حزمات الورق اللبابى للسنة الأولى الابتدائية والتى تخصّ أجاثا مبعثره هنا وهناك عبر السجادة . وكان توماس وأجاثا يتخذان ذلك الطابع الخالى من البريق والذى يتخذه حتى أكثر الأطفال تلقيا للرعاية فى الأوقات المتأخرة من النهار . وكانا يحتشدان إلى جواره ويمطرانه بوابل من الأسئلة . أكان إيان بصدد التمثيل فى المسلسلات العالمية " ؟ أكان يعرف كيف يقود سيارة ؟ موتوسيكل ؟ طيارة ؟ أكان يذهب هو وسيسلى إلى كثير من الحفلات الراقصة ؟ [وهذا السؤال الأخير قد سألته أجاثا التى كانت معجبة للغاية بسيسلى] وعلى نحو تدريجى نسى أنهما كانا ذات يوم معقودى اللسان أثناء وجوده معهم .

وكانا يعتقدان أن إيان يشعر بحبٍّ خاص نحو دولكيمار . ولذلك كانا يصرّان دائمًا على إظهار ما كانت ترتديه فى ذلك اليوم –

فستان طفولي من نوع ما من الفساتين التي تركتها دافني . وعندئذ كان إيان يقول " لماذا يا أنسة دولكيمار ! إنني أعتقد تمامًا أن القماش الفلانيل الوردي الزغبي هو أكثر الأقمشة تلاؤمًا معك " .

وكانا يعتقدان أنه يثير الكثير من المرح الصاخب عندما يتكلم مع دولكيمار مباشرة . وبعدئذ قد يلعبان لعبة البرجيس – وفقًا لاقتراح من جانب إيان. فجميع أفراد عائلة بيدلو يحبون أى نوع من أنوا ع اللعبات ، أو كان يقرأ لهم بينما ألم خفيف يصدر عن حلقه عندما يكتم التثاؤبات أثناء تقليده للحيوانات التي لها أصوات حادة عالية . وعادة ما كانت دافني غير مرئية حيث كانت تقضي الوقت في النوم الخفيف . ولكن إذا ظلت لوسي متواجدة بالخارج لفترة طويلة للغاية فإن إيان قد يسمع صرخة تجريبية مترامية من غرفة الأطفال . وعندئذ يجدها راقدة في سريرها الصغير وقد انهمكت في الرضاعة في جُماع يدها ومراقبة الباب لذلك دائمًا ما كان أول انطباع لديه هو تلك النظرة المليئة بالتفكير والتأمل . وكانت هي الانسانة الوحيدة التي عرفها والتي لها عينان لهما لون أزرق داكن ، وعندئذ كان يرفعها من المهد في ارتباك في لفتها متظاهرًا بعدم ملاحظة ذلك البلل الذي يرشح حول ساقي بيجامتها الوبرية وقد يحملها إلى المطبخ ويضع زجاجة في السخان الكهربائي . وأثناء الانتظار لحين أن تسخن كان يشم رائحة بولها الدافئ ورائحة شيء ما آخر له عطر الونيلية – وربما كان هذا هو رائحة بشرتها . وكان توماس يجذب إحدى قدميها الملفوفين في قماش وبري ويقول " مرحبًا يا دافني . يا ددافي – دو " وعندئذ كانت دافني تتلوى وتمتم على منحنى رقبة إيان .

عندما عادت لوسى أحضرت معها هبّة من الهواء البارد الذى انساب عبر الباب . وبدا البرد وكأنه راقد على سطحها فى طبقة رقيقة لامعة . وهى دائماً ما كانت مشرقة وضاحكة وشاعرة بالإثارة من خلال رحلتها .حيث تفتح ذراعيها لأطفالها وتتساءل " أكنتم على مايرام ؟ . هل شعرتم بافتقادى ؟ " وقد تأخذ الطفلة الرضيعة من إيان وتحك أنفها على أنف طفلتها . ثم توازن دافنى فى فخذها لكى تستخرج من حقيبة الكتف الخاصة بها أجر إيان مع الحرص على إعطائه بقشيشاً والقول له بأن يصطحب معه سيسلى إلى مكان ما جميل . وكان إيان يدرك أنها ودانى ليسا من الميسورين الأغنياء وبذلك كان يبدى اعتراضه ولكنها كانت تصر دائمًا . وعندئذ كان يقول لها فى استسلام " حسنًا . شكراً جزيلاً " فتردّ عليه قائلة " الشكر الجزيل لك أنت لاتعرف كيف أنك أنقذت حياتى " وكانت رائحة الكولونيا تنبعث من نقودها . رائحة وخزية تتشبث بالأوراق المالية على مدى ساعات وتتعلق فى غرفته عندما يقوم بافراغ جيوبه لدى حلول وقت الذهاب للنوم .

* * *

وفى إحدى فترات ما بعد الظهر عندما عادت كانت مشتتة الذهن . إذ ألقت التحية على أطفالها وهى شاردة ولم تسأل عن دافنى التى كانت لا تزال نائمة . ثم قالت على نحو مباشر " يا إيان . هل لى أن أطلب منك شيئًا ؟ " .

" بكل تأكيد "

" أيمكن أن أعرف رأيك فى هذا الفستان ؟ "

ثم قامت بخلع معطفها وكشفت عن فستان يختلف عن الفستان الذى كانت ترتديه عندما غادرت المنزل . ومدت ذراعيها على جانبيها ودارت فيما حولها مثل عارضة الأزياء فأخذ توماس وأجاثا يحملقان فيها فى استمتاع . وكذلك فعل إيان .

كان أجمل فستان شاهده فى حياته . وكان قماشه عاجيًا ومضيئًا وناعماً للغاية وبه ثنيات . ولكنه فوق ثدييها وردفيها كان شديد النعومة . ما اسم مثل هذه النوعية من القماش ؟ بل وكان بمقدوره تخيل نعومته الحريرية على أطارف أصابعه .

وتساءلت لوسى " هل تعتقد أن دانى سوف يشعر بالقلق ؟ " وأضافت " إننى لا أريد له أن يشعر بأننى مبذرة . أتعتقد أنه ينبغى على أن أعيده ؟ " .

فقال إيان " أوه حسنًا . لا أعتقد فى ذلك . طالما أنك تكبدت مشقة إحضاره إلى هنا .... " .

فنظرت لأسفل نحو الفستان وقد ساورتها بعض الشكوك . فقال لها " ذلك أوم الذى تسمية .... " .

وكان يريد أن يقول " خط الرقبة الذى هو على شكل حرف V منغمر فى انخفاض شديدٍ فى المنتصف . وتلك الجونلة التى تخفق حول ساقيك وتحدث ذلك الصوت المتذبذب .

ولكن ما قاله هو " ذلك القماش ليس رديئًا على الإطلاق " .

" ولكن هل تعتقد أنه كلفنى مبلغًا كبيراً ؟ "

فقال " أوه . ليس سوى مليون تقريباً " وأضاف " ينقص عن المليون أو يزيد على المليون بآلاف قليلة "

" لا . لا تقل ذلك ! ذلك هو ما أخشاه وأخاف منه . تصور أنه لم يكلفني سوى مبلغ ضئيل . أتريد أن تعرف ثمنه ؟ ثمنه ١٩٩٥ هل تصدق ذلك ؟ هل تصدق أن ذلك فقط هو كل ثمنه ؟ "

ومع ذلك كانت تريد أن تسمع رأيه . لذلك مدّ يده لكي يلمس خامة القماش عند خصرها . كان القماش ناعماً للغاية حتى أن اصابعة بدت خشنة مثل الحبل . وقوّس راحة يده لكي يكوِّب قفص ضلوعها فشعر بدفئ بشرتها تحت القماش . وعندئذ اتخذت لوسى خطوة رشيقة إلى الخلف فأنزل يده إلى جانبه .

وقال " أوه . آه . ١٩٩٥ .... مبلغ معقول للغاية " .

وبدا صوته وكأنه جاء مترامياً من مكان ما أخر .

وسادت فترة من الصمت . وكل ما كان يسمعه هو أنفاس أجاثا المتشممة .

وقالت لوسى " ولكن على كل حال ! " وضحكت فى بهجة شديدة وعلى نحو اصطناعى . وأخذت حقيبة يدها من فوق المنضدة . وأضافت " أشكرك على إبداء رأيك " أكانت تموج بالسخرية ؟ كانت مدينة له بدولارين ولكنها أعطته خمسة دولارات . أى أعطته بقشيشاً بنسبة ١٥٠٪ فقال " سأحضر لك ما يزيد عن القيمة المستحقة عندما أقابلك فى المرة التالية " فقالت " لا . احتفظ بالباقى بالفعل "

فشعر أن ذلك قد جرح مشاعره .

وبينما كان يمشى عائداً إلى منزله بين الشفق الأحمر راح يركل كتل الثلج القديم ويغمغم لنفسه فى تذمر . بل وزمجر مرة أو مرتين بصوت مرتفع . وعندما دخل إلى الصالة الأمامية قالت بى " مرحبًا ياحبيبى ! كيف كانت أحوال صغيرتنا دافوديل ؟ " ولكن إيان اكتفى بالسير فى خفة متجاوزا إياها وتسلق صاعداً على السلالم إلى حجرته .

* * *

وعلى مدى الأيام القليلة التالية – يوم الجمعة وعطلة نهاية الأسبوع – لم يذهب لرعاية الطفلة . فقد ذهب هو وسيسلى إلى السينما كما ذهب مع أفضل صديقين له : بيج Big وأندرو Andrew لكى يلعبوا لعبة الباولينج وبينما كان يأخذ خطوات واسعة نحو خط منطقة اللعب بينما كرة الباولينج معلقة من أصابعه تذكر لوسى وهى ترسل ذلك الطرد إلى ويومينج . مانوع امرأة تمتلك كرة الباولنج الخاصة بها ؟ ناهيك عن التمثال الصغير لفتاة الجيشا .

حقيقة الأمر أنه كان يوجد هناك شىء ما فى لوسى متسم بعض الشىء بالابتذال أو الحقارة أن المنزلة الاجتماعية الوضيعة . [ياله من ارتياح أن يكتشف أنها ليست خالية من العيوب والنقائض] . ولقد تذكر الآن اخطاءها فى استخدام النحو والصرف وقواعد اللغة مثل : لن يكون رائعًا حقًا It do not be real fancy ومثل : لم يكلفنى أى شىء تقريبًا It did not cost hardly anything . وتلك الطريقة التى تظهر بها

أحيانًا وقد تركت شعرها منسابًا إلى أسفل ظهرها مع ارتداء حذاء له كعب عالي في نفس الوقت . بالإضافة إلى حقيقة أنها ليس لها أهل . وكان يدرك أنها ليست غلطتها أن والديها قد انتقلا إلى رحمة الله ولكن لا يزال بامكان المرء أن يتوقع أن تكون لها بعض الصلات والروابط العائلية : أخوة وأخوات و خالات أو على الأقل بعض الأشخاص الذين لهم قرابة بعيدة مثل أبناء العم أو بنات العم أو الخال أو العمة أو الخالة . وماذا عن صديقاتها ؟ لم ينظر إلى تلك الجرسونتين على أنهما من صديقاتها : فهما مجرد زميلتين لها في العمل . لا . لقد كانت لوسى تعيش في تكتم وفي اعتزال للناس . وعندما كانت تخرج في فترات ما بعد الظهر كانت تذهب بمفردها وتعود بمفردها .

وتخيلها وهي تندفع قادمة من إحدى رحلات التسوق التي تقوم بها وقد تفجرت وجنتاها بالاحتقان واللون الأحمر مع انفعالات الاثارة التي تموج في داخلها .

والشيء العجيب أنها لم تحضر معها أبدًا أية لفائف أو طرود أو باكتات .

بل وحتى في يوم الخميس فإنها لم تحضر أية علبة أو باكيت وهو اليوم الذي رجعت فيه إلى المنزل مرتدية ذلك الفستان .

إنها لم تقم بشراء ذلك الفستان على الإطلاق . وإنما أعطاه لها شخص ما .

إنها لم تكن قد خرجت للتسوق وشراء الحاجيات . وإنما خرجت لكي تتقابل مع شخص ما .

لقد سألت عمّا اذا كان الفستان يبدو غالى الثمن : ألا تعتقد أننى دفعت مبلغًا كبيرًا للغاية ؟ ولكن أيمكن أن يصدقنى أحد إذا قلت إننى لم أدفع فيه شيئًا يذكر ؟ وهى قد تساءلت " أيمكن لك أن تصدق ذلك ؟ " . [وبدا له الآن أنها قد سألت ذلك السؤال فى إصرار شديد] ما كانت تعنيه هو : هل دانى سوف يصدق ذلك إذا قلت له إننى قد اشتريت ذلك الفستان بنفسى ؟

وراح يراقب اصطدام كرة الباولينج مع الأوتاد فى صوت أجوف ملىء بالتمزق . وسرت فى أرجاء جسده رعشة رغبة مليئة بالحقد والخبث مثل تيار كهربائى له أزير .

* * *

وعندما اتصلت تليفونيًا فى يوم الاثنين ليلاً لكى تسأل عمّا إذا كان بإمكانه أن يجلس مع طفلتها فى فترة ما بعد الظهر التالية ، فإنه شعر بالارتباك بسبب الاتجاه الواقعى الذى تتسم به . وكان قد نسى على نحو ما التأثير المليء بالثقة الذى يحدثه ذلك الصوت الضئيل الأجش . فأوضح لها أنه مشغول وأنه ينبغى عليه أن يستذكر استعدادًا لدخول امتحان . فقالت " إذاً ما رأيك فى يوم الأربعاء ؟ "

فقال إنه لا يستطيع المجىء إليها فى يوم الأربعاء أيضًا . وأضاف " وعلاوة على ذلك فإن التدريبات فى لعبة البيسبول على وشك البدء وبالتالى فأنا أعتقد أنه لن يكون لدىّ أى وقت فراغ على الإطلاق "

فقالت لوسى " أوه "

فقال " إنها الالتزامات الرياضية الملحة وذلك هو كل ما في الأمر " وسادت لحظات من الصمت . وأرغم نفسه على عدم الكلام وبدلاً من ذلك استحضر في ذهنه صورة لداني الذى كان يعمل كل هذا من أجله . فهو أخوه الوحيد وهو أقرب أقربائه وأعز أقربائه وهو الشخص الذى يثق في جميع الناس ثقة كاملة ويصدق أىّ كلام يقال له .

وقالت لوسى فى حزن " حسنًا ... شكرًا على كل حال " ثم قالت : مع السلامة . وعلى نحو فجائى شعر إيان أنه غير واثق وغير متأكد تمامًا . وسأل نفسه فى تعجب عمّا إذا كان قد أخطأ فى الحكم عليها . وظل واقفًا وممسكًا بسماعة التليفون وتلاحظ له كيف أن قلبه كان يموج بالاكتئاب والألم كما لو كان هو وليس لوسى الذى جرحت مشاعره .

* * *

من أجل عيد ميلاد دوج قامت بى بإعداد طبق فاتح الشهية المفضل لديه : محار مدخن وكرات السبانخ وكابوريا الشيزابيك ، وقامت كلوديا بتصنيع وإعداد كعكة جوز الهند التى تشبه حصيرة حمام وبرية بيضاء . وكانت هى وأسرتها أول من جاءوا . وجعلت إيان يخرج إلى المطبخ معها لكى يساعدها فى وضع الشموع التى وصل عددها فى هذه السنة إلى ٥٩ شمعة . لم يكن إيان فى حالة نفسية جيّدة للغاية إلاّ أن كلوديا ظلت تمزح معه إلى أن اضطر أخيرًا لأن يبتسم . إذ لا يمكن للمرء الذى يتواجد بجوار كلوديا أن يظل مكتئبًا لفترة طويلة . إذ كانت فكاهية مندفعة ومريحة فى قميصها مربع النقش الأسمر المائل للصفرة الشبيه بالصندوق والذى له نفس لون بشرتها وبنطلون الأمومة

الفضفاض الذى كانت ترتديه إلى أن تستعيد قوامها . ونفذت شموع عيد الميلاد وبدأوا في استخدام أنواع أخرى من الشموع – ثلاث شمعات طويلة بيضاء والعديد من تلك الشمعات النذرية القصيرة الممتلئة التى كانت الأم تحتفظ بها من أجل مواجهة حالات انقطاع التيار الكهربائى . وبعدئذ انطلقت القهقهات والضحكات العالية . كان الموقف يكاد يكون شبيهًا بالأيام القديمة الماضية عندما كانت كلوديا غير متزوجة ومازالت منتمية تمامًا لأسرتها .

لذلك قال إيان " مرحبًا بك يا كلود "

" هـ م م م ؟ "

" أنت تعرفين لوسى "

فتساءلت " ماذا عنها ؟ " بينما مازالت عيناها مليئتين بالدموع الناجمة عن كثرة الضحك "

" أنت تعتقدين أنها قد ولدت طفلتها تلك مبكرًا . أليس كذلك ؟ "

فتلاشت الابتسامة من وجهها

فقال فى اصرار " " هل تعتقدين فى ذلك ؟ "

" أوه يا إيان ومن أنا لكى أقول ذلك ؟ "

فقال " إننى أفكر فيما إذا كان ينبغى على شخص ما أن يخبر دانى بذلك "

فقالت " يخبره ؟ " وأضافت " لا . أنتظر . أنت تقصد التحدث معه في هذا الموضوع ؟ من المؤكد أنه لا يمكنك أنت أن تفعل ذلك ! "

" ولكنه يا كلوديا يبدو مثل شخص غبى . إنه يبدو ... مخدوعًا للغاية !!"

وكان صوته أعلى مما كان يريد فنظرت كلوديا نحو الباب . ثم وضعت يدها على ذراعه وتكلمت بسرعة فى صوت خافت . قالت " يا إيان . فى كثير من الحالات يمكن لك أن تقول إن الناس يكون لديهم سوء فهم لدرجة أن الغرباء لا يستطيعون تخيل هذه الحالات من سوء الفهم " .

" حالات سوء الفهم ! ما نوعية هذه الحالات من سوء الفهم ؟ كما أن هناك أيضًا ......" ولكن كان الوقت الملائم قد انقضى . إذ انفتح الباب الدوّار على نحو فجائى ودخل الأطفال فى اندفاع قائلين بصوت مرتفع " أمى ! دانى والجميع قد وصلوا هنا يا أمى " فقالت كلوديا " ما رأيكم فى كعكتنا هذه ؟ " ثم رفعتها لأعلى . وكانت مليئة بالنتوءات ومقسمة إلى أجزاء . وعادت إلى الانخراط فى الضحك مرة أخرى . فاندفع إيان متخطيًا إياها وغادر المطبخ .

وفى غرفة الطعام ألقت لوسى بطفلتها الرضيعة على كتفها . بينما كانت تتكلم مع بى . وكانت لا تزال مرتدية معطفها . وكانت تبدو منتعشة وسعيدة وابتسمت فى وجه إيان وبدون أن يظهر عليها أى قدر ضئيل من الشعور بالذنب . وقالت أمه " يا إيان يا حبيبى أيمكن لك الذهاب لكى تحضر المقاعد الإضافية ؟ " وكانت تضع سكينة سمك

فضية مثلمة بجوار كل طبق . كان آل بيدلو يمتلكون أكثر الآنية تخصصاً - محارات السكر وحامل مضرب الزبدة وأداة لها أسنان وشبيهة بالمشط من أجل تقطيع كعكة الملائكة إلى شرائح . وتعجب إيان لأن الناس يعتقدون أن هذه الأشياء لها أهمية . وأضافت أمه قائلة " ولسوف نحتاج أيضاً إلى صديريات الأطفال الموجودة فى درج الملابس الكتانية " ولكنه واصل سيره بدون أن يتكلم . ومن غرفة المعيشة ترامى إلى أذنه صوت جهاز التليفزيون الذى يذيع بصوت عالى مبارة فى كرة السلة . وكان والده يقول " انظر إلى ذلك الشاب الموجود على اليمين . ما اسمه . إنه متسم بالتركيز الشديد . ما اسم ذلك الشخص ؟ "

وقام إيان بالصعود على السلالم بينما كانت أصوات عائلته تملاء المنزل تحته مثل الماء - مجرد ذلك اللغط والدمدمة والضحكات الخافتة المتسربة من خلال الغرف لكى تشكل سطحاً واحداً مستوياً . .

* * *

فى يوم السبت كان والدا سيسلى يقومان برحلة إلى كمبرلاند تاركين سيسلى لكى ترعى أخاها الصغير وكانا يخططان لقضاء الليل كله بالخارج . وكان هذا يعنى أنه عقب ذهاب أخيها للنوم فى سريره ستصبح سيسلى وإيان مثل شخصين متزوجين بمفردهما تماماً فى الدور الأرضى أو فى الدور العلوى فى غرفة نومها مع إغلاق الباب بالمفتاح . وهما لم يتناقشا فى الاحتمالات والأمور الممكنة فى كلمات كثيرة للغاية ولكن إيان كان لديه إحساس بأن سيسلى تدرك مثل هذه الأمور . فقالت إنه ربما يود أن يجىء فى حوالى الساعة الثامنة

والنصف أو نحو ذلك [ستيفى يذهب للنوم فى الساعة الثامنة] وقالت إنها تريد أن تطبخ له وجبة عشاء ممتازة . وإنهما سيأكلان على ضوء الشموع مثلما تفعل لوسى تمامًا . وربما يكون على إيان أن يرتدى أحسن الثياب وربما يحضر معه زجاجة من الخمور .

وهو شخصيًا كان يفضل مذاق البيرة ولكنه سيحضر معه بالتأكيد زجاجة خمور وبعض الزهور أيضًا . ولم يكن متحمسًا لارتداء أفضل الملابس ولكنه نزولاً على رغبتهـا سيفعل ذلك . أىّ شىء . أىّ شىء . هل ستسمح له بالبقاء معها طوال فترات الليل كلها ؟ لم يكن من الملائم أن يسأل سؤلاً كهذا على ما يبدو . كانا جالسين فى كافتيريا المدرسة بينما الغلاف القشّى للمشروبات الملفوف على شكل أوكرديون يئز حول رأسيهما .

وفى صباح السبت ظل نائمًا حتى الظهر . وما أن استيقظ حتى اتصل تليفونيًا بسيسلى لكى يسألها عن لون الخمور المفضل لديها فقالت وقد بدا عليها أنها فى عجلة من أمرها " لون الخمر ؟ أى لون فهذا لا يهمنى" .

" ولكن أليس من المفترض لك أن ..... ؟ "

فقالت " ينبغى أن أذهب الآن " وأضافت " فهناك شىء ما يغلى على النار " .

وبعد أن وضعت هى سماعة التليفون أدرك أنه كان ينبغى عليه أن يسألها أيضًا عن لون الزهور المفضل لديها . أو أن مسألة اللون ليست

لها أهمية إلاّ فيما يتعلق بالزهور التى توضع على صدر ثوب المرأة ؟ هذا كان فستانًا خاصاً بوجبة غذائية وليس حفلة راقصة . أوه لقد كان كل شيء جديداً للغاية بالنسبة له . وكان كل شيء على نطاق أكبر مما اعتاد عليه . وكان يشعر بالقلق لأنه لم يكن يعرف على وجه الدقة ما الذى سيفعله معها . وتمنى لو كان دانى متواجداً إلى جواره . ولم يكن يوجد بالمنزل سوى والدته وكانت منهمكة فى إحدى نوباتها المتعلقة بأعمال النظافة بالمنزل . بل إنها لم تقدم له طعام الغذاء . مما اضطره إلى أن يُعد غذاءه بنفسة " ثلاثة سندوتشات من زبدة جوز الهند وربع جالون من اللبن تناوله مباشرة من الكرتونة عندما لم تكن والدته ناظرة إليه .

وفى فترة ما بعد الظهر ذهب هو وأندرو إلى منزل بيج بنصون ولعبوا البينج بونج . وراحت الكرة تتناقل حائرة تيك /توك تيك تيوك هنا وهناك بينما إيان يفكر فيما إذا كان عليه أن يعطى فكرة لصديقه عمّا سيفعله فى تلك الليلة . أم أن ذلك سيكون بمثابة تفاخر ؟ وكان دانى قد قال له ذات مرة إن الفتيات يكرهن الأولاد الذين يقومون بتقبليهن ثم يخبرون الآخرين بما حدث . أيضًا كان من المحتمل أن يتصرف بيج أندرو بطريقة صبيانية مثل إطلاق الأضواء الوميضية المبهرة على نوافذ سيسلى أو الضغط على جرس الباب ثم الإنطلاق بعيداً فى فرار . هذه الأمور كانت محتملة الحدوث للغاية . انظر إليهما : وهما يتشاجران ويتحركان فى اهتياج حول منضدة البنج بونج وفى جموح ووحشية وتناثر للشعر والتصرف وكأنهما أصغر من إيسان بعدة سنوات . وعلى الرغم من ذلك كان يوجد شيء ما فيهما مرغوب فيه للغاية .

عندمـا وصل إلى منزله كـانت أمـه واقـفـة أمـام مـرآة الصـالة وقـد ارتدت أفضل ثيابها وراحت تثبت القرط فى أذنها وقالت " أوه ! إيان ! " وأضـافت " لقد أعتقدت أنك لست بصدد المجئ إلى هنا "

" ماذا فى الأمر ؟ "

" من المفـروض أن تذهب على الفور إلى منزل لوسى فـهى بحاجـة إليك لكى تقدم الرعاية لطفلتها "

"الرعـاية لطفلتهـا ؟ لا أستطيع أن أجالس طفلتها . فـأنا ذاهب فى موعد "

" حسنًا . إننى متأكدة من أنها لن تتـأخر بالخارج فـهى تقول إنها ذاهبة لتناول مشروب مع صديقة . ودانـى قد ذهب إلى حفلة ساهرة غير مصـحوبة بامرأة . يـا حبيبى انظـر إلى الوقت . بـل ووالدك لم ...... " فقـال إيان وهو يسير وراءهـا إلى غرفـة المعيشـة " يا أمـى . ليس من شـأنك أن تجـعلينى أتطوع بتـقـديم الرعـاية لطفلتـها . فـأنا لدى خطط تخـصنى أنا . وعـلاوة علـى ذلك فـأنـا أفكر فى قـضـاء الليل كله فـى منزل صـديقـى بيج . وهذا ليس من شـأنك يا أمـى . وهناك شىء آخـر يا أمـى وهو أن هذه المرأة لوسى تتصل بنا تليفونيًا بمجرد أن يدير دانى ظهره . أىّ تتصل بنا من وراء ظهر دانى ..... "

" من وراء ظهـر دانى ! مـاهذا الذى تقـوله ؟ إنهـا الحـفلة السـاهرة غير المصحوبة بامرأة والتى أقامـها باكى هـارجروف . وباكى هذا بصدد الزواج فى الأسبوع القادم "

كانت ترتب الوسائد وتجمع أجزاء من الجريدة المسائية . وكان كعب حذائها العالى يعطيها مشية متشامخة وأدرك إيان على نحو أكيد أنها كانت ترتدى المشد الخاص بها حيث كانت محشورة بعض الشىء فى داخل فستانها . وانحنت فى تخشّب لكى تلتقط عظمة كلب وقالت "وأنا لا أوافق على مثل هذه الأمور : مجموعة من الرجال الذين هم فى سن الشباب يقولون لبعضهم البعض نكت بذيئة وقذرة وخادشة للشرف . ولهذا السبب فأنا قلت للوسى [بالطبع ينبغى عليك أن تخرجى . ولسوف يرحب إيان بالجلوس مع طفلتك لحين عودتك] ولا تجعل نفسك تشعر بأىّ شىء آخر بخلاف ذلك أيها الرجل الصغير . وإلاّ فإن الحياة سوف تسحقك وأنا أعنى ما أقوله "

وفُتح الباب الأمامى فدارت فيما حولها وقالت بصوت مرتفع " دوج ؟ "

" أنا هنا ياحبيبة قلبى "

" حسنًا : شكرا الله ! أمامك خمسة عشرة دقيقة لكى ترتدى فيها أفضل ما لديك من ثياب . هل نسيت أننا مدعوان للذهاب إلى آل فينش؟"

وعندما مرّ إيان عبر الصالة فى طريقه إلى الخروج ألقى على والده نظرة مليئة بالرثاء والمواساة . كان الوقت يقترب من نهاية شهر مارس وهى تلك الفترة التى يقترب فيها فصل الربيع فى ترنح ثم يتراجع إلى الوراء بعض الشىء . وكان الضوء يستمر لفترة أطول مما كان عليه منذ أسبوع إلاّ أن رياحًا رطبة وباردة لدرجة الإزعاج كانت تهب قادمة من

جهة الشمال . فقام إيان بغلق جاكتته بالسوستة ورفع ياقته لأعلى . ودار حول مجموعة من أطفال شارع ويفرلى الذين يلعبون لعبة الحجلة - معظمهم من فتيات صغيرات مقيّدات بحيث يصعب عليهن التحرك ويضعن أقدامهن على نحو حازم على سُلَّم من المربعات المرسومة بالطباشير . وقام بأداء رقصة بطيئة رزينة مهذبة مع إحدى الفتيات الأجنبيات بحيث راوغ إلى اليمين ثم إلى اليسار إلى أن قالت له " اسمح لى بالانصراف " ثم ضحكت وأخذت خطوة على جانب . فأومأ إيان برأسه ولكنه لم يتوقف لكى يتكلم معها . فالكلام مع الأجنبيات يمكن أن يستغرق نصف الفترة المسائية حيث دائمًا ما كان لديهن عادة الاستفسار بالتفصيل الشديد عن كل شخص يمكن أن يكون قريبًا .

وما أن وصل إلى شارع جيفرز حتى ظهر الشفق الأحمر . وكانت نوافذ منزل دانى تتوهج فى ضباب وكانت متوارية وراء ستائر شفافة . وقام إيان بالضغط على جرس الباب ثم طرق بيده لكى يظهر أنه رجل فى عجلة من أمره . وتصور أنه كلما انصرفت لوسى بسرعة كلما عادت إلى منزلها بسرعة .

وكان قد توقع أن يظهر عليها الخجل لدى وقوع بصرها عليه [من المؤكد أنها كانت تدرك أنها لم تتصرف على نحو سليم لأنها لجأت إلى أمه من وراء ظهره] . ولكنها عندما فتحت الباب اكتفت بأن قالت " أوه . إيان . تفضل بالدخول . إننى أرحب بهذا تمامًا " ثم اندفع توماس وأجاثا نحوه قادمين من غرفة المعيشة وقد ارتدى كل منهما بيجامًا لها قدم . وصاحا " إيان ! هل أحضرت معك سيسلى ؟ أين سيسلى ؟ قالت ماما أن سيسلى ربما ....

قالت لوسى لهما " دعوه يلتقط أنفاسه " . كانت مرتدية معطفها . وكانت مرتدية سويتر له ياقة واقفة ضيقة وبنطلونًا صوفيًا فضفاضًا شبيها بجونلة . وبدا من الظلم أن تكون جميلة للغاية على هذا النحو . وقالت " اتصلت بى صديقتى دوت تليفونيًا فى آخر لحظة " وأضافت "وأنا أعرف أن اليوم هو السبت ليلاً ولكنى أعتقد أنك ربما إذا قمت بتوجيه الدعوة لسيسلى لكى تجىء معك إلى هنا ...... "

فقال إيان فى شىء من الضيق والغلظة " إنها ينبغى عليها البقاء بمنزلها مع أخيها " وكان يقف أمامها وقد وضع جماع يديه فى جيبى جاكته . وأضاف " وأنا من المفترض لى أن أذهب إلى منزلها وقد وعدتها بأن أصل إلى منزلها فى الساعة ٨,٣٠ ليلاً "

فقالت " اوه . حسنًا . لا توجد مشكلة فالساعة الآن .... " ثم أزاحت كمها وألقت نظرة على ساعة يديها وأضافت " الساعة الآن ٦,٤٠ ولسوف أقول لـ دوت إنه ينبغى علىَّ الرجوع إلى المنزل فى وقت مبكر . هل تتذكر دوت ؟ والتى تعمل جرسونة فى مقهى فيل إير آب كافية ؟ "

فقال إيان فى تثاقل وكآبة " نعم بكل تأكيد "

ولكن لم يبد عليها أنها سمعت كلامه . كانت تبحث عن شىء ما . وقالت " والآن أين ..... " وأضافت " هل شاهد أىّ شخص مفاتيحى ؟ حسنًا . لا يهم . عليكما ياطفلاى الالتزام بالخلق الحسن . أتسمعانى ؟ يمكن لكما الاستيقاظ لحين عودتى " ثم غادرت منزلها وأغلقت الباب

وراءها فى هدوء شديد حتى إن إيان لم يسمع سقاطة الباب وهى تنغلق فى طقطقة خفيفة .

فى غرفة المعيشة كانت دافنى تجلس منتصبة القامة فى كرسيها الصغير أمام التليفزيون . وقال إيان وهو يخلع جاكته " مرحبًا يا داف " وما أن سمعت نبرات صوته حتى راحت تحرك ذراعيها وساقيها المغلفين فى قماش وبرى فى حركات دائرية غير متزامنة . ومدَّت عنقها فيما حولها إلى أن أصبحت نظرتها منصبة على وجهه ثم ابتسمت له ابتسامة مائلة على جانب . كان ذلك نوعًا من المداهنة والتملق فى حقيقة الأمر . وجلس إيان القرفصاء لكى يقوم بالتقاطها . ودُهش أيضًا مرة أخرى من ولع هذا الجسد الصغير بالمقاومة – ومن الأسلاك النحيلة الوترية القوية لمثل هذا الجسد الصغير . وحتى من خلال القماش الوبرى فإن الحرارة الصادرة عن تحت أبطيها الصغيرين طوقت أصابعه بالدفء .

وقال توماس " يا إيان . لماذا لم تعد تجىء إلينا ؟ "

وقالت أجاثا " الآن لم يعد لدينا أحد " وأضافت " وأمى اتصلت تليفونيًا بالمسز ميردال وتوسلت إليها واستعطفتها ولكن المسز ميردال أغلقت السماعة فى وجهها وتساءل توماس " أأنت متضايق لأننى أهزمك فى لعبة البرجيس فى كل مرة ؟ "

فقال إيان " تهزمنى لقد كان ذلك مجرد حظ سعيد يلازمك أو رمية من غير رامى . احضر الآن الرقعة الخشبية ولسوف أبرهن لك أننى متمكن من هذه اللعبة أيها الطفل المغرور "

فضحك توماس وذهب لكى يحضر الرقعة الخشبية الخاصة بلعبة البرجيس .

وبينما كان الطفلان يقومان بتجهيز اللعبة على السجادة قام إيان بالاتصال تليفونياً بسيسلى . فقالت فى أنفاس لا هثة " مرحباً ؟ "

فقال " هاى . مرحباً " وقام بنقل دافنى إلى فخذه .

" أوه . إيان . مرحباً "

إننى أقوم برعاية الطفلة فى منزل لوسى . اعتقدتُ فقط أنه ينبغى علىَّ أن أطلعك على مكانى وذلك لكى تتصلى بى تليفونياً إذا شعرت أنك فى أشد الحاجة لسماع صوتى أو أى شىء من هذا القبيل

" تقوم برعاية ومجالسة الطفلة ومتى ستنتهى من إنجاز هذه المهمة ؟ "

" لن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً . إذ وعدتنى لوسى .... "

فقالت سيسلى مقاطعة إياه " ينبغى علىّ الذهاب الآن فأنا أقوم بتنفيذ هذه الوصفة فى الطهى والتى تقول] الطهى فى بطء مع تحريك الطعام باستمرار [هل تستطيع أن تتصور ذلك ؟ أعنى هل من المفترض لى أن أداوم على رفع الغطاء ثم إعادته إلى مكانه أم ماذا ؟ هل تعتقد أننى ...... "

ثم وضعت سماعة التليفون وربما كانت لاتزال تتكلم فجلس إيان على السجادة ووضع دافنى على ركبته .

صحيح إنه كان يحب كافة هذه اللعبات ولكن توماس وأجاثا لم يكونا غريمين يتسمان بالتحدى الشديد . وكانا يستخدمان استراتيجية التجنب مع التشبث بمربعات الأمان علاوة على التفكير والتشاور على مدى دقائق طويلة قبل المخاطرة والدخول فى أرض مكشوفة . علاوة على ذلك لم يكن بمقدور توماس جمع الأعداد . ففى كل مرة يلقى فيها النرّد يظل هناك رقمان منفصلان ويقوم باحصائهما الواحد تلو الآخر " اثنان وأربعة . واحد ، اثنين . واحد ، اثنين . ثلاثة ...."

فقال إيان فى نفاذ صبر " ستة " ثم أمسك بالنرد وانزلق بها فى رشاقة عبر الوحة ثم قال " ثمانية " وأضاف " ها "وكان ما يحتاجه هو رقم ثمانية لكى يأسر رجل أجاثا .

فقالت له " هذا ظلم . إذ ذهبت ضربة واحدة على السجادة "

فقال " الحظ "

فتهدّل فك فمها .

وقال " حظ واحد ذهب على السجادة " ثم التقط الرجل الخاص به .

فقالت " من الظلم أنها لا تهبط على الرقعة الخشبية " وأضافت " ينبغى عليك أن تعيد هذه اللعبة مرة أخرى " فقال إيان مترنما فى إيقاع " ينبغى أن أهتم ، ينبغى أن أهتم " .

الأطفال الصغار هم فقط الذين يتذمرون ويقولون : هذا ليس عدلاً " ثم طرق برجله على الرقعة الخشبية فى انتصار وقال " خمسة ، ستة ، سبعة .... "

فدق جرس التليفون .

فقال " .... ثمانية " و دفع رجل أجاثا على جانب . ثم رفع دافنى على كتفه واتجه إلى التليفون الموجود على المنضدة البلاستيك المكعبة الشكل .

"إيان ؟"

" هاى مرحبًا ياسيسلى "

" أثناء مجيئك اليَّ هل يمكن لك أن تشترى لى بعض الزبد ؟ فالصلصة البيضاء التى أقوم بإعدادها لم تتماسك ولم تصبح سميكة لذلك اضطرت للتخلص منها وبذلك سأبدأ من جديد مرة أخرى . ولكنى الآن لم يعد لدى كمية كافية من الزبدة تكفى لإعداد لفائف الأرغفة "

فقال " سأحضر لك ما تريدينه من الزبدة بكل تأكيد " وأضاف " وكيف حال صديقنا ستيفى ؟ "

" ستيفى ؟ "

" أهو يستعدّ للذهاب للنوم فى سريره ؟ "

" ليس الأن . فالساعة الآن السابعة والربع "

" أوه . هذا صحيح "

فقالت " أويس Oops"

ووضعت سماعة التليفون .

وكان إيان يأمل فى الا تغيب عن ذهنها الأمور الهامة فى هذا الموضوع . الصلصة البيضاء ولفائف الخبز ما الذى يجعله يهتم بمثل هذه الأمور التافهة ؟ كل ما كان يريده هو أن يجعل أخاها بعيداً تماماً عن هذا الحدث الهام .

وتنفست دافنى مطلقة بعض الرذاذ نحو أذنه اليسرى . فرفعها لأعلى أكثر على كتفه وعاد إلى المباراة .

وانتهوا من لعبة البرجيس وبدأو فى لعبة أولد ميد Old maid . ولكنها لعبة لاجدوى منها لأن توماس لم يكن بمقدوره الدخول فى المراوغات وأعمال الخداع . إذ كانت له تلك البشرة الشاحبة التى تكشف عن كل عاطفة فإذا دبّ القلق فى كيانه تظهر ظلال عميقة تحت عينيه شبيه بالكدمات .

واستمرت اللعبة لفترة طويلة وبدأت دافنى تتعرض لحالة من القلق والاهتياج . فقالت أجاثا بدون أن ترفع عينيها عن أوراق اللعبة " . إنها تريد زجاجتها " . فذهب إيان إلى المطبخ لكى يخرج زجاجتها من الثلاجة وبينما كان ينتظر لحين أن تصبح الزجاجة دافئة راح يهز دافنى لأعلى ولأسفل . ولكن لم تنفع هذه الطريقة على الإطلاق مع دافنى . وبدا له أنه فَقَد سحره وجاذبيته فى مواجهة دافنى . إذ ازداد اهتياجها وصعدت لأعلى كتفه أكثر من ذى قبل وراحت تضرب بأصابع أقدامها الصغيرة الحادة الأنفية الشكل فى توتر شديد بين ضلوعه .

وعندما رجع إلى غرفة المعيشة كان الاثنان الآخران قد تركا لعبة ورق الشدة وراحا يتفرجان على التليفزيون . فجلس بينهما على الأريكة

وراح يطعم دافنى بينما كانت امرأة عارية الأقدام تتغنى بأغنية شعبية عن قضبان الربط بالسكة الحديد . وانشغل توماس فى مصّ إصبع إبهامه . وقامت أجاثا بلفّ خصلة شعر حول أصبع سبابتها . وهبط النعاس على دافنى عندما استكملت نصف كمية اللبن الموجودة فى زجاجتها . فنهض إيان فى حرص وحذر شديد ونقلها إلى سريرها الصغير .

وفى الساعة ٨,١٥ بدأ الغضب يتصاعد فى داخل كيانه . كيف كان عليه أن يصل إلى منزل سيسلى بحلول الثامنة والنصف ؟ كما إنه كان عليه أن يذهب أولا إلى منزله لكى يقوم باستبدال ملابسه واحضار بعض الخمور من غرفة الأطعمة الباردة . ياللعنة كان ينبغى عليه إنجاز كافة هذه الأمور قبل المجىء إلى هنا . وأزاح فى اهتزا ز قدما عبر ركبته وراح يرقب ربة منزل ترتدى حذاء له كعب عالى وتشرح موضحة كيف أن البكتريا تسبب الروائح .

وفى الساعة ٨,٣٥ دقّ جرس التليفون . فقفز متجها إليه وقد جهز إجابته مقدمًا (لا . لا يمكن أن أدعك تنتظرين أكثر من ذلك) فتساءلت سيسلى " إيان ؟ أثناء مجيئك اليّ هل يمكن لك أن تحضر لى مزيجا من صلصة مرق اللحم ؟ "

" صلصة مرق اللحم ؟ "

" إننى لا أعرف المرحلة التى نفذتها بطريقة خاطئة "

فقال إيان " هل ذهب ستيفى للنوم بالفعل ؟ "

" لسوف أتأكد من ذلك فى خلال دقيقة ولكنى أتكلم معك أولاً عن هذه الصلصة ! إننى التقط بالملعقة وعندئذ يصعد كل شيء فى الإناء مع الملعقة ... كله فى كتلة واحدة " .

فقال إيان لها " حسنًا لا داعى لأن تشعرى بالقلق إزاء هذا . ولسوف أحضر لك صلصة مرق اللحم وفى تلك الأثناء ينبغى أن تحثى ستيفى لكى يذهب للنوم فى سريره "

فقالت سيسلى فى تثاقل " حسنًا ...... "

وكانت فتاتان تترنمان بأغنية فى التليفزيون " هزازة والدى القديمة سخيفة وكئيبة . وعليك بمعالجتها بلون ما وصقلها بالشمع بطريقة وود ويتش !! "

وبعد أن وضع إيان سماعة التليفون إلتفت نحو الطفلين وتساءل " هل قالت أمكما عنوان المكان الذى كانت ترغب فى الذهاب إليه ؟ "

فقالت أجاثا " لا "

" أكان ذلك مكان ما يمكن لها الوصول إليه سيراً على الأقدام ؟ "

" لا أعرف "

فنهض واتجه إلى النافذة الأمامية . وإلى ماوراء الستائر الشفافة شاهد لمبات الشارع وهى تتلألأ فى خفوت كماشاهد مربعات من الضوء الأصفر الهادئ مترامية من المنازل المجاورة .

وترامى صوت نزع سدادة مبللة من ورائه – كان إصبع إبهام توماس يفرقع خارجًا من فمه . ثم قال توماس فى وضوح شديد " لقد ذهبت فى سيارة "

فاستدار إيان نحوه .

فقال توماس له " لقد استقلت سيارة مع دوت " وأضاف " ودوت تعيش على مسافة مجموعة من البيوت والمحلات وأمى ذهبتْ إلى منزل دوت واستمتعت برحلة فى السيارة " ثم أعاد أصبع إبهامه إلى فمه .

وترامى صراخ وعويل من غرفة الأطفال . فنظر إيان نحو أجاثا . وصدر صراخ آخر على نحو أكيد فقالت أجاثا فى هدوء " انت لم تساعدها على التجشؤ "

واكتفى توماس بالقاء نظرة عليه مليئة بالتحذير والغموض وشبيهة بنظرة الشخص الذى يمص إبهامه .

وفى الفترة من ٨,٤٠ إلى ٩,١٥ انهمك إيان فى تمشية دافنى فى أرجاء غرفة المعيشة . ودخل توماس وأجاثا فى عراك وشجار بسبب البطانية الملونة . وقام توماس بركل أجاثا فى قصبة ساقها فبدأت فى البكاء على نحو غير مقنع من وجهة نظر إيان . وقامت بدحرجة جورب ركبتها لأسفل حتى رسغ قدمها الأبيض السميك وأوضحت قائلة "أترى ؟ أترى ما فعله فىّ ؟ "

وقام إيان بالترتيب على دافنى فى مزيد من السرعة وبدأ فى عمل مراجعة على خططه . برغم كل شىء ينبغى عليه ألا يذهب أولاً إلى منزله .

إذ يمكن لهما الاستغناء عن الخمور والزبدة وغير ذلك من أمور . ويمكن له أن يشرح ليسيسلى كافة جوانب الموقف عندما يصل إلى منزلها ويمكن أن يقول لها " العشاء لا يهمنى على الإطلاق " مع جذبها واحتضانها بين ذراعيه . ثم يضيف قائلاً لها " فانا مهتم بك أنت " وبعدئذ يصعدان على السلالم سوياً مع السير فى هدوء شديد على أصابع أقدامهما لدى المرور بجوار باب حجرة أخيها والاتجاه نحو ....

أو – هوه

الشىء الوحيد الذى لم يكن بمقدوره الاستغناء عنه – أو الأشياء الثلاثة المربوطة فى عبواتها برقاقة معدنية – كان مخبأ فى فردة حذائه الرياضى اليسرى بالجزء الخلفى من صوان ملابسه . لم يكن هناك سبيل لتجنب الذهاب إلى منزله .

ودق جرس التليفون مرة أخرى . فالتقط إيان السماعة . وقال بصوت شبيه بنباح الكلب " ماذا!"

فقالت سيسلى " إيان . أين انت ؟ "

فقال إيان بدون أن يكترث إذا سمع الأطفال كلامه : " لوسى اللعينة هذه . إننى أفكر حالياً فى الانصراف خارجاً من هنا على الفور "

فرفعت أجاثا بصرها عن مقدم ساقها وقالت " " أنت لن تفعل ذلك !"

وقالت سيسلى " كل أصناف الطعام أصبحت باردة "

" حسنًا . لا تقلقى ولا تهتمى بذلك . فتنـــاول العشاء ليس شيئًا هامًا ..... "

" ليس هامًا ! لقد ظللت أعمل فى كفاح طوال اليوم من أجل إعداد وجبة العشاء هذه . وأصبح لدينا شرائح من لحم الخاصرة محشوة بعش الغراب . وبطاطس محشوة بالجبنة وفلفل أخضر محشوّ بـ .... "

" ولكن ماذا عن ستيفيى ؟ أذهب ستيفيى للنوم فى سريره بالفعل؟ "

" لقد ذهب للنوم منذ فترة طويلة للغاية "

فزمجر إيان فى أنين .

وتساءلت سيسلى " أذلك هو كل ما يهمّك ؟ ألا تهتم بأنواع المأكولات التى أعددتها من أجلك ؟ "

قال إيان " أوه . نعم . إننى أهتم بالطهى الذى قمت به . بل وظللت أتطلّع إليه طوال اليوم "

" لا . لا تقل ذلك ! أخشى أن تصاب بخيبة الأمل عندما تبدأ فى تناول هذا الطعام "

فقال إيان " يا سيسلى . سوف أجىء إليك بأسرع ما يمكن مهما تكن الظروف . عليك فقط بانتظارى "

وما أن وضع سماعة التليفون حتى شاهد توماس وأجاثا وهما ينظران إليه فى عتاب وتأنيب . وتساءل توماس : " ما الذى ستفعله ؟ هل ستتركنا بمفردنا ؟ "

فقال إيان " أنتما لم تعودا من الأطفال الصغار إذ باستطاعتكما الاعتناء بأنفسكم "

" ماما لا تدعنا نعتني بأنفسنا أبدًا . فهي تخشى من أن ندخل في تنافس مع بعضنا البعض "

فتساءل إيان " حسنًا . وهل تفعلان ذلك ؟:"

فراح توماس يفكر لبعض الوقت ثم قال أخيرًا " قد نفعل ذلك " .

فتنهد إيان وعاد إلى الإمساك بدافني والسّير بها . وكان ذلك هو كل ما يستطيع إيان أن يفعله نظرًا لأن دافني كانت تتلوى وتتململ بين ذراعيه . وقالت أجاثا : " أنا أتجسّس بعيني الصغيرة .... " وراحت تطوف بحملقتها في أرجاء الغرفة . وأدرك إيان على نحو فجائي مدى اللخبطة والفوضى التي انتشرت حولهم – أوراق اللعب والسجادة الملتوية وقطع لعبة البرجيس المتناثرة .....

وقالت أجاثا " .... بعيني الصغيرة .... الصافية مثل السماء ..... " مع إطالة النطق .

فقال إيان في حدة " أيمكن لك بحق السماء إحراز النجاح في هذا الشأن ؟ "

" حسنًا إنني أحاول يا إيان إذا لم تداوم على مقاطعتي "

وبعدئذ كان عليها أن تبدأ من جديد " إنني أتجسّس بعيني الصغيرة ..... "

وفكر إيان فى عينى لوسى الرماديتين وفى فمها البالغ حد الكمال المزدان بأحمر الشفاة . وكان اللون الأحمر لإصبع أحمر شفاهها متخذاً اللون الأحمر الفاقع مع شيء ما محروق فى داخله . وساورته الشكوك فى أنها كانت تفعل الأشياء بطريقتها الخاصة في كل دقيقة من حياتها . والنساء من تلك النوعية لا يكنّ بحاجة على الإطلاق للنظر بعين الاعتبار للناس الآخرين .

وأخيراً تفككت أوصال دافنى واسترخت واستغرقت فى النوم . فقام إيان بحملها إلى غرفة الأطفال . وأنزلها إلى سريرها الصغير فى هدوء وبطء تدريجى وظل منتظراً فى صمت إلى جوارها وقد حبس أنفاسه . وفى نفس تلك اللحظة سمع صوت الباب الأمامى ينفتح .

أول ما خطر على ذهنه وسبب له القلق هو أن صوت الباب قد يزعج دافنى ويتسبب فى إيقاظها . وعلى ذلك النحو كان انتباهه وتفكيره قد تشتت تماماً . وبعدئذ أدرك أنه قد أصبح له مطلق الحرية فى الانصراف . فاتجه نحو الباب لكى يقول للوسى رأيه فيها .

ولكن لم تكن لوسى هى التى جاءت . إنه دانى الذى جاء وكان يقف عند باب حجرة المعيشة وراح يقطّب جبينه فى عبوس فى مواجهة الضوء . وأدرك إيان أن أخاه قد تناول على نحو أكيد زجاجتين من البيرة . إذ كان يبتسم ابتسامة مليئة بالحماقة والبلاهة والفجور . وهى ابتسامة سبق له مشاهدتها فى العديد من المناسبات السابقة . وقال دانى " أخى . إيان " وأضاف " مالذى تفعله هنا ؟ "

فقال له إيان " إننى بصدد التعرض للخبل والجنون "

" أه "

" كان من المفترض لزوجتك أن ترجع إلى منزلها منذ فترة طويلة مضت . وأنا على كل حال لم أكن أرغب فى المجىء إلى هنا فى بادئ الأمر "

فقال دانى فى حماس وتوهج وهو يحملق نحو الأريكة " توماس ! " وأضاف " و أجاثا ! " وبدا عليه وكأنه مندهش لرؤيتها أيضًا . ثم قال لإيان : " لقد فاتتك حفلة عظيمة بكل تأكيد . الصديق القديم الممتاز بوكى هارجروف ! "

فقال إيان " استمع الىّ . إننى متأخر للغاية عن موعدى وأريد منك أن توصلنى بسيارتك إلى منزل سيسلى "

فقال دانى " هـ و و ه ؟ لماذا . بالتأكيد سأوصلك " وأضاف " بالتأكيد يا إيان . فيما عدا .... " وراح يفكر فى عمق . ثم قال أخيراً " ولكن ماذا عن الأولاد ؟ "

" ماذا عن الأولاد ؟ "

" لايمكن لنا أن نتركهم بمفردهم "

فقال إيان فى سخط واستياء وغضب " إذن نأخذ الأولاد معنا " وأضاف " هيا بنا نذهب "

" ونأخذ دافنى أيضًا ؟ أين دافنى "

فكزّ ديان على أسنانه إلى أن أصدر صوتًا كالصرير وترامت أغنية سيجاير كنت من التليفزيون فى تطريب وعدم اكتراث . واستدار نحو أجاثا وقال " يا أجاثا أنت وتوماس سوف تضطران للبقاء هنا من أجل رعاية دافنى "

فحملقت فى وجهه .

فقال إيان " سوف نستغرق سبعة دقائق كحّد أقصى . ولا تفتحى الباب الأمامى مهما كان ذلك الطارق ولا تردّى على التليفون . أتفهميننى ؟ "

فأومأت برأسها بما يفيد الموافقة . وكانت هناك دائرة حول عينى توماس مما جعله شبيها بحيوان الراكون . ثم قال إيان لدانى " هيا بنا"

وكان دانى يتمايل فى تأرجح بعض الشىء على قدميه وكان يراقب إيان فى اهتمام خفيف متوازن . وقال "

" حسنًا .... "

" هيا بنا يا دانى "

وانتزع إيان جاكتته وقام بدفع دانى نحو الاتجاه الصحيح . وبينما كانا يخرجان شعر إيان بعبء ثقيل ينزاح عن كاهله . وتعجب وسأل نفسه فى تعجب :

كيف يتحمل الناس أطفالهم على المدى البعيد ... وكيف يتحملون الرتابة والتوتر والاحتجاز بجوارهم .

وبالخارج أصبح الجو أكثر برودة عن ذى قبل بل وأصبح أكثر هدوءاً على نحو عجيب .

وارتطم رأس دانى بشئ صلب لدى دخوله إلى السيارة ووجد بعض المتاعب فى اختيار المفتاح الذى ينبغى أن يستخدمه ولكنه تمكن بعد ذلك من تشغيل الموتور بسهولة ثم قام بالمراجعة فى وقار على إشارات المرور وبعدئذ دخل إلى الشارع . ثم قال " سيسلى تعيش فى شارع لانج أفينيو .أليس كذلك ؟"

فقال إيان " هذا صحيح . ولكنى أريد الذهاب إلى منزلى أولاً" .

فقال دانى فى خضوع واستسلام مردداً نفس عبارة إيان : " ولكنى أريد الذهاب إلى منزلى أولاً"

وضرب إيان بقدمه على أرضية السيارة فى خفة . كان يشعر بأنه قوى ومسيطر وملئ بالطاقة والحيوية ومشحون بالغضب الناجم عن دوافع أخلاقية .

ومراً بجوار منازل مضاءة بإضاءات خفيفة . وطارد كلب السيارة على مدى بلوك سكنى أو نحو ذلك ثم كف عن المطاردة . وبدأ دانى يُصفّر بفمه إحدى النغمات الموسيقية من موسيقى الجاز والهوتشى/كوتشى ربما قد شاهدوا راقصة متجردة من ثيابها فى حفلة باكى هارجروف وشاهدوا جرسونات مرتديات جوارب شبيهة بشبكة صيد الأسماك ، وفتيات يخرجن من كعكات وغير ذلك من أمور ، بينما كان إيان فى تلك الأثناء منهمكاً فى تسخين زجاجات الرضاعة . فارتمى

فى حدة نحو دانى وقال فى حدّة " وينبغى علىَّ أن أقول لك الآن أنك قد فقدتنى كجليس لابنتك للأبد "

فتسائل دانى " هـ و ه ؟ ماذا تقول ؟ "

" كان لدى موعد بالغ الأهمية فى الساعة الثامنة والنصف . وأنا أتكلم معك الآن وأنا أمر بحالة سيئة للغاية . وكانت لوسى تدرك تماماً ظروفى . وأقسمت لى على جميع الأناجيل أنها سترجع إلى المنزل فى الوقت المحدّد " .

فتساءل دانى وهو يضغط على إشارة الانعطاف " وأين هى الآن على كل حال ؟ "

" تتناول مشروباً مع صديقة لها . وهذا هو ما قالته "

" إننى لم أكن أعرف أنها ترغب فى الخروج "

" إنها تزعم أنها تذهب لكى تتقابل مع صديقتها الجرسونة دوت "

فقال دانى فى موافقة "دوت هى جرسونة مقهى فيل إير آب كافيه"

فقال إيان فى صراخ " سبحان الله يا دانى . هل أنت أعمى ؟ "

فاتسعت عينا دانى ونظر فيما حوله فى اهتياج شديد نحو جميع الاتجاهات . وتساءل " أعمى ؟ " " وأضاف " ماذا ؟ "

" إنها موجودة بالخارج أكثر مما هى موجودة بالداخل . ألم تسأل نفسك أبداً مع من تكون هى ؟ "

" لماذا . لا . إنى .... "

" وماذا عن تلك الطفلة "

" الطفلة ؟ "

" أهى طفلة مبتسرة ومولودة قبل الأوان ؟ ركّز تفكيريك وانتبه جيداً . أهناك طفلة مبتسرة ولها غمازات فى وجنتيها ؟ "

ففتح دانى فمه

" مولودة قبل الموعد بشهرين وتتنفس فى سهولة وبدون الاستعانة بجهاز حضانة المواليد الذين تضعهم أمهاتهم قبل الأوان وبدون وجود أية مشاكل على الإطلاق ؟ "

" إنها كانت ..... "

فقال إيان " إنها كانت على علاقة بشخص ما آخر "

" ماذا تقول "

قال إيان " أريد فقط أن أعرف إلى متى تودّ أن تظل ساذجًا ومغفلاً وضحية للخداع ؟

فانعطف دانى إلى شارع ويفرلى وتوقف أمام المنزل . وأغلق موتور السيارة ونظر عبر كتفه إلى إيان . وبدا عليه أنه قد أفاق تمامًا من السُكر . ثم قال " مالذى تريد أن تقوله لى يا إيان ؟ "

فقال إيان " إنها تقضى فترة ما بعد الظهر كلها فى كل مرة تجد فيها جليسًا لطفلتها " وأضاف :" وترجع مليئة بالعطر ومنخرطة فى

الضحكات ومرتدية ملابس غالية الثمن بحيث يتعذّر عليها شراءها . فذلك الفستان الأبيض المحبوك بالصنارة . هل سبق لك أن شاهدت فستانها الأبيض ؟ من أين حصلت هي على ذلك الفستان ؟ وكيف قامت بتسديد ثمنه ؟ وكيف تسنى لها أن تتزوجك بسرعة البرق وبعدئذ تلد طفلة عمرها سبعة شهور ؟ "

فقال داني " أنت تتحدث عن ذلك الفستان ذى الخيوط الشبكية المتقطعة عند الوسط "

" نعم ذلك هو الفستان الذى أقصده "

فبدأ داني يحك صدغه الأيمن بأطراف أصابعه وعندما بدا أنه لن يفعل أىّ شيء أكثر من ذلك تسلّق إيان خارجًا من السيارة .

وفى داخل المنزل كانت جميع اللمبات مطفأة فيما عدا لمبة الصالة . من المؤكد أن والديه مازالا فى منزل فينيس . ونهض الكلب بيتسى من على السجادة فى تثاؤب وسار وراءه صاعداً على السلالم التى تسلق إيان عليها بمعدل درجتين فى كل مرة . وذهب مباشرة إلى غرفته ونزل على ركبته أمام الخزانة وراح يبحث بين الركام والفوضى عن حذائه الرياضى . وما أن حدّد مكان شريط الرقاقة المعدنية حتى دفعها فى انزلاق فى داخل جيبه الخلفى ثم نهض واقفًا . ثم انطلق بسرعة إلى غرفة الحمام . أكبر ليلة فى حياته ومع ذلك لم يكن بمقدوره التوقف قليلاً لكى يأخذ حمامًا . وقام بتبليل أصابعه عند الحوض وجرى بها بين شعره . وكشف عن أسنانه أمام المرآة . وفكر فيما إذا كان ينبغى عليه أن يستخدم الفرشاة فى تنظيف أسنانه .

وفى الشارع أسفله . زأر موتور سيارة. ماذا حدث بحق السماء ؟ أزاح الستارة على جانب وراح يحملق إلى الخارج . لقد كانت سيارة دانى الشيفورليه بكل تأكيد . وكان الكشافان الأماميان بمثابة شريطين لهما لون أصفر يتأرجحان ويتمايلان بعيداً عن الحاجز الحجرى لحافة الطريق . ثم انطلقت السيارة فجأه محدثة تقشيراً فى الكاويتش . فأنزل إيان الستارة . واستدار ليواجه وجهه نفسه المذهول فى المرآة.

وبالقرب من الجدار الحجرى عند نهاية البلوك كان ينبغى أن تكون الفرامل قد أطلقت صرخة حادة ولكن بدلاً من ذلك ازداد صوت الزئير ارتفاعًا . وازداد أكثر وأكثر إلى أن أصبح من المحتم أن يحدث شيئًا وبعدئذ حدث انفجار هائل للغاية وصوت تحطم مريع ومعقَّد ثم أعقب ذلك صوت رنين خفيف وبعدئذ ساد الصمت المطبق . وواصل إيان الحملقة فى عينيه هو . لم يكن بمقدوره على ما يبدو أن يشيح بوجهه بعيداً لم يكن بمقدوره أن يرمش بعينيه ولم يكن بمقدوره أن يتحرك لأنه بمجرد أن يتحرك يبدأ الزمن فى تدفقه الإيقاعى للأمام مرة أخرى وكان يدرك بالفعل أن أى شىء فى حياته لن يصبح على ما كان عليه من قبل .

* * *

(٢)

إدارة الحقيقة

عندما استيقظت دافني من سباتها الخفيف لفترة ما بعد الظهر أصدرت صوتًا شبيهًا بالغناء . وراحت تنادى قائلةً : " لا LA " . ولكن لم يسمعها سوى توماس وأجاثا . إذ كانا يقومان بأعمال التلوين وهما جالسان إلى منضدة المطبخ . وتباطأ قلما التلوين في يديهما . ثم نظرا لبعضهما البعض وبعدئذ نظراً نحو غرفة أمهما . وفى هذه الأيام أصبحت والدتهم تأخذ سنة من النوم الخفيف أيضًا . وقالت إن حرارة الجو هى التى تدفعها إلى ذلك . وقالت إنهم لو أتاحوا لها الفرصة ستظل ملازمة الفراش من الربيع حتى الخريف وبحيث تتخلص من هذا الصيف الحار الرطب كله من خلال اللجوء للنوم .

ونادت دافنى مرة أخرى قائلة " لا (LA) لم يكن بمقدورهما التقاطها لأن توماس فى الأسبوع الماضى أسقطها فجأه من بين يديه على الأرض . حيث كان يحاول إطعامها من زجاجة الرضاعة ولكنها تشقلبتْ على نحو ما نحو الأرضية فارتطمت برأسها على الأرض . وبعدئذ أَصدرت أمها أوامرها لهما بعدم محاولة التقاطها وحملها وهو

شيء لم يكن متسمًا بالعدل بالنسبة لأجاثا . لأن أجاثا قد استكملت سبعة سنوات فى شهر أبريل الماضى . ومن المؤكد أنها لم تسمح أبداً لدافى أن تتلوى وتتملص على ذلك النحو أبداً .

والآن كانت دافنى تُكلِّم نفسها فى نغمة صوتية استفسارية شبيهة بـ " أين يوجد كل شخص " هل هم جميعًا رحلوا وتركونى وحيدة؟

كان بصفحة التلوين بكتاب أجاثا رسم تمهيدى لرجل عارى من الملابس ومليء بالأوردة والشرايين . وكان من المفترض أن تقوم بتلوين الأوردة باللون الأزرق والشرايين باللون الأحمر . وكانت هناك نقطة بداية زرقاء B صغيرة ونقطة بداية حمراء R صغيرة وبعدئذ كان عليك أيها الولد القيام بإنجاز العمل بمفردك وبدون أى مساعدة من أحد ؛ والحظّ السيء يتربص بك إذا انزلقت إلى الفرع الخاطئ بطريق الصدفة وبدأت فى تلوين الأجزاء الحمراء باللون الأزرق . لقد كانت أكثر الصور فى العالم إثارة للملل ولكن أجاثا حرصت على إنجازها حتى عندما ضاقت الأوردة وأصبحت شبيهة بالخيوط السوداء ولم يعد لديها أمل فى البقاء فى داخل الخطوط .

وكانت صفحة توماس مثيرة للضيق والملل أيضًا ولكن على الأقل كان بها المزيد من الأشكال . وكان لرجله العارى أعضاء مختلفة - أنابيب ورؤوس وأشياء شبيهة بالبالونات . وكان عليه تلوين تلك الصفحة لأن كتاب التلوين كان مملوكًا له ولكنه ادعى بعدئذ أن الأعضاء غير موجودة ، وراح يلطخها بكل وسيلة مستخدمًا قلمًا أرجوانيًا مع إعطاء الرجل بدلة تنتهى على نحوٍ مثلَّم عند معصم يديه ورسغ قدميه العاريين . وقالت له أجاثا " لقد تسببت الآن فى تدمير الصورة " .

" لم أدمرها . لقد رسمتها على نحو أفضل "

" وكنت تضغط بالقلم بقوة شديدة أيضًا انظر إلى ما فعلته في قلمك "

فنظر . فيما سبق كان قد تسبب في تقشير الورقة. والآن انحنى القلم على جانب بسبب السخونة الصادرة عن يده وأصبح شبيها بشموع والدته المسكينة المنحنية الموجودة في درج مناديل المائدة .

وقال " هذا لا يهمني . إنني لا أهتم "

" هذا هو قلمك الأرجواني الأخير "

فقال " إنني لم أكن أحبه على كل حال " وأضاف : " وكتاب التلوين هذا مثير للملل والضيق . من الذي أعطاني دفتر التلوين هذا المثير للملل ؟ "

ثم قام بصفع يده على فمه .

لم يكن داني هو الذي أعطاه دفتر التلوين . وإنما الجدة بيدلو هي التي أعطته ذلك الدفتر . إذ كانت قد التقطته من محلات بانتري برايد ذات يوم عندما ذهبت إلى هناك لشراء بعض الطعام من أجل أمهم . ولكن توماس دائمًا ما كا ن يشعر بالهم والقلق ويخشى أن يكون داني مصغيًا لكلامهم أثناء وجوده هنالك في السماوات ، لذلك قالت أجاثا .

" لقد اشتراه كهدية خصوصية وكان يأمل كثيرًا في أن تحب أنت هذه الهدية "

فأزاح توماس يده وقال بصوت مرتفع : " إننى أحب هذا الدفتر بالفعل "

" إذن لماذا أحدثت كل هذه الشخبطة ؟ "

" لقد ارتكبت هذه الغلطة "

وقالت دافنى " أوهـ و ! أوهـ و ! " ليس على هيئة ضحكات كما قد يخطر على ذهنك وإنما من أجل البدء والتذمر . فالخطوة التالية ستكون صراخًا حقيقيًا مليئًا بالحزن والضياع والشعور بالوحدة والعزلة القاتلة . وكان توماس وأجاثا يكرهـان ذلك الصراخ . فقال توماس " اذهبى واخبرى ماما "

" اذهب انت "

" انت الأكبر سنًا"

" أنا لست فى حالة نفسية ملائمة "

فقال توماس " فى آخر مرة ذهبتُ فيها لأمى انفجرت فى الصياح فى وجهى "

" لأنها كانت تمرّ بيوم صعب وعصيب "

" ربما يكون هذا اليوم عصيبًا أيضًا "

فقالت أجاثا " إذا ذهبت سأعطيك كيس نقودى المصنوع من الجلد المصقول الناعم "

" إنني لا أستخدم كيس نقود "

" أتريد الكاميرا البلاستيك التى تخصنى ؟ "

" هذه الكاميرا الخاصة بك مكسورة "

وكانت دافنى قد وصلت إلى مرحلة الصراخ المدوى الحقيقى وبدأت أجاثا تشعر باليأس المرير فقالت " ربما يمكن لنا أن نقف بجوار سريرها الصغير ونكتفى بالتحدث إليها والابتسام لها وأشياء من هذا القبيل "

" أوكى . وهو كذلك "

ونهضا وذهبا إلى الصالة . ومرًّا بجوار الباب المغلق لغرفة والدتهم ثم دخلا إلى غرفة الأطفال. كانت تنبعث منها رائحة الأحفضة القذرة . وكانت دافنى جالسة وهى معتدلة القامة تمامًا وقد لفَّت أصابعها حول قضبان سريرها الصغير وعندما دخلا أصبحت تميل إلى الهدوء وضغطت بوجهها على القضبان مما جعل أنفها الصغير يبرز خارجًا من بين القضبان . وكانت قد ظلت تبكى بكاء مريراً مما جعل شفتها العليا تتخذ شكل الزجاج . ثم نظرت بعينين طارفتين وحملقت فيهما وأطلقت ابتسامة طفولية مشرقة .

فقالت أجاثا فى حزم " والآن ماهذا الهراء الذى أسمعه ؟ "

وكانت تحاول تقليد الجدة بيدلو . إذ كان للكبار هذه الأصوات التى يدخّرونها من أجل الأطفال الصغار . وكان بمقدورها أن تقلد صوت

أمها إذا أرادت " يا حبيبة قلبى " أو صوت دانى حيث كان يتساءل " كيف حال أميرتى ؟ " اعتاد أن يتساءل . كان يسأل فى الأيام القديمة المنصرمة .

من الأفضل أن تتشبث بتقليد صوت الجدة بيدلو . " مَنْ هذا الذى يَحدث مثل هذه الضجة والضوضاء ؟ "

فاتسعت ابتسامة دافنى أكثر من ذى قبل وقد أخذت أسنانها الأربعة الجديدة المتجعدة عند الحواف تتلألأ. بينما كانت رموش عينها مبللة تماماً وملتصقة على خدّها. ولم تكن مرتدية سوى قميص تحتانى صغير بينما كان حفاضها متخذا اللون البنى – وهو ماكان يقول عنه عمهم إيان : منظر غير ملائم .

واقترح توماس قائلاً " اعطها المسكتة "

" إنها تتضايق للغاية إذا أعطيتها المسكتة بينما هى تريد زجاجة الرضاعة "

" ربما لا تكون جائعة حاليًا "

" بعد أن تصحو من نومها الخفيف دائمًا ما تصبح جائعة "

وراحت دافنى تنظر جيئة وذهابًا بينهما . ولقد خطر على بالها على ما يبدو أنهما لن يتمكنا من تقديم العون والمساعدة لها .

وقال توماس " عليك فقط بإعطائها المسكتة الخاصة بها جرّبى ذلك " .

" حسنًا أين المسكتة ؟ "

وراحا يبحثان بين القضبان ويربّتان فى خفة على الملاية . كانت هناك مساحات بالملاية مبللة ولكن ربما كان ذلك ناجمًا عن الحرارة أو الدموع . وكانت الرائحة رهيبة .

وقال توماس بصوت مرتفع " لقد وجدتها " ثم دفع المسكتة بين شفتى دافنى إلا أنها بصقتها مرة أخرى . وبدأت بشرتها فى الارتعاش وتحوّل حاجبا عينيها إلى اللون الوردى الزاهى .

وقال توماس " و و يـ ى " ثم التقط المسكتة وحشرها فى فمه هو ثم تراجع إلى الوراء إلى أن أصبح جالسًا على حافة سريره مع طىّ ذراعية فى إحكام على صدره .

وقالت أجاثا " ربما نتمكن من إطعامها فى سريرها " وأصدر توماس أصوات امتصاص عالية .

وذهبت أجاثا إلى المطبخ وسحبت إبريقًا به جالون من اللبن من الثلاجة . ووضعت الإبريق على المنضدة وأخذت زجاجة رضاعة غائمة وغير شفافة من بين ركام الأطباق غير المغسولة الموجودة بجوار الحوض.

وعادت دافنى إلى : " أوهـ و ! أوهـ و "

وحاولت أجاثا فى بادىء الأمر أن تصبّ فى بطء شديد ولكن اللبن انسكب كله على المنضدة ونفذ إلى صفحة توماس بدفتر التلوين . وعندما زادت السرعة تمّ ذلك على نحو أفضل . ثم أعادت حلمة زجاجة

الإرضاع وحملت الزجاجة إلى الصالة وقد حملتها فى يديها أثناء مشيها لكى تقلل من برودتها . وتوقفت أمام باب غرفة أمها المغلقة وراحت تصغى إلاّ أنها لم تسمع أىّ صوت لابد أنها استسلمت لسنة من النوم عقب تناول حبتين أو حتى ثلاثة حبّات . وواصلت سيرها إلى غرفة الأطفال .

كان فم دافنى يطلق الآن صراخًا عاليًا قبيحًا وكان وجهها محتقنا باللون الأحمر ومتشامخًا فى ازدراء ومتصببًا بالعرق . وكان توماس قد أغلق عينيه فى اعتصار . فقالت له أجاثا فى حدّة لدى مرورها : " استيقظ " . وواءمت زجاجة الرضاعة بين قضبان السرير الصغير وأمسكت بها فى اتجاه دافنى . وقالت لها " ها هو اللبن " .

وتلوّت دافنى وضربت بيدها فتطايرت الزجاجة . كما تطايرت حلمة الزجاجة . وانسكب بعض اللبن على صورة الأرنب المرتدى بنطلونًا فضفاضًا المنطبعة على اللوحة الخشبية التى تشكل مقدم السرير . فصاحت أجاثا فى غضب " أنت طفلة غبية ! طفلة غبية عجوزة ممتلئة !!"

فصرخت دافنى بصوت أعلى . وقالت أجاثا لتوماس " ناولنى هذه الزجاجة " إلاّ أن توماسى كان قد جذب غطاء سريره على رأسه . فالتفتت إلى الوراء نحو الزجاجة . كانت ملقاة على جانبها بالقرب من الجزء الخلفى من السرير الصغير . وفى كل مرة تتقافز فيها دافنى كان ينسكب قدر آخر من اللبن على الملاية . وأخيرًا قامت أجاثا بالضغط على المشّدين الاثنين الموجودين على الدرابزين لكى ينخفض هذا الدرابزين وبعدئذ لم تعد دافنى محصورة ومطوقة ومحبوسة فى الداخل

وظهر عليها الهدوء تدريجيًا وراحت تحوزق وقد بدا عليها أنها مستمتعة . وكانت الزجاجة على مسافة قصيرة وفى متناول يدها بسهولة . ثم عثرت أجاثا على حلمة الزجاجة . وبعدئذ أمالت الزجاجة نحو دافنى . وفى هذه المرة تقبلت دافنى الزجاجة عن طيب خاطر . وراحت ترضع وهى جالسة فى اعتدال وطرفت بعينها لدى ابتلاع الجرعة الأولى الباردة ولكن بعدئذ روَّضت نفسها على ما هو متاح . وكانت قد أمسكت بيد واحدة بمعصم أجاثا . وكانت تقول مع كل ابتلاع " م م . م م . م م " وعلى نحو مفاجىء شعرت أجاثا بعطش شديد للغاية .

ومن ورائها سمعت الصوت الزَّلق لتوماس وهو يتملَّص خارجًا من ملاية سريره . وسمعت الصفعة لدى إخراجه المسكتة من فمه . وقال : " دافنى تطلق روائح كريهة بالفعل "

فلم ترد عليه

" هل ستقومين باستبدال ملابسها . يا أجاثا ؟ "

ووقفت فى ثبات وأمسكت بمرفقها بيدها الشاغرة . لم تكن تعرف كيف تستبدل الحفاض . وهى كثيرًا ما ساعدت والدتها – بأن أحضرت لها بودرة التلك أو قماشة غسل الوجه والجسد . نعم وكانت تعتقد أن بمقدورها أن تفعل ذلك بمفردها وبدون مساعدة من أحد . ولكنها لم ترد حتى الآن . وألقت برأسها إلى الوراء لكى تنفض شعرها بعيداً عن وجهها . وشعرت بتوماس وهو يقترب منها فى حرص وحذر لكى يقف إلى جوارها . وكان يعبث بالمسكتة بين أصابعه . وما أن لفظت دافنى الحلمة

عقب آخر جرعة لها [أصدرت الحلمة صوتًا شبيها بـ سكويريل – أوه] حتى سارع إلى سد فمها بالمسكتة . فاستمرت دافنى فى المص والرضاعة . واتخذ توماس وأجاثا خطوة إلى الوراء . ولكن دافنى ظلت ملتزمة بالصمت والهدوء .

وقال توماس فى سعادة " سوز Soosse " وذلك هو الاسم الذى كانت تطلقه أمهم على المسكتة . وأخذت أجاثا حفاضًا نظيفًا من الكومة الموجودة على خزانة الملابس . ثم أمالت دافنى على ظهرها ودفعت بالحفاض فى انزلاق تحتها . لم تكن هناك مشقة بالنسبة للرّجلين . فهذا شيء سهل . ولكن الغائط كان مثيراً للقرف والاشمئزاز . فجعّدت أنفها وقامت بطيّ الحفاض القذر إلى الداخل . وقال توماس " يوك Yuck " وعاد إلى سريره .

وأمسكت بالحفاض وسارت به عبر الصالة إلى الحمام . وقد أبعدته عنها أمامها . ثم أنزلته إلى التواليت وقامت بتحريكه فى حركة دائرية . فتفكك الغائط كله هابطًا إلى التواليت . وشدت السيفون ثم قامت بالحفّ مرة اخرى فى مياه أكثر نظافة جيئة وذهابًا وعلى نحو حالم .

فى بعض الأحيان كانت أمهم تستخدم كلمة Soose وأحيانًا كانت تستخدم كلمة Soother . وربما كانا نفس الكلمة . والناس هنا فى بلتيمور كانوا يستخدمون كلمة مسكتة pacifier وكذلك كان يفعل توماس وأجاثا فى محاولة منهما للتوافق مع البيئة التى يعيشان فيها . ولكن أمهم لم تكن من بلتيمور. إذ كانت تعيش فى منطقة ريفية حيث اعتادوا أن يعيشوا مع والدهم فى منزل متحرك قائم على أربعة عجلات .

ثم حدث الطلاق . وقد حدث هذا الطلاق عندما كان توماس مجرد طفل صغير للغاية . ولذلك فهو لم يكن بمقدوره تذكر تلك الواقعة . وبعدئذ انتقلوا إلى بلتيمور بالسيارة السوداء الطويلة التى تخص المستر بيلينج . وقالت أمهم أن كافة الأمور ستصبح رائعة للغاية . وحصلت على ملابس جديدة كثيرة للغاية . وكانت شقتهم قابعة فوق صيدلية توجد بها كافة أنواع الحلوى . وعندما كان المستر بيلينج يجىء لزيارتهم كان يرسل توماس وأجاثا فى مشوار إلى الشارع بعد أن يعطى دولاراً لكل منهما وبالتالى كانا يستغرقان وقتًا طويلاً فى تحديد أنواع الحلوى التى يقومان بشرائها . وكان توماس يتذكر بالفعل المستر بيلينج . ولكنه لم يكن يحبه كثيراً . وعندما توقف المستر بيلينج عن المجىء تساءل توماس عمّا إذا كان بمقدوره الحصول على الكوز الخزفى البلتيمورى الذى اعتاد المستر بيلينج أن يحتسى البيرة منه فأجهشت أمهم بالبكاء . وانتزعت ذلك الكوز من ماكينة تجفيف الأطباق وراحت تطرق به فى عنف إلى أن تهشمً إلى مليون قطعة . فقال توماس " آسف . آسف . لم أكن أريده حقًا " بعد ذلك كان على أمهم الحصول على مهنة وتركتهما عند المستر ميردال ولكنها تقابلت بعدئذ مع دانى . وعادت إلى طبيعتها السابقة بعد أن تقابلت مع دانى . وفى يوم زواجها قالت إنه يوم زواجهم جميعًا . وقامت بإعطاء أجاثا وردة حمراء صغيرة من بوكيه زواجها .

وقال توماس إن دانى ربما كان والدهما الحقيقى . ولكن أجاثا كانت تعرف أنه ليس والدهما . وقالت لتوماس إن والدهما الحقيقى كان أكثر ظرفًا ولطفًا وجمالاً . وحقيقة الأمر إن دانى كان أجمل رجل شاهدته فى حياتها – بل وأجمل من والدهم الذى لم يكن له روابط كثيرة

معهم وهو بالتأكيد أفضل وأجمل بكثير من المستر بيلينج بخاتميه الماس الثقيلين وبعينيه المتجعدتين واللتين لهما لون النسيج الدنغرى القطنى الخشن . ولكنها كانت تريد لتوماس أن يكون غيوراً على ما كان بمقدورها أن تتذكره . وكان لتوماس ذاكرة رهيبة . وكانت ذاكرة أجاثا بالغة الدقة إذ لم تنسى أىّ شىء على الإطلاق .

فعلى سبيل المثال نسى توماس فى ثلاث مرات منفصلات وفى ثلاثة أيام مختلفة أن دانى قد ذهب إلى غير رجعة ومات . ففى ثلاث فترات صباحية كان يستيقظ من النوم ويقول " هل تعتقدى أن دانى سيعدّ لنا فطيرة التفاح المحلاّة من أجل وجبة الإفطار ؟ " وفى اليوم الأول كان بمقدورها أن تدرك جوانب الموقف لأن أنباء موت دانى كانت لا تزال جديدة للغاية مما جعل كلا منهما غير معتاد عليها . لذلك اكتفت هى بالقول " لا . هل نسيت ؟ لقد ذهب إلى غير رجعة ومات " ولكن اليوم الثانى ! واليوم الثالث ! وكان هذان اليومان من أيام الأسبوع أيضاً أى ليسا من إجازات الأسبوع التى هى السبت والأحد . ولم يكن دانى قد قام بإعداد فطائر التفاح فى أيام الأسبوع على الإطلاق . وسألت توماس " ماذا دهاك ؟ ألا تستطيع أن تدخل هذه الفكرة إلى ذهنك ؟ لقد أُصيب فى حادث تحطم سيارة ومات " فظهرت على وجه توماس نظرة مغلقة من نوع ما . وبدا عليه أنه لم يفتقد دانى بقدر افتقاده لفطائر التفاح المحلاة . وهذا جعلها تشعر بالغضب . لماذا كان ينبغى أن تكون هى الإنسانة الوحيدة التى تتذكر ما حدث . وقالت " لقد ذهب بسيارته لتوصيل إيان إلى منزله وكان علينا أن نبقى بمفردنا . بدون أن نردّ على التليفون وبدون أن نفتح الباب .... "

فوضع توماس يديه على أذنيـه فى إحكـام شـديد . وقالت أجاثا " لذلك عندمـا دق جرس التليفون لم نرفع السماعة . وعندما طُرق على الباب فى عنف لم نقم بفتحه"

فقال توماس : " نى - نى - نى - نى - نى !!"

ولكنها واصلت الكلام بدون توقف " واضطرت أمى إلى الزحف !! فى نافذة ومزقت كمها وكانت منخرطة فى البكاء لأنها كانت تخشى من أن نكون قد تعرضنا للقتـل وبعدئذ دق جـرس التليفون مـرة أخرى ثم ...... "

" توقفى عن هذا . اخرسى ! اخرسى ! "

أرادت لهذه الالحاحات أن تكون بغيضة بالنسبة له . ولم تستطيع أن تقول السبب فى ذلك على وجه الدقة .

كان الماء فى التواليت قد أصبح الآن شديد الاصفرار حتى أصبح من المتعذر عليها رؤية الحفاض . لذلك شدّت السيفون مرة أخرى . وبعدئذ شعرت وكأن شخصًا ما ديكتاتوريًا ومتسمًا بالأنانية يمدّ يده لأعلى ويختطف الحفاض منها فشهقت شهقة خفيفة وتركت الحفاض . فارتفعت المياه لأعلى و لأعلى إلى أن وصلت إلى الحافة . لم يخطر على بالها أن التواليت يعتبر شيئًا مروعًا على ذلك النحو . واندلقت مياه صفراء سميكة على الحافة وانسكبت عبر الأرضية بينما كانت هى واقفة وقد راحت ترقب الموقف فى رعب .

وأخيراً صرخت قائلة " ماما !! ماما !!"

صمت

وانزلق الماء الموجود فى التواليت لأسفل مرة أخرى . فخرجت أجاثا إلى الصالة وهى ترتعد واتجهت نحو باب غرفة نوم أمها . وطرقت طرقة واحدة خفيفة بمفاصل يدها ثم وضعت أذنها على الباب وراحت تصغى .

فيما سبق اعتادا أن يدخلا إلى غرفتها على الفور وبدون تردد أو تفكير . واعتادا أن يلعبا بين مفارش سريرها إلى أن تستيقظ ولكنهما توقفا عن عمل ذلك مؤخراً .

[فى بعض الأحيان يمكن لك أن تعتقد أن أمهما لم تعد متواجدة هناك خلف وجهها] وواصلت أجاثا السير فى الصالة نحو غرفة الأطفال ولدى دخولها إلى الغرفة شاهدت دافنى وهى تتدحرج على بطنها وتسقط مثل حجر من فوق السرير الصغير . فألقت أجاثا بنفسها للأمام فى اندفاع صامت وأمسكت بها – امتلأت ذراعها بطفلة رضيعة مبللة بينما الجزء الأسفل منها عارياً . وهبطت بركبتها الضعيفة إلى الأرضية . وزحفت دافنى بينما كانت لا تزال ترضع فى المسكتة الخاصة بها متجهة إلى علبة الأطفال التى تسمى : عفريت العلبة . وغنى توماس لدميته قائلاً " خالتى أعطتنى خمسة سنتات لكى أشترى كيس طرشى .

وعلى نحو فجائى بدأت أجاثا تشاهد الأمور فى وضوح شديد . إذ كانت مؤخرة دافنى ملوثة باللون الأصفر . وكان قميص توماس ملطخًا بالطعام . وكانت الأرضية مغطاة بلعب الأطفال والملابس المتسخة وكانت توجد حلقة شمام فى طبق تعلوه سحابة من ذباب الفاكهة وكان لبن ينساب على الحائط خلف السرير الصغير .

نهـضت واقـفـة وأمـسكت بدافنى وسـارت فى ترنح نحـو السـرير الصغير مع دافنى وقامت بتغطيتها . ودفعت بحفاض دافنى حولها مع الحـذر الشـديد مع مـشـابك الأمـان ثم رفـعت الدرابزين وأغلقتـه وقـالت لدافنى " عليك بالبقاء هنا " وقالت لتوماس " عليك بإرتداء قميص آخر .

" أى قميص ؟ "

" لا يهمنى . ارتدى أى قميص آخر "

فوضـع الدمـيـة دولكيمار على جـانب مـزمـجـراً وانزلق خـارجًـا من سريره . وبينمـا كـان يفـتـش فى أدراج الخـزانة عـادت أجاثا إلى الحمام وراحت تحرك فوطة على البلاط حول التواليت ثم قامت بـاخفـاء الفوطة فى سلة كبيرة لها غطاء . وذهبت إلى المطبخ وأعادت اللبن إلى الثلاجة . وراح تومـاس يغنى " اللبّـان . اللبّان . اللبّـان . المضيـفة " بينمـا قـامت أجاثا ببسط دفتر التلوين الذى يخصـه على عتبة النافذة وقامت بالتقاط أقلام التلوين الخاصة به من بركة اللبن الموجودة على المنضدة . وكانت قد بدأت تصبغ اللبن بكافة ظلال الألوان المختلفة : الأرجوانى الشاحب والوردى والأزرق . وألقت بها فى سلة المهملات الموجودة تحت الحوض .

وتسـاءل توماس بينما كان يقترب من ظهرها " ماذا تفعلين ؟ " كان يرتدى الآن قميصاً أخضر اللون يتعارض فى اللون مع بنطلونه الشورت الأزرق . وعلاوة على ذلك كان القميص مغلقًا بالزراير على نحو خاطىء .

وقـالت أجاثا له " اغلق الزرايرابتـداء من نقطة البداية " ثم نشـرت قطعة من القماش . وشرعت فى تجفيف المنضدة .

" مالذى فعلتيه بأقلام التلوين الخاصة بى ؟ "

" كانت كلها مبللة وكثيرة الارتشاح "

" لا يمكن لك أن تتخلصى منها "

وبدأ يقلب فى أرجاء صفيحة الزبالة . فقالت أجاثا : " توقف عن ذلك ! لقد انتهيت توا من ترتيب وتنظيف كل شىء مرة أخرى ! "

" من الأفضل أن تعيدى إلىَّ أقلامى يا أجاثا "

فقالت أمهم " هل مازال الوقت بالنهار ؟ "

كانت واقفه فى المدخل وقد ارتدت قميصها التحتانى . وكانت وسادتها قد تركت علامة على إحدى خديها ولم يكن على وجهها أى مكياج . وقالت " لقد ظننت أننا بالليل " وأضافت " هل تلك هى دافنى التى أسمعها ؟ "

" اجعلى أجاثا تعيد إلىَّ أقلامى الخاصة بالتلوين يا أمى "

ولكن أمهم كانت تنجرف فى انسياق متجهة نحو صوت دافنى : " أو هو . أو هو ! "

فقال توماس بصوت هامس لأجاثا " أيتها اللصة ! يا سارقة الأقلام ! "

ووضعت قطعة القماش المبللة فى الحوض وقالت " العصى والحجارة سوف تحطم عظامى ولكن الشتائم لن تفعل ذلك أبداً "

" يمكن إيداعك فى السجن بسبب السرقة "

وقالت أمهم " هل هذه هى حبيبتى دافنى الصغيرة ؟ " وقد رجعت محتضنة دافنى بين ذراعيها " وأضافت : " هل هذه هى حبيبة قلبى ؟ "

وجلست فى كرسى مطبخ ووضعت دافنى فى حجرها . وكان حفاض دافنى جافًا وسائبًا للغاية حتى أنه كان ناتئًا وبارزًا أمام بطنها . وكانت المنضدة نظيفة ولكنها كانت مبللة فى المساحات التى مسحتها أجاثا . كل شىء كان يبدو جميلاً ولكن على نحو هزيل من حيث الأثاث . مثل غرفة تدخل فيها فتحس بشىء ما يهمس ويخشخش منذ نصف ثانية مضت . ولكن أمهم لم تلاحظ ذلك على ما يبدو . راحت تحملق لأسفل نحو دافنى بوجهها الشاحب الخالى من المكياج . وظلت تقول على نحو متواصل " هل هذه حبيبتى دافنى ؟ هل هذه طفلتى الرضيعة دافنى ؟ " حتى بدت العبارة وكأنها تتساءل فى تعجب بالفعل .

وتساءلت " هل هذه هى ؟ هل هى بالفعل ؟ هل هى ؟ " ثم نظرت لأعلى نحو توماس وأجاثا فى انتظار سماع إجابة منهما .

* * *

عندما انتهت أكثر فترات النهار سخونة استعدوا للذهاب فى نزهتهم المعتادة إلى متجر الآلة الكاتبة . وهو شىء بدأوا يفعلونه اعتبارًا من الأسابيع القليلة الماضية . وأصبح هذا بمثابة أسلوب أو نمط . وكانت أجاثا تحب الأنماط وكذلك كان توماس . وقاما سويًا بإخراج عربة الأطفال التى تخص دافنى من دولاب المعطف ثم شرعا فى فتحها

بينما كانت دافنى تراقب الموقف وهى جالسة على السجادة ثم راحت ترفرف بذراعيها لأعلى ولأسفل عندما سمعت صوت العجلات الحاد القصير . ربما كانت هى الأخرى تحب النماذج والأنماط .

وذهبا لكى يعرفا ما إذا كانت أمهم قد أصبحت جاهزة . ولكنها كانت قد أغلقت على نفسها فى غرفة الحمام الخاصة بها . وعندما خرجت كانت مرتدية بلوزتها البيضاء التى تلّف وتُربط على جانب وجونلتها الهندية المنسابة الرطبة . وراحت تنشف أحمر الشفاة الموجود على شفتيها باستخدام ورق نشاف . ثم تساءلت : " كيف أبدو ؟ "

فقال الاثنان لها " أنت تبدين جميلة "

ومن غرفة الجلوس أحدثت دافنى صوتًا مليئًا بالقلق والاهتياج وتنهدت أمهم والتقطت حقيبة يدها وقالت " هيا بنا "

كان الهواء بالخارج ثقيلاً ودافئًا . ولكن الشمس لم تعد على الأقل تضرب فى قسوة شديدة . وكانت أمهم تسير فى الأمام وتدفع بدافنى فى عربة الأطفال الخاصة بها بينما توماس وأجاثا يسيران وراءها . وكان قميص توماس لا يزال مزرراً على نحو خاطىء . وكانت ثياب اللعب التى ترتديها أجاثا تتواثب عند زاوية الانفراج بين ساقيها . واعتقدت أنه كان ينبغى عليها وعلى توماس ارتداء أفضل الثياب أيضًا إذا كانا يحاولان عقد أواصر الصداقة أيضًا مع صاحب متجر الآلة الكاتبة . إلاّ أن هذا لم يخطر على ذهن أمهم على ما يبدو . وفى بعض الأحيان فى الآونة الأخيرة كانت توجد هذه الثقوب والثغرات فى الطريقة التى تفعل بها الأشياء . مثلما حدث فى الليلة الماضية عندما تعرضت

للتوهان والضياع فى منتصف الكلام الذى كانت تقوله ولم تستطيع شقّ طريقها فى الكلام مرة أخرى . إذ كانت تقول " هل تصدق هذا ؟ " وأضافت " هل تصدق إننى عدت إلى .... عدت إلى ..... " وبعدئذ اكتفت بالحملقة فى صمت . وقد تسبّب هذا فى إخافتهما . وبدأ توماس فى البكاء وارتمى عليها . فقالت فى نهاية الأمر " عدتُ إلى لا شىء ". كانت تشبه جهاز تشغيل الأسطوانات الذى ينبغى أن تحركه أو تدفعه بقوة عندما يتعرض الصوت لطقطقة . ثم قالت " أعتقد أنه ينبغى علىَّ الذهاب الآن للنوم فى سريرى " على الرغم من أن الجو لم يكن مظلمًا بالخارج وعلى الرغم من أن دافنى لم تكن قد وضعت للنوم فى سريرها بعد

ومرّوا على المنزل الذى توجد فى فنائه كافة التماثيل – تماثيل الأطفال الصغار العفاريت والغزال الرضيع وصف من البط . وتمنت أجاثا أن تكون هناك تماثيل فى فنائهم ولكن أمها قالت أن التماثيل مبتذلة . وقالت : " حاليًا آخر شىء أستطيع شراءه هو أن أبدو مبتذلة " وكانت تتكلم كثيرًا فى هذه الأيام عن الأشياء التى لا تستطيع شراءها . لأن دانى لم يتركهم فى حالة جيدة من الناحية المالية .

ثم مروا بجوار المنزل الذى به لافتة مكتوب عليها . المسز جودى قارئة الكف – فى مرح يتم إبلاغك بالمصير . ولكن أمهم لم تتوقف عن السير . فشعرت أجاثا بالسرور . إذا كانت المسز جودى كئيبة كما كانت قاعة الاستقبال فى بيتها تفوح منها رائحة كرات النفتالين . ووصلوا إلى المكان الذى تبدأ من عنده الدكاكين والمحلات والمتاجر علاوة على محلات إصلاح الأحذية ومحلات الغسالات الكهربائية .

وعند صيدلية لقمان تباطأ توماس وأجاثا فى سيرهما فى نوع من الأم
ولكن أمهما قالت " لسوف نذهب إلى صيدلية جوينار فى هذه المرة "
وكانت تتردّد على الصيدليات بالتناوب لأنها لم تكن تريد للناس أ
يعتقدوا أنها تشترى كميات كبيرة للغاية من الحبوب . وكان هذا أم
يدعو للأسف لأن أجزخانة لقمان كان لديها إحدى ماكينات اللبان الذ
تختلط مع حليات جميلة من البلاستيك . وواصل توماس وأجاثا سيرهم
فى تثاقل وألقيا نظرة طويلة فى حملقة إلى الوراء .

كانت حركة المرور في هذه المنطقة أكثر كثافة كما أن عاد
السيارات جعل الحرارة تبدو أكثر سوءًا . وظهر على توماس شارب مر
العرق ملطخ . حتى رنين كعب حذاء أمهم كان يطلق شيئًا شبيهًا بسكين
تقشير حادة فى داخل رأس أجاثا .

وفى شارع جوفانز رود الطويل كانت واجهة محلات تجهيزات
المكتب لصاحبها رامفورد وأولاده تشغل نصف بلوك تقريبًا . ووقفوا فى
مواجهة هذه المحلات فى انتظار تغير لون إشارات المرور . وقال توماس
" ألن يكون من الملائم لو أن محلات الآلات الكاتبة كان بها ماكينات
للبان ؟ "

فقالت أمهم " هذه المحلات لاتوجد بها ماكينات للبان . ولا أريد
منك أن تسأل "

" لم أكن بصدد السؤال "

" عليك فقط بالالتزام بالهدوء الشديد لكى لا أندم على إحضارك معنا "

فى الأيام الماضية لم تكن بحاجة لأن تصطحبهم معها إلى الأماكن المختلفة أو لم تكن مضطرة إلى ذلك وكانت تقول " أوه أود أن أقول لكم أننى متوترة ! " أو تقول " إننى بصدد الإصابة بحمى القش " وكانت تطلب من إيان أو المسز ميردال الجلوس مع الأطفال لأنها فى تلك الفترة كانت قادرة على تسديد الأجر اللازم لذلك . وبذلك كانت تمضى فترة ما بعد الظهر كلها بالخارج وتعود إلى منزلها وهى سعيدة وترى أطفالها ما اشترته لهم من أشياء جميلة – قضبان من الحلوى وقطع الكرمله الملتصقة فى نهاية عود . بل وفى بعض الأحيان لعب أطفال إذا كان حجمها صغيراً للغاية بحيث يوضع فى داخل حقيبة يدها . ولكنها الآن أصبحت مضطرة لأن تصطحبهم الثلاثة إلى كل مكان تذهب إليه . بل وكانت تأخذهم معها فى حالة ذهابها للطبيب وعندما كان ينادى على اسمها لكى تدخل إلى غرفة الكشف كان على أجاثا أن تشرف على الاثنين الآخرين . وكانت أجاثا تسأل وهى تعرف بالفعل الإجابة على تساؤلها " ألا يمكن لنا العودة إلى الحصول على جلساء للأطفال ؟ " وكانت الإجابة هى : " لا . لا نستطيع . واجهى الحقائق يا حبيبة قلبى . فنحن الآن فى دائرة الحقيقة الواقعية يا حبيبتى " وكانت تلك هى العبارة المفضلة التى تقولها عادة أمهم . وكانت أجاثا تكره سماع تلك العبارة وعندئذ كانت تغطى أذنها مثلما يفعل توماس ولكنها عندما ترفع يديها عن أذنيها تلاحظ أن أمها مازالت تتكلم " هل تعتقدون أننى أود أن تكونوا بصحبتى فى كل ثانية ؟ أتعتقدون أننى لن أترككم فى أى وقت تساورنى فيه هذه الفكرة ؟"

كانت أمُّهم تحبهم بالفعل ولكنهم ظلوا يعملون على جعلها لا تشعر نحوهم بالحبّ . وذلك هو ماقالته لهم بالفعل . إذ قالت لهم " أنتم تريدون لي أن أتخلى عنكم وأهجركم ولكنى أرفض أن أفعل ذلك " .

وفى كل مرة تقول فيها هذا الكلام كان توماس يمسك بجزء صغير من ملابسها بالجزء السفلي القريب من خط الحاشية مما يجعلها لا تلحظ ذلك .

وتحول ضوء إشارة المرور إلى اللون الأخضر فعبروا الشارع . وعندما دخلوا إلى المتجر أحدق بهم الهواء البارد - هواء منعش وبارد ومحبب للنفس ومتطاير فقالت دافنى " آه ! " مما جعل والدتهم تضحك .

ألم يكن تغير حالتها النفسية بشكل سريع أمرًا عجيبًا !! أن تضحك على ذلك النحو مطلقة أفضل ضحكة مبحوحة نابعة من الحلق لديها فى نفس اللحظة التى دخلت فيها من الباب . بل ولم يكن رجل الآلات الكاتبة مصغيًا ولكنه سرعان ما اقترب وقال " يا لها من مفاجأة عظيمة ! أنت موجودة هنا ! " وظهرت عليه البهجة الشديدة . كان رجلاً أشقرًا شاحبًا وله بشرة تتورد عندما يبتسم . ثم سأل أمهم " ما الذى جعلك تخرجين فى مثل هذا الجو الحار من فترة ما بعد الظهر ؟ "

فقالت " أوه كنا فقط نتريض فى نزهة " ثم ظهر عليها الخجل والارتباك على نحو فجائى وأضافت " كنا نمر بالقرب من هنا فقلت [ألا ينبغى علينا أيها الأولاد أن نزور صديقى صاحب الآلات الكاتبة] "

فقال "أنت لا تريدين لى على الإطلاق أن أشعر بأنك لا تهتمين بى"

ثم نظر لأسفل نحو أجاثا . فردت عليه بابتسامة عميقة للغاية كاشفة عن أسنانها .

كانت صالة العرض مليئة بالمكاتب . وإلى كل مكتب يجلس طابع على الآلة الكاتبة . وبعض الآلات الكاتبة كانت ضخمة ومعقدة وكهربائية والبعض الأخر كانت به لوحة مفاتيح عادية يدوية . لو كان الأمر بيد أجاثا لكانوا قد حصلوا على آلة كاتبة يدوية . فتلك الآلات اليدوية كانت تبدو أكثر سهولة . ولكن أمهم اختارت آلة كاتبة كهربائية لها مفاتيح تكاد تزقزق بصوت مرتفع حتى قبل أن تلمسها .

لقد جاءوا لأول مرة إلى هذا المتجر فى فصل الربيع عقب وفاة دانى بوقت قصير . إذ كانت أمهم قد قررت أن تصبح سكرتيرة . حيث قالت لهم " لقد تحملت وصمدت إلى أخر لحظة فى مقهى فيل اير آب كافية . وأنا فى هذه المرة أريد أن أعمل فى وظيفة مكتبية "

ولذلك ساروا ذات يوم فى فترة ما بعد الظهر إلى محلات رامفورد وهناك سألت أمهم سيدة لها شعر ممشط فى خربشة وغير إتقان عمَّا إذا كان بإمكانها أن تستخدم ماكينة لكى تتعلم الكتابة على الآلة الكاتبة . فقالت السيدة " تتعلمين ماذا ؟ " فأوضحت أمهم أنها تريد الجلوس إلى الآلة لمدة ٢١ يوم فقط لكى تعلم نفسها الكتابة من خلال كتاب يسمى " الكتاب باللمس من خلال اثنى عشر درسًا سهلاً " ووعدت بأن يكون أطفالها الثلاثة هادئين مثل الفئران . فقالت السيدة " يا حبيبتى . هذه ليست كلية للسكرتارية "

فصـــاحــت أمــهــم " حســنًـا . ألا تعتــقـدين أنني أعرف ذلك ؟" وأضـافت " ولكن كـيف يمكن لى الذهاب إلى كلية حقيقية للسكرتارية . وكيف يمكن لى تحمل مصاريفها ؟ وما هى المصاريف التى تتوقعين لى أن أدفعها ؟ ومن الذى سيرعى أطفالى أثناء غيابى "

" يا حبيبتى .... "

" ليس أمـامى سوى اللجـوء إلى هذه الطريقـة . هل تفـهـمين ؟ فـأنا بحاجة للعثور على عمل من نوع ما . أنا بحاجة للعثور على وظيفة "

وعندئذ جاء الرجل المسئول عن الآلات الكاتبة .

وتسـاءل " ما هـى المشكلة هنا ؟ " فظهر الارتياح على وجه السيدة وقـالت " هذا هو المستر رامفورد صـاحب هذا المحل . ويمكن له أن يرد على جميع أسئلتك " ثم سـارت مبتـعدة . وكـان المستر رامفـورد أكثر تعـاطفًا . ليس من حيث أنه ترك والدتهم تنفذ خطتـها [فـهو فى حقيقة الأمر لم يكن سوى ابن صـاحب المحل كمـا أوضح أن ذلك الموضـوع من شأنه أن يفجر غضب والده] ولكنه أعجب بجرأتها وشجاعتها واقترح عليـها أن تستـأجر آلة كـاتبة . إذ يمكن لهـا أن تستـأجرها من نفس هذا المحل وتمارس الكتـابة والتمرينات فى منزلها . فقـالت أمـهم " اوه . تلك الفكرة لم تخطر على ذهنى أبداً " ثم استـخـرجت منديلاً ورقيًا كلينيكس من جيبها و مخضت أنفها .

وكـان الرجـل قـد قـال " أتعـرفـين مـا أوصـى بـه ؟ " وأضــاف " أننى أوصـى أن تأخذى آلة كـاتبة كهربائية انظرى إلى تلك الأظـافر الجميلة !

وأنت لا تريدين الآن إتلاف أظافرك . أليس كذلك ؟ " وحــاولت أمهـــم أن تبتسم .

وقال لها " فأنت تضطرين إلى الطرق بقوة على الآلة الكاتبة اليدوية " وأضاف " وذلك هو السبب فى أن كاتبات الاختزال المحترفات يكون لهن أظافر قصيرة قبيحة متخذة موقف المقاتل " .

فقامت أجاثا بإخفاء يديها خلف ظهرها . ونظرت أمها فى تفحص فى عـــينـى رجـل الآلات الكاتبـــة وتسـاءلت :" ولكن ألن تكون الآلة الكهربائية أغلى ؟ "

" أغلى بمقدار بنسات فى اليوم ! مجرد بنسات قليلة "

" والكهربائية ثقيلة أيضًا . أعنى أنها أثقل وزنا من الآلة العادية . وأنا لستُ .... أعنى أننى أعـيش بمفـردى . فليس لدى أى شـــخص يستطيع حمل الأشياء "

فقال " إننى سأحضرها إليك بنفسى عقب انتهاء العمل "

" أنت ستفعل ذلك بنفسك ؟ "

فقال لها" يسعدنى أن أفعل ذلك . دعينى أريك الآلة التى تعجبنى " ثم سار ليقودها بين أرجاء صفوف المكاتب .

وكانت الآلة التى تعجبه معدنية وزرقاء اللون ولها حبل سميك للغاية لدرجة أنه عندما أحضرها فى ذلك المساء لم يكن هناك أى قابس يصلح لها سوى ذلك الموجود خلف الثلاجة . وكان عليه أن يحرك الثلاجة

ويجذب منضدة المطبخ بعض الشيء حتى يمكن توصيل الحبل وعندئذ تضرم وجهه باللون الأحمر فأجلسته أمهم وأحضرت له زجاجة من البيرة . وبينما كان يحتسى البيرة أوضح لها المزايا والملامح الخاصة لهذه الآلية – ترجيع كهربائي والمفاتيح التى تكرر . فقالت أمهم له " لك منى جزيل الشكر " وأضافت " أدرك أن المسز رامفورد تعمل بكل تأكيد على الإبقاء على عشاءك ساخنًا "

فقال " إننى ساندهش للغاية لو فعلت هى ذلك "

وأضاف " فنحن نتخذ حاليًا إجراءات الطلاق " وبعدئذ وضع أصابعها بالطريقة السليمة على المفاتيح – وهو ما سماه ب_" القاعدة الأساسية " – وعلمها كيف تكتب : ولد حزين مجنون a sad mad lad مما جعلها تضحك . ولَدَى انصرافه أعطاها بطاقته لكى تتصل به تليفونيًا وتسأل عن أىّ استفسارات .

وفى تلك الليلة قطعت شوطًا طويلاً وانتهت من الدروس الخمسة الأولى فى جلسة واحدة . واستيقظت أجاثا فى الظلام فسمعت طقطقة المفاتيح وعندما خرجت إلى المطبخ قالت لها أمها " انظرى : لقد قطعت مسافة طويلة للغاية ! ووفق هذا المعدل سأصبح خبيرة وممتازة فى وقت قصير للغاية " ورجعت أجاثا إلى سريرها واستغرقت فى نوم عميق لم تشهد مثيلاً له منذ أسابيع

وفى صباح اليوم التالى كانت منضدة المطبخ مغطاة بأوراق الكتابة على الآلة الكاتبة : past rat sat hat و pop had a top وقامت أجاثا

بصب كوكاكولا فى كوب و أضافت ملىء ملعقة من البن الفورى الذوبان فى الماء [وهذه هى الطريقة المفضلة لدى أمها لكى تواجه الحياة فى نشاط] . وحملت الكوب إلى غرفة النوم . كانت أمها نائمة فى قميصها التحتانى وقد وضعت ذراعًا على حافة الحاشية على نحو متدلى مما جعلها تبدو مثل تلك الأوقات التى كانت تجد فيها متاعب فى الاستيقاظ . ولكنها فتحت عينيها لدى سماعها رنين الكوب على الكومودينو ووجهت الشكر لأجاثا فى وضوح شديد . وأمضت الفترة الصباحية فى التمرين ابتداء من الدرس السادس حتى الدرس الحادى عشر بينما اضطلعت أجاثا - والتى سمح لها فى هذه المرة بالتغيب عن المدرسة بدون إذن - بمهمة الإشراف على توماس ودافنى . وذهبت أمهم فى تقديراتها إلى أن الدرس الثانى عشر ليس له أهمية كبيرة إذ كان لا يضم سوى الأرقام التى لا تشكل أهمية اللهم إلا إذا كانت ستضطر للعمل فى أعمال حسابية أو شىء من هذا القبيل وهو أمر لم تكن تخطط له بكل تأكيد . إذ كانت تخطط للعمل فى إحدى مكاتب المحاماة الموجودة فى وسط المدينة . وبحيث تجلس إلى مكتب جميل فى غرفة الاستقبال عليه أزهار فى فازة وبحيث ترد على المكالمات التليفونية بصوت لا- دى - دا ونكتب الخطابات على الآلة الكاتبة بينما الزبائن يجلسون فى انتظار دورهم فى حجرة الانتظار . وأوضحت الشكل الذى يمكن أن تبدو عليه - أنفها مرتفع لأعلى فى تشامخ وكبرياء فى الهواء بينما أصابعها تضغط فى أناقة ورشاقة على المفاتيح كما لو كانت المفاتيح ساخنة للغاية . كانت لا تزال مرتدية برنس الحمام ولكن كان بالإمكان أن تدرك أنها ستصبح ممتازة .

وفى وقت الغذاء تقريبًا فى ذلك اليوم ساروا إلى حارة كولد سبرنج لين واشتروا جريدة . وكانوا معتادين فيما سبق على وصول الجرائد إلى منزلهم ولكن لم يعد بمقدورهم الآن تحمل التكاليف المالية اللازمة لذلك . وأوضحت أمهم أنهم بمجرد استئجارها أو إلحاقها بوظيفة ما فإنهم سيعودون مرة أخرى إلى أسلوب توصيل الجرائد إلى منزلهم ويجلسون حول مائدة الإفطار وينهمكون فى قراءة خرائط البروج التى تكشف الطوالع [حظك اليوم] قبل أن تذهب هى إلى مكتبها . ولكن فكرة هبطت على ذهن أجاثا . فقالت " ولكن من الذى سيجلس معنا يا أمى "

فقالت أمها " سوف نجد حلاً لهذه المشكلة عندما نصل إليها " وأمالت عربة الأطفال على جانب لكى ترفعها إلى رصيف المشاة .

" على أى نحو نجد حلاً ؟ "

" لسوف نتدبر الأمر يا أجاثا . مفهوم ؟ "

" أنت لن تتركينا بمفردنا تحت مسئوليتنا . أليس كذلك

"هل سبق فى أى وقت من الأوقات أن تركتكم بمفردكم ؟"

ففتحت أجاثا فمها لكى تتكلم ولكنها غيرت رأيها وأغلقت فمها . ونظر توماس لأعلى نحوها . وكانت عيناه مليئتين بالدموع .

فقالت أجاثا له " توقف عن ذلك " .

فوقف فى منتصف رصيف المشاة وتجعد وجهه فى انهيار .

فتساءلت أمهم " ماذا فى الأمر ؟ " ثم استدارت لكى تحملق فيه .

فقالت أجاثا موضحة الأمور "إنه فقط .... يشعر بالحزن والاكتئاب" . لم ترغب في تذكيرها بداني .

وفي المنزل قامت أمهم بنشر الجريدة عبر منضدة القهوة . ووضعت دائرة حول كل إعلان يتعلق بالسكرتارية . وأوضحت أن المشكلة ليست في العثور على وظيفة وإنما في اختيار نوع الوظيفة . وقالت " لو كنت قد عرفت أن هذا الأمر سهل للغاية على هذا النحو لكنت قد فعلته منذ سنوات مضت " . وبعدئذ وأثناء استسلام دافني لسنة من النوم أخذت الجريدة واتجهت إلى تليفون غرفة نومها . وهمس صوتها لبعض الوقت : " دا – داه ؟ دا – دا – دداه ؟ دا – دي – داه – دا ...... " وأخيراً فترة هادئة طويلة . ونظر توماس وأجاثا إلى بعضهما البعض . وكانا يشاهدان أوبرا الصابون مع إغلاق الصوت تماماً . وأخرج توماس أصبع إبهامه من فمه وقال " هيا بنا نذهب لنرى ماذا في الأمر"

لذلك ذهبت أجاثا لكي تطرق على باب أمها في خفة . لا إجابة . فأدارت الأكرة وحملقت من خلال الفتحة الضيقة . كانت أمها جالسة ومستندة بظهرها عى لوحة مقدم السرير مع وضع التليفون في حجرها . وكانت تحملق في الفراغ .

فقالت أجاثا " ماما ؟ "

" هـ م م م ؟ "

" هل عثرت على وظيفة ؟ "

" يا أجاثا . هل أنت مضطرة لإزعاجى ومضايقتى على نحو متصل ؟ ألا يوجد أى مكان فى هذا المنزل أستطيع الجلوس فيه فى سرية وعلى نحو خصوصى ؟ "

فقالت أجاثا " ربما تعثرين على شىء ما غدا "

فقالت أمها " حسنًا . حتى لو كان يوجد شىء ما غدًا فإننى سأخسر الجولة بمجرد أن أذكر لهم الحقيقة فهؤلاء الناس يريدون منك أن تكذبى . يريدون منك من الناحية العملية يرجونك أن تكذبى . يريدون منك أن تقولى [لدى ٣٠ سنة من الخبرة] حتى ولو كان عمرى لا يزيد عن خمس وعشرين سنة "

" هل أحضر لك كوك يا ماما ؟ "

" لا . دعينى فقط أنجز هذا الموضوع . سوف أجرب مع اثنين آخرين "

والآن ما كان يسمعانه متراميًا من غرفة المعيشة كان أعلى وأكثر حزما ولكن لم يكن من السهل فهم ومعرفة المعنى أكثر من ذى قبل " داه – دا . داه – دا – دا " وعندما جاءت لتقف فى المدخل انفرجت أساريرها فى ابتسامة وقالت " لقد تمكنت من تحديد مقابلة شخصية "

وأدركا أن هذا الشىء جدير بتهنئتها عليه بل واحتضناها فى سعادة .

وفى ذلك المساء راحت تمارس وتتمرن على الكتابة على الآلة الكاتبة . اندفاعات صغيرة من الطقطقات تليها لحظات من التوقف عندما تضطر

لأن تكتب حروفًا استهلالية كبيرة . وجعلت أجاثا تتصل تليفونيًا بدكان بيتزا باسينجار رغم أنها لم يكن بمقدورها سداد الثمن . وفى صباح اليوم التالى اصطحبتهم للبقاء في منزل الجدة بيدلو أثناء ذهابها لأداء المقابلة الشخصية وتساءلت الجدة بيدلو "أليس لدى أجاثا مدرسة اليوم ؟" ولكن أمهم قالت " لقد كانت تعانى من ألام وصداع فى رأسها . ورمقت أجاثا بإحدى نظراتها السرية – ليس على شكل غمزة بالعين ولكن على نحو أقرب إلى الوميض وبدون تحريك عضلة واحدة . ثم انطلقت إلى محطة الأتوبيس وقد ارتدت البدلة الوردية التى كانت قد ارتدتها فى ليلة زفافها إلى دانى . فقالت الجدة بيدلو " إنها مهندمة أكثر من اللازم وعلى نحو لافت للنظر " وكان بإمكانك أن تدرك أن تلك العبارة قد جعلت توماس يشعر بالهم والقلق . إذ دفع بأصبع إبهامه إلى فمه وألقى نظرة على أجاثا . ولكن أجاثا أدركت أن أمهم كانت تبدو أنيقة وهى تهبط على السلالم الأمامية بينما شعرها متفكك ومتدلى على كتفيها مما جعلها لا تهتم بتعليقات الجدة ونظرات توماس . وكانت الجدة بيدلو مرتدية بنطلونًا فضفاضًا بالإضافة إلى قميص رجالى مربع النقش بينما الجلد تحت عينيها قد أصبح متدليًا للغاية منذ موت دانى .

وعندما عادت أمهم كانت تمشى فى مزيد من البطء وتساءلت الجدة بيدلو " كيف سارت الأمور يا عزيزتى ؟ "

فقالت أمهم " على ما يرام"

" حصلت على الوظيفة ؟ "

"لسوف نرى "

" متى سيخبرونك ؟ "

فقالت أمهم " ربما بعد فترة قصيرة " وبدا عليها وكأنها لم تحرك شفتيها أثناء التكلم .

ولم ترغب فى البقاء من أجل تناول طعام الغذاء و أشارت إلى أنها ينبغى عليها الرجوع إلى منزلها من أجل زجاجة الرضاعة التى تخص دافنى . فقالت الجدة بيدلو للأطفال " وهذا هو الذى جعلنى أعتقد أن العمة كلوديا بارعة وذكية لأنها ترضع أطفالها من ثديها " فاستدارت أمهم حولها عقب وضع دافنى فى عربة الأطفال وقالت " حسنًا . أنا لا أرضع أطفالى من ثديى ولا أنوى البدء فى ذلك الآن ! " .

فقالت الجدة بيدلو "ولماذا ! لوسى ؟ كل ما كنت أقصده هو ...."

" بعض النساء يتسببن فى جعل أنفسهن مترهلات فى ارتخاء ولكنى لا أملك ذلك الترف وتلك الرفاهية . ولا أستطيع أن آخذ أى شيء فى هذه الحياة على أنه شيء مسلم به وهذا هو ما تعلمته . وإذا كان هناك شيء واحد تعلمته من هذه الحياة فهو ذلك الشيء . وهل تعتقدين أننى أستمتع بهذا ؟ وانتبه إلى وزنى وأطلى أظافرى وأتطلع دائمًا إلى تكوين علاقات ؟ "

" تكوين علاقات ؟ "

فقالت أمهم " عليك بنسيان هذا الموضوع . ولك منى جزيل الشكر على الاحتفاظ بالأطفال لديك لحين عودتى " ثم أمسكت بعربة الأطفال ودفعتها عبر الباب .

وأثناء العـودة إلى المنزل لم تتكلم . أو تكلمت ولكنـهـا كـانت توجـه الكلام لنفسـهـا . حيث همست ذات مـرة قـائلة " النفـاجـون الذين يقلدون من هـم أرقى منـهم " . وسـارت فى بطء وتشـامـخ خلف عـربة الأطفـال لبعض الوقت ثم همست قائلة " المغرورة . المعجبة بنفسـها " . وفى بادئ الأمـر اعتقدت أجاثا أنها كانت تقصـد الجدة بيدلو [التى لم تكن تبدو نفاجة أو مغرورة على الإطلاق] لكن بعدئذ قـالت أمـهم " قـولى لنا فقـط مـا هى عـلاقـة [عـدد الكلمـات فى الدقـيـقـة] بأى شـىء ! " لذلك أدركت أجاثا أن كلامها كان يتعلق بشـخص ما فى المقابلة الشخصية .

وفى المنزل تركت أمـهم دافنى فى عربة الأطفال فى منتصف المطبخ أثناء قيامها بالاتصال تليفونيًا برجل الآلات الكاتبة . وقـالت على الفـور داخلة فى الموضـوع مـبـاشـرة " يمكن لك المجىء لكى تأخـذ الآلة الكاتبـة التى تخصك وأضـافت " يسعدنى أن تنقلها من عندى . ماذا ؟ أنا لوسى بيدلو . لقد أحضـرت لى آلة كاتبة مركة سميث / كورونا منذ يومين "

ومن المؤكـد إنـه قـال كـلامًـا . إذ توقـفت هـى عن الكـلام . وبدون أن تبتسم أصـدرت صـوت ضـحكة قـصـيرة ثم قـالت " اوه . حقًا . يا له من شىء يُقال "

فترة صمت أخرى .

وضـحكة أخرى ولكنهـا ضـحكة حـقـيقـية فى هذه المرة وقـالت " أنت بكل تأكيد تعرف كيف تزيح الاكتئاب عن الشـخص وتُدخل عليه البـهجة والإشراق "

وبعدئذ جلست على كرسى المطبخ وحدثته عن الفترة الصباحية الرهيبة التى مرَّت بها وعن المرأة المسئولة عن توظيف الناس والتى كانت تتصرف فى غرور شديد وتشامخ وعجرفة واستهتار وطيش .. وطلبت منه أن يتكرم بالمجيء لكى يحصل على الآلة الكاتبة الخاصة به . وأوضحت أنه كان ينبغى عليها أن تدرك أنها ليست من النوع الذى يصلح للعمل فى مكتب .

وجاء عقب انتهاء العمل . وظل متواجداً لكى يتناول طعام العشاء . إذ أعدّت له أو مليت أو عجة بالبيض . ووضعت له شمعتين من الشموع الأقل انحناءً فى وسط المنضدة . فقال عقب تذوق أول قطعة " هذا لذيذ الطعم " .

فقالت " أوه . لا . حقًا . لقد فاجأتنى فى وقت ليس لدى فيه أىّ مواد بقالة . كان ينبغى أن تشاهد ما أعده من طعام عادةً "

ما كانت تُعّده عادة هو كورن فليكس ماركة كيللوج ولكن أجاثا أدركت أنها لم تكن تريد أن تكذب .كان الأمر أشبه بالكياسة أو التهذيب فى القول . والتزم توماس وأجاثا بالسلوك الحسن مع تركيز نظراتهما على أطباقهما .

ولدى مغادرته منزلهم أخذ معه الآلة الكاتبة ولكنه قال لأمهم بأنه لا ينبغى عليها أن تشعر بالاحباط . وتساءل " أتريدين أن تعريفى ما يدور فى ذهنى ؟ " وأضاف " أعتقد أن شخصاً ما سينتهز الفرصة ويستأجر فتاة مثلك . وكل ما عليك أن تفعليه هو أن تنتظرى الفرصة الملائمة

وتبقى على مهارتك فى حالة جيدة . ومن المؤكد أنك لا تريدين التمسك بالآلة الكاتبة هذه ؟ "

فقالت " إننى لا أقدر حاليًا على شرائها "

" سأقول لك شيئًا " إننى سأحتجزها من أجلك . فأنت قد أحببت هذا النموذج . أليس كذلك ؟ ولسوف أبقيها فى صالة العرض لبعض الوقت على أمل أن تغيّرى رأيك "

فقالت " حسنًا . هذا يدل على أنك تراعى مشاعر الآخرين للغاية"

لذلك أصبح لها آلة كاتبة تخصها وموجودة فى محلات رامفورد ، وأبناؤه مما جعلهم يذهبون للزيارة على نحو منتظم . وهى فى بادئ الأمر كانت تكتب على هذه الآلة بالفعل . حيث كانت تجلس إلى المكتب وتثبت للرجل أنها مازالت تتذكر كتابتها السابقة Pat rat sat hat . ولكنها بعدئذ بدأت " تتكلم " فقط عن الآلة التى تخصها . وتساءلت عن كيف كانت آلتها تشق طريقها فى الحياة بدونها فقال إنها تبدو شاعرة بوطأة الوحدة القاسية والاكتئاب فضحكت وغيّرت موضوع الحديث . وفى هذا اليوم على سبيل المثال ناقشت الطقس . وأشارات إلى أن بعض الناس يكون لديهم حظٌ سعيد لأنهم يعملون فى مبنى مكيّف الهواء كما أوضحت أنها تنام بدون أن يكون هناك شيء يُبرِّد جسدها باستثناء مروحة كما أشارت إلى أنها تضطر لأن تخلع ثوبها النسائى الفضفاض فى منتصف كل ليلة بسبب حرارة الجوّ . وراحت تدفع عربة الأطفال لمسافة بوصات قليلة إلى الأمام ثم إلى الخلف وتكرر ذلك مرات عديدة

مع التكلم بصوت بطيء مبحوح مع الانطلاق في الضحكات من وقت لآخر كلما قال رجل الآلة الكاتبة شيئًا مضحكًا .

وزحف توماس تحت مكتب وقال لأجاثا أن ذلك المكان هو منزله . وكانت الآلة الكاتبة فوق قمة المكتب صغيرة وجذابة للغاية مما جعل أجاثا تطرق بشدة على المفاتيح . وكان عليها أن تطرق بشدة بالفعل لأنها لم تكن كهربائية . فاشتكى توماس من الضجة والضوضاء . وقال : " هذا منزلي . وعليك بالذهاب إلى أى مكان آخر " فتظاهرت أجاثا بأنها لم تسمع كلامه . وراحت تكتب : أجاثا دين تبلغ من العمر سبعة سنوات بلتيمور مريلاند الولايات المتحدة الأمريكية . فصرخ توماس " توقفى عن إحداث تلك الضوضاء فوق سقفى " ثم قفز لأعلى فارتطم رأسه بالمكتب . وعندما سمعت أمه بكاءه قطعت كلامها والتفتت وقالت " أوه . توماس . ما هذا الذى تفعله الآن ؟ " ولكن لم يظهر الغضب والضيق على رجل الآلة الكاتبة . وقال " ما هذا ؟ زبونان فى حاجة إلى مساعدتى " ثم ساعد توماس لكى يتمكن من الخروج من تحت المكتب . وأضاف " أتريد أن أريك شيئًا ما يا سيدى ؟ ألديك سؤال تريد منى الإجابة عليه ؟ "

فتوقف توماس عن البكاء وراح يحك قمة رأسه . وقال " حسنًا" وراح يفكر للحظات . ثم قال : " أتعرف كيف يكون للناس تلك الأوردة الدموية فى كل ذراع ؟ "

" أوردة دموية . آه ..... "

" إذن لماذا تنزف الدماء من أى مكان تثقبه ؟ ألا تعتقد أن هناك أماكن لا تدمى و لا تنزف أبداً ؟ "

" آه .. حسنًا ... "

فقالت أمهم " إننى أعتذر لك عن هذا . لقد وعدانى بأن يسلكا سلوكًا حسنًا . هيا يا أطفال سوف أصطحبكم إلى المنزل "

فقالت أجاثا " لا . يا ماما . لقد التزمت بالسلوك الحسن " لم تكن ترغب فى ترك هذا المكان المكيف الهواء .

ولكن أمهم قالت " لقد سعدت بالتحدث معك يا موراى "

فقال الرجال " سارعى بالمجىء إلينا مرة أخرى . أوكى ؟ " ثم اصطحبهم إلى باب الخروج . وأدركت أجاثا أنه كان يشعر بالأسف وهو يشاهدهم لدى انصرافهم .

وبالخارج وعلى رصيف المشاة بدأت أمهم فى الدندنة و الترنّم . كانت تهمهم بأغنية [وردة رامبلين] أثناء وقوفهم فى انتظار تغير ضوء إشارة المرور ثم اصطحبتهم إلى أجزخانة إنقاذ الحياة لصاحبها جوينار . ومرت بأصابعها فى بطء عبر كاونتر الحلوى ثم أسقطت لفافتين فى حقيبة يدها . وغمزت بعينيها لتوماس وأجاثا . فضحكا فأشاحت ببصرها على الفور نحو مكان آخر كما لو كانت لم تتقابل معهما على الإطلاق .

وبينما كانت تبحث عن روشتتها راحت أجاثا تهزّ عربة الأطفال لأن دافنى بدأت فى الإهتياج والقلق .

و بينما أخذ توماس يجوب الممرات جيئة وذهابًا من أجل التقاط العملات الصغيرة الواقعة على الأرض . وكان قد عثر ذات مرة فى صيدلية لقمان على قطعة نيكل قيمتها خمسة سنتات فوضعها فى ماكينة اللبان فحصل على قطعة من اللبان فقط بينما كان يأمل فى الحصول على مجموعة القيود اليدوية البلاستيك الفضية اللون التى هى فى حجم خواتم الأصابع .

وقام صاحب الصيدلية بتوصيلهم إلى الباب وقال " مازال الجو حارًا بالخارج ؟ " فنظر توماس وأجاثا لأعلى نحوه فى ابتسام مع الحرص على أن يبدوان جذابين - وبحيث لا يمص توماس أصبع إبهامه ولا تدع أجاثا فمها ينفتح فى استرخاء - ولكن أمهم قالت "م م هـ م م" ودفعت عربة الأطفال إلى الأمام بدون أن تلقى نظرة أثناء التواجد معها لايمكن لك أن تعرف على نحو أكيد من الذى ينبغى أن تكون لطيفًا معه ومن الذى لا ينبغى أن تكون لطيفًا معه .

وقفت أجاثا عند النافذة الأمامية وأزاحت الستارة وراحت تترقّب ظهور النجم الأول . وفى أوقات الصيف كان عليها الالتزام بالحرص والحذر لأن السماء تظل منيرة وفاتحة اللون لفترة طويلة للغاية مما يجعل النجوم تمتزج إلى حد ما مع المنظر . وكانت أجاثا تعرف كل هذه الأشياء . وفى كل ليلة كانت تنتظر عند هذه النافذة . وفى بعض الأحيان كان توماس ينتظر أيضًا . ولكنه لم يكن حريصًا وملتزمًا للغاية . وأيضًا كان يذكر رغباته بصوت مرتفع رغم أنها حذرته من ذلك مرارًا وتكرارًا . كما أنه كان يتمنى الحصول على أشياء محددة - لعب أطفال وحلوى

وأشياء من هذا القبيل – كما لوكانت السماء بمثابة متجر واحد ضخم تابع لمحلات سيرز وروباك كريسماس .

" أيها النجم الساطع . أيها النجم اللامع . أيها النجم الأول الذى أشاهده فى هذه الليلة ... أتمنى الحصول على عربة لودر لها عجلات حقيقية من الكاوتشوك "

ومن ناحية أخرى كانت أجاثا تتمنى فى صمت بل وبدون استخدام كلمات على الإطلاق . كانت تتمنى فى موجة عميقة من المشاعر الحقيقية الصادقة " يا إلهى اجعل كل شىء يسير على ما يرام وفى الاتجاه الصحيح . يا إلهى اجعلنا نعيش فى أمن وأمان" . ولكن ذلك لم يكن على وجه الدقة هو ما يدور فى داخل ذهنها من انفعالات .

وانتقلت ببصرها من السماء إلى الشارع فشاهدت إيان والجدة بيدلو قادمين على رصيف المشاة . وكان إيان يحمل سلة خاصة بالنزهات الخلوية القصيرة مغطاة بقماش له نقوش مربعة الشكل بينما كانت الجدة بيدلو تحمل علبة كعك . وكانت أجاثا تحب كعك الجدة بيدلو. فقامت بتفتيش أخير سريع على نجمها ثم توقفت عن ذلك وانطلقت بسرعة لكى تفتح الباب .

قالت الجدة بيدلو " هالو . مرحبًا يا أعزائى " وقامت أولاً بتقبيل أجاثا ثم توماس . وكانت هذه هى أول مرة تقوم فيها بتقبيلهما منذ وفاة دانى . وهى منذ وفاة دانى أصبحت ذابلة ومُجفَّفة ومُقصَّرة بل وأصبحت تتحرك فى بطء وتخشب شديد . ولكنها أشارت إلى أن هذا التخشّب

ناجم عن مرض الروماتزم الذى أصابها و أوضحت أن ركبتيها تعملان بطريقة شاذة وغير متوقعة ، و أن المسألة ترجع إلى الرطوبة .

وقالت لهما " انظرا إلى ما أحضرته لكم" وأضافت " لقد أحضرت كعكة اللحوم المشوية مع الكثير من البهارات. علاوة على الدجاج المقلى . أين أمكم ؟ "

" إنها مستغرقة فى سنة من النوم "

" سنة من النوم ؟ "

ثم ألقت نظرة من فوق كتفها على إيان . كان يرتدى أكثر بنطلوناته الجينز تفاهة وشحوباً وقميصًا تى شيرت أبيض اللون : من المؤكد أنه قد انصرف من العمل توا . واعتقدت أجاثا أنه يشبه قطاع الطرق تحت العشرين المتسمين بالوسامة والذين يظهرون فى التليفزيون . وتمنت أن تشاهدها بنات المدرسة وهى بصحبته ولكن لم يكن من المتوقع أن يحدث ذلك على الإطلاق .

وقالت الجدة بيدلو " آمل ألا تكونوا قد تناولتم وجبة العشاء " وأضافت " هل بدأت أمكم فى طهى أى شىء ؟ ومنذ متى دخلت فى سنة النوم هذه ؟ وهل هى عادةً ما تأخذ سنة من النوم فى هذه الساعة ؟ "

ومع كل سؤال كانت تتوغل أكثر فى داخل المنزل .

وواصلت التقدم متخطية كلاً من توماس وأجاثا ومتجهة إلى المطبخ حيث وضعت هناك علبة الكعك على المنضدة والتفتت لكى تنظر فيما حولها .

ثم قالت " أوه إنها لم تبدأ بعد فى الطهى " وأضافت " هذا شىء حسن على كل حال . يا إيان . أفسح مكانًا لتلك السلة على الكاونتر . يا عزيزتى أجاثا . هل لى أن أغسل بعض هذه الأطباق بينما تذهبين أنت لإيقاظ والدتك ؟ "

فقالت أجاثا " أو يمكن لنا أن نأكل بدونها . يمكن لنا أن ندعها تستريح "

" لا . لا .إننى متأكدة من أنها تريد أن تأكل ... أين دافنى ؟ "

فقال أجاثا " فى سريرها الصغير "

" أهى تأخذ سنة من النوم أيضًا ؟ "

" لا . إنها فقط .... لقد وضعتها ماما هناك لفترة قصيرة " فقالت الجدة بيدلو " حسنًا هيا بنا نذهب لكى نحضرها " وأضافت " لا يمكن لنا أن ترك حبيبتنا دافنى بمفردها الآن " ثم سارت بينما يمشى توماس وأجاثا فى أعقابها .

وفى غرفة الأطفال وضعت دافنى أنفها بين قضبان السرير الصغير وراحت تسجع فى هديل مثل الحمام فقالت لها الجدة بيدلو " الو . مرحبًا . يا حبيبتى الحلوة " والتقطتها من السرير . وقالت " هذه الطفلة منقوعة فى السوائل " ونظرت إلى المواد الغذائية المستندة على لوحة السرير الخلفية – زجاجة رضاعة ممتلئة وطبق به شرائح موز مائلة إلى اللون الأسود وإحدى قضبان الخبز التى تحب دافنى أن تعض عليها من أجل أن تنبت أسنانها . فتساءلت الجدة بيدلو " ما هذا كله ؟ هل هذا هو طعام غذائها . أم طعام عشائها ومنذ متى وُضعتْ دافنى هنا ؟

فقالت أجاثا " منذ فترة تتراوح من ١٣ إلى ١٩ دقيقة " وأضـــافت " لقد وضعتُ في سريرها توا بكل صدق وأمانة "

فقالت الجدة بيدلو " حسنًا . لسوف أغير لها الحفاض وألبسها ملابس صغيرة جميلة " [وكان القميص التحتاني لدافني غير نظيف تمامًا علي ما يبدو] . وأضافت " أذهبي يا أجاثا وأنت يا توماس لكي تتناولا طعام العشاء "

لذلك رجعا إلى المطبخ حيث كان إيان يستخرج محتويات السلة ويفض اللفائف . ولم يسألهما عن أجزاء الدجاج التي يفضلانها . وكانت أجاثا بصدد أن تقول إنها تُفضل الجزء الشبيه بالظهر Keel وهي كلمة كانت قد سمعتها في الأسبوع الماضي في مطعم يقدم طعام الصائمين . "أود الحصول على الـ Keel لو سمحت" مهما كان المعنى الذي تدل عليه تلك الكلمة . وتصورت أن عبارتها تلك قد تجعل إيان يتوقف ويلحظها . ولكنه قدّم لكل منهما ورك دجاجة بدون أن ينطق بكلمة واحدة . ثم ذهب إلى الثلاجة لكي يستخرج اللبن . وملأ كوبين وراح يفكر للحظات ثم أنحنى للأمام وراح يتشمم . ثم اتجه بالكوبين إلى الحوض وصب اللبن في الحوض . وجذبت أجاثا قطعة من قشرة ورك الدجاجة ووضعتها في فمها مع الانتظار في تلك الأثناء لترى نوعية المشروب الآخر الذي سيقدمه ولكنه لم يقدم أي شيء آخر . واكتفى بجذب كرسي وهبط جالسًا عليه .

فسأله توماس " ألن تأكل معنا أيضًا ؟ "

ولكن يبدو أنه لم يسمع كلامه .

" إيان ؟ يمكن لك أن تحصل على نصيب أمنا . فأنا متأكد من أنها لن تكون جائعة "

فقال بعد لحظات " شكراً جزيلاً " ولكنه لم يمد يده إلى داخل السلة .

وكانت الجدة بيدلو تكلم دافني . وكانت تقول : والآن ألا تشعرين بالتحسن ؟ " وأضافت " هيا بنا نذهب لكي نرى أمك " .ثم طرقت على باب غرفة نوم أمهم . وسمعوها وهي تدير أكرة الباب وتدخل . " أوه ياه مامي . انظرى إلى من الذى جاء لكي يشاهدك يا أمي "

فأطلقت أمهم إحدى زمجرات نومها .

فقالت الجدة بيدلو " لوسى ؟ أأنت على ما يرام يا حبيبتى ؟ "

مسكينة الجدة بيدلو . إنها لم تكن تعرف أن أمهم اعتادت أن تستيقظ تلقائيًا وبدون أن يوقظها أحد . وأخيراً عادت إلى المطبخ حاملة دافنى فى ثوب خارجى أبيض فضفاض محبوك بالسنارة مما عرض فى تباهى شعرها الأسود . وتساءلت : " أتميل أمكم إلى النوم هكذا حتى الضحى ؟ "

فقالت أجاثا " أوه . لا " وكان يسعدها أن تكون قادرة على قول الحقيقة . وأضافت " إنها سوف تستيقظ مرة أخرى . و لا داعى للقلق عليها . فهى تنهض عقب حلول الظــلام وبعدئذ تظل مستيقظة طوال الليل تقريباً "

وقامت الجدة بيدلو بوضع دافنى فى حجرها . وقالت : " إننى بكل تأكيد آمل ...... " ثم قالت " إننى لا ألقى باللوم عليها على الإطلاق . وأقدر جوانب الموقف ..... " ثم قالت أخيراً " يا أجاثا هل تعتقدى أنها أصبحت مدمنة بعض الشىء ومعتادة على تناول المشروبات ؟ "

" المشروبات ؟ "

" أعنى الكحوليات ؟ زجاجة بيرة أو زجاجتى بيرة أو خمور ؟ "

فقالت أجاثا " لا "

" آمل ألا تنزعجى من تساؤلى . وأنت تعرفين أننى لا ألقى باللوم عليها . ونحن جميعًا نحب تناول قدرًا قليلاً من الكوكتيل من وقت لآخر "

فقالت أجاثا " ماما لا تتناول الكوكتيل "

فقالت الجدة بيدلو فى تنهيدة ارتياح " حسنًا . هذا شىء حسن "

وبدأت تحث توماس فى شىء من الإزعاج على تناول نصيبه من الدواجن وزعمت أنه نحيل مثل العصفور .

وهو بالفعل كان نحيلاً بعض الشىء . ولكنها كانت مخطئة فى رأيها فيما يتعلق بالكوكتيل . فأمهم لم تتناول خموراً فى أى وقت من الأوقات على الإطلاق . وكانت تقول إن تناول الخمور يجعلها تقول أشياء وتفصح عن أسرار .

وهى كانت تقول أيضًا إن الناس الموتى لا يتركونا فى حقيقة الأمر . ولكنهم يتوقفون فقط عن أن يكون لهم أى وزن . ولكن أجاثا لم تعرف

من الذى كان على صواب هنا : أمها أم الجدة بيدلو لأنها عندما سألت الجدة بيدلو عن السبب فى احتياجهم إلى ستة أشخاص لكى يحملوا نعش دانى قالت الجدة بيدلو " ماذا تقصدين ؟ " فقالت أجاثا " ألم يكن بمقدور شخص واحد فقط أن يحمل النعش ؟ وباستخدام أطارف أصابعه فقط ؟ "

فقالت الجدة بيدلو " يا أجاثا . لقد كان رجلاً مكتمل النمو . وكان وزنه ١٧٠ رطلاً " وعندئذ انفجرت أجاثا باكية بالدموع . فقالت لها الجدة بيدلو" تجلدى يا حبيبتى . فهذا قضاء الله وقدره "

وبكت الجدة بيدلو . وقالت " لقد اعتاد أن يقول إنه بصدد أن يكون له كرش وبذلك ينبغى عليه البدء فى مراقبة الأشياء التى يأكلها " وأضافت " ولم يكن يخطر على باله أبداً كيف أن حياته ستكون قصيرة للغاية على ذلك النحو . كان بمقدوره أن يأكل أى شىء يشتهيه ! "

والآن خطر على ذهن أجاثا أن الذى كان له وزن ثقيل للغاية هو النعش فى حد ذاته . وذلك هو السبب فى أنهم احتاجوا إلى ستة أشخاص .

وبعد العشاء قامت الجدة بيدلو بتنظيف وترتيب المطبخ بينما لعب إيان لعبة البرجيس مع توماس و أجاثا . وكان إيان ممسكًا بدافنى على ركبته ومحملقًا لأسفل نحو اللوحة وقد ظهرت على وجهه تعبيرات الحيرة . وعندما تعمد توماس أن يخطئ فى العد لم يلحظ إيان ذلك . فقالت أجاثا لتوماس " أنت غشاش ! " وأضافت " إنه يغش يا إيان "

فقال إيان " حقًا "

" ينبغي أن يكون واقفًا في مواجهتك وعندئذ يصبح بمقدورك أن تفوز عليه في الحركة التالية "

لقد كان أكثر مرحًا في الأيام القديمة .

وعندما انتهت الجدة بيدلو من تنظيف وغسل الأطباق جاءت لتقف في المدخل وكانت مرتدية إحدى مريلات أمهم المزدانة بالورود والتي كانت أجاثا قد نسيتها . وقالت: " لا أستطيع أن أشعر أن ضميري مرتاح إذا خرجت وتركت هؤلاء الأطفال بمفردهم على هذا النحو " .

فهز إيان النرد في يد واحدة مغلقة ثم ألقى به عبر اللوحة : أربعة وستة . فتساءلت أمه : " هل تسمعني يا إيان ؟ "

وراحت أجاثا ترقب وجهيهما في أمل . يمكن لهما أن يبقيا . أرادت أن تقول لهما إنه يمكن لهما البقاء أو اصطحاب ثلاثتهم إلى منزل بيدلو . ولكن ماذا عن والدتهم ؟ "

وقالت للجدة بيدلو " يمكن لك أن تحضريها أيضًا "

" أحضر من ؟ يا عزيزتي ؟ "

" ربما يمكن لك أن تحضرينا جميعًا إلى منزلك . بحيث تجيء أمنا معنا أيضًا إلى منزلك "

وقام إيان بنقل رجل واحد على مدى أربعة خطوات . ثم اتجه بيده نحو رجل آخر .

وقالت أجاثا " لو قمت بلفها فى بطانية فإنها يمكن لها أن تمشى على نحو جيد بعض الشيء " وأضافت : " ضعى قدراً قليلاً من اللبن فى كوب مليء بالكوكاكولا و قومى بتحريك اللبن ودعيها تشربه ثم أمسكى بيدها وعندئذ يمكن لها أن تمشى إلى أى مكان تريدين لها الذهاب إليه"

وتوقفت أصابع إيان فى منتصف المسافة فى الهواء . وتبادل النظرات مع الجدة بيدلو .

وفى نفس تلك اللحظة أحدث وقع الأقدام صوتاً كالصرير فى الصالة وهنا لاحت أمهم وهى تربط حزام الثوب الكيمونو النسائى الفضفاض الذى ترتديه . لقد كان الكيمونو اللامع الرمادى الذى نادراً ما كانت ترتديه . وليس برنس الحمام العادى وبالتالى فمن المؤكد أنها أدركت أنه كان يوجد زائرون . وكان شعرها ممشطاً أيضاً . وكان معقوصاً فى لفات صغيرة غير مضغوطة حول كتفيها وإلى أسفل نحو ظهرها وأسوداً وشبيها بالسحب مما جعل وجهها يبرز فى إشراق . وقدمت لهم أعظم إبتسامة لديها وقالت " أه . أمى بيدلو . وإيان " وأضافت : " هذا شيء مثير للخجل والارتباك الشديد . فأنا قد ضبطت متلبسة بالنوم فى الجزء الأخير من المساء ! ولكنى كنت قد أخذت الأطفال فى نزهة طويلة للغاية فى فترة ما بعد الظهر اليوم وأظن أننى قد أرهقت نفسى لدرجة كبيرة " .

فراح إيان والجدة يتفحصانها فى تأمل وذهول والتزم توماس وأجاثا بالصمت الشديد . ثم قالت الجدة بيدلو " يا إلهى الذى فى السماوات ! تدفعين بعربة أطفال أمامك فى يوم شديد الحرارة كهذا !!

أنت بالطبع تشعرين بالإرهاق الشديد . عليك فقط بالجلوس الآن ولسوف أحضر لك طعام العشاء "

فتنفست أجاثا الصعداء فى ارتياح . وانخرط توماس فى الابتسام أيضًا . وكان له ابتسامة شبيهة بابتسامة أمهم ... نوع من الانحدار فى المنطقة الوسطى . وظهر عليه الارتياح . وشرعت الجدة بيدلو فى التحرك نحو المطبخ ومدّ إيان يده مرة أخرى نحو قطعته فى لعبة البرجيس . وأصبح كل فرد يشعر بالارتياح .

إذًا لماذا شعرت أجاثا بالقلق الشديد على نحو فجائى ؟

* * *

كان الوقت قد تخطى موعد ذهابهم للنوم ولكن أمهم لم تكن قد لاحظت ذلك آنئذ . كانت جاثمة مثل الطائر على كرسى بدون مسند فى المطبخ وكانت تقرأ كتبًا عن الطهى وتمضغ بصوت طاحن إحدى أفخاذ الدجاج التى تركتها الجدة بيدلو على الكاونتر . وقرأت بصوت مرتفع " جولاّش بلحم البقر " . " لحم البقر مع البصل الشبيه باللؤلؤ . شرائح لحوم البقر التى هى على شكل الهلال . يا أجاثا ما اسم طبق لحم البقر الذى حدثتنا عنه الجدة بيدلو ؟ "

فقالت أجاثا وهى تنظر إلى قلم تلوين أصفر اللون : " لا أتذكر "

" لقد كان ملفوفًا فى عجينة بسكويت "

" أتذكر إنها تحدثت عن ذلك الطبق ولكنى لا أتذكر الاسم "

" عجينة بسكويت منثور عليها أعشاب من نوع ما . وقد تناولتها عند جيرانهم "

" ربما يمكن لك الاتصال بها تليفونيًا وتوجيه هذا السؤال لها "

"لا أستطيع أن أفعل ذلك . لأنها عندئذ ستحاول أن تعرف من هو الشخص الذى أصنع له هذا الطبق "

ثم وضعت أمها ورك الدجاجة ومسحت أصابعها فى فوطة ورقية قبل أن تقلب ورقة أخرى بالكتاب . وقرأت بصوت مرتفع " لحم البقر على الطريقة الشرقية "

" ألا يمكن لك أن تقولى إنك تريدين إعداد ذلك الطبق من أجل رجل الآلة الكاتبة؟ "

فقالت أمهم " هذه الأمور شديدة الحساسية وهى أمور لن تفهمينها حاليًا "

وتسبب هذا الكلام فى جرح مشاعر أجاثا بعض الشيء . فقطَّبت جبينها فى عبوس وألقت بقدميها إلى الأمام مما أدى إلى ركل توماس بطريق الخطأ . وكان يغفو فى نعاس على طبق بلاستيك به عصير الجريب فروت . ففتح عينيه وقال فى حدة " توقفى عن ذلك "

وقالت الأم لأجاثا " عليك دائمًا بتقديم اللحوم الحمراء للرجال " وأضافت " وتذكرى تلك النصيحة لكى تطبقيها مستقبلاً "

فقالت أجاثا فى تكرار وفى طاعة و إحساس بالواجب : " اللحوم الحمراء "

" فهذا يدل على أنك تنظرين إليهم على أنهم أقوياء "

" وماذا لو قدمت لهم الأسماك ؟ "

" الرجال لا يحبون الأسماك "

" ومع ذلك فهم يحبون الدجاج "

" حسنًا . نعم "

" إذا قمت بتقديم الدجاج لهم فهل يظنون أنك تعتقدين أنهم يموجون بالخوف ؟ "

فقالت أمها " هـ م م م ؟ "

وقال توماس " أجاثا ركلتني بقدمها " ولكن عينيه كانا ينغلقان مرة أخرى .

فقالت أمها " هذا يدل على اتخاذ قرار بالبدء فى عمل يتطلب الشجاعة " ثم مدت يدها لكى ترفع السماعة فتساءلت أجاثا " أتريدين الاتصال تليفونيا بالجدة بيدلو ؟ "

" لا أيتها العبيطة . أريد الاتصال بالمستر رامفورد "

وراحت تتصل بطريقتها الرشيقة المفعمة بالحيوية والنشاط . من المؤكد أنها تحفظ الرقم عن ظهر قلب . وكانت قد اتصلت فى مرتين سابقتين وأحست أجاثا بهما – مرة فى الصباح أثناء وجوده بالعمل لمجرد أن تتأكد من أنه لم يكن لديه أى شخص آخر ومرة أخرى فى الفترة المسائية ولكنها وضعت السماعة عندما ردّ عليها . كما أنهم قد ذهبوا

شخصياً لكى يعرفوا المكان الذى يعيش فيه . إذ استقلوا أتوبيساً إلى روكستون ولم يكن يوجد بالاتوبيس سوى خادمات ملونات . وحملقوا من النافذة إلى منزله المشيد بالطوب الأحمر . وقالت أمهم فى صوت ملىء بالبهجة " إنه منزل مهجور . ولم يقم أحد بتقليم تلك الشجيرات منذ فترة طويلة للغاية " ثم رجعوا بسرعة إلى المدينة بمفردهم بعد أن خلفوا الخادمات وراءهم .

وقالت أمهم فى سماعة التليفون " هالو . مرحباً ؟ "

ثم تقطب جبينها فجأة .

" هالو هل هذا ... من هذا ؟ "

أصغت . ثم قالت " أنت تقصدين أنك الزوجة المسز رامفورد ؟ "

وبعدئذ قالت " أنا آسفة " ثم وضعت سماعة التليفون .

وقال توماس " أجاثا ركلتنى يا أمى "

وأغلقت أمهم كتاب الطهى وراحت تحملق لأسفل نحوه . وأخذت تمر بيدها فى تمسيد على الغلاف ، بينما الحروف الذهبية كانت مطبوعة فى داخل القماش .

" أمى ؟ "

فقالت أجاثا لتوماس " من الأفضل لنا أن نذهب للنوم فى السرير"

" أنت لست الرئيسة علىَّ ! "

فقالت " لقد حان وقت الذهاب للنوم يا توماس " وجعلت صوتها يبدو حازمًا وصارمًا للغاية

فانزلق نازلاً من كرسيه وتابعها إلى خارج المطبخ .

وكانت دافنى نائمة فى غرفة الأطفال . وقاما بخلع ثيابهما فى الظلام بالإستعانة بالضوء المتسرب من الصالة . وكان توماس يرغب فى ارتداء بيجامة الكاوبوى ولكن أجاثا لم تستطع العثور عليها وأشارت إلى أنه ينبغى عليه ارتداء بيجامة الطائرة بدلاً من الكاوبوى . فارتداها بدون جدل مترنحًا فى أرجاء الغرفة لدى محاولته وضع قدميه فيها .

" ثم أشار إلى أنه يرغب فى التبول . فقالت له آجاثا "

" استخدم حمام ماما "

" ولماذا ؟ "

" عليك بتنفيذ ذلك وبدون أى مناقشة "

وكانت قد أبعدته عن الحمام الآخر طوال فترة المساء . إذ كانت تخشى من حدوث طفح فى التواليت مرة أخرى .

استلقت فى سريرها وجذبت الأغطية لأعلى وراحت تصغى لصوت أمها وهى تتحرك فى أرجاء المنزل . وكان كل صوت يعنى شيئًا ما طقطق صوت التليفزيون ثم أغلق بعدئذ . درج فى غرفة المعيشة يفتح ثم يغلق . رنين طفاية سجاير معدنية مترامى من على منضدة القهوة . كانت أمهم لا تدخن إلا عندما تكون متوترة . وكانت تمسك السيجارة

بطريقة ما خاطئة مع بزوغ أصابعها فى خط مستقيم للغاية . وسمعت أجاثا صوت احتكاك عود الثقاب وصوت أنفاسها المتدافعة المليئة بالإرهاق .

أين كانت توجد الحبوب ؟ ثم ترامت الفرقعة الناجمة عن فتح غطاء زجاجة الحبوب .

على الأقل عندما كانت تأخذ الحبوب فإنها لا تعد تتململ فى قلق عصبى على هذا النحو .

وظهر توماس فى المدخل - شكل أسود / رمادى فى مواجهة الضوء الأصفر . وعبر غير متجه إلى سريره وإنما إلى سرير أجاثا . وكانت قد توقعت منه أن يفعل ذلك إلى حد ما . فزمجرت ولكهنا أفسحت له مكانًا . وكانت هناك رائحة تنبعث من شعره شبيهة برائحة السكر الذى تم تسخينه وتحويله إلى اللون الأسمر فى قدر صغير . وقال " إنها لم تحضر لكى تقبلنا وتقول لنا : تصبحان على خير "

" لسوف تجىء فيما بعد "

" أريد منها أن تجىء الآن "

فقالت أجاثا " فيما بعد "

"وهى أيضًا لم تقرأ لنا قصة "

"سأحكى لك حكاية "

" القراءة أفضل "

"حسنًا يا توماس . لا أستطيع القراءة فى الظلام . أليس كذلك ؟"

فى بعض الأحيان كان يتلاحظ لها أنها تشبه أمها كثيراً . نفس نبرة الصوت المليئة بالثقة ونفس الإجابات المتسمة بالسخط والغضب . برغم أنها فشلت فى أن تشبه والدتها فى آية طريقة أخرى مميزة . ففى حفلة عشاء عائلية قالت الجدة بيدلو " مما يؤسف له أن أجاثا لم ترث عن لوسى هيكل لوسى العظمى "

وقالت أجاثا لتوماس " فى سالف الأزمان كانت توجد هناك خادمة فقيرة مسكينة تسمى ساندريلا "

" لا أريد تلك القصة "

" يحكى أن تاجراً غنياً كان له ثلاث بنات ؟ "

" ولا تلك القصة أيضاً . ولكنى أريد قصة [هدية الحظ السعيد فى عيد الكريسماس] ".

ولم يكن هذا بمثابة مفاجاة لأجاثا [فهو كان يحب الأشياء التى بها سجع مثل : يقضم يقضم مثل فأر من الذى يقضم فى منزلى] ولكن أجاثا كانت تكره [هدية الحظ فى عيد الكريسماس Hhansel and Gretel] إذ لم يكن بها سحر أو جاذبية – ولا أمهات فى العماد من الجن أن ضفادع تتحول إلى أمـراء. وتساءلت " ما رأيك فى قصة [أبيض كالثلج] ؟ فتلك بها مرآة ... مرآة على الحائط ... "

" أريد قصة [هدية الحظ فى عيد الكريسماس] "

فتنهدت وأعادت ترتيب وسادتها . ثم قالت : " وهو كذلك . لسوف تنال ما تريد" وأضافت " فى سالف الزمان كان هانسيل وجريتيل يمشيان فى نزهة ... "

" هذه القصة لا تبدأ على هذا النحو !"

" من الذى يحكى هذه القصة : أنت أم أنا ؟ "

" فى بادىء الأمر يوجد آباؤهما . وأسقاط فتات الخبز . والطيور تأكل كل الفتات . وهانسيل و جريتيل يضلان الطريق ! "

فقالت أجاثا فى همس " اخفض من صوتك ! "

ولكن دافنى ظلت مستغرقة فى النوم . وفى غرفة المعيشة تواصل وقع أقدام أمهم . خطوة وراء خطوة . وحفيف وهسهسة الكيمونو . ثم خطوة وراء خطوة.

فى الليلة التى أعقبت جنازة دانى ظلت تمشى خطوة وراء خطوة حتى حلول الصباح [فى ذلك الوقت لم تكن قد بدأت فى تعاطيها حيويها] وفى اليوم التالى عندما استيقظت أجاثا من النوم وجدت طفاية السجاير مليئة بأعقاب سجاير لها رائحة كريهة للغاية ووجدت أمها نائمة على الأريكة وكانت صورة دانى واقعة على منضدة القهوة القريبة من الأريكة – وهى الصورة التى عادة ما كانت تحتفظ بها على مكتبها ، وكان يضحك تحت مظلة بلاج وكانت عيناه داكنتين ومجعدتين ومليئتين بالحنان والشفقة .

لم تعد أجاثا تفكر فى دانى على الإطلاق .

وقال توماس هامساً " أريد أن أتبول "

" ماذا ؟ مرة أخرى ؟ "

وانزلق خارجًا من السرير . وقام بفك أزرار بيجامته وقال " السبب فى ذلك أننى تناولت كمية كبيرة للغاية من عصير الجريب فروت "

فاستندت أجاثا على وسادتها وطوت ذراعيها وراحت تراقبه وهو يذهب . وتسبب دخان السجاير المتسرب من غرفة المعيشة فى جعل أنفها يحس بشىء من التغضّن فى الداخل . ألم يكن من العجيب أن أعقاب السجاير المطفأة لها رائحة قذرة للغاية بينما السجاير المشتعلة لها رائحة مثيرة وواعدة .

شىء ما خطر على ذهنها فى إزعاج متواصل . فكرة مزعجة لم تستطيع الإلمام بها تمامًا . وبعدئذ لاحظت ما كانت تسمعه : شد السيفون فى التواليت . أوه . لا . فأزاحت أغطيتها وقفزت خارجة من السرير .

ولكنها تحركت بعد فوات الأوان . إذ صرخ توماس : "ماما . ماما !!" وصرخت أمهم " توماس ؟ " وانطلقت قدماها الحافيتان فى اندفاع عبر الصالة . و أصدر ثوبها الكيمونو طقطقة مثل طقطقة النيران

فقررت أجاثا أن تبقى فى مكانها .

وقالت أمها " أوه . يا إلهى " وأضافت " أوه . يا إلهى الذى فى السماوات " .

من المؤكد أنها أصبحت واقفة فى مدخل الحمام .

إذ كان صدى صوتها منعكسًا عن القرميد بالحمام وتساءلت " ما الذى وضعته فى ذلك التواليت ؟ "

" لا شيء . أؤكد لك . قمت فقط بشد السيفون فتدفق الماء طافحًا في كل مكان !! "

" أوه . يا إلهي الذي في السماوات "

وساءلت أجاثا نفسها في تعجب عما إذا كان ذلك التواليت مازال يفيض بالماء طافحًا . ولم تستطيع سماعه وتصورت المنزل وهو يطفح في صمت بالمياه الصفراء الضبابية الناجمة عن حفاض دافني .

وقالت أمهم " اذهب أنت . ممكن ؟ " و أضافت : " ارجع إلى سريرك وامكث هناك . ولا تستخدم أبداً هذا التواليت مرة أخرى إلى أن أستطيع العثور على سباك . هل تسمعني ؟ "

كانت كلمة سباك تبدو متسمة للغاية بالمعرفة أو الذكاء . نعم . بالطبع : كان هناك شخص مهني ومحترف وسويّ يتولى معالجة وإصلاح هذا الوضع وهذا يعني أن هذا الموقف يحدث بالتأكيد لأناس آخرين أيضًا . ثم جذبت أجاثا أغطيتها على جسدها . وراحت تراقب توماس وهو يدخل إلى الغرفة ويمشي في تثاقل وإجهاد نحو سريره . وكان يمشي متكومًا عبر الجزء الخلفي من رقبته مثل رجل عجوز . ثم استلقى في فراشه ومدّ يده للإمساك بدولكيمار واحتضنها وضمها إلى صدره .

ولم يكن من طبعه أن يكون هادئًا للغاية على هذا النحو . وربما خمّن أن تكون حالة التواليت هذه قد نجمت عن خطأ من جانب أجاثا .

وقالت " توماس ؟ "

لا إجابة .

" يا توماس . هل الماء مازال يطفح وينسكب فى تدفق ؟ "

فقال "دو Doe" فأدركت من صوته الذى توقف فجأة أنه كان يبكى . .

" أتريد المجىء للنوم فى سريرى ؟ "

" لا "

وفى الصالة سمعت قدمى والدتهم العاريتين تتجهان نحو غرفة نومها . ثم سادت فترة صمت ثم سمعت صوت حذاء ناشف يترامى مرة أخرى وربما صوت حذاء له رقبة . صوت شىء ما ضخم وثقيل . كلوب – كلوب نحو المطبخ . و كلوب / كلوب فى عودة نحو الصالة . ثم صوت المسح بممسحة عبر أرضية الحمام . حسناً إذن سيتم الاهتمام بكل شىء .

واسترخت أجاثا وتركت عينيها تنغلقان . بل وربما تكون قد نامت بالفعل على مدى دقائق قليلة . إذ شاهدت صوراً تطوف خلف جفنى عينيها – صوراً لإيان وهو يخشخش بالنرد فى يده ثم يلقى بالنرد فى وجهها على نحو مفاجىء مماجعلها تجفل وتستيقظ فجأة من النوم . وفتحت عينيها . كانت الأنوار مازالت مضاءة وكانت تنساب من الراديو احدى اغنيات " البيتلز " وطقطقت مكعبات الثلج فى كوب . وترامى صوت أقدام متجهة نحو الصالة وعندئذ ظهرت الخطوط الخارجية لأمهم فى المدخل . ابتداء من رسغى القدم ولأعلى كانت نحيلة وهشة ولكنها كانت تلبس فى قدميها حذاءً ضخماً أخذته من خزانة دانى . ثم سارت

مقتربة من سرير أجاثا و كانت تجر وتمسح قدميها فى خفة على الأرض لكى لا ينخلع الحذاء من قدميها ثم قالت فى همس " أأنت مستيقظة ؟ "

فقالت أجاثا " نعم "

وأدركت أن توماس غير مستيقظ بكل تأكيد لأن أنفاسه قد أصبحت بطيئة للغاية .

و جلست أمها على حافة السرير . كانت ممسكة بكأس ملىء بالكولا بإحدى يديها وباليد الأخرى زجاجة الحبوب البلاستيك البُنّية اللون المنزوعة الغطاء . وربما كان ذلك هو الذى خشخش فى الحلم وليس نرد إيان وأمالت الزجاجة نحو فمها وابتلعت حبة ثم أخذت رشفة من الكولا . وقالت " هل تصدقين هذا ؟ هل تعتقدى أننى ينبغى على أن أناضل بمفردى فى هذا العالم ؟ "

فتساءلت أجاثا ألن يجىء السباك لكى يقدم يد العون والمساعدة؟"

" كل شىء ملقى على كاهلى "

" ربما الجدة بيدلو تعرف سباكًا "

فقالت الأم " إنه هووارد بلينج مرة أخرى " مما أثار لخبطة على مدى لحظات حيث اعتقدت أجاثا أنها تعنى أن السباك يسمى هووارد بلينج . وأضافت الأم : إنها نفس القصة القديمة . فهم يقولون لك " أنا غير مرتبط . أو يقولون لك : أنا منفصل أو على وشك أن أصبح منفصلاً فى القريب العاجل . وبعدئذ وفى صباح يوم مشرق يصبحون كالسمن

على العسل ومتحابين مع زوجاتهم مرة أخرى . فكيف يتمكن الناس الآخرون من جعل الأمور تسير على نحو دائم للغاية ؟ أهناك شيء ما أفعله أنا على نحو خاطئ ؟ " فقالت أجاثا " لا يا ماما . أنت لم تفعلى أى شيء على نحو خاطئ " .

فألقت أمها بحبة أخرى فى فمها وأخذت جرعة أخرى من الكولا وأصدرت مكعبات الثلج صوتًا شبيهًا بقرع الرياح . ثم رفعت قدما واحدة وكان رسغ قدمها مثل عنق فى حذاء غير ملائم . فقفزت إلى ذهن أجاثا صورة ذهنية عن " كلمنتينا : وصناديق الرنكة والسردين والصنادل كانت من أجل ......

وقالت أمها " ولا عجب من أن الرجال لا يخافون من الأشياء . هل ستشعرين بالخوف إذا لبست حذاء عملاقًا كهذا ؟ " وقالت أجاثا لنفسها فى تفكير : نعم ولكنها لم ترغب فى أن تقول نعم صراحة .

وانحنت عليها أمها لكى تقبلها وتقول لها : تصبحين على خير وتلامست بالثقل الناعم لشعرها على وجه أجاثا . ثم نهضت وغادرت . وأحدث حذاؤها الثقيل صوتًا تخويضيًا متراميًا فى ضعف تدريجى لدى ابتعادها كما أحدثت مكعبات ثلجها رنينًا متراميًا من على مسافة أبعد . فأغلقت أجاثا عينيها مرة أخرى .

وحاولت أن تركب على إيقاع الكلمات المقفاة فى سجع شبيه بالشعر - صناديق سردين الرنكة ليست فى حالة من الفوضى وجونى فوق المحيط وجونى فوق البحر وجونى كسر زجاجة لبن وألقى باللوم علىّ .

وفكرت فى : يقضم فى رفق . يقضم فى رفق مثل فأر . من الذى يقضم فى رفق فى منزلى ؟

وظلت تكرر ذلك فى تركيز . مثل فأر ..... ولكن مهما حاولت وبذلت جهوداً كبيرة لم تستطيع أن تبعد الصورة التى ظلت تتشكل خلف جفنى عينيها . كان هانسيل وجريتيل يتجولان فى أرجاء الغابات وفى ضياع بمفردها وقد أمسكا بأيدى بعضهما البعض وراحا ينظران فيما حولهما . وكانت الأشجار تلوح عالية للغاية فى الأعالى مما يجعل المرء غير قادر على مشاهدة قممها . وكان هانسيل وجريتل بمثابة بقعتين صغيرتين للغاية تحت السقف الهائل الداكن للغابة .

* * *

(٣)

الرجل الذى نسى كيف يطير

بينما كان إيان فى حصة البيولوجيا بالصف التاسع راح يرقب من خلال الميكروسكوب أميبا مُشكَّلة على هيئة بقعة لدى اقترابها من نقطة الطعام والعمل على الإحداق بتلك النقطة تدريجيًا . وبعدئذ واصلت التحرك وعلى نحو أكثر اتساعًا وأكثر تبلّدًا بل وبدأت تتشوه من أجل أن تستوعب فى داخلها نقطة الطعام .

مثلما تكيف إيان وتوافق واستوعب تدريجيًا الحقيقة التى مفادها أن دانى قد مات .

وكانت تلك الحقيقة تلوح له فى طريق حياته - مثل شىء ما حالك ومتحجر يسد الطريق أمام كل لحظة سعيدة . فهو قد يتقاسم بيتزا مع بيج و أندرو أو يستمع إلى شرائط مع سيسلى فتتجسد أمامه تلك الحقيقة على نحو فجائى : دانى ميت . لقد مات دانى . مات .

وبعدئذ تخطر على ذهنه فكرة أشد سوءًا : لقد مات عمدًا . لقد قتل نفسه .

وأخيرًا تهبط على ذهنه أشد الأفكار ترويعًا : بسبب ما قلته له .

وتعلم كيف يتعامل مع هذه الأفكار فى تتابع وتسلسل بحيث تجىء الأشياء الأولى أولاً : إنه ميت بالفعل . لن أستطيع مشاهدته مرة أخرى فى أى وقت من الأوقات على الإطلاق . إنه مدفون فى مقبرة الذكرى الطيبة تحت إحدى شجيرات الليلك العطرية . وهو لم يعد فى استطاعته مساعدتى فى كرتى السريعة وهو لم يعرف أنه قد تم التحاقى بكلية سومنار و أن الأشجار التى كانت خالية من الأوراق عندما شاهدها فى آخر مرة أصبحت الآن مزهرة ومورقة بدونه .

واستيعاب مثل هذه المجموعة الصعبة من الحقائق دفعة واحدة كان شبيها بالابتلاع.

وبعدئذ كان يتناول الفكرة التالية . ولكن تلك كانت أقرب إلى صراع أو جدل . فهو دائماً ما كان يتجادل : ربما كان هذا مجرد حادثة.

يندفع للأمام مرتطماً فى حائط بالصدفة ؟ وهى حائط كان يعرف جيداً أنها موجودة هناك . وهى حائط كانت تقف فى نهاية ذلك الشارع منذ زمن بعيد قبل أن يولد ؟

حسناً . لقد كان منخرطاً فى الشراب

وبرغم ذلك فهو لم يكن ثملاً ومخموراً

نعم . ولكنك تعرف كيف أن ....

واجه الحقيقة . لقد قتل نفسه بالفعل .

وبعدئذ وفى نهاية الأمر تهبط الفكرة الأخيرة

لا . لن تكون هناك أبداً الفكرة الأخيرة

في بعض الأحيان حاول أن يعتقد أن كل شخص على سطح الكرة الأرضية يتجول ومعه سرّ واحد على الأقل لا يمكن تحمله منطوى على شعور بالذنب ومخبأ في داخل كيانه . وربما كان هذا جزءاً من مرحلة النمو . وربما لو ذهب واعترف لأمه فإنها قد تقول " يا حبيب قلبى " هل ذلك هو كل ما يزعجك ؟ استمع إلىّ كل واحد آخر منا قد تسبب فى انتحار شخص ما " .

حسنًا . لا

و لكن إذا قال لها بأية طريقة وجعلها تغضب كما يحلو لها . وإذا قال " يا أمى . أنت التى تقررى ما تفعلينه معى . أما أن تطردينى من المنزل إذا كنت تريدين ذلك . أو تتبرئى منى . أو تقومين باستدعاء الشرطة "

وحقيقة الأمر أنه كان يتمنى أن تقوم هى باستدعاء الشرطة . وتمنى أن يكون هناك شيء ما يستدعى إيداعه فى السجن .

ولكنه إذا أخبر أمه فإنها ستعرف أن الأمر كان انتحاراً بينما كل شخص كان يفترض أنها حادثة . القيادة تحت تأثير الخمور . حفلة مقصورة على الرجال أكثر مما ينبغى . وكانت تلك هى المشكلة مع الاعتراف : فذلك من شأنه أن يجعله يشعر بالتحسن بالفعل ولكنه من شأنه أيضًا أن يجعل الآخرين يشعرون بأن الأمور سارت إلى الأسوأ . وإذا شعرت أمه بمشاعر أسوأ مما تعانى منه بالفعل فإن ذلك قد يؤدى إلى قتلها من وجهة نظره . وربما ينطبق نفس الشيء على والده أيضًا .

فكل مـا فـعله والده طوال هذا الصـيف بأكـمله هو الجلوس فى كـرسى الاضطجاع للوراء .

و ذات مرة تساءلت أمه " يا إيان هل تعتقـد أن دانى كان مكتئبًا أو أى شىء من هذا القبيل ؟ "

" مكتئبًا ؟ "

" أوه . ولكن ما هذا الذى أقوله ؟ لقد كان له مولودة جديدة وزوجة جديدة محببة لنفسه . وأسرة كاملة جديدة سابقة التجهيز "

فقال إيان " هذا صحيح "

" بالطبع ربما كانت هناك بعض المشكلات [الصغيرة]وربما بعض العقبات الصغيرة الخفيفة فى العمل أو ربما رقعة مهزوزة ومتبرجة بعض الشىء فى زواجه . ولكن هل تتفق معى فى الرأى فى أنه لا شىء غير عادى ؟ "

فقال إيان لها " حسنًا . بالتأكيد "

أذلك هو كل ما كان ؟ رقعة داعرة أو مهزوزة أو متبرجة بعض الشىء فى زواجه ؟ وهل تصرف إيان على نحو مبالغ فيه ؟

وأدرك كم كان صغيرًا فى السن وكم كان عديم الخبرة فى الحياة وكم كان " ولدًا " ضحلاً وجاهلاً . ولم يكن لديه حقًا فكرة عن الأمور التى تعتبر غير عادية فى الزواج .

وفى أيام الآحاد عندما تجتمع العائلة كان إيان يلقى نظرات جانبية مطولة على لوسى . وكان يتلاحظ له أنها تتزايد شحوبًا فى اضطراد مثل إحدى الصور الفوتوغرافية البولارويد القديمة لوالده .

كان يريد أن يعتقد أن موتهدانى لم يحدث تأثيرًا عليها ولكن ها هى كانت تجلس وقد ظهر على وجهها شىء ما صامت وجامد ومُتقوِّض ومطحون . وكان أطفالها يتشاجرون فى صراخ حاد مع أطفال كلوديا ولكن لوسى كانت تكتفى بالجلوس فى اعتدال وبدون أن يبدو عليها أنها تسمع مع القيام بتسوية الكرمشة فى جونلتها مرات عديدة عبر حجرها .

وفى خصوصية قالت بى للآخرين " أتمنى لو كان لديها شخص ما تذهب إليه . أعنى لو كان لها أقارب تذهب إليهم . ونحن سوف نفتقدها بالطبع ولكن .... إذا كان لها شخص ما يرعى أطفالها مما يجعلها تتمكن من الحصول على وظيفة على سبيل المثال . أدرك أنه ينبغى على أن أعرض عليها .... "

فقال دوج " لا تفكرى فى هذا الأمر على الإطلاق "

" حسنًا . إننى جدتهم أو جدة واحدة منهم . ولكنى فى الآونة الأخيرة أشعر بالإرهاق الشديد كما أن ركبتاى تعملان بطريقة شاذة وغير متوقعة ولا أعرف كيف أتدبّر هذا الوضع ومع ذلك فأنا أعرف أنه ينبغى على أن أقدم يد العون والمساعدة "

" لا تفكرى فى هذا الأمر على الإطلاق "

هل قـالت لوسى فى أى وقت : " لو لم أذهب فـقط مع دوت فـى تلك الليلة ؟ وهل قالت لنفسها فى تفكير : فقط لو لم تتعطل سيارة دوت ؟

لأن دوت هـى التى خـرجت مـعـهـا . وتعطلت السـيارة فى مكان مـا على الطريق السريع الرئيسى رتشى هايواى وقد اتضح ذلك فى الجنازة حيث حضرت دوت فى الجنازة وهى منخرطة فى البكاء الشديد ومذهولة مما حدث .

هل قـالت لوسى لنفسـهـا فى أى وقت من الأوقـات : لو كنت فـقط زوجة مخلصة ؟

لا ، من المحتمل ألا تكون قد وجهت لنفسـهـا ذلك التساؤل لأن إيان لم يسـتطع التـخلص من الإحسـاس بأنـهـا تلقى باللوم عليـه هـو بالذات [فعلى الأقل هو الذى جعل دانى يُوصِلّه بالسيارة إلى منزله فى تلك الليلة] . وكان متـأكداً تمـامـاً من أنهـا انزلقت بعينها نحوه فى تأنيب لدى قيامها بتسوية جونلتـهـا عبر حـجـرهـا . ولكن إيان نظر فى اتجاه آخـر . وأصـر على النظر فى اتجاه آخر .

كانت سيسلى هى الوحيدة التى تعرف القصة كلهـا . إذ كـان قد أخبرها بذلك عقب ممارسة الحب معها لأول مرة . وكان قد خطر على ذهنه أثناء استلقائه إلى جوارها فى سريرها [كان والداها قد ذهبا فى ذكرى عيد زواجهما فى رحلة خلوية . واصطحبا معهما أخاها الصغير] إن دانى لن يعرف أبدا أنه قد أضطجع بالفعل مع فتاة .

وكانت عيناه قد امتلأت بالدموع واستدار نحوها فجأة وضغط بوجهه المبلل الساخن على رقبة سيسلى . ثم قال لها مفشياً السرّ فى

غير تروى أو تفكير " إننى الشخص الوحيد الذى تسبب فى حادثة دانى" ولكن الشىء الجوهرى هو أنها لم تتقبل تلك الفكرة . كان الأمر أشبه بشىء مادى ملموس ظلت تزيحه بعيداً . وظلت تقول له " أوه . لا . هذا كلام ساذج فأنت لم تفعل أى شىء ولم تتسبب فى أى شىء . و لوسى أيضاً لم تفعل أى شىء . و لوسى كانت زوجة ممتازة . ودانى كان يدرك أنك لا تعنى بالفعل الكلام الذى قلته عن لوسى " .

وكان ينبغى عليه أن يقول لها " استمعى إلى . ينبغى عليك أن تصدقى ما أقوله لك "

ولكن بشرتها كانت ناعمة للغاية . وكانت رائحة بودرة الأطفال تنبعث من رقبتها وبدلاً من أن يتكلم معها شرع فى ممارسة الحب معها مرة أخرى . وشعر آنئذ بالخجل من نفسه لأن انتباهه قد تحول بسهولة كبيرة .

أو هنا كان يوجد شىء ما مخجل أكثر من ذلك : ففى غرفة الطوارئ فى تلك الليلة الرهيبة عندما أشار الأطباء إلى أنه لا يوجد أى أمل قفزت إلى ذهن إيان فكرة : على الأقل الآن لن تظل سيسلى تشعر بالغضب الشديد منى لعدم مجيئى إليها فى موعد العشاء .

حقير . وخسيس . ودنىء وجدير بالازدراء . وفى كل مرة يتذكر فيها ذلك كان يطحن أسنانه .

* * *

في ذلك الصيف عمل مرة أخرى في شركة Sid n eds A-lMovers للنقل . وكان لو Lou قد فصل من العمل لأنه تسبب في اتلاف أريكة سيدة بأن جلس على قارورة للويسكى تخصه . ولكن لودون Le Don كان لا يزال يعمل هناك مع رجل جديد يسمى برويستار . وهو رجل فظ وجلف وله بشرة لها لون الخوخ المجفف . ولم يكن لديه كلمتان يقولهما طوال اليوم و حتى حلول اليوم التالى . وكان هذا متوافقًا مع إيان . وشعر بالامتنان لأنه يتمكن من الهروب إلى مكان كهذا و لأنه وجد عملاً شاقًا يلقى بنفسه فيه .

وكانت إحدى حالات النقل التى شارك بها متسمة بالصعود لأعلى بشكل واضح من منزل صغير فى جوفانز إلى منزل أجمل بكثير فى سدركروفت . وكان العمال يحتشدون حول المكان الجديد ويصلحون ويرممون السقف ويعيدون توزيع الأعشاب فى مساحة المروج الخضراء ويأخذون المقاسات من أجل الشريط المنخلى للنوافذ . وفى المطبخ وجد رجلاً يعمل على تركيب خزائن خشبية فوقف يشاهد لدى تركيب خزينة فى مكانها فى دقة شديدة . وكان الرجل يستجلب المسامير من اللامكان .. [ربما كان يملأ فمه بالمسامير مثلما كانت تفعل بى مع دبابيس الخياطة . إذ كان قد استدار بظهره مما جعل إيان لا يعرف] . وكان يطرق على المسامير فى قرع متكرر سريع . ولم يكن يدرك ما يدور حوله . حتى عندما قال له إيان " هذا عمل متقن وجميل " بل إنه لم يهتم بالردِّ . أو ربما لم يسمع . فقال إيان بصوت مرتفع للغاية " هذا إنجاز رائع "

وبعدئذ أدرك أن الرجل كان أصمًا . كان هناك شىء ما يتعلق برأسه – الطريقة التى يثبت بها رأسه تثبيتًا شديداً وبحيث لا يتعب

نفسه في الانتباه إلى أية أصوات . واتخذ إيان خطوات للأمام فنظر الرجل عبر كتفه إليه . كان له فكّ مربع الشكل ووجه مرسوم في عمق وكان له شعر رمادى خشن به قصة البحارة . وقال إيان في تكرار " هذا إنجاز رائع " فأومأ الرجل برأسه في اقتضاب وعاد إلى الطرق بمطرقته .

وشعر إيان بشيء من الغيرة أو الحقد . لم يكن هذا العمل فقط هو الذى انصب عليه الحقد وإن كان قد نال جزءًا من ذلك الحقد . فالحقد قد انصب على ذلك العمل الاستغراقى الذى يتحقق على نحو كامل والذى لم يترك متسعًا للأفكار الدَّخيلة العرضية غير الجوهرية . كانت فكرة تتعلق بعالم محكم الإغلاق . عالم لا توجد يه خطبة واحدة متاجر فيها . بل واعتقد أنه عالم يكون فيه كل شيء بما في ذلك الأحلام خاليًا من الأصوات .

وشاهد في حلم دانى واقفًا في المدخل وقد راح يخشخش بكمية من قطع النقود المعدنية التى تملأ يده ثم قال لإيان "لقد كدت أن أنسى" وأضاف " فأنا مدين لك " .

فحبس إيان أنفاسه وقال " مدين لى ؟ "

" فأنا لم أدفع لك أجر جلوسك مع الأطفال في ذلك المساء . ماذا كان الأجر – ثلاثة دولارات ؟ خمسة دولارات ؟ "

فقال إيان " لا . أرجوك . لو سمحت " وتراجع إلى الوراء رافعًا راحتى يديه لأعلى . واستيقظ من النوم ليسمع صوته يقول " لا أرجوك . لو سمحت " .

واتجه به والداه بالسيارة إلى الكلية فى يوم حار فى شهر سبتمبر . وكانت سيسلى قد سافرت بالفعل إلى كليتها القريبة من فيلادلفيا ولكن نظرًا لأن المسافة بين كليتها وكلية سومنار كانت تستغرق ساعة واحدة فقط فإنه لم يكن هناك أى مشهد توديعى كبير . وحقيقة الأمر إنهما كانا يخططان لكى يلتقيا فى أجازة نهاية الأسبوع كما كان صديقه أندرو قريبًا أيضًا فى تيمبل Temple . ولكن لم يلتحق أى صديق من أصدقاء إيان بكلية سومنار .

وقالت أمه " أوه ، أمل ألا تشعر بالوحدة القاسية " ولكن إيان كان يأمل أن يكون منعزلاً . وشاهد نفسه وهو يمشى بخطوات واسعة بمفرده عبر الحرم الجامعى : هيكل غامض مرتدى ملابس سوداء اللون ، مما جعل الفتيات يتساءلن " تُرى مَنْ ذلك الشخص ؟ " رغم أنه لم يكن يمتلك بالفعل أية ملابس سوداء . ولكنه كانت لديه خططه .

وأنزلوا حاجياته عند مهجع المستجدين حيث كان الدليل الوحيد الذى يشير إلى زميله فى الغرفة حقيبة من نسيج صوفى غليظ وكرسى من قماش القنّب المطبوع على شكل فراشة لكى يشبه يدا عملاقة [افترض إيان أن الكرسى هو كرسى زميله بالغرفة على الأقل . وكانت قطع الأثاث الأخرى من خشب البلوط الأشقر اللون] وبعدئذ ساروا إلى حفل استقبال الآباء و الأمهات . وكان إيان يفضل التغيب عن هذه الحفلة وكذلك كان والده ولكن أمه أصرت على الحضور .

وفى منزل عميد الكلية قُدِّمت لهم ثلاثة فناجين ورقية مليئة بمشروب سيفين أب مع عصير برتقال يطفو فى رغاوى على السطح . ووقفوا فى

كتلة بجوار منضدة بلوط شقراء لكى يتحدثوا مع بعضهم البعض . وقال الوالد " ياله من حشد كبير " فقالت الوالدة " نعم أليس كذلك ؟ " وبدأ إيان يتناول كعك التوابل من طبق موجود على المنضدة . وراح يأكل الواحدة تلو الأخرى مع التجهم والمضغ فى انهماك كما لو كان بمقدوره الدخول فى تعليقات مسلية لولا امتلاء فمه بالطعام وتساءل والده " هل هؤلاء جميعًا آباء لطلبة مستجدين ؟ " فقالت أمه " ربما بعضهم آباء لطلبة منقولين " .

كانت تقف بين هؤلاء الناس المرتدين أفخر الملابس مرتدية ثوبها العادى الأزرق الداكن وكان حذاؤها خفًا مسطحًا بسيطًا بسبب ركبتيها . وتلاحظ لإيان أنها بدون الكعب العالى تبدو مدوسة بالأقدام ومسحوقة مثل خادمة شخص ما . كما أن بدلة والده كانت مكرمشة عند ربلة الساقين مع وجود التصاق مثبت فى موضعه أو شيء من هذا القبيل . وكان له المظهر المخبول لرجل مرتدى ملابس مزخرفة وواقف وقد غاص مقدم ساقه فى مكسرات أمواج المحيط . وابتلع إيان قطعة ناشفة من الكعك وشعر بها وهى تسبب له الآلام على طول المسافة أسفل حلقه وعلى طول المسافة إلى صدره حيث استقرت هناك ورفضت الانصراف وأراد أن يقول " أعيدونى إلى بلتيمور ! وأعدكم بالاَّ أشتكى أبدًا مرة أخرى " ولكنه بدلاً من ذلك شارك فى اللغو والكلام فى الأمور التافهة . وتلاحظ له أن صوته كان له نفس النبرة العالية المليئة بالتصميم والتى تشبه نبرة صوت والدته .

وتركوا حفل الاستقبال بدون أن يتكلموا مع أىّ شخص آخر . ثم خرجوا سويًا إلى المساحة المخصصة لوقوف السيارات . وكانت

سيارة الأسرة تبدو مكسوة بالتراب ومتواضعة . وقام إيان بفتح الباب نيابة عن والدته ولكنها كانت معتادة على أن تفتح بابها ولذلك فإنها اعترضت سبيله مما أدى إلى تعثره فوق قدمها . فقال لها : " آسف " . فقالت " حسنًا .... " ثم قامت بتقبيل خدّه وانزلقت بسرعة إلى داخل السيارة بدون أن تنظر إليه وقام والده بالتلويح بيده له عبر سقف السيارة قائلاً" عليك بالاعتناء بنفسك يا بنى "

فقال إيان " بالتأكيد"

وكان يقف وقد وضع راحتى يديه تحت إبطيه وراح يرقبهما لدى انطلاقهما بالسيارة .

كان زميله فى الغرفة ولداً ساذجًا وفكاهيًا وجلفًا يسمى ونستون ميلز . وكان يمتلك الكرسى الشبيه باليد علاوة على امتلاكه لملاية السرير المصنوعة من علم أمريكى بالاضافة إلى امتلاكه للإبريق الذى يعلن فى رنين " كم أنا أشعر بالعطش " عندما ترفعه علاوة على ملصق لفيلم يسمى "إنسان آلى تحت سن العشرين" . وكان الأولاد الآخرون يعتقدون أنه شخص غريب الأطوار ولكن إيان كان يشعر بالارتياح نحوه . وكان يحب الحقيقة التى مفادها أن ونستون لم يدخل أبداً فى مناقشة جادة ولم يسأل أبداً أى سؤال خطير أو بالغ الأهمية . وبدلاً من ذلك كان يتكلم عن الحبكة القصصية الكاملة لأفلام لم يسمع عنها إيان من قبل على الإطلاق – أفلام عن الناس الذين تعرضوا للمسخ فأصبحوا ذئاباً وأفلام رعاة البقر اليابانية وأفلام الوحوش حيث الزمام المنزلق يظهر فى وضوح بين الحرافيش – أو كان يقرأ بصوت مرتفع مصطنع من

مجموعة قصص مسلية تسمى " كومديات الحبّ " كان قد عثر عليها فى أوكازيون لبيع السيارات مع التدلى فى تراخ فى كرسيه الشبيه بالفراشة بينما الأصابع الوردية الضخمة تتقوس فى انحناء خلفه .

وشاهد إيان فى حلمه أن دانى اتجه نحو مينى بسيارته الشيفورلية التى لم تكن مزودة باكصدام مسنن . ثم أخرج رأسه من نافذته وسأل إيان " ألا تعتقد أننى كنت أعرف ؟ ألا تعتقد أننى كنت أعرف منذ البداية ؟ " واستيقظ إيان من نومه واعتقد بأن دانى ربما كان قد عرف . فالناس فى بعض الأحيان كانوا يفضلون عدم الاعتراف بشىء ما ولا حتى أمام أنفسهم .

ولكنه أدرك بأن ذلك كان غير مهم . إذن ماذا لو كان قد عرف ؟ إنه لم يشعر بالحاجة إلى اتخاذ إجراءات قبل أن يتم إخباره صراحة .

من وجهة نظر إيان كانت الكلية لا تختلف كثيراً عن المدرسة الثانوية . نفس الجذور القديمة للحضارة الغربية ونفس الكائنات الحية القديمة ذات الخلية الواحدة . ونظر بعينين شبه مغلقتين من خلال ميكروسكوب ، وشاهد أميبا وهى تتحول إلى النحافة وتصبح كثيرة الفروع وتقوس فرعين حول نقطة سوداء ثم تصبح سميكة وعلى هيئة نقطة ثم تنجرف فى انسياق ، وكانت شريكته فى المعمل فتاة ولم يستطيع أن يعرف ما إذا كانت تشعر بالارتياح نحوه ولكن شكلها كان أجنبياً أكثر من اللازم .

فهى قد جاءت من مكان ما ريفى ، وكانت تقول ditten بدلاً من أن تقول didn't كما كانت تقول أيضاً : cooten : " لم أستطيع العثور على

مفكرتى فى أى مكان " ، وكان ينتظر أجازات نهاية الأسبوع فى اشتياق حيث كانت سيسلى تجىء إلى سومنار مستقلة قطاراً صغيراً مخشخشاً فى قعقعة ثم يقومان بالتسكع بجوار حجرة نومه على أمل أن يغادر ونستون الغرفة من أجل الذهاب لمشاهدة إحدى أفلامه المفضلة ، ومن المفترض أنها كانت تنام مع الأخت الكبيرة لفتاة كانت تعرفها من الموطن ، ولكنها فى حقيقة الأمر كانت تنام على سرير إيان الضيق حيث كانت فى وقت متأخر بالليل وفى صمت شديد تمارس الحب مع إيان مرات عديدة وبدون إصدار أى حركة تقريباً .

وفى كل إجازة من إجازات نهاية الأسبوع كان يتصل بمنزله تليفونياً وفقًا للطريقة التى تسدد بها قيمة المكالمة من جانب متلقى المكالمة ، إذ كان ذلك أسهل من اتصال والديه به تليفونياً ، ولكن فى يوم الأربعاء السابق على عشية عيد جميع القدسين الموافق ٣ أكتوبر اتصلت والدته تليفونيًا وتمكنت من الوصول إليه بطريق المصادفة بينما كان يقضى وقت فراغ ما بين الحصص فى المهجع .

وقالت والدته " إننى لا أرغب فى أن أسبب لك الضيق والإزعاج ولكنى أعتقد أنك تود أن تعرف يا حبيبى أنها لوسى "

" لوسى ؟ "

" لقد انتقلت إلى رحمة الله "

وتلاحظ له أن صمتًا مليئًا بالأزيز والطنين كان ينساب على ما يبدو نحو الدهليز .

" ماذا حدث لها ؟ "

" نحن نعتقد أن الحبوب هى السبب "

فابتلع ريقه .

" إيان ؟ "

راح يفكر : أوه . يا إلهى . إلى متى سيتحتم علىّ أن أدفع ثمن حفنة من الكلمات القليلة التى قلتها بسرعة وبطريقة عرضية وبدون تفكير عميق ؟

" أأنت على ما يرام يا إيان ؟

فقال " بالتأكيد "

" لقد اتصلت أجاثا بنا تليفونيًا فى الليلة الماضية وقالت لنا [ماما مستمرة فى النوم ولا تريد أن تستيقظ] وأنت تعرف أن هذا الكلام كان يعنى أىّ شىء . فوضعت الخطط للذهاب إلى هناك ولكنى قلت [أوه حبيبتى أعتقد أنها تمر فقط بحالة من الإرهاق الشديد] وعندما قالت أجاثا [بل أنها لم تستيقظ لكى تتناول طعام الإفطار] فإننى قلت [طعام الإفطار ؟ فى هذا الصباح ؟] يا إيان هل تصدق أن هؤلاء الأطفال قد ظلوا بمفردهم منذ الليلة السابقة عندما وضعتهم للنوم فى السرير ، ثم ذهبت للنوم فى سريرها وأنا لا أعرف حقيقة ما حدث : أعنى أنه لا توجد هناك دلائل تشير إلى أنها قد فعلت ذلك عمداً ، ولكننا عندما دخلنا إلى غرفتها وجدناها مستلقية على ظهرها وكانت

تتنفس فى بطء شديد : مجرد نفس واحد هنا ونفس واحد هناك ، وزجاجة الحبوب هذه كانت موجودة على الكومودينو بجوار سريرها وكانت شاغرة تمامًا . ولم يكن يوجد أى خطاب أو أى شىء من هذا القبيل . ولذلك لا يمكن أن تكون هى قد تعمدت أن تفعل هذا . أليس كذلك ؟ ولكن لماذا كانت تتناول ولو حبة واحدة من هذه الحبوب ؟ فأفراد عائلتنا لا يوافقون أبدًا على تناول الحبوب المنومة . وأنا دائمًا ما أقول إن المرء إذا لم يستطيع النوم ينبغى عليه أن ينهض من السرير ويقوم بحك أرضية الغرف وتنظيفها ومسحها ! أو ينبغى عليه أن يلجأ إلى القراءة أو إدخال التحسينات على ذهنه . وعلى كل حال فقد قمنا باستدعاء سيارة الإسعاف . وتم نقلها إلى مستشفى " يونيون التذكارى " ولكنها كانت قد استغرقت فترة طويلة للغاية على ذلك النحو . ولو كان قد تم نقلها إلى المستشفى عقب تعرضها للإغماء مباشرة لأصبح هناك بعض الأمل . ولكنها ظلت ملقاة هناك فى سريرها طوال الليل كله والنهار ولم يفلح الأطباء فى إنقاذها ولقد ماتت فى ظهر اليوم بدون أن تتمكن من الإفاقة من الإغماء على الإطلاق "

ألا يمكن لنا أن نرجع خطوة واحدة فقط إلى الوراء ونبدأ من جديد ؟ ألا يمكن أن تتاح لى فرصة واحدة أخرى ؟

وكانت أمه تقول " إيان ؟ استمع إلى لا تهمس بكلمة واحدة للأطفال "

وعثر على صوته متراميًا من مكان ما . وقال : " ألا يعرفون ما حدث لأمهم حتى الآن ؟ "

" لا . بل ولن نقول لهم حقيقة ما حدث فى أى وقت من الأوقات على الإطلاق "

ربما سببت لها الصدمة توتراً شديداً ، وقال : " من المؤكد أنهم سوف يكتشفون الحقيقة في يوم ما ، وكيف ستشرحين الموقف عندما لا ترجع من المستشفى إلى منزلها ؟ "

أو عندما لا تظهر فى حفل تخرج توماس من المدرسة الثانوية ، أو حفل زواج أجاثا ، هكذا راح يفكر فى جموح وتهور . وكاد أن ينخرط فى الضحك .

وقالت أمه : " أقصد أننا لن نقول لهم إنه كان بمقدورهم إنقاذها لو كانوا قد اتصلوا تليفونياً فى وقت مبكر لأن أى كلام كهذا سيجعلهم يشعرون بالذنب بدرجة كبيرة " .

فاستند على الحائط وأغلق عينيه على مدى لحظات خاطفة .

وقالت أمه : " ولذلك قمنا بتحديد يوم الجمعة موعداً للجنازة على افتراض أن أهلها يوافقون على هذا الموعد . ألم يتصادف أن حدثتك عن أهلها ؟ "

" إنها لم يكن لها أى أهل . وأنت تعرفين ذلك " .

" ولا حتى أقارب من بعيد ؟ أليس ذلك شيئاً عجيباً وشاذاً ؟ لا أعتقد أنها ذكرت ذات مرة اسمها البتولى أى أسمها قبل أن تتزوج "

فقال إيان " لوسى ..... دين " وأضاف " كان دين هو اسمها " .

" لا . كان دين هو اسم زوجها الأول "

" أوه ! "

" من المؤكد أن هناك أبناء عم أو عمة أو خال أو خالة أو أى شىء من هذا القبيل ، ولكن الأطفال لم يتمكنوا من تذكر أى شخص من الأقارب ، وسألناهم عن المكان الذى يوجد فيه والدهم ، ولكنهم لم يكن لديهم أدنى فكرة "

فقال إيان " إنه يعيش فى شيين / ويومينج "

وفى وضوح شديد وكما لو كان حاضراً شاهد فى داخل ذهنه لوسى وهى ترفع طردها لكى تضعه على كاونتر مكتب البريد ثم نظرت لأعلى فى وجه دانى وتساءلت بصوتها المبحوح عن تكلفة إرسال كرة باولينج بالبريد الجوى إلى ويومينج

فقالت أمه " لقد اتصل والدك تليفونيًا بكل شخص يسمى : دين يسكن فى مديرية شيين ، ولكنه خرج خالى الوفاض ، والآن كل ما نعتمد عليه هو أن يقرأ شخص ما النعى المزود بترجمة موجزة عن حياتها "

وكان هناك ولدان يسيران فى الطرقة ، فالتفت إيان نحوهما وأصبح يواجه الاتجاه الأخر .

" إيان ؟ أأنت هناك ؟ "

" أنا هنا " .

" ولقد قلت لوالدك إننى لا أرغب فى الاتصال بك تليفونيًا ، وقلت له : ولماذا أسبب لك الإعاقة أثناء دراستك ؟ ولكنه اعتقد أنك ربما تفضل المجيء بسبب الأولاد وأنا يمكن لى التعامل مع الأطفال وتوجيههم ولكنهم فى غاية ... الطفلة الصغيرة لم تتمكن من النوم منذ أن جاءت إلى هنا ، وتوماس يكتفى بالجلوس محتضنا دميته ، أما أجاثا ... أوه أجاثا ، أنت تعرف الكيفية التى هى عليها ، على نحو ما لم أشعر أننى جدة لهذين الطفلين أليس هذا أمرًا شنيعًا ؟ وهما ليس لهما ذنب فى ذلك ، ولكن على نحو ما .... وأختك مشغولة للغاية بسبب إصابة دافنى بمرض الحصبة ...... "

واستطاع إيان أن يخمن الأمور التى ستنجم عن هذا ، وعلى نحو مفاجئ شعر بعبء المسئولية الثقيلة .

" لذلك والدك قال إنك ربما قد تتمكن من المجيء وتقدم يد العون والمساعدة على مدى أيام قليلة "

فقال " لسوف استقل أتوبيس الجريهاوند التالى "

واستقل أتوبيسًا يكاد يكون شاغرًا متجهًا إلى بلتيمور فى ذلك المساء ، وراح يحملق فى انعكاس وجهه على النافذة ، وكانت عيناه بمثابة تجويفين عميقين لهما لون أسود وبدت عظمتا وجنتيه أكثر وضوحًا عن ذى قبل . وكان يبدو صارمًا وجلفًا وخشنًا ومليئًا بالتجارب المريرة .

وساءل نفسه فى تعجب : ترى هل هناك حدث تراجيدى للغاية بحيث يخرجه من هذه العادة القبيحة التى تجعله يرقب ردود فعله إزاءه.

وقابله والده عند نهاية خط الأتوبيس أى فى المحطة النهائية ، ولم يكن أحدهما يعرف كيفية اللقاء بينهما بعد هذه الفترة الطويلة من التباعد بينهما ، هل يتقابلا بالأحضان أم بالتصافح بالأيدى ؟ واستقر رأى والده على ان يصفعه على ذراعه . ثم تساءل " كيف كانت الرحلة ؟

" على ما يرام إلى حد ما "

ثم قام إيان برفع حقيبة ظهره على كتفه . وسار بين حشود الجماهير مع تفادى الناس الذين أقاموا مشروعات تجارية هناك فى مجال الشئون المنزلية . وشقّا طريقهما بين حقائب مليئة بالملابس المعدة للغسيل و كرتونات الساندوتشات والأطعمة السريعة وارتطما بساقى جندى نائم على الأرضية ، وبالخارج كان شارع هوارد ستريت يبدو مليئًا بالضجيج والنشاط الصاخب ومتسمًا بطابع حياة المدن بالمقارنة مع سومنار .

و ما إن أصبحا جالسين فى السيارة قال والده : " أعتقد أنك سمعت هذا الخبر "

" نعم "

" إنه شىء رهيب . رهيب للغاية "

وتساءل إيان " كيف حال الأطفال ؟ "

"أوه . إنهم على ما يرام ، إنهم يلتزمون بالهدوء برغم كل شىء" .

ثم دخلا في موكب حركة المرور واتجها نحو الشمال . كان المساء مازال دافئًا مما جعل الناس يفتحون نوافذ سيارتهم ، وكانت تترامى من السيارات التي تتخطاهم مقاطع من أغنيات – أغنية " يوم الاثنين . يوم الاثنين " وأغنية " كاتدرائية ونشستر " وأغنية " ارسل إليّ الوسادة التي حلمت عليها " ، وقال والد إيان " أمك دفعتني للعمل بعد ظهر اليوم من أجل البحث عن أقـــارب لوسي ، لا أعرف ما إذا كـــانت هي قد قالت لك ذلك " .

" نعم . حسنًا . لقد قالت لي أنك حاولت الاتصال تليفونيًا بشيين"

" نعم ، ولكن لم يحالفني الحظ ، بل و ذهبتُ إلى مقهى فيل أير آب كافية ، أتتذكر هذا المقهى ؟ وهو المقهى الذي اعتادت لوسي أن تعمل به ؟ وكنت آمل العثـــور على تلك الجرســونتين اللتين شهدتا حفل الزواج ، إلا أن صاحب المقهى أشار إلى أن إحداهما تخلت عنه وتركت العمل بينما كان هو في أمس الحاجة إليها ، بينما الأخرى سافرت إلى الجنوب منذ شهرين ولذلك قمت بالتفتيش في أدراج لوسي على أمل أن أعثر على دفتر عناوين أو بعض الخطابات ، فلم أعثر على شيء على الإطلاق ، ومن الصعب تخيل ذلك أليس كذلك ؟ و هذا هو ما وصلنا إليه طالما أن الناس يستخدمون التليفون بدلاً من الكتابة وتبادل الرسائل فيما بينهما"

فقال له إيان " ربما لا يوجد لها أي أقارب "

" في هذه الحالة ، ما الذي سنفعله مع الأطفال ؟ "

" الأطفال " .

" الطفـــلان الأكبر سنًا لهما والدهما بالطبـــع ، ونحن ســـرعان ما سنقتفى أثره ونعثر عليه ، ولكنى أعتقد أنه من غير المتوقع أنه سيوافق على تربية الطفلة الصغيرة أيضًا "

فقال إيان " حسنًا ، هذا شيء طبيعى ، فهى ليست ابنته "

فقال والده " لا ، لا أعتقد ذلك " ثم تنهد .

" بل إنه لا يُجرى أى علاقة مع الطفلين اللذين هما من نسله بالفعل ! "

" لا "

" ألا يمكن لك ولأمى ، ربما .... "

فقال والده " نحن طاعنان فى السن للغاية " ثم انعطف إلى شارع تشارلز ستريت.

" لستما طاعنين فى السن "

" يا إيان لقد وصلنا توا إلى هذه المرحلة فى حياتنا التى تجعلنا نعتقد أننا نستحق الحصول على قدر من الراحة كما أن والدتك ليست على ما يرام فى الأونة الأخيرة ، ولا أعرف ما إذا كنت قد لاحظت ذلك بنفسك ، ويقول الدكتور بلوم أنها تعانى من مرض إلتهاب المفاصل الموجود فى ركبتيها ، ولا أستطيع أن أتخيلها وهى تسرع فى المشى خلف طفل يمشى بخطوات قصيرة مليئة بالقلق " .

" هذا صحيح و لكن .... "

فقال والده " لا داعى لأن تشعر بالقلق ، فأنا أعتقد أن المشكلة ستنتهى بمجرد أن نعثر على ذلك الزوج السابق " .

ثم عاد إلى إبداء أسفه لأن أحداً لم يعد يكتب خطابات فى هذه الأيام وأشار إلى أن مصلحة البريد فى هذه البلاد سرعان ما ستتعرض للإلغاء بسبب عدم الاهتمام بها ، وعندئذ ستتحول مكاتب البريد إلى مكان تزرع فيه الرياحين ، ثم إلتوت شفتاه وهو يبتسم بإحدى ابتساماته الساخرة قبل أن يستعيد وقاره مرة أخرى .

وفى المنزل قام الكلب بيتسى بتشمم راحة يد إيان فى غبطة وابتهاج ثم مشى فى تثاقل خلفه إلى غرفة المعيشة حيث كانت أمه تصطحب دافنى فى مشيها جيئة وذهاباً ، ورحبت به والدته وقامت بتقبيله ثم ناولته الطفلة الصغيرة التى كانت على وشك الاستسلام للنوم مما جعلها لا تفعل أى شىء سوى التمتمة ، و قالت بى وهى ترتمى غائصة فى المضجع " أوه ، ساقاى ! " وأضافت " تلك الطفلة جعلتنى أقف على قدمى طوال المساء " .

وكان توماس جالساً عند الطرف الآخر من الأريكة وقد ضم دميته إلى صدره بينما الباروكة الصفراء للدمية تخفق تحت ذقنه مثل زهرة عباد الشمس الملوثة بالأوحال ، وكانت أجاثا جالسة فى كرسى فوتيى . فراحت تنظر إلى إيان فى هدوء ثم عادت إلى دفتر صورها ، وكلاهما كان يرتدى البيجاما ، وكان لهما شكل الأطفال المبللين الشاحبين المعاقين الذين خرجوا من الحمام تواً .

وسألته والدته : " هل تناولت طعاماً ؟ " وأضافت " لقد قدمت الطعام للأطفال فى وقت مبكر لأننى لم أكن أعرف "

" يمكن العثور لى على شىء ما "

" أوه . حسنًا . وهو كذلك "

لقد ازداد وزن دافنى . أو ربما نعاسها هو الذى جعلها تبدو ثقيلة للغاية ، لقد أخفضت رأسها فى تدلى على كتف إيان فانبعث منها رائحة قوية لعصير التفاح .

وقالت أمه :" لقد قام والدك بالتفتيش فى أدراج عديدة .... " ثم ألقت نظرة فى اتجاه أجاثا من الواضح أنه لم يكن من المفروض أن يتم النطق باسم : لوسى " وأضافت " ولم يعثر على أى شىء "

" نعم . لقد قال لى ذلك "

وقلبت أجاثا صفحة من دفترها واتجه والد إيان إلى مقياس الضغط الجوى الموجود على الحائط وراح يطرق فى خفة على الزجاج .

وقالت أمه " يا عزيزى إيان ، هل تنزعج إذا تركتك وذهبت لكى أنام فى سريرى ؟"

فقال إيان " لا . اذهبى " على الرغم من أنه قد شعر بأن مشاعره قد جرحت بعض الشىء ، فبرغم كل شىء كانت هذه هى زيارته الأولى لمنزله .

" لقد كان يومًا طويلاً وشاقًا للغاية مما جعلنى أشعر بالإرهاق الشديد ، وتوماس وأجاثا ينامان فى غرفة دانى ، ولقد وضعت السرير الصغير فى غرفتك ، وآمل ألا تتسبب دافنى فى ازعاجك "

"سأكون على ما يرام "

فقال والده " يبدو أنه مكرس نفسه للحياة المنزلية " : وأطلق ضحكة شبيهة بصهيل الحصان ، كان دوج ينتمي لفترة زمنية كان فيها منظر الرجل الذى يحمل طفلاً من الأمور الهزلية المثيرة للضحك ، وكان يحب أن يقول إنه لم يغير حفاضاً لطفل سوى مرة واحدة طوال حياته كلها وذلك عندما كانت بى مصابة بالانفلوانزا وكانت كلوديا طفلة رضيعة ، وهذه التجربة جعلته يتقيأ ، ودائمًا ما كان كل شخص ينخرط فى الضحك عندما يقص هذه الحكاية ، ولكن إيان تعجب الآن من السبب فى ذلك . وشعر بالضيق عندما شاهد والده ينجرف وراء بى نحو السلالم على الرغم من أنه لم يكن مصاباً بالتهاب المفاصل فى ركبته وبالتالى كان بإمكانه البقاء بكل سهولة لتقديم يد العون والمساعدة ، وقال وهو يرفع ذراعه لأعلى " تصبح على خير يا بنى "

فقال إيان فى اقتضاب " طابت ليلتك "

وجلس على الأريكة بجوار توماس ، فأصدرت دافنى على الفور صوتًا متقطعًا فى احتجاج فنهض واقفًا وشرع فى المشى مرة أخرى .

وقالت أجاثا : " يا إيان . هل ستقرأ لنا قصة ؟ "

" لا أستطيع الآن ، لأن دافنى لن تسمح لى بالجلوس "

فقالت أجاثا " إنها ستسمح لك إذا جلست فى كرسى هزاز"

فجلس فى الكرسى الهزاز فتململت دافنى وتحركت فى قلق ولكن ما أن بدأ فى التأرجح والاهتزاز حتى أصبحت مرتخية مرة أخرى .

وسأل نفسه فى تعجب :

" لماذا لم تخطر فكرة كهذه على ذهن أمه أو لماذا لم تخبرها أجاثا بذلك "

وكانت أجاثا تجذب كرسى القدمين لكى تتمكن من الجلوس إلى جواره ، وكانت عيناها منكستين وبدا وجهها الأبيض المستدير مكتملاً فى حد ذاته وغير مصاب بالانهيار .

وقالت فى لهجة آمرة " احضر كرسياً يا توماس "

فانزلق توماس تاركاً الأريكة وجذب الهزازة الصغيرة واستغرق ذلك منه بعض الوقت لأنه لا يترك الدولكيمار أبداً .

وقامت أجاثا بوضع كتاب فى حجر إيان يرجع إلى فترة طفولته . وكان عنوانه " بونى الصغير الحزين " . وكان يتحدث عن أرنب ضل طريقة أثناء رحلة خلوية ولم يتمكن من العثور على أمه ، وتعجب إيان من قراءة قصة كهذه تحت هذه الظروف الخاصة ولكن الطفلين راحا يصغيان فى تبلد و بلاهة - حيث كان توماس يرضع فى إبهامه بينما كانت أجاثا تقلب الصفحات بدون أن تبدى أى تعليق ، فى بادىء الأمر ذهب الأرنب مع طائر أبو الحناء الصديق وحاول أن يعيش معه فى شجرة ولكنه شعر بالدوار ، ثم ذهب مع حيوان القندس وحاول أن يعيش معه فى خزان ولكنه أصبح مبتلاً بالماء . ولم يكن إيان قد أدرك من قبل كيف أن هذا يتّسم بالتكرار والملل ، وابتلع إحدى التثاؤبات وملأت دموع الملل عينيه ، وجعله مجهود القراءة مع الاهتزاز يصاب بالغثيان بعض الشىء .

وفى الصفحة الأخيرة قال الأرنب الصغير " أوه ماما . إننى سعيد للغاية لعودتى للبيت الخاص بى " وكان يبدو فى الصورة جالسًا فى جحر دافىء عائلى محاط بالقماش الشيت ومحتضنًا أمه الأرنبة المرتدية مريلة ، وعندما قرأ إيان الكلمات بصوت مرتفع تلاحظ له أنها بدت عاليه للغاية – مثل شىء ما غير بارع يتم إسقاطه فى صمت ملىء بالصدمة ، ولكن أجاثا قالت " أعد مرة أخرى "

" لقد حان موعد الذهاب للنوم فى السرير "

" لا ، لم يحن الوقت ، كم الساعة الآن ؟ "

فقال " لدىّ فكرة ، أنتما تذهبان للاضطجاع فى السرير وعندئذ أقرأ لكما القصة مرة أخرى "

فقالت أجاثا " مرتين "

" مرة واحدة "

بأى شىء ذكَّره هذا ؟ الملل ، والتثاؤبات ...... لقد كان ذلك المساء هو الذكرى السنوية للمساء الذى شهد وفاة دانى ، فشعر بأنه يمر بربوتين مثيرًا للملل والضجر و بأنه ملتصق مع هؤلاء الأطفال المتبرمين الكثيرى الشكوى ليلة وراء ليلة وراء ليلة.

وفى الصباح جاء القسيس لكى يتناقش فى مراسيم الجنازة ، كان رجلاً ناشفًا ومتقدمًا فى العمر ومرتديًا الملابس الرسمية ، وبدا على بى أنها مرتبكة فى اهتياج عندما اقتاده إيان إلى غرفة المطبخ ، وقالت وهى

تفك مريلتها " أوه ، لا تنظر إلى كل هذه الفوضى " وأضافت " هيا بنا نذهب إلى غرفة المعيشة ، ويمكن لإيان أن يطعم الأطفال " ، ولكن الدكتور بريسكوت قال " هراء " ثم جلس فى كرسى بالمطبخ ، وتساءل " أين المستر بيدلو ؟ "

فقالت بى " حسنًا ، أدرك أن هذا الموقف من جانبه يبدو خاليًا من الشفقة ولكنه اضطر لأن يأخذ إجازة من العمل بالأمس . وبالطبع الإجازة ستكون غداً ... ولذلك فإنه ذهب إلى العمل اليوم " .

وقال الدكتور بريسكوت موجهًا كلامه لدافنى : " أهذا سلوك حسن ؟ " كانت تسحق قطعة من الموز بين أصابعها ثم تلطخها عبر صينية كرسيها العالى .

وقالت بى " هذا لا يعنى أنه لا يشعر بالحزن عليها ، فهو يشعر بالترويع تمامًا فى حقيقة الأمر " ، وأضافت " يا إيان لو سمحت : احضر لى قطعة من القماش ، ولكن من الصعب العثور على مدرسين بدلاء .... "

فقال الدكتور بريسكوت " نعم ، الحياة ينبغى أن تستمر وتواصل مسيرتها . أليس هذا صحيحًا يا أيتها الطفلة الصغيرة أبيجائيل "

فقامت بى بالتصحيح " أجاثا " وأضافت " فابنة كلوديا هى التى تسمى أبيجائيل" .

" وهل سيحضر الأطفال القداس الجنائزى ؟ "

" أوه . لا "

" أحيانًا يكون لذلك أهمية كبيرة "

فقالت بى " نحن نعتقد أنهم سيمضون وقتًا لطيفًا إذا بقوا هنا مع المسز ميردال ، فالمسز ميردال اعتادت الجلوس معهم عندما كانوا يسكنون فوق الصيدلية بل وهى تعرف جميع كتب حكايات الأطفال المفضلة لهم " وابتسمت عبر المنضدة نحو أجاثا ، فحملقت أجاثا فيها بدون أن تبتسم على الإطلاق

وقال الدكتور بريسكوت " يا أجاثا . يا توماس أدرك أن كل ما حدث هو أمر يصعب فهمه بكل تأكيد ، وربما تودان توجيه بعض الأسئلة لى "

فظلت أجاثا خالية من أى تعبير عن المشاعر ، أما توماس فقد هز رأسه بما يفيد النفى .

وقال إيان في داخل ذهنه " أود أن أوجه إليك بعض الأسئلة ، ولكن الدكتور بريسكوت لم يكن يوجه سؤاله لإيان .

إنه لم ينسى أن يحضر حلته ولكنه نسى رباط العنق ، لذا اضطر لاستعارة إحدى أربطة عنق والده من أجل الجنازة ، ثم وقف أمام المرآة ودفع بالعقدة لكى تنزلق فى مكانها الصحيح ثم قام بازالة الكرمشة عن ياقته ، وعندما دق جرس الباب . انتظر لكى يقوم شخص ما بالرد ، ولكن جرس الباب دق مرة أخرى فأطلق الكلب بستى نباحًا مليئًا بالهم والقلق ، فقال إيان " ادخل " ثم عبر الصالة وهبط مسرعًا على السلالم .

وكانت المسز ميرادل قد فتحت الباب الخارجى بالفعل لمسافة بوصات قليلة . وأطلت برأسها من الفتحة كانت قبعتها تشبه قبعة أطفال لبادية رمادية مقلوبة رأسًا على عقب . فقال إيان ؟ " هاى . مرحبًا . ادخلى "

" خشيت أن أكون قد تأخرت "

" لا . نحن بصدد أن نكون جاهزين "

ثم أصطحبها إلى غرفة المعيشة حيث جلست هناك على الأريكة . كانت إحدى تلك النساء اللائى يُصبحن يبحن مليئات بالخطوط المتقطعة لدى الدخول فى سن الشيخوخة – إذ أصبح وجهها مليئًا بالتجعيدات تحت العين وأصبح جسدها بمثابة سلسلة من التلال المنسحقة ، وقالت " الخريف على وشك المجيء أخيراً " ثم خلعت السويتر ، وأضافت " يوجد برد قارس حقيقى فى الهواء اليوم "

وقال إيان " أهكذا " وكان يتسكع فى المدخل و يسائل نفسه عما إذا كان من الوقاحة أن يتركها بمفردها فى غرفة المعيشة .

وقالت له فى تساؤل " وكيف يتشاجر هؤلاء الأطفال المساكين مع بعضهم البعض ؟ "

" إنهم على ما يرام "

" لم أستطيع أن أتغاضى عندما اتصلت أمك تليفونيًا وأخبرتنى ، هؤلاء أطفال مساكين صغار ! وأنا أعتقد أن والديك لن يحتفظا بهم "

فقال إيان " لا ، نحن نحاول العثور على بعض الأقارب "

فقالت المسز ميردال " حسنًا يا له من شيء مثير للخزى والعار " .

" لا أظن أنك تعرفين أية معلومات عن أى أقارب "

" لا يا عزيزى ، ولقد وجهت أمك لى نفس السؤال بالفعل ، فقلت لها [أنا آسفة ، فليس لدى أدنى فكرة] ، وبينى وبينك أنا متأكدة إلى حد كبير من أن لوسى ليست من بلتيمور "

" آه "

وقالت " يمكن لك أن تدرك ذلك إلى حد ما "

وأضافت "وأنا دائمًا ما أحسست بذلك حتى قبل أن نتشاجر سويًا ، وأعتقد أنك قد سمعت عن تشاجرنا سويًا"

فقال إيان " ليس بالتفصيل "

فقالت المسز ميردال " حسنًا " ثم طوت السويتر الخاص بها فى ترتيب ، وأضافت " ذات مرة ذهبنا سويًا إلى وسط المدينة فضبطّها وهى تسرق من الأشياء المعروضة فى المتجر "

" تسرق من المتجر ؟ "

" فهى جريئة للغاية ، إذ سرقت بلوزة من الحرير الصافى من حامل الملابس ودستها فى طيات عربة الأطفال ، بينما كانت طفلتها البريئة مستلقية فى نوم عميق، ولقد ذهلت للغاية مما جعلنى لا أفعل أى

شيء ، وأعتقدتُ أننى قد أسأت الفهم بكل تأكيد . واعتقدت أنه سيكون هناك توضيح ما بكل تأكيد ، وتابعت السير وراءها وأنا أقول لنفسى فى تفكير [لا داعى لأن تقفزى إلى النتائج] وواصلنا المسير . ومشينا بجوار كاونتر الأوشحة ، فشاهدت حركة سريعة خاطفة ! وفر وشاح إيطالى أحمر اللون هارباً إلى حقيبتها ، أعرف أنه كان ينبغى على أن أتكلم ولكنى كنت فى غاية الذهول ، وكان قلبى يدق بسرعة هائلة حتى ظننت أنه قد يقفز إلى حلقى على نحو ما ، حيث كنت أخشى من أن يتم إلقاء القبض علينا ، وكنا معرضين بالفعل لإلقاء القبض علينا كما تعرف . كنا معرّضين لأن ننقل بعربة الشرطة إلى السجن مثل المجرمين الحقراء ، حسناً ومن حسن حظنا أننا لم يتم إلقاء القبض علينا ، ولكنها عندما اتصلت بى تليفونيًا فى المرة التالية قلت لها [يا لوسى ، أنا مشغولة] فقالت [كنت فقط أريد أن أعرف عما إذا كان بمقدورك أن تجلسى مع أطفالى] فقلتُ لها [أوه ، لا أعتقد أننى أهتم بأن أكون جليسة لأطفالك ، شكراً] ، وكانت هى تدرك السبب فى ذلك أيضًا ، وهى لم تفش السر ولكن كان عليها أن تعرف ، وطلبت منى ذلك مرتين وفى كل مرة رفضت طلبها "

فأحنى إيان رأسه وشغل نفسه فى التربيت على الكلب بيستى .

" وليس معنى كلامى هذا أننى كنت أتمنى لها التعرض للمحن والشدائد والأمراض إذ حزنت عليها مثل أقرب الناس لها لدى سماعى خبر وفاتها "

ومن السلالم ترامى صوت وقع أقدام وصوت أمه وهى تقول " ... العصير موجود فى ذلك الإبريق الزجاجى المستدير ... " ثم وصلت إلى

المدخل بينما الطفلة مستندة على فخذها ، وكان توماس وأجاثا يسيران وراءها مثل ظلها ، وقالت " أوه ، المسز ميردال ! " وأضافت " لم أسمعك عندما دخلت إلى المنزل "

فنهضت المسز ميردال ومدت يديها في تحسس بالأصابع وفي اشتياق شديد مثلما تفعل النساء العجائز لدى التعامل مع الأطفال الصغار ، وقالت " انظروا كيف أن هذه الطفلة قد كبرت بسرعة أتتذكرين المسز مو / دو يا عزيزتي ؟ ، ثم أمسكت بدافني المتكوّمة في لفة وأمالت رأسها نحو الطفلين الآخرين ، وأضافت " يا توماس ، يا أجاثا كنت سأجد صعوبة في التعرف عليكما بعد أن أصبحتما أكبر من ذي قبل "

وقالت بي لها " لن نمكث طويلاً هناك ، فالإجراءات ستكون بسيطة للغاية .... يا إيان إلى أين ذهب والدك ؟ "

فقال إيان " أوم م .... "

" أليست هذه هي عادته ! أيمكن لك أن تبحث عنه في الدور التحتاني لو سمحت ؟ يا مسز ميردال حقائب الشاي موجودة في .... "

وذهب إيان إلى المطبخ . وراح يفكر : كل ما كانت تفعله هو السرقة من المحلات التجارية ، ثم عبر إلى حجرة إعداد الأطعمة الباردة وشرع في النزول إلى الدور التحتاني على السلالم ، وراح يفكر مرة أخرى ، إنها لم تكن تتقابل في موعد غرامي مع رجل وإنما كانت تسرق من المحلات العامة والدكاكين . ثم نادى بصوت مرتفع " والدي ! "

" أنا هنا بالدور التحتانى "

راح يفكر مرة ثانية : وذلك الفستان لم يكن هدية من حبيبها .

كان والده يقوم بأعمال السمكرة على منضدة العمل ، وكان مرتدياً حلته الداكنة الممتازة ، وكانت خطوط المشط مازالت واضحة فى شعره ، وكان منحنياً على اللمبة المأخوذة من غرفة النوم الموجودة بالعلية ، ثم تساءل بدون أن يستدير ملتفتاً : " هل نحن بصدد الذهاب الآن ؟ "

وراح إيان يفكر " بل وأنا نفسى كنت مشهوراً بسرقة المحلات والدكاكين ، أنا وبيج و أندرو عندما كنا فى الصف الخامس ، وهذا شىء لا أهمية له على الإطلاق أو ليست له أهمية إلى حدّ ما .

" إيان ؟ "

فنظر إيان إلى والده .

" هل نحن بصدد الذهاب الآن ؟ "

فقال إيان بعد لحظات " نعم "

" حسناً . هيا بنا "

ثم قام والده بإطفاء الضوء الموجودة فى أعلى المقعد الخشبى الطويل وشرع فى الذهاب نحو السلالم ، وتوقف بجوار إيان وقال " أأنت ستجىء معنا ؟ "

" نعم "

وصعدا سويًا على السلالم .

وراح إيان يفكر : أوه . يا إلهى . هذه هى النقطة المظلمة الصغيرة الوحيدة الأخيرة التى لا أستطيع استيعابها .

وفى الصالة كانت أمه تضع القبعـة على رأسهـا ، وسـألت والده " ما السبب فى أنك تفضل الاختفاء فى نفس اللحظة التى يكون فيها كُلّ فرد جاهزاً ؟ "

" كنت فقط ألقى نظرة على تلك اللمبة يا حبيبة قلبى " .

وغادر ثلاثتهم المنزل ومشوا نحو السيارة ، وشعر إيان بالكدمات فى أسفل الجزء الأمامى من جسده وكما لو كان قد ركله أحد بقدمه .

آخر مرة دخل فيها الكنيسة كان من أجل أن يحضر جنازة دانى وقبل ذلك كان من أجل أن يشهد مراسم زواج دانى . وعندما وقف على الرصيف ونظر لأعلى نحو الكنيسة المشيخية البروتستانتية الموجودة بشارع دوبار تجمعت كل أفكاره حول أخيه ، لم يكن يصدق أن أخاه قد تُرك بمفرده هنا فى هذا المكان وفى هذا المبنى الحجرى المستدق الرأس والذى به برج كنيسة مزوّد بعوارض منحنية لتسهيل دخول الهواء مع حجب الشمس وردّ المطر.

وفى الداخل توقف والداه من أجل إلقاء التحية على المسز جوردان بينما استمر إيان فى السير فى الممشى ، ومر بجوار الخالة بيف وزوجها وابن الخالة آمى كما مر بجوار شاب وزوجته من الأجانب القاطنين فى الحى ، ثم وقع بصره على شعر سيسلى الأشقر اللامع مثل

رقائق خشب الصنوبر الجديدة فانزلق إلى جوارها وأمسك بيدها التى اتضح أن بها كتلة مبللة من ورق الكلينيكس ، وكانت رموش عينيها وخداها مبللة أيضاً ، حيث أدرك ذلك عندما ابتسمت له ، وكانت قد قالت له عندما اتصل بها تليفونياً أنها لن تفكر فى عدم المجىء حتى ولو كان ذلك يعنى أنها سوف تستقل القطار لمدة ساعتين ، وقالت له إنها بحاجة فقط لأن تقول : وداعاً . فهى دائماً ما كانت تنظر إلى لوسى على أنها صديقة حميمة وعزيزة عليها .

ويدأ الأرغن فى العزف فى نغمات خافتة ، ثم دخل الدكتور بريسكوت من باب جانبى وجلس على مقعد خلف المنبر ، وأسفل المنبر كان يوجد التابوت ، وكان له لون رمادى فاتح وكان مزداناً بغصن ملىء بالزهور البيضاء اللون ، ومنظر التابوت جعل إيان يشعر ببرودة تسرى فى كيانه ، شىء ما مثل نصل بارد دخل فى صدره فأشاح بوجهه بعيداً .

والآن كان الآخرون يمشون فى طابور فى الممر – كان والده وقوراً وخجولاً أما والدته فقد ظهر عليها الإحباط أكثر مما ظهر عليها الحزن . لقد اعتادت أن تقول لإيان عندما كان يسىء التصرف " إننى لست غاضبة ولكنى شاعرة بالإحباط وخيبة الأمل " (وما الذى يمكن أن تقوله الآن إذا عرفت ما فعله على وجه الدقة ؟) وخلفهما جاءت كلوديا وماسى مع أبىّ التى كانت تُعتبر الآن كبيرة بالقدر الذى يسمح لها بحضور الجنازات وكانت تلبس لأول مرة حذاء له كعب عالى وبذلك كانت تتمايل بعض الشىء وهى تسير وراء الآخرين إلى المقصورة ، ولم تكن هذه هى

المقصورة الأمامية وإنما المقصورة الموجودة خلف الأمامية ، وربما كانت المقصورة الأمامية محجوزة من أجل أقارب لوسى الذين يرتبطون معها بقرابة الدم فى حالة إذا ما لاح فى الأفق أى قريب لها .

ولكن لم يظهر أى قريب لها ، وتلاشت موسيقى الأرغن ، ونهض الدكتور بريسكوت وأعلن بدء الصلاة ، ومع ذلك لم يظهر أى شخص لكى يشغل المقصورة الشاغرة وكانت الصلاة من أجل الأحياء ، إذ ترنم الدكتور بريسكوت فى إنشاد " يا إلهى نحن نعرف أن ابنتك لوسى موجودة إلى جوارك وبذلك أصبحت فى حالة من الأمن والأمان ، ولكننا نطلب منك يا إلهى أن تواسى المتبقين . نحن نتوسل إليك يا إلهى أن تحقق لهم الارتياح وتخفف من آلامهم ولتنصب رحمتك مثل البلسم الشافى على قلوبهم " .

مثل البلسم الشافى ، وتخيل إيان شيئًا ما له لون أبيض وشبه سائل – مثل زجاجة الغسول التى تحتفظ بها والدته بجوار حوض المطبخ على سبيل المثال – ومعطر على نحو ممتع برائحة اللوز ، أيمكن للبلسم أن يهدئ ليس فقط الحزن ولكن أيضًا الشعور بالذنب ؟ وليس فقط الشعور بالذنب ولكن أيضًا الكرب العظيم ؟

وعادة كان إيان لا يبالى بالصلوات [أو بأى شىء أخر حتى ولو كان متسمًا بالطابع الدينى على نحو غامض] ولكنه استمع إلى هذه الخطبة فى شغف واشتياق ، إذ انحنى للأمام وهو جالس فى كرسيه كما لو كان بمقدوره أن يركب على الكلمات على طول المسافة إلى السماوات وظل مغمضًا عينيه فى إحكام شديد . وراح يفكر " لو سمحت ، لو سمحت ، لو سمحت .

وفى المقصورات المحدقة به سمع خشخشة وتزييقًا . ففتح عينيه فشاهد جموع المصلين وهم ينهضون فنهض فى تثاقل واقفًا على قدميه وحملق فى كراسة الترنيم التى كانت سيسلى تمسك بها أمامه ، فانضم بصوته فى وقت متأخر " .... معى يهبط المساء بسرعة .... " وكان صوته مثل صرير الباب ، ثم لاذ بالصمت وراح يصغى لأصوات الآخرين - إلى صوت سيسلى السوبرانو وصوت جوردان الألتو المنخفض للغاية وصوت الدكتور بريسكوت العميق المنخفض الثرى ، وكانوا ينشدون قائلين " الظلام يزداد عمقًا ساعدنى يا إلهى وأمكث إلى جوارى وحافظ علىّ " .

ولم تعد الأصوات متناثرة وفردية وإنما تضافرت فى نغمات متآلفة ومتعددة الجدائل بل وبدا الحشد كله وكأنه شخص واحد - شخص واحد له شفقة هائلة وعاطفة هائلة شخص ما دمث الأخلاق وحكيم ومتسامح ، واختتموا الترنيمة قائلين " يا إلهى فى الحياة وفى الممات ابق إلى جوارى وساعدنى " ، وبعدئذ صدرت " أمين " مطولة ومليئة بالتنهيدات ، ثم جلس الناس فجلس إيان هو الآخر ، كانت ركبتاه ترتعشان ، وشعر بأن كل شىء قد سحب بعيداً عن كيانه ؛ وكل الحزن وكل حالات إلقاء اللوم على الذات وتأنيب الذات ، أصبح طاهراً ونظيفًا ونقيًا ورخواً مثل طفل ، و قصارى القول إنه وُلد من جديد .

ومن خلال عملية الدفن فى " مقبرة وجبّانة الذكرى الطيبة " ورحلة العودة بالسيارة إلى المنزل ومن خلال الاهتياج العصبى المتعلق بترويض وإصلاح الأطفال وإعداد إناء القهوة و إلقاء التحية على الضيوف الذين

توقفوا عند المنزل فيما بعد تعرض إيان لحالة عقلية غامضة شبيهة بالحلم . فراح يتجول فى جميع أرجاء غرفة المعيشة وقد أمسك بطبق خاص بحبات حلوى سمراء صغيرة بدون أن يدرك أنه شاغر إلى أن لفت نظره إلى ذلك زوج أخته ، إذ قال ماسى فى قهقهة " إيان مستغرق فى أحلام اليقظة " وعندئذ أخذت المسز جوردان الطبق من إيان . وجاءت سيسلى من الخلف ووضعت يدها على يده وسألته " أأنت على ما يرام ؟" .

فقال " نعم ، أنا بخير " .

وكانت أطارف أصابعها مثل أشياء صغيرة ناعمة غير مكتملة النمو . لأنها كانت قد قضمت أظافرها ، وكانت تنبعث من أنفاسها الرائحة المعدنية للكوكاكولا ، وكان وجه المسز جوردان المليء بالصخور والأجراف المنحدرة له شكل مموّه ومُفصّل مثل جلد القنفذ المدرع الجنوب / أمريكى ، وكان كل شىء يبدو واضحًا للغاية ولكنه أيضًا بعيد للغاية .

وقالت المسز جوردان لسيسلى : " كانت الأحداث متلاحقة أكثر من اللازم ، وبحيث يصعب على المرء استيعابها على الفور : ففى باداىء الأمر دانى والآن لوسى " والتفتت لكى تدخل أحد الأجانب فى المناقشة حيث كان يتسكع عن كثب على أمل أن يدخل فى المناقشة ، ثم قالت " إننى أتذكر اليوم الذى أعلنا فيه خطبتهما " ثم أضافت " أتتذكر ذلك يا جيم ؟ " .

فقال الشخص الأجنبى " جاك " .

" يا جاك ، أنا كنت موجودة هناك عندما أحضرها إلى منزله ، إذ كنت قد ذهبت لكى أستعير المقص المشرشر فشاهدتهما وهما يدخلان إلى المنزل ، فعرفت الحكاية على الفور ، فتاة صغيرة وجميلة للغاية على ذلك النحو .. فمن الذى لا يرغب فى الزواج منها ؟ "

فقال جاك موجهًا كلامه لإيان " الكرب العظيم هبط عليك "

" أووم م ..... "

" هون عليك . تقبل خالص عزائى "

من المؤكد أن هذا هو الشخص الأجنبى الذى كان متحمسًا للغاية لقاموس روجيت ، ودائمًا ما كانت بى تقتبس بعناية تعليقات مختارة . وألقت المسز جوردان عليه نظرة مليئة بالتأمل والتفكير ثم قالت له " وفقًا لثقافتك أعتقد أن لوسى لم تكن ستستمر على قيد الحياة على مدى هذه الفترة الطويلة وأضافت " ألا يقمن بالقاء أنفسهن على محرقة أزواجهن أو شىء من هذا القبيل ؟ "

" محرقة ؟ "

ثم قالت لإيان " والآن أعتقد أن دوج و بى سيضطران لأن يقدما الرعاية لهؤلاء الأطفال المساكين "

فقال إيان " حسنًا ، فى حقيقة الأمر ..... "

" عليك فقط بإلقاء نظرة على تلك الطفلة الصغيرة ، هل سبق لك أن شاهدت طفلة جميلة للغاية وغالية ومحببة النفس إلى هذه الدرجة ؟ "

فقام إيان بتتبع حملقتها ، فى المدخل المؤدى إلى الصالة كانت دافنى تقف مترنحة فى غير ثبات ، ومما لا شك فيه أن حذاءها الأبيض المزغلل – والذى له نعل ناشف وكعب عالي – هو الذى ساعدها على الوقوف فى اعتدال ، ولكن وقوفها بمفردها وهى فى سن عشرة شهور كان بمثابة عمل بارع و إنجاز رائع وذلك من وجهة نظر إيان ، أكانت هذه هى أول مرة تحاول فيها الوقوف بمفردها ، وفكر فى كل الهرج والمرج الذى قد يحدث فى مثل هذه الأمور – والتصفيق الحاد والمناداة بإحضار كاميرا من أجل أخذ لقطات لذلك المشهد الفريد ، ولكن دافنى استمرت فى الوقوف بدون أن يلاحظها أحد : طفلة شاردة ضئيلة الحجم نحيلة ترتدى فستاناً أكبر من حجمها وتنتقل ببصرها فى قلق من وجه لآخر .

ثم وقع بصرها على إيان ، فاتسعت عيناها ، ثم ابتسمت ، وسقطت على الأرض وانطلقت فى خطوات سريعة نحوه مع التعرّج بين سيقان الكبار والتوقف من وقت لآخر لكى تحرر نفسها من حاشية فستانها ، وأخيراً وصلت عند قدميه ثم أمسكت ببنطلونه وجذبت نفسها لأعلى إلى أن وقفت ، وعندما نظرت لأعلى نحوه فى إشراق اضطرت لأن تلقى برأسها بشدة للوراء مما جعلها تكاد أن تسقط.

فانحنى إيان ورفعها بين ذراعيه ، فألقت برأسها فى استكانة على كتفه ، فقالت المسز جوردان " أوه المحبوبة : وأضافت " إنها تحبك إلى درجة الجنون ..... ! أليس كذلك يا إيان ، أليس كذلك يا إيان ؟ "

ولم يعرف السبب الذى جعل التألق البهاء المتخلف عن الكنيسة يتلاشى على نحو مفاجئ للغاية ، إذ بدا الهواء بالغرفة معتماً ومائلاً إلى

اللون البنى ، بل وبدا صوت المسز جوردان أجوفًا ، وكانت الطفلة ثقيلة الوزن للغاية .

وبعد أن رجع إلى الكلية حاول استعادة نفس المشاعر والأحاسيس التى أحس بها أثناء الجنازة ، فراح يترنم بأنشودة " ابق إلى جوارى ... ابق معى " فى صوت خافت للغاية ثم أغلق عينيه على أمل أن يستدعى فى داخل ذهنه الصوت المفرد المتلاشى للجمهور والضوء الخافت المترامى من النوافذ المفروشة بالحصباء والأحاسيس بالرحمة والعفو والغفران ، ولكن لم يتجسد فى داخل ذهنه أى شىء ، إذ ساد الجو القرميدى اللطيف لكلية سومنار ، بيولوجيا ١٠١ تطورت من الديدان الخيطية إلى الضفادع والملك جون رفض الاعتراف بالماجنا كارتا وزميل إيان بالغرفة جره لكى يشاهد فيلم " المرأة الشيطانة القادمة من الفضاء الخارجى " .

وفى الليل وقف دانى عند السبورة أثناء حصة إيان للغة الإنجليزية ، وأعلن قائلاً " هذا حلم " وأضاف " فالكلمة حلم dreem مشتقة من الكلمة الاتينية dorimus والتى تعنى : "لعبة الحظ" فاستيقظ إيان وهو موقن ومتأكد تماماً من أن هناك رسالة ما موجهة إليه فى هذا الحلم ، ولكنه كلما بذل مجهوداً لحل شفرة الحلم وتفسيره ، انجرف المعنى بعيداً عنه .

واتصل تليفونيًا بمنزله بعد ظهر يوم السبت فعرف أن المسز جوردان من بين جميع الناس قد تمكنت فى مهارة من اكتشاف اسم الزوج السابق للوسى ، إذ قالت بى لايان " فما فعلته هو أنها أجلست

أجاثا إلى جوارها وراحت تذكر بعض العبارات التى تقولها الزوجة عادة فى الحياة الزوجية اليومية ، فقالت [لا تنسى سـلة القمـامة] وقالت [وقت العشاء] وقالت [أنت قد تأخرت] ، وكانت نظريتها هو أن الاسم قد يقفز إلى ذاكـرة أجـاثا ، وكانت تعتقد أن توماس صغير للغاية بحيث لا يمكن محاولة ذلك معه ولكن توماس هو الذى شرع فى الكلام فجأة [أنت قد تأخرت فى استخراج الشيك مرة أخرى يا توماس] وعلى نحو فجائى تمامًا " .

فقال إيان " حسنًا هذا الكلام معقول " وأضاف : " وهذا يعنى أن توماس هو بالتأكيد توم جونيور "

" فقلتُ لجيسى جوردان (يا جيسى أنت إنسانة رائعة) إننى فى حقيقة الأمر لا أعرف ما الذى كنت سأفعله بدونها فى خلال هذه الأيام القليلة الماضية . أو بدون أى شخص من الجيران ، فهم جميعًا قدّموا لى يد العون والمساعدة إلى أقصى درجة ، حيث قاموا بتنفيذ الأعمال نيابة عنى بل وكانوا يأخذون الأطفال عندما تتفجر الآلام فى ساقىّ "

وما كانت تقوله بدا لإيان على النحو التالى : " انظر إلى الأشياء التى فعلتها ، هل تشاهد هذه الأمور التى فعلتها ؟ هل تدرك كيف أنك قد دمرت حياتنا ؟ " . على الرغم من أنها بالطبع لم تكن تهدف إلى هذا المعنى على الإطلاق ، وأضافت قائلة أن عائلة آل كاهن المقيمين بالمنزل المجاور قد أعاروها جليستهم كما أن الأجانب قد أحضروا لها أناء مليئًا بحساء المكرونة العصائدية التى لها مذاق متخلف فى الفم يشبه القىء وأضافت " كان الناس ومازالوا متسمين بروح الود والصداقة ، كما أن والدة سيسلى قد اتصلت بى تليفونيًا لكى تقول ... "

فقاطعها إيان قائلاً " ولكن ماذا عن توماس سينيور ؟ "

" ماذا عنه ؟ "

" هل قمت بالبحث عنه فى دليل تليفونات شيين ؟ "

" أوه . لقد اتصلنا تليفونيًا بالفعل بكافة الأشخاص الذين لهم اسم دين الموجودين فى شيين ، ولكن أصبح لدينا الآن اسم يمكن إعطاؤه للمسئولين ، والمسئولون ينبغى عليهم أن يكونوا قادرين على تتبع شىء ما مثل : رخصة قيادة السيارة أو وثيقة الزواج ...... وأنا أتذكر أن لوسى قالت ذات مرة إنه قد تزوج مرة أخرى " .

وفى تلك الليلة شاهد إيان فى حلمه لوسى وهى جالسة فى غرفة معيشتها بين كميات هائلة من سلال البريد : خطابات ونشرات إعلانية ومجلات ، ثم دخل دانى إلى غرفة المعيشة وقال " لوسى ؟ ما هذا ؟ " .

فقالت " أوه . لم يعد بمقدورى أن أفتح هذه الأشياء . فمنذ أن انتقلت أنت إلى رحمة الله لم تعد لدى الشجاعة على ما يبدو "

فصاح قائلاً " ولكن هذا شىء رهيب ، صحيح أنه يمكن لك إغفال الأشياء التافهة أما المظاريف التى هى من الدرجة الأول الممتازة يا لوسى فإنها ملقاة أيضًا بدون أن تُمسّ ! " .

فقالت فى صوت وترى مشدود " إذن تحدث مع إيان فى هذا الشأن " .

" إيان ؟ "

فقالت " إيان يقول إننى لست فتاة من الدرجة الأولى على الإطلاق " ثم التوى فمها عند الزاويتين فى نكد ووقاحة و حقد .

فاستيقظ إيان وراح يرمش بعينيه وينظر إلى بصيص الضوء المنساب من تحت الباب ، وكان ونستون غارقًا فى التشخير ، وكانت الموسيقى تنساب من مذياع شخص ما ، ثم سمع احتكاك وصرير كرسى على أرضية الصالة كما سمع ضحكة مشرقة خالية من الهم والقلق .

وفى صباح يوم الأحد ذهب إلى المدينة مستقلاً أتوبيس الكنيسة الأزرق الصغير التابع للكلية . وكان معظم الركاب من الكلية الذين لم يشاهدهم من قبل على الإطلاق ولكنه تعرف على رفيقته فى المعمل حيث كانت مرتدية معطفًا فضفاضًا له سطح شديد القدرة على الاحتمال ، فتظاهر بأنه لم يشاهدها واتجه نحو المقعد الطويل الموجود فى المؤخرة حيث جلس هناك بين ولدين لهما قصة شعر قصير للغاية مما يوحى بأنهما قد بزغا من الخمسينيات لعام ١٩٥٠ . وأدرك أن هذا الأتوبيس كان أتوبيسًا " للخاسرين " من نوع ما وخطر على ذهنه أن يقفز خارجًا منه فى الوقت الذى يمكن له فيه أن يفعل ذلك ولكن بعدئذ صعدت سكرتيرة صف التخرج – وهى فتاة متزنة وجذابة – فعادت الطمأنينة إلى نفسه ، وراح يطوف بعينيه على المزارع التى لم يتبق منها سوى القليل من الزرع عقب حصد محاصيلها مع تثبيت عينيه فى خط مستقيم أمامه بينما الولد الموجود على يساره راح يعزف بأصابع يده ترانيم صلوات دينية ، والولد الموجود على يمينه يهمس بآيات من الإنجيل .

وعند ميدان القضاء العالى فى سومنار توقف الأتوبيس ونزل منه جميع الركاب ، وفضل إيان السير وراء أكبر مجموعة من الطلبة كانت تضم سكرتيرة صف التخرج وتضم أيضًا طالبًا مستجداً يسمى إيدى له شكل عادى ومألوف له حيث كان قد شاهده من قبل فى المهجع ، وسار هو وايدى فى خطوات متوازنة وفى إيقاع واحد وقال إيدى له " أأنت فى طريقك إلى نصب ليدز التذكارى ؟ "

" حسنًا . نعم . أعتقد ذلك "

فأومأ إيدى برأسه وقال " إنه ليس رديئًا للغاية : وأضاف " إننى أذهب إليه فى كل أسبوع على أساس أن جدتى تدفع لى التكاليف "

" تدفع لك التكاليف ؟ "

" إذا لم أتخلف عن الذهاب فى يوم الأحد طوال العام ولو مرة واحدة أحصل على شيك بمبلغ مائة دولار " .

فقال إيان " أوه ! جوش ! "

كان نصب ليدز التذكارى عبارة عن مبنى فخم مشيد من القرميد ومطلى من الداخل باللون الأبيض وبه مقاعد داكنة ومصقولة بالورنيش اللامع ، وكانت جوقة المرتلين تبدو محترفة وكانوا ينشدون التسبيحة الافتتاحية بمفردهم بينما جماهير الحاضرين ظلوا جالسين على المقاعد ، وربما كان ذلك هو السبب فى أن إيان لم يشعر بالتأثر الشديد بها ، إنها الموسيقى فقط ولا شىء غير الموسيقى - شىء ما غير مألوف وله الطابع الكلاسيكى وأداء خال من العيوب ، وربما كان على جميع الحاضرين بالكنيسة أن يشاركوا فى الغناء .

وموضوع اليوم كان هو الحصاد . لأنهم كانوا يقتربون من عيد الشكر . وأشارت قراءة الإنجيل إلى جنى القمح وكان للخطبة علاقة بخلود المرء إلى الراحة عقب عناء العمل ، وقام راعى الكنيسة - وهو شخص أخرق وكسول ومتساهل ومثل واحد من أولئك الأولاد الذين يرتدون صديرى سويتر يظهر تحت البدلة - بتوجيه النصائح للمستمعين إليه لكى يكونوا متسمين بالشفقة مع أنفسهم وأن يخلدوا للراحة والهدوء وسط الضجيج والهرج والمرج ، وشعر إيان بالتثاؤبات الهائلة وهى تجوف الجزء الخلفى من حلقة وأخيراً بدأ العازف على الأرغن يعزف مجموعة من النغمات المتآلفة وانتهت الخطبة ثم نهض كل شخص واقفاً على قدميه ، وكانت الأنشودة هى : " إنتاج الحبوب والغلال " وكانت نغمة متأرجحة وساذجة وبلهاء وفقًا لما أحس به إيان كما أن الصوت الجماعى للجمهور كان به رقة شبيهة بصوت الفلوت وكما لو كانت تسوده النساء الطاعنات فى السن المرتديات أفخر الثياب والجالسات فى المقاعد .

ولدى السير فى طريق العودة إلى الأتوبيس سأله إدى عما إذا كان سيجىء فى كل يوم أحد .

فقال إيان إنه يشك فى ذلك .

كانت أجازته فى مناسبة عيد الشكر متسمة بالنكد وعدم التنظيم ، ولم يكن أحد قد طالب بالحصول على أولاد لوسى بعد ، وبحلول هذا الوقت كانوا قد انتقلوا للعيش فى منزل العائلة بكامل معداتهم ، وأصبحت لعب أطفالهم تكسوا فى تبعثر غرفة المعيشة ، كما كانت

قواربهم وبطاتهم تحتشد فى إزدحام فى غرفة الحمام ، كما كان سرير دافنى يسبب الاعاقة والازدحام فى غرفة نومه ، وكان إيان منزعجًا لأن أمه تبدو منهكة القوى للغاية وثقيلة الوزن وكبيرة البطن ، إذ تم توسيع حزام بنطلونها باستخدام إحدى دبابيس الأمان الكبيرة الحجم التى كانت النساء ذات يوم تزين بها تنوراتهن ، وكان العشاء الذى قدّمته فى مناسبة عيد الشكر فاترًا - إذ كان خاليًا من فاتحات الشهية ولا حتى قبل الموعد المحدد . كما أن الديك الرومى لم يكن محشواً ، بل أن الفطائر كانت مشتراه جاهزة من المحلات ، وحتى عدد الضيوف بدا ناقصًا ، وراحت كلوديا تصرخ فى وجه أطفالها فى حدة كما أن ماسى ظل ينتقل من المنضدة لكى يراقب مباراة كرة قدم فى التليفزيون ، وكان على الأجانب أن يغادروا قبل تناول الطبق الحلو لكى يقابلوا طارءًا قادم جديد . وبوجه عام كان انتهاء هذه الوجبة أمرًا مثيرًا للارتياح .

وحاول تقديم المساعدة للأطفال بقدر المستطاع .

فلعب معهم لعبة البرجيس مرات عديدة لا نهائية كما قرأ لهم حكاية " الأرنب الصغير الحزين " مرات عديدة . وكان يستيقظ فى كل ليلة مرة واحدة على الأقل لكى يهز دافنى فى رفق ويجعلها تعود للنوم مما كان يجعل رأسه ينحنى بالنعاس أثناء هذه العملية ، وكثيرًا ما كان يشعر بأنها تهزه لكى ينام ، وفى بعض الأحيان كان يستيقظ فيجدها تتفحص وجهه فى هدوء فى الظلام أو تفتح إحدى جفنى عينيه بأصابعها اللزجة الربانة المليئة باللحم .

ومما يدعوا للسخرية أنه أثناء هذه الأجازة أخبرته سيسيلى بأنها ربما تكون حاملاً . ففى منتصف مشاهدة فيلم سينمائى تحت عنوان

"فتاة جورجى" والذى يدور حول امرأة شابة متعبة ومثيرة للضجر والملل ومغرمة بالأطفال أمسكت بكمه وهمست قائلة له أن دورتها الشهرية قد تأخرت أسبوعين عن موعدها فتساءل دون أن يدرك المعنى " تأخرت عن ماذا ؟ " مما جعلها لسبب ما تجهش بالبكاء ، وعندئذ أدرك المعنى .

وتركا الفيلم وراحا يتجولان بالسيارة فى أرجاء المدينة . وظل إيان يتخيل احتمالات أخرى ، ربما كانت هى متوترة وقلقة بسبب الامتحانات أو ربما كان ذلك يرجع إلى سفرها جيئة وذهاباً بالقطار ثم قال بصوت مرتفع : " لست أدرى ! وكيف يمكن لى أن أعرف ؟ هناك سبب ما لعين ! " فقالت " لا ينبغى أن تصيح بصوت مرتفع ! فهى غلطتك بقدر ما هى غلطتى . أو هى غلطتك أكثر مما هى غلطتى . فأنت الذى عرض علىَّ هذه الفكرة "

ولم يكن هذا كلاماً دقيقاً وصحيحاً تماماً ، ولكن على المستوى العميق فإنه كان يستأهل على ما يبدو كل كلمة ألقتها فى وجهه ، إذ شاهد نفسه كشخص متآمر وواقع تحت تأثير الجنس ، بل ومرت عليه أيام كانت فيها أفكار ممارسة الجنس مع أى فتاة – ولا يشترط أن تكون الفتاة هى سيسلى – لا تغادر ذهنه لحظة واحدة ، والآن انظر : هنا كانت كفارته الشرعية ، الزواج فى سن الثمانية عشر و وظيفة تتمثل فى تعبئة مواد البقالة فى أكياس محلات A and B ، وأخذ نفساً ، ثم قال "لا داعى لأن تشعرى بالقلق ياسيسلى فأنا سأهتم بك و أتولى رعايتك" .

وكان من المفترض لهما الذهاب إلى منزل أندرو عقب الفيلم ولكنه بدلاً من ذلك أوصلها بالسيارة إلى منزلها وقال لها " سأتصل بك

تليفونياً غداً " ثم واصل الانطلاق بالسيارة إلى منزله ، وتسلق صاعداً على السلالم إلى غرفته حيث وجد دافنى جالسة معتدلة القامة وقد مدت ذراعيها أمامها .

وبحلول الوقت الذى عاد فيه إلى الكلية فى مساء يوم الأحد كان قد أقنع سيسلى تقريبًا بالذهاب إلى طبيب ، وما كان يأمل فيه [ولكنه لم يقل ذلك صراحة] هو طبيب يعرض عليها تناول حبة دواء يكون لها مفعول السحر أو أى شىء من هذا القبيل ، ومن المؤكد أنه توجد هناك حبة على ذلك النحو ، بالتأكيد كانت هناك حبة من تلك النوعية وربما دواء البرد العادى أو قرص الصداع المتاح على الأرفف المكشوفة والمرفق به بطاقة مكتوب عليها عبارة : " لا يؤخذ أثناء الحمل " كان بمثابة رسالة مشفرة لأولئك الذين بحاجة إليه ، ولكنه إذا ذكر ذلك صراحة لسيسلى فإنها قد تظن أنه لا يرغب الزواج منها أو أى شىء من هذا القبيل ، بينما هو فى حقيقة الأمر يرغب فى ذلك ودائمًا ما كان يخطط من أجل تحقيق ذلك ، ولكن كل ما هناك هو أن الوقت الملائم لم يحن بعد ... يا إلهى ، ليس عندما لا يكون قد اضطجع بعد على الإطلاق مع فتاة لها شعر أسود .

وجفل من فظاعة هذه الفكرة التى كانت قد انزلقت فى نعومة شديدة إلى داخل ذهنه حتى أنها ربما كانت متواجدة هناك دائمًا ومنذ البداية .

وفى بيولوجيا ١٠١ فى يوم الثلاثاء أشارت زميلته فى المعمل إلى أنها قد شاهدته فى أتوبيس الكنيسة وسألته عما إذا كان يرغب فى أن

يحضر مع مجموعة الشباب المسائية فى يوم الأربعاء فى مكان العبادة الخاص بها فقال لها على الفور . " أوه . آسف . لا أستطيع ذلك " وأضاف " إذ ينبغى على أن أعد بحثًا وأقدمه فى الوقت المناسب "

فقالت " حسنًا . إذن ربما فى مرة أخرى " وأضافت " فنحن دائمًا ما نمضى وقتًا مليئًا بالمرح ، فهم عادة يعرضون فيلمًا . فيلمًا جميلاً وظريفًا ونظيفًا وبدون لغة " .

فقال " لا يبدو هذا شبيهًا باللهو والمرح " وكان يعنى ذلك بكل صدق . وعلى نحو فجائى تحرق شوقًا لحياة بريئة طاهرة الذيل ، وقرر أنه إذا اتضح أن سيسلى غير حامل فإنه يمكن " لهما " البدء فى العيش على ذلك النحو ، و تصبح حالات لقاءاتهما سويًا بالخارج مأمونه وغير منطوية على مخاطر مثل تلك الصور التى تظهر فى إعلانات السجاير : شباب أصحاء يضحكون فى ابتسامات عريضة تكشف عن أسنانهم الجميلة وقد ظهروا فى مجموعات جماعية غير متخذة الطابع الشخصى تشوى الذرة وتفرقع الفشار على النيران وتمتطى مركبات الجليد .

وفى تلك السنة جاء الكريسماس فى يوم الأحد ، ولم يصل إيان إلى منزله حتى حلول الفترة المسائية من يوم الجمعة ، ولذلك شهد يوم السبت اندفاعًا محمومًا من أجل شراء الهدايا ، ولم يجد فرصة لإلقاء نظرة فيما حوله ومعرفة حالة المنزل إلاّ فى عشية عيد الميلاد ، فتلاحظ له أنه على الرغم من تشييد شجرة كبيرة الحجم فى غرفة المعيشة إلاّ أن أحدًا لم يقم بتزيينها حيث ظل صندوق الزخارف والديكورات مغلقًا وموجودًا على البيانو ، كما كانت الفروع الخضراء مفقودة من الدرابزين

ولم يكن يوجد هناك إكليل من الزهور على الباب الرئيسى وكان هناك جو عام من الإهمال يسود فى جميع أرجاء المنزل ، ولم يكن الأمر يتعلق بالاسترخاء والكسل أو الاتجاه نحو الطابع الشعبى أو الإهمال أو الإتكال على الحظ وإنما كان يتعلق بالقذارة حيث كانت رائحة الزبالة وصندوق القطة تنبعث من المطبخ كما أن آخر سمكتين ملونتين كانتا طافيتين وميتتين فى زهريتهما المليئتين بالغثاء ، بل ولم يكن قد تم تغليف أى هدية من الهدايا ، وعندما رغب الأطفال فى تعليق جواربهم اتضح أن جميع الجوارب موجودة فى المغسلة .

وقالت بى " إننى آسفة " و أضافت " ولكن شخصاً ما أو آخر كان مريضاً على نحو متواصل خلال الأسبوعين الماضيين ولم يكن لدى أى متسع من الوقت ، ولذلك فأنا آسفة ، يمكن لكم أن تعلقوا أى شىء آخر بدلاً من الجوارب ، يمكن أن تعلقوا حقائب البقالة أو أكياس الوسائد" .

فقال توماس فى حزن و اكتئاب " أكياس الوسائد " فقال له إيان " لا تقلق ، فلسوف أقوم بغسل الملابس هذه الليلة ، عليك بالذهاب إلى النوم فى سريرك وأنا سأقوم بتعليق جواربك فيما بعد " و لذلك تم قضاء هذا المساء فى البدروم أو الدور التحتانى إلى حد ما ، ووجد إيان السلال الكبيرة ذات الغطاء محشوة للغاية حتى أنه اعتقد أن غسل الملابس لم يتم على مدى فترة طويلة من الوقت وقرر أن يغسل كل هذه الكميات مرة واحدة ، كذلك قرر أن يضطلع بمهمة تغليف الهدايا . وبينما كانت أمه تجلس فى غرفة المائدة وتحتسى الشيرى الذى صبه لها ، راح هو يربط كل شىء على نحو غير ملائم فى قماش عادى ،

[فهى لم تفكر فى شراء ورق الكريسماس] بل وقام بتغليف الهدايا المقرر إهدائها إليه : قميصان وجاكيت التزحلق على الجليد مدعياً بأنه لا يبالى بها ، ومن وقت لآخر كان يترك عمله ويهرول هابطاً على السلالم إلى الدور التحتانى من أجل البدء فى حمْل آخر من الغسيل ، وعلى نحو تدريجى انتشرت رائحة المنظفات والملابس الكتانية فى جميع أرجاء المنزل ، وبرغم كل ذلك لم يكن كريسماس رديئاً للغاية .

وتساءلت أمه : " أتتذكر الكريسماس فى الأيام السالفة ؟ " وأضافت " عندما كنا نقوم بتجهيز كل شىء فى وقت مبكر للغاية ؟ وكانت الهدايا تقبع تحت الشجرة على مدى أسابيع ! ومعظم الهدايا معدة فى المنزل ، يا إلهى وأنتم أيها الأطفال قمتم بتصنيع عدد كاف من طفايات السجاير المصنوعة من الصلصال لكى تغطى كل سطح بينما لا أحد منا يدخن السجاير ، ولكنى فى هذه السنة لا أستطيع أن أكون فى نفس الروح المعنوية وفى نفس النشاط ، ويبدو أنه منذ أن حدث ذلك الحادث لأخيك وأنا لا أشعر بالحماس...... على الإطلاق " .

ولم يعرف إيان ما الذى يقوله إزاء ذلك ، فتظاهر بأنه يبذل جهداً لكى يربط عقدة أنشوطية على صندوق . وتساءلت " وهل تتذكر تلك الفواتح للشهية التى كانت تُقدَّم فى عشاء الكريسماس ؟ " وأضافت " وفى هذا العام سوف أكتفى بإلقاء قطعة من اللحم فى الفرن " فقال إيان " ربما ينبغى علينا الذهاب إلى المطعم " .

" مطعم ! "

" ولم لا ؟ "

وسمعوا تشخيرة حادة مترامية من غرفة المعيشة إذ كان والده نائمًا فى كرسى الاضطجاع .

ولكن كما اتضح لم يكن يوم الكريسماس مختلفًا كثيراً فى تلك السنة عن أى سنة أخرى، فقد جاءت المسز جوردان كما جاء الأجانب . وقد أخذ الأطفال نصيبهم من الإثارة [أطفال كلوديا الستة و أطفال لوسى الثلاثة المنضمين مع بعضهم البعض] . وراحت كاميرا البولارويد لاند التى يملكها دوج تضىء فى وميض خاطف كما راحت القطة تصدر أصوات اختناق خلف الأريكة ، وكان هذا مثيراً للإحباط والقلق والارتباك على نحو ما ، وفى الكريسماس الماضى لم تكن دافنى قد ولدت ولم تكن فرانى ابنة كلوديا قد ولدت أيضا .

بينما الآن كانت دافنى تجلس هنا وقد انهمكت فى مضغ لفيفة من الورق الأزرق بينما فرانى تحرك جماع يديها عبر أحجية أجاثا للصور المقطوعة ، وبدت كلتاهما معتادتين على الوجود هنا ، بينما دانى ولوسى قد اختفيا تمامًا ، شىء ما كان خاطئًا مع عالم يجىء فيه الناس ويذهبون بسهولة كبيرة .

وفى اليوم الذى أعقب الكريسماس مباشرة اتصل سيد من شركة النقل لكى يعرف ما إذا كان بمقدور إيان العمل بالشركة أثناء الإجازة ، وأشار إلى أن بروبستار قد تركهم فجأة مما جعلهم فى وضع حرج ، فقال إيان له بأنه يسعده أن يساعد فى أعمال الشركة ، فالكلية لن تفتح أبوابها مرة أخرى إلا فى منتصف يناير وبذلك يمكنه الانتفاع بالنقود السائلة الاضافية ، ولذلك فقد ذهب صباح يوم الثلاثاء إلى الجراج الموجود فى جرينمونت .

وابتهج لودون لدى رؤيته ، وأشار إلى أن زميله برويستار قد نهض فجأة و انصرف فى عز الشغل ، " وقال لى [إلى اللقاء يالودون] فقلت له [هاى أيها الرجل ، أنت تحاول أن تخدعنى [فقال] أنا أخدعك طوال اليوم] ثم انطلق إلى غير رجعة ، حسنًا ، إنه لم يكن أبدًا من النوع الذى يمكن أن تسميه بالصديق الحقيقى المخلص "

كانوا ينقلون سيدة طاعنة فى السن من منزل إلى شقة - أشياء كثيرة من ممتلكات سيدة عجوز و أثاث مقوس الأرجل وفساتين بها كرات النفتلين وكميات من أطباق الخزف الصينى تكفى لتزويد مطعم متوسط الحجم بما يحتاجه ، وكان ابنها المشرف على عملية النقل مهتمًا للغاية بالخزف الصينى ، إذ قال "عليكم الآن بالحرص والحذر ! فهذا من الخزف السبودى الإنجليزى الفاخر" فى كل مرة يرفعون فيها كرتونة ، ثم قال " عليكم بالانتباه والحرص الشديد إزاء الهافيلاند ! " فنظر لودون على نحو متواصل فى عينى إيان .

وبعدئذ وفى المكان الجديد اكتشفوا أنه كان يتم تجديد المطبخ فاضطروا إلى وضع صناديق الخزف الصينى فى غرفة المعيشة ، وقال الابن " ما هذا بحق الجحيم ؟ " وأضاف " كان من المفترض أن يتم هذا العمل منذ ثلاثة أيام " ، وكان يتحدث مع نجار الموبيليا - وهو الرجل الأصم الذى تصادف أن تقابل معه إيان فى الصيف الماضى ، وسأله الابن " كم يتطلب من الوقت ؟ " وكان بمقدور أى شخص ساذج أن يعرف أن ذلك سيستغرق وقتًا طويلًا ، فالمطبخ كان بمثابة هيكل غير منجز ، وبدون أن ينظر نجار الموبيليا فيما حوله قام بأخذ مقاسات عمق

الكاونتر باستخدام شريط للمقاس مصنوع من الصلب ، ووضع الابن يده على ساعد الرجل ، فالتفت الرجل فى بطء وحملق للحظات فى يد الابن ثم رفع بصره ونظر إلى وجهه فصرخ الابن مع المبالغة فى حركات شفتيه قائلاً : " كم من الوقت ! "

فاستغرق نجار الموبيليا فى تفكير عميق ثم قال " أسبوعين "

فقال الابن " أسبوعين " . و أنزل يده

وأضاف قائلاً " ماذا تقوم بتشييده هنا : سفينة نوح ؟ كل ما نحتاجه هو كمية قليلة من الدواليب الحقيرة " .

فاستمر نجار الموبيليا فى إنجاز أعماله وانهمك فى أخذ مقاس طول الكاونتر وأخذ مقاس ارتفاع المكان الشاغر فوقه . ومن المؤكد إنه كان يدرك أن الابن كان منخرطاً فى التحدث معه ولكن بدا عليه أنه مستغرق تماماً فى إنجاز العمل الذى يقوم به . ومرة أخرى حسد إيان هذا الرجل على حياته الانعزالية المغلقة .

وبمناسبة عشية السنة الجديدة أقام بيج بنسون حفلة مليئة بالخشونة و المشاكسة ولكن إيان لم يذهب إلى تلك الحفلة . وكانت سيسلى تقوم بدور الجليسة عند أخيها وكانت تلك هى آخر ليلة بمنزلها [كانت كليتها تعمل وفق جدول يختلف عن جدول إيان] : لذلك قاما بتقديم كافة ساعات الحائط بمقدار ستين دقيقة وبذلك خدعا ستيفى وجعلاه يذهب للنوم مبكراً ، ثم صعدا فى خفة على السلالم إلى غرفة نومها حيث غلبه النوم هناك بدون قصد ، وصحا من النوم لدى سماعه

أجراس الكنيسة تدق معلنة مجيء السنة الجديدة وكان هذا يعنى أنه يمكن أن يتوقع مجيء والديها فى أى لحظة ، وبمجرد أن انتهى من ارتداء ملابسه انزلق هابطًا على السلالم ومنها إلى الليل المليء بالصقيع ، واتجه إلى منزله سيراً على الأقدام وهو شبه نائم بينما الأجراس تجلجل والألعاب النارية تُفرقع والصواريخ تضيء السماء ، ووجد نفسه يفكر ويقول لنفسه " يا له من تفاؤل ! لماذا يكون للناس مثل هذه الآمال الكبيرة بالنسبة لكل سنة جديدة ؟ "

وذكر التاريخ بصوت مرتفع : " أول يناير عام ١٩٦٧ " . لقد كان يوم الاثنين هو عيد ميلاده إذ أصبح عمره ١٩سنة ، وأصبح عمر دافنى سنة واحدة وارتعد وجذب ياقته لأعلى .

وفى تلك الليلة شاهد فى حلمه دانى وهو يقود أتوبيس الكنيسة الزرقاء بشارع ويفرلى ستريت إلى كلية سومنار ، ثم توقف أمام المنزل وقال لإيان : " لقد أعطونى طريقًا جديدًا وأصبح بمقدورى الآن الذهاب إلى أى مكان كما يحلو لى "

فتساءل إيان وهو واقف على رصيف المشاه " أيمكن لى أن أستقل الأتوبيس ؟

فقال له دانى " يمكن لك أن تستقل الأتوبيس ولكن بعد أن تتعلم اللغة الصينية ؟"

فقال إيان " أوه " وأضاف " اللغة الصينية ؟ "

" حسنًا . إننى أحب أن أسميها اللغة الصينية "

" ما الذى تسميه اللغة الصينية ؟ "

" أنت تفهم المعنى ، فأنا لا أعنى حقًا اللغة الصينية "

فتساءل إيان " إذن ما الذى تعنيه ؟

فقال دانى " إننى أتحدث عن ..... على سبيل الافتراض .... اللغة الصينية " ثم غمز بعينيه لإيان وضحك وانطلق بالأتوبيس مبتعداً .

وعندما استيقظ إيان كانت دافنى منخرطة فى البكاء وبدت الغرفة مليئة بالرطوبة العالية الناجمة عن دموعها الغزيرة مما جعلها شبيهة ببيت زجاجى لزراعة النباتات .

وأعادت مدرسة أجاثا فتح أبوابها فى يوم الثلاثاء ، كما فتحت دار حضانة توماس أبوابها فى يوم الأربعاء ، وكان هذا من شأنه أن يخفف العبء عن كاهل بى ولكن الإرهاق الشديد كان لا يزال يبدو عليها فى كل مساء وأشارت إلى أنها تعانى بالتأكيد من قدر ضئيل من الأنفلونزا وأضافت " وأنا عادة قوية مثل الحصان ، ولكنى متأكدة من أن هذا ليس سوى وضع مؤقت " .

وتساءل إيان " ما هو نص الكلام الذى قيل عن توم دين سنيور ؟ وهل ظهرت أية دلائل عنه ؟ "

فقالت أمه " أوه ، أعتقد أنه ينبغى علينا أن نكف عن البحث عن توم دين ، فهو غير موجود على ما يبدو "

" إذن ماذا ستفعلون مع الأطفال ؟ "

" حسنًا ، والدك له بعض الآراء والأفكار ، فهو متأكد إلى حد ما من خلال شيء ما أن لوسى قالت ذات مرة إنها جاءت من بنسلفانيا ، وربما تم تسجيل زواجها الأول هناك وفقًا لوجهة نظره وفى هذه الحالة يمكن ..... "

فتساءل إيان " أنت مرتبطة بهؤلاء الأطفال . أليس كذلك ؟ "

" عفواً ؟ "

" أنت مرتبطة بهؤلاء الأطفال للأبد "

فقالت له " أوه ، لا " وأضافت " وأنا متأكدة من أننا سنعثر على شخص ما إن عاجلاً أو آجلاً . يتبغى علينا أن نعثر عليه ، سيتحتم علينا أن نعثر عليه "

فقال لها إيان متسائلاً " ولكن ماذا سنفعل إذا لم نعثر عليه ؟ "

فظهر على وجهها الذعر والهلع .

اثنان من الأطفال لم يكونا من عائلة بيدلو ، وساءل نفسه فى تعجب عمّا إذا كان قد خطر على ذهن والديه أن هذين الطفلين يمكن أن يتم وضعهما فى دار للرعاية أو دار للأيتام ، ولكن ساورته الشكوك فيما يتعلق بدافنى ، فدافنى هى ابنه ابنهما الميت . وهى طفلة رضيعة علاوة على ذلك فهى لم تتشكل بعد مثل الطفلين الآخرين ، وكانت لا تزال مليئة بالغمازات ومازالت ضئيلة ومسلية .

ولكن من ناحية أخرى نجد أن توماس كان بمقدوره أن يسبب لك وخزة عميقة بعض الشيء إذا لكزك بمرفقه بطريقة الصدفة ، والإمساك

به فى حجرك كان شبيها بالإمساك بمجموعة من حمالات المعاطف . والله يعلم أن هذا لم يكن يمنعه من محاولة التسلق إلى أعلى هناك ، إذ كان له الطريقة المستكينة البائسة لكلب صغير يكافح من أجل جذب الانتباه مما كان يقلل من جاذبيته لسوء الحظ ، فى حين أن أجاثا التى كانت تتصرف فى وقار وتملق فى آن واحد بدت كتومة وخبيثة . وكان إيان قد تلاحظ له كيف أن اليافعين والكبار [بما فى ذلك أمه نفسها وأخت أمه الأرضية] لا يشعرون بالارتياح أثناء وجود أجاثا بينهم ، ويبدو أن إيان هو وحده الذى كان يعرف كيف أن كل دقيقة كانت تمر على هذين الطفلين أثناء النزهة كانت تسبب لهما الترويع .

الطفولة كانت متسمة بالترويع ، ألم يكن ذلك منعكساً فى كثير من الحالات فى كوابيس الكبار - كابوس الجرى بدون التمكن من الوصول إلى أى مكان وكابوس الاختبار الذى لم تستعد له أو المسرحية التى لم تتدرب عليها ؟ العجز وشعور المرء بأنه دخيل ، والهمهمات حول رأسك عن شىء ما يعرفه كل فرد باستثنائك أنت .

وانتهى من نقل أسرة إلى منزل شعبى فى شارع يورك رود ، ومن هناك ذهب إلى منزله سيراً على الأقدام ومر بجوار مجموعات من الدكاكين الحقيرة ، وكان العمل قد امتد إلى وقت متأخر على نحو غير عادى ، وكانت الوقت قد تجاوز السابعة فى مساء كئيب من شهر يناير وكانت معظم الأماكن قد أغلقت أبوابها ، ولكن كانت هناك نافذة واحدة تتوهج باللون الأصفر - امتداد واسع من زجاج مطلى بالذهب والفضة ومكتوب عليه بحروف منفصلة وعلى شكل قوس : كنيسة الفرصة الثانية ،

ولم يستطع إيان مشاهدة الأشياء الموجودة في داخل هذه الكنيسة لأن الستارة الورقية للنافذة كانت مُدلاَّة فواصل المسير بجوارها ومن ورائه بدأت تترامى ترنيمة "شيء ما شيء ما يقودونا ..." ولم يتمكن من فهم معظم الكلمات ولكن الأصوات كانت قوية ومليئة بالبهجة والفرح وتحت قيادة صوت عالي واحد يعلوا على جميع الأصوات .

وتوقف في سيره عند نقطة تقاطع بينما أقواس القدم في حذائه الخفيف تترنح على إفريز الطريق ، وراح يحملق في اللافتة المكتوب عليها " قف " للحظات ، ثم استدار عائداً إلى الكنيسة .

وعندما فتح الباب دوَّى جرس مجلجلاً مثل جرس صاحب المتجر . ونظر المنشدون فيما حولهم – وكان عددهم الإجمالي حوالي خمسة عشر أو عشرين شخصًا يقفون في صفوف بينما ظهورهم في اتجاهه – وابتسموا له ثم استداروا بوجوههم مرة أخرى ، وكانوا يواجهون رجلاً طويل القامة أسود الشعر ومرتديًا قميصًا أبيض اللون بدون رباط عنق وبنطلونًا أسود اللون ، وكان المنبر بمثابة كاونتر في دكان عادى . وكانت الأرضية مكسوة بمشمع أخضر اللون ، وكان السقف مضاء بأنابيب فلوروسنت طويلة وكانت أنبوبة منها تخفق بسرعة مما جعل إيان يشعر أن لديه ارتعاش في جفن عينه .

وراح الحشد يتغنى "مبارك السيد المسيح ! مبارك السيد المسيح !" كانت صيحة رقيقة عاطفية بدت مليئة بالترحيب الشخصي ، وشق إيان طريقه نحو مكان شاغر بجوار امرأة مرتدية زيا أبيض اللون قد تكون ممرضة أو جرسونة ، وعلى الرغم من أنها لم تنظر إليه فإنها اقتربت

منه ووضعت كراسة ترانيمها على زاوية حتى يمكن له تتبع الكلمات ، ولم تكن توجد هناك أية مصاحبة ، ولا حتى بيانو ، أما المقاعد - وهذا هو ما أدركه إيان عتندما انتهت الترنيمة وجلس كل شخص - فكانت من الكراسى المعدنية الرمادية البسيطة التى تُطوى / ومن النوع الذى يمكن لك أن تشاهده فى لعبة البردج .

وقال القسيس فى نغمة معقولة وتكاد تكون تحادثية " أصدقاء " ثم أضاف وهو يومىء رأسه لإيان " وضويف " فاستدار الآخرون مرة أخرى وابتسموا ، فرد عليهم إيان بالابتسام لهم ، وربما كانت ابتسامته عريضة وعميقة للغاية وكان لديه إحساس بأنه الزائر الأول والوحيد الذى أقدم على زيارتهم .

وقال القسيس " لقد وصلنا إلى تلك المرحلة فى الصلاة التى يتم فيها توجيه الدعوة لأى شخص موجود هنا لكى يأخذ خطوة للأمام ويلتمس منا أن نصلى من أجله ، ولا يوجد هنـــاك مطلب كبير للغاية ولا يوجد هناك مطلب ضئيل للغاية فى عينى الله أبانا " .

وفكر إيان فى السباك الذى قام بإصلاح سقف غرفة حمام والديه . إذ كانت شاحنته الخفيفة الصغيرة المقفلة مكتوب عليها عبارة " لا توجد هناك مهنة كبيرة للغاية أو صغيرة للغاية " ، ولم يهتم بتلك الفكرة . وراح يراقب أمرأة شابة ممتلئة للغاية وهى تنهض فى تثاقل على قدميها أمامه مباشرة ، وعندما تمكنت من الوقوف تمامًا فى نهاية الأمر فإن عرض جونلتها الصيفية المزدانة بحليات شبيهة بأوراق النباتات حجبت الرؤية أمامه ومنعته من مشاهدة القسيس ، وقالت فى أنفاس مسموعة

"ربما تكون قد سمعت أن كلاريكس مريضة بمرض ردىء للغاية فى دمائها ، وكنا قد اعتقدنا أنها شفيت ولكن المرض عاد إليها ، وأنا سألتها عما يمكن لى أن أفعله من أجلها فقالت لى [يا ابن عليك بإبلاغ المجتمعين فى الصلوات الليلة فى يوم الأربعاء و اطلب منهم أن يصلوا من أجلى] ولذلك فهذا هو ما أفعله الآن" .

وساد الصمت أثناء جلوسها ، وبمجرد أن تركت خط الرؤية لدى إيان فإنه أدرك أن الصمت كان جزءاً من البرنامج ، ووقف القسيس وقد رفع راحتى يديه وأمال رأسه نحو السماء بينما جفنا عينيه كانا مغلقين ولامعين ، ومن مجرد إلقاء نظرة على كُمىّ قميصه كان يبدو هاوياً ، وأدرك إيان أن طرف كُمّه المطوق المعصم قد أنزلق أسفل ساعديه وأن ياقته كانت مغلقة بالزراير على طول المسافة حتى الرقبة على طريقة أولئك الناس غير المتوافقين مع المجتمع الذين اعتادوا السير بالقرب من المدرسة الثانوية بينما المساطر الحاسبة المنزلقة تتدلى من أحزمتهم . وهو أيضاً لم يكن كبيراً فى السن للغاية ، وكان طويلاً وضامراً مثل هيكل دمية متحركة بالأسلاك ، كما كانت عظام معصمه شبيهة بعظام الطفل .

وكان إيان هو الشخص الوحيد الجالس فى اعتدال وأحنى رأسه ونظر شذرا إلى كعكة الجونلة المزدانة بالعساليج والتى تملأ الجزء الخلفى من كرسى المرأة الممتلئة .

وقال القسيس فى نهاية الأمر " من أجل أختنا كلاريس "

فقال المصلون فى تمتمة " آمين " ثم اعتدلوا فى جلستهم .

وقال القسيس " أية صلوات أخرى ، أية صلوات أخرى " وأضاف " لا يوجد هناك مطلب يقع خارج نطاق إرادة الله " .

وعلى الجانب الآخر من جار إيان نهضت امرأة لها شعر أشيب ووضعت كيس نقودها على مقعدها ثم اتجهت للأمام وقد أمسكت بالكرسى أمامها وقالت " أنتم جميعًا تعرفون أن ابنى شوكى كان يحارب فى فيتنام " .

فأومأوا برؤوسهم بما يفيد الموافقة واستدار أناس عديدون لكى ينظروا إليها .

فأضافت " وهم يقولون لى الآن إنه قد قُتل " .

فساءت أصوات خافتة مليئة بالرعب والفزع بين صفوف الحاضرين .

وأضافت " يقولون لى إنه قُتل أثناء القفز من الطائرة ، فأنتم تعرفون أنه كان من جنود المظلات "

فظهر المزيد من الإيماءات بالرأس بما يفيد الموافقة .

" وفى يوم الاثنين ليلاً جاء هذان الجنديان ، وكانا يرتديان الملابس الرسمية "

فقالوا " اوه . آه . لا "

"قلت لهما إنني كنت أعتقد أنه سيكون في حالة من الأمن والأمان ، فهو قد سبق له القفز بالمظلة من الطائرة على مدى فترة طويلة للغاية مما جعلني أتصور أنه قد تعلم كيف يبقى على قيد الحياة هنالك أثناء هبوطه بالمظلة فأشارا إلى أن شوكي تعرض لحادثة بطريق الصدفة إذ نسي أن يرتدي البارشوت قبل أن يقفز من الطائرة "

فراح إيان يرمش بعينيه في دهشه وذعر .

وتعجب جاره قائلاً بصوت شبيه بصوت الحمام " نسى !! " فقلت (نسى ! كيف يمكن أن يحدث له ذلك؟) فقالوا إن الجيش يعتقد أن شوكي قد قفز مرات كثيرة للغاية لدرجة أنه توقف عن التفكير في عملية القفز ذاتها ، ولذلك فهو وصل إلى الباب الذي سيقفز منه وهو يمزح مع كل شخص – وأنتم تعرفون عنه أنه كان شخصًا فكاهيًا ومسليًا – وألقى نوعًا من التحية السريعة وخطى نحو الهواء الشاغر وعندئذ صرخ زميله الواقف خلفه قائلاً [انتظر ! انتظر !! أنت قد نسيت أن ترتدي ......] .

فأكمل جار إيان العبارة في حزن " الباراشوت " وقالت المرأة " ولذلك فأنا لا أطلب منكم أن تصلوا من أجل شوكي بعد هذا الذي حدث. وإنما اطلب منكم أن تصلوا من أجلي أنا " و لأول مرة أصبح صوتها مهزوزًا . وأضافت : " فأنا على وشك التعرض للأمراض بسبب الأسى والحزن . صلوا . من أجلي لكي أجد بعض الخلاص والتحرّر " .

ثم جلست وتحسست وراءها بحثًا عن كيس نقودها ، فرفع القسيس راحتي يديه لأعلى . وساد الصمت في أرجاء الغرفة .

أيمكن لك أن تنسى بالفعل الباراشوت الخاص بك ؟

حسناً ، ربما ، كان بمقدور إيان أن يتخيل حدوث ذلك ، فالرجل الذى أصبح القفز من الطائرة بمثابة عادة لديه قد يتخيل أن الطواف عائماً فى الفضاء هو كل ما يستطيع أن يفعله فى الحياة تماماً مثلما أن الطيران بالنسبة للطائر هو كل ما يستطيع أن يفعله فى الحياة . وربما كان قد انزلق إلى ذهنه أنه لا يستطيع الطيران ولذلك ففى اللحظة المروعة الأولى لهبوطه افترض أنه قد نسى الطريقة بكل بساطة . وربما شعر بالإهانة وبالخيانة من جانب كافة الأمور التى نظر إليها على أنها شىء مسلم به . ومن المؤكد أنه تساءل : ماذا فى الأمر ؟

وتخيل إيان أحدى أفلام الصور المتحركة حيث تقوم شخصية فى الفيلم بالتجول والتنزه فى بطء وتجاوز حافة صخرة بدون أن تدرك ذلك مع الاستمرار فى التنزه فى منتصف الهواء فى حالة من الأمن والأمان التام إلى أن تصادف أن نظر لأسفل وعندئذ بدأت ساقاه تدوران فى جنون ثم شرع فى الهبوط عمودياً .

فأطلق ضحكة قصيرة شبيهة بنباح الكلب .

فاستدار المصلون وراحوا يحملقون فى وجهه .

فأحنى رأسه وقد احتقنت وجنتاه باللون الأحمر ، وقال القسيس " صلوا من أجل أختنا لولا "

فقال الآخرون وهم ينظرون أمامهم مرة أخرى فى رأفة ورحمة " آمين " .

" أية صلوات أخرى . أية صلوات أخرى ...... "

وأخذ إيان يتفحص الجونلة المزدانة بحليات شبيهه بورق النبات بينما الخجل يتدفق في داخل كيانه في موجات متلاحقة ، كان قد قال وفعل أشياء متسمة بالحماقة من قبل ولكن هذا كان شيئًا ما جديداً : أن يضحك بصوت مرتفع على فقدان أم لابنها ، وتمنى لو كان بمقدوره أن يختفي من على وجه الأرض ، أراد أن يقوم بعمل عنيف وحاسم كأن يقفز إلى الفضاء بنفسه .

" لا توجد صلاة غير جديرة بالاهتمام في عيون الله خالقنا "ونهض إيان واقفًا .

وقال " لقد اعتدت أن أكون ...... "

وظهرت بحّه في صوته ، فأطلق كحه زائفة لها صوت زائف .

وأضاف " لقد اعتدت أن أكون ..... "

وظهرت بحّة في صوته ، فأطلق كحة جافة لها صوت زائف .

وأضاف " لقد اعتدت أن أكون طيباً ، أو على الأقل اعتدت أن اكون غير ردئ ، اعتدت أن أكون غير شرير ، أو أنني افترضت أنني غير شرير ، ولكني لا أعرف ما حدث لي مؤخراً . فكل شئ ألمسه يسير في الاتجاه الخاطئ . وأنا لم أكن أريد أن أضحك توا ، وأنا آسف لأني ضحكت يا مسز ...... "

ثم نظر إلى المرأة في تفحّص ، كان وجهها منكسًا وبدا عليها . أنهـا غيـر مدركة لوجوه ، إلاّ أن الآخرين كانوا يرقبون الموقف عن

كتب ، وكان لديه إحساس بأنهم يزنون كلمته وأنهم كانوا يأخذونه مأخذ الجد .

وقال لهم " صلوا من أجلي لكي أكون طيبًا مرة أخرى " وأضاف " صلوا من أجلي لكي يغفر الله ذنوبي ويسامحني "

ثم جلس .

فرفع القسيس راحتي يديه .

وأعقب ذلك صمت عميق للغاية حتى أن إيان شعر أنه غارق في ذلك الصمت ، وتفتح كيانه في داخل الصمت واستسلم للصمت وطاف فوق اندفاع سلس من الصلوات ، وكانت جميع الصلوات مكرسة من أجل العفو عنه . فكيف يمكن لله ألا يصغي ؟

عندما كان إيان يبلغ من العمر ثلاث أو أربع سنوات قرأت له أمه قصة انجيلية مكتوبة من أجل الأطفال ، وكان الرسم يعبر عن جندي روماني مسلح بكافة العتاد الحربي ويقترب من رجل عجوز له لحية ويبادره بالكلام. فتساءل إيان وهو يشير إلى الجندي "هل هذا هو الله ؟" لأن الله في ذهنه كان مرتبطًا بالقوة ، ولكن أمه قالت " لا . لا " ثم استمرت في القراءة . لذلك خطر على بال إيان أن الله هو الشخصية الأخرى : أي الرجل العجوز الذي له لحية ، وحتى بعد أن كبر إيان وأصبحت معلوماته أفضل لم يستطيع التخلص من تلك الفكرة ولذلك تخيل الآن صلوات الناس وهي تتدفق نحو شخص ما له شعر أشيب طويل ورداء أزرق سويدي طويل يتلامس مع الأرضية ، وله قدمان قويان

عـاريان فـى صندل مـصنوع من الجلد ، وشـعـر يفـيض مـن الشكر والامتنان لهذا الرجل كما لو كان الله في حقيقته الموضوعية الواقعيـة هو والـده .

وقال القسيس " من أجل ضيفنا "

" آمين " .

انتهت الصلوات على نحو مفاجئ للغاية ، لم تستمر لفترة طويلة بالقدر الكافى . إذ كان القسيس يقول بالفعل : " أية صلوات أخرى ، أية صلوات أخرى .... "

لم تكن هناك أية صلوات أخرى .

فقال القسيس " إذن . الترنيمة السادسة عشر "

فتحرك كل شخص وأحدث حفيفًا مع تقليب الصفحات ونهض واقفًا . كانوا متسمين للغاية بالطابع العملى الواقعى وراحوا يزيلون الكرمشة عن الجزء الأسفل من ثيابهم علاوة على التربيت على تسريحة الشعر ، وابتـسـمت جـارة إيان - وهـى امـرأة قـصـيرة وقـوية وممتلئة ولها وجه مستدير - فى وجهه وأمالت كراسة ترنيمها فى اتجاهه ، وكانت الترنيمة هـى : الاسـتناد على أذرع الله الأبـدية ، وابتـدأ القـسـيس تلك التـرنيـمة بصوت عالى محلق فى السماء :

- يا لها من زمالة مقدسة ، يا لها من بهجة مقدسة

لدى الاستناد على أذرع الله الأبدية

وفى هذه المرة شارك إيان فى الانشاد أيضًا على الرغم من أن تلك الانشودة كانت أقرب إلى لحن رتيب مثير الملل .

وعندما انتهت الانشودة رفع القسيس راحتى يديه مرة أخرى وقام بتلاوة صلاة البركة التى يمنحها الكاهن عقب الصلاة :

انطلق الآن إلى العالم وكن شاهداً على تعاليم الله

باسم السيد المسيح آمين .

فردّد الآخرون : " آمين "

وبدأو يأخذون معاطفهم واكياس نقودهم وراحوا يغلقون أزرارهم ويتدثّرون بالأوشحة والكوفيات ، وقالت جارة إيان له : " مرحبًا ! ، وأضافت " ما رأيك فى صلواتنا ؟ "

فقال " أوه ، لقد كنت فقط أسير بجوار .... "

" الكثيرون من الشباب فى هذه الأيام لا يهتمون كثيراً بالخلاص الروحى والإنقاذ الروحى الخاص بهم "

فقال إيان " لا ، لا أعتقد فى ذلك "

وعلى نحو فجائى شعر أنه كان يدخل فى إدعاء كاذب . الإنقاذ والخلاص الروحى ! اللغة التى استخدمتها هذه المواقع جعلته يموج بالفزع والارتباك [دماء الحمل الوديع ، مات من أجل خطاياك] ، ونظر خلفه فى اشتياق شديد حيث كان أول ناس بصدد الخروج يبعثون صفعة من الهواء البارد إلى الحجرة ، ولكن جارته كانت تلوح بيدها

للقسيس قائلة : " يـ و هـ و ! يا إميت الموقر ، تعالى لكى تتقابل مع هذا الشاب الذى انضم إلينا ! "

وبدا على القسيس الذى كان يشق طريقه بالفعل بين مجموعات المصلين أنه متهلل فى ابتهاج شديد وفى شئ من الارتباك والاضطراب ، وكانت ابتسامته عريضة للغاية حتى أن أسنانه بدت كبيرة للغاية بالنسبة لفمه ، ووصل أمام إيان وصافحه وهز يده مرات عديدة . وقال : "من الرائع للغاية أن أتعرف عليك " [وكانت أصابعه العظمية الطويلة لها ملمس قشرة البسلة المجففة] وأضاف " أنا إميت الموقر ، وهذه هى الأخت نيل . هلى تعرفتما على بعضكما البعض ؟ "

فقال إيان" كيف حالك " وانتظر الآخران فى ترقّب شديد مما اضطر إيان لأن يضيف قائلاً " أنا إيان بيدلو " .

فقال له أميت الموقر " نحن لا نستخدم سوى الأسماء الأولى فى مكان عبادتنا . فالأسماء الأخيرة تذكرنا بالأشياء الظاهرية السطحية وبعالم الثروة والروابط وبأولئك الذين جاءوا إلى أمريكا على باخرة الحجاج فى عام ١٦٢٠ " .

فقال إيان " حقًا ، آه ، أوكى ، وهو كذلك " .

ووضعت جارته يدها على ذراعه وقالت له " أميت الموقر سوف يطلعك على كل شيء ، لقد سعدت للغاية بالتعرف عليك يا أخ إيان . طابت ليلتك يا أميت الموقر " .

فقال أميت الموقر " طابت ليلتك " وراح يرقبها وهى تلف رداءً خارجيًا حول كتفها [إذن ، فهى كانت برغم كل شىء ممرضة] وتمشى فى انحراف جانبى خارجة من الطرف الآخر للصف ، ثم استدار نحو إيان وقال " آمل أن يكون الله قد استجاب لدعائك فى هذا المساء " .

فقال إيان " شكرًا جزيلاً " وأضاف " لقد كان قُدّاسًا ممتعًا ... حقًا " .

وراح أميت الموقر يتصفحه [كانت فى بشرته مسحة من البياض غير الصحى رغم أن هذا يمكن أن يكون قد نجم عن إضاءة الفلورسنت] . ثم قال فى نهاية الأمر : " أكانت هناك أية استجابة ؟ "

فقال إيان " استجابة "

فقال القسيس " هل حصلت على إجابة ؟ "

فقال إيان " حسنًا ، ليس على وجه الدقة "

فقال أميت الموقر " أدرك ذلك " وراح يرقب زوجًا وزوجته طاعنين فى السن وهما يساعدان بعضهما البعض لكى يتمكنا من الخروج من الباب - وكانا آخر من غادر الكنيسة . ثم قال "ما هو الخطأ الذى ارتكبته وتريد من الله أن يغفره لك ؟"

ولم يستطع إيان أن يصدق أذنيه ، أكان التفحص فى صلوات المرء الشخصية أمرًا شرعيًا ؟ كان ينبغى عليه أن يدور على عقبيه .

أن يمشى منصرفًا بخطى واسعة . ولكن بدلاً من ذلك بدأ قلبه يدق فى عنف كما لو كان على وشك أن يفعل شيئًا ما متسمًا بالشجاعة .

وفى صوت ليس شبيها بصـــوته قـــال " لقد تسببت فى جعـــل أخى يقتل نفسـه " .

فحملق أميت الموقر فيه وهو مستغرق فى تفكير عميق وأضاف إيان فى اندفاع " قلت له أن زوجته تخدعه ، ولكنى الآن لست متأكداً من أنها كانت تخـدعه ، أعنى أننى متـأكد إلى حد مـا من أنها كانت تخدعه ، أعنى أننى متـأكد إلى حد ما من أنها قامت بخداعه فى المـاضى ، وأنا أدرك أننى لم أكن على خطأ تمامًا ولكن .... ولذلك فـهو تعمَّد أن ينطلق بسيارته ويرتطم بها فى حائط وبعدئذ ماتت زوجته بسبب تناول كميات كبيرة من الحبوب المنومة ويمكن لك أن تقول إننى قد تسببت أيضًا فى موتها إلى حد ما ...... " .

وتوقف عن الكلام لأن أميت الموقر ربما أراد أن يبدى عدم موافقته على هذه النقطة [حقيقة الأمر أن إيان قد تسبب بطريقة غير مباشـرة فى موت لوسى وربما لم يكن الأمر كذلك . ربما جاء موتها بطريقة الصدفة] ولكن أميت الموقر اكتفى بأن راح يهتز من الكعب إلى أصابع القدم .

وقـال إيان " ولذلك يبدو أن والدىّ سيقـومـان بتربيـة الأطفـال " هل كان قد أشار إلى وجود أطفـال ؟ ،" كل شىء قد ألقى على كاهل والدتى وأنا أعتقد أنها غير قادرة على ذلك – هى أو والدى على حد سواء ، فأنا أعتقد أنهما لن يصبحـا على نفس ما كان عليه عقب حدوث هذه الأحداث ، كمـا أن أختى مـشـغـولة بأولادها وأنا موجود بعيداً فى كليتى فى مـعظم الأوقـات .... " .

"وفى ضـوء العينين الزرقـاوتين لأمـيت الموقـر - اللتين كـان لهـمـا الشفافية النظيفة لذلك الرخام الذى اعتاد إيان أن يسميه جعة الجنزبيل - بدأ إيان فى الاسترخاء ، ثم قال " وعلى كل حال ، فذلك هو السبب فى أننى طلبت تلك الصلاة ، وأنا بكل أمانة وصدق أعتقد أنها ربما تكون قد حققت النجاح وأتت بالنتيجة المرجوة ، أوه ، إننى لم أحصل على إجابة واضـحة باللغة الإنجليزية بالطبع ولكن ... ألا تعتقد ؟ ألا تعتقد أن الله قد غفر لى ؟ "

فقال أميت الموقر بسرعة " لا "

فتدلى فم إيان مرتخياً فى ذهول ، وساءل نفسه فى تعجب عمّا إذا كان قد أساء الفهم ، ثم قال فى تساؤل " أنا لم يغفر لى ؟ "

" أوه ، لا "

فقال إيان " ولكنى ... ولكنــى كنت أعتقد أن الله يتسـامح ويغفر كل شيء" .

فقال أميت الموقر " الله يغفـر كل شىء بالفعــل " وأضاف " ولكن لا يمكن لك أن تكتفى بأن تقول : [أنا آسف يا إلهى] وهذا شىء سهل يمكن أن يقوله أى شخص ، إنه ينبغى عليك أن تقدم تعويضاً - تعويضاً محدداً وعملياً وفقاً لأحكام وقوانين كنيستنا "

" ولكن ماذا لو لم يكن يوجد هناك أى تعويض ماذا لو أنه شىء ما يتعذر تحديده ؟ " .

حسنًا ، فى هذه الحالة يتدخل السيد المسيح بالطبع " .

وحول إيان بصره وأشاح بوجهه بعض الشىء ، وأضاف أميت الموقر " السيد المسيح يذكر كيف يمكن أن تكون الحياة صعبة للغاية على سطح الكرة الأرضية ، وهو يساعد فى حل المشكلات التى لا تستطيع أنت أن تحلها ولكن بعد أن تكون قد حاولت وبذلت الجهود من أجل حلّها " .

فتساءل إيان " حاولت ؟ حاولت على أى نحو ؟ وكم يستغرق ذلك من الوقت؟"

وراح أميت الموقر يجمع كراسات الترانيم والأناشيد من مقاعد الكراسى ، وكان على ما يبدو متأكداً للغاية من الإجابة لدرجة أنه لم يكن بحاجة لأن يفكر فيها ، وقال " حسنًا . أولاً ستكون بحاجة لأن تعتنى بأولئك الأطفال " .

" أوكى ، وهو كذلك ، ولكن ...... على أى نحو أعتنى بهم على وجه الدقة ؟ " .

" تقوم بتربيتهم " .

فقال إيان " هـ و و ه ؟ ولكنى لست سوى طالب بالسنة الأولى بالجامعة !! "

فاستدار أميت الموقر لكى يواجهه وقد احتضن كومة من كراسات التراتيل على صدر قميصه المقعر .

فقال إيان له : " إننى متواجد بعيداً فى بنسلفانيا فى معظم الأوقات " .

" فى هذه الحالة ربما ينبغى عليك أن تترك الكلية "

" أترك الكلية ؟ "

" نعم "

" أترك الكلية ؟ "

" نعم "

فحملق إيان فى وجهه .

ثم قال إيان أخيراً " هذا نوع من الاختيار ، أليس كذلك ؟ "

فأومأ أميت الموقر برأسه فى ابتسام بما يفيد الموافقة ، فارتخى إيان فى ارتياح .

وقال أميت الموقر له " إنه اختبار من الله "

" أهكذا ... "

" الله يريد أن يعرف إلى أى مدى يمكن لك أن تبطل مفعول الضرر الذى تسببت فيه "

فقال " إيان " ولكن الله لم يجعلنى أواصل هذ العمل وأتابع إنجازه حتى النهاية " .

" وعلى أى نحو آخر إذن ؟ "

فقال إيان " انتظر " وأضاف " أنت تقول لى أن الله يريد منى أن أترك التعليم وأُغيّر جميع الخطط التى وضعها لى والدى وأتوقف عن مواصلة التعليم " .

فقال أميت الموقر " نعم ، إذا كان ذلك هو المطلوب "

" ولكن هذا إجراء متسم بالخبل والجنون . سيتحتَّم علىَّ أن أكون مجنونًا " .

فقال أميت الموقر : ". [دعونا لا نجب بالكلمات ولا باللسان ولكن بالفعل وفى الواقع] يوحنّا الأول أحد مؤلفى الأناجيل الأربعة ، الفصل الثالث / الأية ١٨ " .

فقال إيان " لا أستطيع أن أتولى مسئولية ورعاية مجموعة من الأطفال ! فمن أكون أنا على ما تظن ؟ إننى أبلغ من العمر تسعة عشر عامًا " وأضاف " ما هو نوع هذا الدين المخبول ؟ "

فقال أميت الموقر " إنه دين التكفير عن الذنوب والعفو الكامل " وأضاف " إنه دين الفرصة الثانية " ثم وضع كراسات الترانيم على الكاونتر واستدار لكى يبتسم فى بهجة فى وجه إيان ، واعتقد إيان أنه لم يسبق له فى حياته على الإطلاق أن شاهد أى شخص يتمتع بمثل هذا السلام المطلق .

قالت أمه " إننى لا أفهم "

فقال إيان لها "ما الذى تريدين أن تفهميه ؟ الأمر يتَّسم بالبساطة" وأضاف " إن ما تعنينه هو أنك لا توافقين على ذلك "

فقال والده " حسنًا بالطبع هي لا توافق ، ولا أحد منا يوافق على ذلك ، ولا يمكن لأحد يتمتع بقوى عقلية سليمة أن يوافق على ذلك ، فها أنت الآن تحضر فى كلية محترمة تمامًا وهى الكلية التى التحقت بها بصعوبة وعلى نحو أقرب إلى المعجزة بل وعلى نحو أقرب إلى الصدفة البحتة كما أنك لا تشتكى من ذلك المكان الذى أعرفه أنا وأمك معرفة جيدة كما أنه من المقرر لك أن ترجع إلى كليتك فى مساء يوم الأحد لكى تبدأ فى نصف السنة الدراسية الثانية وما الذى تريد أن تقوله لنا ؟ تريد أن تقول لنا إنك ترغب فى ترك الكلية " .

فقال إيان " سأحصل على إجازة غياب "

كانوا جالسين فى حجرة الطعام فى وقت متأخر بالليل من يوم الجمعة ، وكانوا قد انتهوا توًا من تناول طعام العشاء ولكن دافنى أصيبت بآلام فى الإذن وسرعان ما وصلت الساعة إلى التاسعة مساءً قبل أن يضعوا الأطفال فى السرير ، وبعد أن نهضت بى لكى تزيل محتويات المائدة غاصت فى كرسيها ، وأزاح دوج طبقه بعيدًا واستند بمرفقيه على المائدة ، ثم قال لإيان " قل لى : ما هى الفترة الزمنية لإجازة الغياب هذه وفقًا لتوقعاتك ؟ " .

فقال " أوه ، ربما لحين أن تصبح دافنى فى السنة الأولى الابتدائية أو فى الحضانة على الأقل "

" دافنى ؟ ما علاقة دافنى بهذا الموضوع ؟ " .

" السبب فى رغبتى فى الحصول على إجازة هو أن أساعد أمى فى تربية الأطفال " .

فصاحت أمه " تساعدنى أنا ؟ إننى لا أقوم بتربية هؤلاء الأطفال ، ونحن نبحث عن وصىّ ! في بادىء الأمر سوف نعثر على أهالي لوسى وبعدئذ سيكون هناك شخص ما ، شاب ما وزوجته ربما يودان أن ......" .

فقال إيان " يا أمى ، أنت تعرفين أن فرص تحقيق ذلك أصبحت أكثر ضآلة بمرور الوقت " .

"لا أعرف شيئًا من هذا القبيل ، أو ربما عمة أو خالة أو ربما ....."

فقال دوج " حسنًا إنه لديه وجهة نظر يابى ، فأنت قد أرهقت نفسك للغاية مع هؤلاء الأطفال

وعلى نحو متناقض شعر إيان بشىء من الذعر ، هل سيدعه والده ينجز هذا الموضوع بالفعل ؟

وقالت أمه " وعلى كل حال ، ماذا عن أداء الخدمة العسكرية ؟ فأنت بمجرد أن تترك الكلية سيتم إلحاقك بالخدمة العسكرية "

فقال لها إيان " لو تم استدعائى سيكون هذا هو قدرى " وأضاف " ولكنى أعتقد أنه لن يتم استدعائى للخدمة العسكرية ، فالله سيتولى بنفسه هذه المهمة ، سوف يتدخل لمنع استدعائى للخدمة العسكرية .

" من الذى سيتدخل ؟ "

فقال " وأنا أحرص بالفعل على تجنب الديون " وأضاف " ولقد تمكنت بالفعل من العثور على وظيفة "

فتساءل والده " مـــا الذى ستفعله فى هـــذه الوظيفـة ؟ وأضـــاف " هل ستقوم بنقل أثاث الناس الفقراء ؟ "

" سأعمل فى مهنة تصنيع الموبيليات "

فنظر إليه فى حملقة .

فقال إيان " لقد أعددت الترتيبات مع ذلك النجار للموبيليات الفاخرة " وأضاف " ولقد تقابلتُ معه فى الورشة وسألته عما إذا كان بمقدورى أن أصبح صبياً عنده تحت التمرين "

وأخيراً استخدم كلمة " تلميذ " بدلاً من كلمة " صبى " . فبعد أن بحث عن نجار الموبيليات فى تلك الشقة المليئة بكراتين الخزف الصينى وكرات النفتالين دخل فى موضوع العمل عنده كصبى مباشرة مما جعل النجار ينظر إليه فى حيرة وارتباك ، ثم جلس النجار على عقبيه وألقى بظهره إلى الوراء وراح يدرس شفتى إيان . فقال إيان مرة أخرى : " صبى " ثم قال وهو ينطق فى دقة وحرص " تلميذ "

فتساءل الرجل " و ما الذى سيقوله الناس إزاء ذلك ؟ " ، وقامت تجعيدتان بتقطيب نفسيهما عبر جبهته الشبيهة بالجلد .

وقال إيان " لدى بالفعل بعض الخبرة " وأضاف : " فقد اعتدت أن أساعد والدى فى الدور التحتانى ، بل وأعرف كيف أقوم بتصنيع خزانة مطبخ "

فقال الرجل فى خشونة " إننى أكره المطابخ "

وعلى مدى لحظات اعتقد إيان أن الرجل مازال غير مدرك للمعنى . ولكن الرجل استطرد قائلًا " فهى أشياء تافهة . انظر إلى هذه المفصلة " ثم أشار إليها ؛ قطعة لولبية مزخرفة من المعدن الأسود مليئة بعلامات مطرقة اصطناعية شبيهة بالغمازات . وأضاف " عملى الحقيقى هو تصنيع الأثاث "

فقال له إيانَ " هذا شيء رائع " وما الذى كان يهمه ؟ كان الأمر سيّان بالنسبة له سواء أكان يتعلق بخزائن المطبخ أو الأثاث الفاخر : فهذه أشياء غير ذى حياة ، هى أشياء يستطيع أن يتعامل معها ولكن بدون أن يتسبب فى إفسادها ، أو إذا تسبب فى إفسادها يكون بمقدوره إصلاح التلفيات .

وقال الرجل " وأنا لدى ورشة ، وأقوم بتصنيع الأشياء التى أحبها " وكان يتكلم مثل أى شخص آخر باستثناء وجود إصرار معين على النبرة والتأكيد على الحروف الساكنة كما لو كان مصابًا بالبرد . وأضاف " فهذه المطابخ يتم تصنيعها من أجل الحصول على المال فقط "

فقال إيان " أوكى ، هذا شيء جميل ، أما بالنسبة للنقود فإنه يمكن لك أن تدفع لى الحد الأدنى من الأجور أو حتى أقل من الحد الأدنى فى بداية الأمر لأننى لست سوى صبى أو تلميذ " وأضاف " وفى أى وقت تضطر فيه إلى تصنيع مطبخ يمكن أن ترسلنى لتصنيع ذلك المطبخ بدلاً منك "

وعندئذ بدأ الأمل يدب فى كيانه ، وبدأ يدرك ذلك من خلال النظرة الحالمة التواقة التى أطلت فى بطء من عينى الرجل الرماديتين .

ولكن أكان والدا إيان معجبين بمبادرة إيان ؟ لا ، كانا يجلسان هنالك بدون أن يظهر عليهما أى تعبير أو انفعال . وقال لهما إيان " وهو عمل ليس شاقًا برغم كل شيء ، إنه حرفة ! إنه شبيه بالفن " .

فقال والده " يا إيان ، إذا كنت ستشغل نفسك فى تعلم هذا .... الفن ، فكيف ستتمكن من مساعدة الأطفال ؟ "

فقال إيان : " سوف أضع جدولاً زمنيًا بالاشتراك مع رئيسى فى الورشة " وأضاف " كما توجد هذه الكنيسة التى ستبدأ فى الإسهام معى فى جهد مشترك "

" ما هذه التى تتحدث عنها ؟ "

" الكنيسة "

وأمالا رأسيهما .

وقال إيان " توجد هذه .... من الصعب أن أوضح الأمور " وأضاف" هذه الكنيسة توجد فى شارع يورك رود ، وهى تؤمن بأن المرء ينبغى أن يفعل شيئًا ما متسمًا بالطابع العملى لكى يكفّر عن خطاياه ، فإذا وافقت على ذلك المبدأ فإنهم سيقدمون لك يد العون والمساعدة ، ويمكن لك أن توقِّع على لوحة النشرات والتى تتضمن الساعات التى تحتاج فيها للمساعدة والساعات الشاغرة لديك والتى تقدم خلالها المساعدات للآخرين ..."

وتساءلت بى " ماذا باسم الله ..... ؟ "

فقال إيان " حسنًا ، لا أريد أن أبدو سخيفًا أو أى شيء من هذا القبيل ، ولكن هناك مبدأ باسم الله وهذا هو نصه : [دعونا لا نحب بالكلمات ولا باللسان ولكن بالفعل وفى الواقع] "

فتساءل والده " يا إيان ، هل أنت وقعت فى براثن طائفة دينية معينة ؟ "

فقال إيان " لا ، لم يحدث ذلك " وأضاف " كل ما حدث هو أننى أكتشفت وجود كنيسة تعتبر معقولة من وجهة نظرى مثلما أن الكنيسة المشيخية بشارع دوبار تعتبر معقولة بالنسبة لك ولأمى "

فقالت أمه له : " الكنيسة بشارع دوبار لم تطلب منا التخلى عن التعليم " وأضافت " وبالطبع نحن لا نقف ضد الدين ، ونحن قد قمنا بتربيتكم جميعا منذ أن كنتم أطفالاً صغاراً على مبادىء الديانة المسيحية ومن أجل أن تصبحوا مسيحيين ملتزمين بالمسيحية ، ولكن كنيستنا لم تطلب منا أبدًا تغيير أسلوب حياتنا كلها "

فقال إيان " حسنًا ، ربما كان ينبغى عليها أن تفعل ذلك "

فنظر والداه إلى بعضهما البعض .

وقالت أمه " إننى لا أؤمن بهذا . إننى لا أؤمن بهذا و بصرف النظر عن الفترة الزمنية التى أمضيتها كأم يبدو أن بمقدور أولادى أن يؤمنوا بشىء ما جديد تمامًا علىّ وغير متوقع بالنسة لى "

" إننى لا أفعل هذا من أجلك ! ولماذا ينبغى أن يكون لكل شىء علاقة بك طوال الوقت وفى كل الأوقات ؟ إننى أفعل هذا من أجلى أنا ،

ألا تستطيعين إدخال هذه الفكرة في ذهنك . إنه شيء ما ينبغي على أن أفعله من أجلى أنا وذلك لكى يغفر الله لى ويسامحنى "

فتساءل الأب " عن أى شيء يغفر الله لك يا إيان ؟ "

فابتلع إيان ريقه ؟

" يا بنى ، أنت تبلغ من العمر تسعة عشر سنة ، وأنت إنسان لطيف ومراعى لشعور الآخرين ومستقيم وشريف ، فما هى الخطيئة التى ربما تكون قد ارتكبتها والتى تتطلب منك أن تقلب حياتك رأساً على عقب وتقتلع جذور وجودك كلها ؟ "

كان أميت الموقر قد قال لإيان إنه ينبغي عليه أن يخبر والديه بحقيقة ما حدث ، فحاول إيان أن يوضح كيف أن هذا من شأنه أن يسبب لهما آلام نفسية شديدة ولكن أميت الموقر صمم على رأيه ، وأشار إلى أن الجرح فى بعض الأحيان ينبغي أن يكشط ويحك حتى يمكن له أن يندمل ويُشفي .

فقال إيان " أنا الشخص الذى تسبب فى موت دانى ، فهو قد تعمَّد أن يقود سيارته ويرتطم بها فى الجدار "

فلم يتكلم أحد ، وأصبح وجه أمه شاحبًا وجامداً مثل حجر الصوان .

وقال إيان " فأنا قد قلت له أن لوسى كانت .... كانت غير مخلصة وغير أمينة "

وكان قد تصور أنه سينهال عليه وابل من الأسئلة وكان قد تخيل أنهم سيسألون عن كافة التفاصيل . ويجذبون الخيط الوحيد الذى قدمه لهم إلى أن تتكشف القصة كلها فى تدفق متلاحق ، إلا أنهما اكتفيا بالجلوس فى صمت والحملقة فى وجهه .

فصاح قائلًا " أسف ، إننى آسف حقًا ! " وقامت والدته بتحريك شفتيها اللتين ظهر عليهما التجاعيد على نحو غير طبيعى ، ولكن لم يخرج أى صوت عن شفتيها .

وبعد مرور بعض الوقت نهض فى تثاقل وترك المنضدة ، وتوقف فى مدخل غرفة الطعام على مدى لحظات لكى يعطى لهما الفرصة للمناداة عليه والرجوع إليهما ولكنهما لم يناديا عليه ، فعبر الصالة وشرع فى الصعود على السلالم .

ولأول مرة خطر على ذهنه أنه يوجد هناك شىء ما صلب وفولاذى ووحشى وضارى وغير إنسانى فى بزنيس هذا الدين ، هل وضع أميت الموقر فى اعتباره الضربات الوحشية المكتومة لحذاء إيان الخفيف لدى صعوده السلالم والهواء المتكسر المتشظى الذى خلفه وراءه ؟

كانت اللمبة الصغيرة الموجودة على مكتبه تشع ضوء يكاد يكون كافيًا لكى لا تتسبب فى إيقاظ دافنى من النوم ، فانحنى على سريرها الصغير لكى يتفحص حالتها ، وكانت تنبعث عنها الرائحة الكريهة الفاسدة . فقام بتسوية بطانيتها ، ثم عبر إلى المكتب ونظر فى المرآة التى تتعلق فوقه ، ونظرًا لأن الإضاءة كانت تترامى من الخلف فإنه

لم يكن سوى صورة ظلية ، وعلى نحو فجائى شاهد نفسه شبيها بالشبح الذى كان يخشاه فى طفولته ، وهو ذلك الشخص المعتم الدخيل الذى كان يكمن تحت سريره مماكان يضطره إلى القفز والجرى منطلقًا من المدخل فى كل ليلة ، فاستدار على جانب فى حدة والتقط الرسالة البريدية التى كانت أمه قد وضعتها من أجله : إنها مجلة بلاى بوى وإعلان نادى للإسطوانات الفوتوغرافية وبطاقة بريدية من زميله بالغرفة ، فقام بوضع المجلة والإعلان فى صندوق الزبالة وكانت البطاقة البريدية تظهر امرأة لها شعر جامح وتكاد تكون مغطاة من خلال فستان فرائى أبيض اللون يتدلى فى خطوط بارعة متعرجة حول فخذيها [ذئبات الأنتاركتيكا بألوان فيفى! وفقًا لما تقــوله الأسطورة] : عزيزى إيان . ما رأيك فى بطاقة الكريسماس هذه التى أبعث بها إليك ؟ لقد تأخرت فى أرسالها ، ولكن التأخر أفضل من عدم الإرسال على الاطلاق ، المكان هنا ملىء بالسأم والملل ، إذ لا يوجد إيان وسيسلى اللذان يقومان بأعمال الشعوذة والدجل فى صمت شديد .

فجفل وألقى ببطاقة البريد بصندوق الزبالة فوق المجلة ، وأحدثت البطاقة لدى القائها صوتًا خفيفًا للغاية شبيها بالحفيف .

وأدرك أنه كان يبدأ من خط البداية فى السباق أو يبدأ من مستوى الدور الأرضى أو من مستوى منخفض بقدر ما يستطيع ، وكان هذا بمثابة تكفير عن خطيئته فى حقيقة الأمر .

وفى تلك الليلة حلم أنــه كان يحمل صندوقًا كرتونيًا من أجل شركة " سد إن إيد " وكان بالصندوق كتب أو شىء من هذا القبيل يبلغ

وزنها طن . فقال دانى " فى هذه الحالة دعنى أساعدك " ثم أمسك بطرف من الصندوق ، وبدأ يهبط على السلالم بظهره ، وطوال الوقت كان هو وإيان يتبادلان الابتسامات .

وكان هذا هو آخر حلم يحلم به إيان عن دانى على الرغم من أنه لم يدرك هذا فى ذلك الوقت ، وعندما استيقظ من النوم وجد نفسه مطبقًا يديه فى إحكام ومائجًا فى قلق شديد . وكل ما فكر فيه لكى يدخل على نفسه الراحة والطمأنينة هو الأنشودة التى كانوا قد ترنموا بها فى كنيسة الفرصة الثانية ، " إذ كانوا ينشدون قائلين : الاستناد ، الاستناد على أذرع الله الأبدية ..... " وعلى نحو تدريجى انجرف فى تحرير وأسلم نفسه لله ، ووضع كافة أثقاله على كاهل الله فى ثقة وفى هدوء وبنفس الطريقة التى اعتاد زميله فى الغرفة أن يستريح بها فى كرسيه الذى كان يشبه راحة اليد .

(٤)

أقواس قزح الشهيرة

كانت جدتهم تسمى ذلك المعسكر بالدحروجة المقدسة ، معسكر إنجيل الدحروجة المقدسة ، وأغلقت باب دولاب ثم قالت لتوماس " لو أنتم جميعًا ذهبتم إلى المعسكر " حقيقي " بدلاً من الدحروجة المقدسة لما اضطررتم إلى الاستيقاظ مع بزوغ الفجر فى كل يوم ولما أصبحتُ أنا واقفة هنا من أجل أن أعدّ لكم طعام الإفطار وأنا شبه نائمة .

ولكن الوقت لم يكن فى بزوغ الفجر . إذ كانت شرائط من أشعة، الشمس الصفراء الساخنة تمتد عبر مشمع الأرضية ، كما إنها لم يبد عليها أنها شبه نائمة ، إذ كانت قد قامت بتمشيط شعرها وجعلته يلتف حول وجهها فى زغب خفيف وعلى شكل طاقية دش رمادية مجعدة ، وكانت ترتدى البلوزة المفضلة لدى توماس وهى البلوزة التى عليها رسومات مطبوعة شبيهة بصفحة من جريدة ، علاوة على ارتداء بنطلون تريكو فضفاض له لون بنى وممتد للأمام من خلال الكرة المنتفخة لكرشها .

وكانت كلمة : النصر من بين الكلمات المكتوبة على بلوزتها ، وكانت كلمة : الكارثة هى إحدى الكلمات الأخرى المكتوبة ، ولم يكن توماس قد

بدا فى السنة الثانية الابتدائية ولكنه كان قادرًا على قراءة أى كلمة يقع بصره عليها ، وقالت جدته " لو ذهبتم جميعًا إلى معسكر كوتونتيل مثلما فعل أطفال عائلة باركر لما اضطررتم للمغادرة قبل حلول التاسعة صباحا " بينما كانت تسير فى بطء حول المائدة مع عدد من السلطانيات المليئة بطعام مصنوع من الشوفان ، وأضافت " ولكان قد التقطكم أتوبيس مكيف عند درجة الباب الخارجى . ولكن أوه ، لا ، أوه . لا هذا أمر متسم بالبساطة الشديدة من وجهة نظر عمكم إيان ، فعمكم إيان يقول " فلْنُجحم عن انجاز ذلك بالطريقة السهلة "

وما قاله إيان فى حقيقة الأمر هو : " معسكر كوتونتيل يتكلف ثمانين دولارًا من أجل دورة تعليمية لمدة أسبوعين " ، وكان توماس قد سمع المناقشة كلها " ثمانون دولارًا لكل طفل ! هل تدركون التكلفة الإجمالية لذلك ؟ "

وكانت جدتهم قد قالت له " ربما والدك يقوم بتدريس إضافى فى مدرسة صيفية"

" أنت تحلمين يا أمى ، وهل تعتقدين حقًا أننى سأدعه يفعل ذلك ؟ هذا بالإضافة إلى أن معسكر كوتونتيل لا يأخذ أطفالاً يبلغون من العمر ثلاث سنوات ، وبذلك تظل دافنى فى المنزل طوال اليوم معك وهذا يشكل بعض العبء عليك لأنك كبيرة فى السن بعض الشىء "

وذلك هو ما حسم الموقف ....." فجدتهم كانت مصابة بالتهاب فى المفاصل فى ركبتها وردفيها بل وفى يديها فى الأونة الأخيرة من وقت لآخر وبذلك أصبحت لا تتحمل الجرى وراء دافنى واصطيادها ، ودائمًا

ما كانت الجدة تقول أن دافنى استنزفت قواها ، وإن كانت قد أحبتها للغاية .

وقامت بمباركة الطعام الموجود فى سلطانية توماس ثم اتجهت نحو السلالم ، ونادت " أجاثا ! أجاثا هل أنت قد استيقظت من النوم ؟ "

لا إجابة ، فتنهدت وقامت بصب اللبن فى سلطانية توماس وقالت له " عليك بالبدء فى تناول الطعام وأنا سأذهب لكى ألكزها " ثم سارت فى تخشيب خارجة من المطبخ وهى تقول بصوت مرتفع " انهضى واشرقى .... يا أجاثا "

ووضع توماس ملعقته على نحو مسطح على قمة سلطانيته المليئة بالكورن فليكس واللبن ، وراح يرقبها وهى تمتلئ ثم تغوص .

ثم جاء جده وإيان وظهرت دافنى خلفهما مباشرة ، كان إيان يرتدى ملابس الشغل - بنطلون جينز باهت اللون وقميص تى شيرت بينما الطاقية القماش البيضاء الخاصة بأعمال النجارة والتى يرتديها كانت متجهة إلى الوراء بعض الشيء مثل طاقية لاعب كرة البيسبول .

[كانت الجدة تشعر باليأس المرير عندما يظل رجالها مرتدين قبعاتهم أثناء وجودهم بالمنزل] . وكان قد ألبس دافنى طاقم بنطلونها القصير الوردى الجديد و كانت دافنى تجذب لعبة الأطفال التى هى على شكل جزازة العشب والتى كانت تجعل الكرات الملونة تفرقع عندما تدور العجلات .

وكان إيان يقول " لقد كنت أتصور أنه من الأفضل لنا أن ننقل العملية كلها إلى المكان الذى يمكن أن يتم فيه تخزين الأخشاب فى نفس المبنى .

ولكن المستر برانت يرغب فى أن تكون الورشة فى نفس مكانها ، لذلك سأكون بحاجة للسيارة طوال اليوم اللهم إلا إذا كنت ..... "

فتوقف توماس عن الاصغاء ، ووضع فى فمه مقداراً ضئيلًا من الكورن فليكس ، وشاهد دافنى وهى تمشى حول ساقى إيان مرات عديدة بينما جزازة العشب تتلمس طريقها خلفها ، وأعلنت " هذا هو ما أحضره من أجل حصة المشاركة " ولكن توماس كان هو الشخص الوحيد الذى سمعها فاضطرت لأن تقول " إيان ؟ هذا هو ما أحضره من أجل ..... "

فقال توماس لها "ينبغى عليك أن تحضرى شيئًا أكثر جمالاً وروعة"

" لا . إننى أحضر هذه ! "

" أتذكرين ، ما الذى أحضرته مندى بالأمس ؟ "

كانت ميندى قد أحضرت خنفساء مصرية يرجع عمرها إلى حوالى مليون سنة ولها لون أزرق / أخضر شاحب مثل مزاريب الأمطار القديمة ، ولكن دافنى قالت " لا يهمنى ذلك " .

فقال توماس لها " الكثيرون من الناس لديهم جزازة أعشاب مصنوعة من البلاستيك "

فتظاهرت بعدم سماع كلامه وسارت فى حلقات أكثر ضيقًا حول بنطلون إيان المصنوع من قماش الدّنيم الأزرق .

وما أن كانت دافنى تتخذ قراراً لم يكن بمقدور شىء أن يغير رأيها ، ودائمًا ما كان كل شخص يسخر منها فى مداعبة بسبب ذلك ، ولكن توماس خشى من أن تبدو بكماء أمام معسكر الإنجيل ، وهو معسكر صغير للغاية حتى أن جميع الأطفال كانوا يختلطون مع بعضهم البعض ؛ أطفال من سن الثلاث سنوات مع أطفال فى سن السبع سنوات مثل أجاثا ومثل ديرموت كايل ، وكان من المؤكد أن ديرموت كايل سيسخر منها ، وراح توماس يرقب صندلها الأبيض ذا الأنف المستدير لدى اتخاذها خطوات صغيرة ثم تصاعد الغضب فى داخله وتضايق منها .

ثم انحنى إيان ورفعها لأعلى ومعها جزازة العشب وكل شىء ، وقال لها " ماذا تأمرين به كطعام للإفطار ؟ يا آنسة داف ؟ " فضحكت وقالت له خبز محمص مزود بالقرفة "

كانت دافنى جاهلة للغاية مما يجعلها لا تهتم وعندما هبطت أجاثا على السلالم بدت منتفخة العينين ومصابة بالدوار ، إنها لم تستيقظ من النوم أبداً فى سهولة . وراحت جدتهم تعرج حولها مع محاولة تحريكها إلى أن جلست إلى مائدة الإفطار وعرضت عليها أن تقدم لها كورن فليكس أو نخالة الزبيب ، ولكن أجاثا وضعت ذقنها على جماع يدها ثم بدأت عيناها فى الانغلاق البطىء التدريجى .

" يا أجاثا ، لا تعودى للنوم مرة أخرى "

فقال إيان : " إنها ستصبح على ما يرام بمجرد أن يصفعها الهواء المنعش " وكان يقف بجوار محمصة الخبز الكهربائية فى انتظار أن تفرقع قطعة التوست التى تخص دافنى ، وكان قد أجلس دافنى على

الكاونتر المجاور له حيث راحت تهزّ قدميها وتضرب بكعبيها على أبواب الدولاب أسفلها .

فقالت جدتهم له " إنها ستصبح على نحو أفضل إذا استطاعت الحصول على قدر كاف من النوم " وأضافت " إنهم مضطرون للاستيقاظ من النوم فى الصيف فى وقت أكثر تبكيراً من استيقاظهم من النوم فى الشتاء وهذه الطفلة المسكينة لا تستطيع الإبقاء على عينيها مفتوحتين "

فقال الجد على نحو مفاجىء " كان ينبغى عليها أن تلتحق بمعسكر كوتونتيل " ، كان كل شخص قد نسى أنه موجود معهم ، وكان يقلى لنفسه بعض البيض على الموقد ، وأضاف " فمعسكر كوتونتيل يجىء إلى المنزل من أجلهم فى حوالى الساعة التاسعة أو نحو ذلك . ولقد شاهدت الأتوبيس فى الحى "

" ألم أقل نفس ذلك الكلام تواً ؟ ففى حين أن معسكر الدحروجة المقدسة ، من ناحية أخرى ..... "

فقال لها إيان " يا أمى ، أرجوك ، هذا ليس معسكر الدحروجة المقدسة ، وإنما هو معسكر الفرصة الثانية ، وهو تحت رعاية كنيستى ، وهو بالمجان وبدون رسوم ، ناهيك عن أنه يقدم للأطفال نصائح أساسية وبعض المبادئ اللازمة لحياتهم "

فنظرت جدتهم لأعلى نحو السقف وأطلقت نفساً طويلاً مفعماً بالضجيج والضوضاء .

وقال جدهم وهو موجود عند الموقد " عندما كنت في سن السابعة عشر تطوعت لكي أكون ناصحًا أو مستشارًا في معسكر كنيستي الذي أقيم في ميرلاند الغربية ، والسبب في ذلك هو أنني كنت واقعًا في حب هذه الفتاة التي كانت تقوم بتعليم الرماية بالأقواس والسهام هناك . وكان اسمها ماري ، ومازال باستطاعتي مشاهدتها حتى الآن ، وهي كانت ترتدي هذه الأسورة المعدنية المطوقة للمعصم وذلك لكي لا يضربها القوس ، وفي كل ليلة كنت أصلي وأدعو الله لكي تبادلني حبًا بحب ، وقلت [يا إلهي إذا قدمت لي هذه الخدمة الوحيدة سوف أؤمن بك للأبد ولن أطلب منك أبدًا أية خدمة أخرى] ولكنها فضلت سباح الانقاذ المحترف الذي ينقذ السابحين لدى تعرضهم للغرق وشرعا في الخروج سويًا . وهذا هو السبب في أن الله وأنا لم نعد على نفس تلك الدرجة من الصداقة الحميمة العميقة "

فتمتمت الجدة على نحو تلقائي " الله و أنا "

" أعني أنني ما زلت أذهب للكنيسة في الأجازات وما شابه ذلك ولكني لم أعد أشعر بنفس المشاعر العميقة السابقة ".

فقال إيان " حسنًا وما الذي يدل على ذلك ؟ أنت تتصرف وكأن ذلك يدل على شيء ما ، ولكن كل ما يدل عليه ذلك هو أنك لم تكن تعرف أفضل الأمور بالنسبة لك فأنت كنت تطلب فتاة لم تكن ملائمة لك "

فاكتفى جدهم بهز كتفيه في لامبالاة ولكن جدتهم قالت " أوه يا إلهي ، مازال الوقت مبكرًا للغاية بالنسبة لهذا" ثم سقطت فجأة في تثاقل في كرسي .

أصبحت عينا أجاثا مغلقتين الآن كما توقفت دافنى عن هز قدميها ، وكان الكلب مستلقيًا بجوار الحوض مثل ممسحة الأرضية المتجعدة ، وكان إيان هو الوحيد الذى يبدو عليه الحيوية والنشاط ، وقام بانتزاع التوست من محمصة الخبز الكهربائية وقلَّبه مرتين لكى لا يحرق أصابعه ، وعندما استدار لكى يحضر التوست إلى منضدة الإفطار غمز بعينه لتوماس بسرعة وابتسم له .

بينما كان إيان يتجه بهم بالسيارة إلى المعسكر قال " لا ينبغى عليكم أن تأخذوا الأمور مأخذ الجد عندما يتحدث جدكم وجدتكم على ذلك النحو ، إذ كان لهما بعض الإحباطات فى حياتهما . وهذا لا يعنى أن إيمانهما غير عميق "

فقال توماس " أدرك ذلك " ولكن أجاثا اكتفت بالحملقة إلى الخارج من النافذة ، كانت دائمًا تتحول إلى رداءة الطبع والتوتر والارتباك عندما يظهر على بساط البحث كلام عن الدين ، وكان توماس يعتقد أنها ليست مسيحية صادقة ، وكان متأكداً من أنها تكره الذهاب إلى معسكر كنيسة الفرصة الثانية ، فهى قد قالت إن اسم الفرصة الثانية فى حد ذاته يشير إلى أنهم يعملون على تسوية الأمور بالنسبة لشىء ما و ما ذلك النوع من المعسكر الذى به فناء خلفى فوق سطح الأرض وبركة كرتونية بلاستيكية ينبغى عليك أن تملأها باستخدام خرطــوم الحديقة ؟ ولكنها لم تقل هذا الكلام إلاّ لتوماس وعلى نحو خصوصى وسرى ، إذ لم يرغب أى واحد منهما فى جرح مشاعر إيان لأى سبب من الأسباب .

وقام إيان بانزالهم عند منزل الأخت ميرا على وجه السرعة ، إذ شعر أنه بدأ يتأخر عن موعده . ونادت الأخت ميــرا من عند بابها الأمامى

" صباح الخير يا أخ إيان " فقال لها" صباح الخير يا أخت ميرا ؟ آسف لأننى لا أستطيع التوقف للتحدث معك " ، ثم انطلق بالسيارة تاركًا إياهم على رصيف المشاة ، كانت الأخت ميرا تعيش فى مستعمرة تسمى أراضى لولابى أو أراضى التهويدة الطفولية والتى لم تكن تنمو بها أية أشجار والتى كانت أشد حرًا من منزلهم ، وشعر توماس بقطرة عرق تنساب لأسفل بين العظم الكتفى .

وقالت الأخت ميرا وهى تفتح الباب ذا الحجاب المنخلى من أجلهم " أنتم الثلاثة تبدون رائعين ومتسمين بالأناقة " ، كانت امرأة ممتلئة ومبتسمة الوجه ولها شعر مُجعَّد رملى اللون ، ثم قالت لدافنى فى تساؤل " ماهذا الذى أحضرته معك ، يا حبيبة قلبى ؟ "

" هذه حصادتى التى تجز العشب "

" حسنًا ، أحضريها إلى الداخل هنا حيث الجو بارد فى اعتدال "

لم يكن الجو باردًا فى اعتدال وإنما كان باردًا بالفعل إذ كان منزل الأخت ميرا مكيف الهواء ، وكان توماس يعتقد أن تكيف الهواء هو شىء رائع حتى ولو كان ذلك يعنى أنهم سيقضون بالداخل أكبر وقت ممكن ، ففى هذا اليوم على سبيل المثال لم يكن يوجد هناك أى شخص يلعب فى الفناء الخلفى البنى اللون المحدق بحمام السباحة ، إذ كان كل شخص موجودًا فى غرفة الترويح بالبدروم والتى كانت أشبه بثلاجة كبيرة ، وكان ديرموت كايل وجاسون يقومان بتنظيم أشكال إنجيلية صغيرة من البلاستيك فى صفين عبر السجادة الداخلية / الخارجية مع التظاهر بأن

صفًا مخصصًا لأصحاب المزرعة والآخر لسارقي الماشية . وكانت هناك ثلاث فتيات يقمن بتمشيط الدميات فى أحد الأركان بينما التوأم نيسلين كانا يساعدان بيت ابنة الأخت ميرا على وضع آية إحياء الذكرى على لوحة الفلانيلة : بينما ذكر الآيل .... وبعدئذ كلمة لم يستطيع توماس فهمها كان يتمنى أن تكون الآية قصيرة ، وكان ديرموت كايل قد تساءل بالأمس عن معنى " السيد المسيح بكى " مما جعل نزلاء المخيم يضحكون إلى أن أوضحت الأخت ميرا أنه كان حزينًا للغاية بكل تأكيد بسبب خطايانا .

وقالت الأخت ميرا " ينبغي علينا أن ننتظر لحين مجيء ثلاثة أشخاص آخرين وهم : ميندى والأخوان لارسون ، وبعد إذن يمكن لنا أن نبدأ ، وعليكم جميعًا بالبقاء هنا مع الأخت أودرى بينما أصعد أنا وأترقب مجيء الآخرين "

وكانت الأخت أودرى جالسة على كرسى للأطفال بدون مسند صغير للغاية بالنسبة لحجمها ، كانت فتاة تحت سن العشرين ضخمة ولينة وشاحبة ومرتدية بلوزة واسعة تكشف عن شرائط صديرية الثديين وعندما سمعت اسمها ابتسمت فى أرجاء الغرفة واحتضنت ركبتيها العاريتين الشبيهتين بالبطاطس ولكن أحدًا لم يرد عليها بابتسامة ، إذ كانوا يخافون للغاية من الأخت أودرى . وكانت تقدم العون والمساعدة فى معسكر الإنجيل لأنها كانت قد أنجبت طفلاً بينما لم تكن قد تزوجت بعد ، فوضعت ذلك الطفل في منطقة للقمامة وأصبحت الآن تكفِّر عن خطاياها ، ولم يكن من المفترض لهم أن يعرفوا هذه الأسرار ولكنهم

كانوا يعرفونها بالفعل ، بل وكانوا يتناقشون بالتفصيل فى ذلك بين أنفسهم فى همس : كيف أن الطفل المولود كان ملفوفًا فى فوطة [أو فى شنطة مواد بقالة وفقًا لما جاء على لسان ديرموت] وكيف أن البواب سمعه وهو يطلق صوتًا ضعيفًا وكيف أن سيارة الشرطة أخذته إلى شخص ما كبير يستطيع أن يتبناه ، وابتسمت لهم الأخت أودرى فى أمل بينما كانوا هم يتجمعون فى ركن العرائس والدميات ويضعون هذه المعلومة فى قالب جديد ، ونادت الأخت أودرى " ألا يرغب أى واحد منكم أن أقرأ له قصة ؟ " ولكنهم لم يكن لديهم الاستعداد للاقتراب منها إلى هذه الدرجة .

وهبطت الأخت ميرا على السلالم ومعها ميندى وكذلك جونى لارسون فقط ، وأوضحت أن كينى لارسون ملازم الفراش بسبب آلام فى الأذن ، ثم قالت لهم " شىء ما يمكن لنا أن نذكره فى صلواتنا " وقامت بالتصفيق بيديها وقالت " أوكى ، يا نزلاء المعسكر ، تجمعوا ، وليجذب كل شخص كرسيًا ! "

بعض الكراسى كانت كراسى خشبية صغيرة مطلية بألوان دور الحضانة ، والبعض الآخر كان من النوع الاعتيادى المألوف الذى يطوى . وكان جميع الأولاد يقاتلون من أجل الحصول على الكراسى الاعتيادية وذلك لكى لا يبدو عليهم أنهم مخنثون ، وخاصة توماس ، إذ لم يكن يطيق أن ينظر إليه ديرموت كايل بطريق الخطأ على أنه واحد من الأطفال الصغار .

قالت الأخت ميرا " يا إلهنا الذى فى السموات نشكرك على هذا اليوم الآخر الجميل ، ونشكرك على هذه الأرواح البريئة غير الملوثة التى

تجمعت باسمك ونطلب منك أن تشفى كينى لارسون إذا كانت هذه هى إرادتك ، والآن سوف نقدم لك يا إلهى صلوات الحكم والقضاء مثلما نفعل فى مثل هذا الوقت فى كل صباح "

وشعر توماس بأن ذلك الجزء الأخير كان موجهًا لنزلاء المعسكر أكثر مما هو موجه إلى الله ، فمن المؤكد أن الله كان يعرف بحلول هذا الوقت أنهم يقدمون صلوات القضاء فى كل صباح ، ومن المؤكد أنه يعرف الكلام الذى كانوا على وشك أن يقولونه خاصة وأن معظمهم كانوا يكررون ما قالوه فى الفترات الصباحية من الأيام الأخرى ، وكانت البنات يقلن عبارات الشكر " نشكرك يا إلهى على الأشجار والأزهار " وأشياء أخرى من هذا القبيل [وبالنسبة لأجاثا كانت تقول " أشكرك يا إلهى على الأسرة " فى صوت ملىء بالتمتمة والغمغمة] وكان الأولاد يميلون أكثر لأن يطلبون طلبات من الله ، وكانت أكثر الطلبات شيوعًا هى : " يا إلهى ، دع فريق الأوريولز يكسبون المباراة فى هذه الليلة " [ودائمًا ما كانت الأخت ميرا تضيف على وجه السرعة " إذا كانت تلك هى إرادتك "] .

والاستثناء الوحيد هو ديرموت كايل الذى كان يقول " أشكرك يا إلهى على الهواء المكيف " ، ودائمًا ما كانت تلك العبارة تؤدى إلى انفجار فى الضحك ، وعادة ما كان توماس يطلب من الله أن يوفر طقسًا ممتازًا يصلح للسباحة ، ولكنه فى هذا اليوم طلب من الله أن يشفى كينى لا رسون من آلام الأذن ، وذلك لسبب واحد وهو أن توماس كان يحب أن يبتكر عبارة مختلفة من وقت لآخر وهذه العبارة الأخيرة جعلت الأخت ميرا تومئ رأسها فى موافقة شديدة .

وقالت الأخت أودرى العبارة الختامية للصلاة إذ قالت " يا إلهى الحبيب . انظر إلينا من عليائك و أفهمنا ونحن نتوسل إليك فى تواضع وخضوع باسم السيد المسيح ، أمين "

وقام بعض الأولاد بلكز بعضهم البعض لدى سماع تلك العبارة لأنها ربما كانت تعنى أن يفهمها الله فيما يتعلق بطفلها الذى ولدته سفاحًا ثم تخلت عنه ، وبعدئذ شاهدوا تجهّم الأخت ميرا فحرصوا على أن تصبح ووجوههم خالية من أى تعبير أو انفعال و بدأوا فى الحملقة فى أرجاء الغرفة والدندنة .

وبعد الصلوات جاءت " ساعة المشاركة " ، وفى المدرسة كانوا يسمونها " اشرح وقل " وأنت لم تكن مرغمًا على أن تحضر أى شىء من أجل " ساعة المشاركة " إذا لم تكن ترغب فى ذلك . ومعظم الأولاد لم يحضروا عادة أى شىء ، وأيضًا لم يكن من الضرورى أن يتسم الشىء الذى تحضره بالطابع الدينى وإن كان من الملائم بالطبع أن يتسم بالطابع الدينى " وقد تكون بعض ممتلكات أنعم الله بها عليك فتريد للآخرين أن يشاركوا معك الفرحة بها ، فعلى سبيل المثال نجد أن بنت ابنته الأخت ميرا قد أحضرت الصفارة الفضية الجميلة التى اعتادت أن تكون صفارة ابن عمها روب المنتمى لمعسكر الكشافة للأولاد ولكن عندما حان الوقت لكى يشارك الآخرون الاستمتاع بالصفارة فإنها رفضت . وقالت إنها لا ترغب فى أن ينفخ الناس فى الصفارة يمررون إليها جراثيمهم ، وعندما اعترضت الأخت ميرا على القول ذلك قالت بيث : " فأنا لى الحق فى ذلك . فليس هناك ما يرغمنى على تحمل كافة أنواع الزكام وحالات البرد الصيفية " ، ولكنها كانت فتاة نحيلة ولم يبدو عليها

أبداً أنها فى حالة صحية جيدة ، وكان أنفها محتقنا دائمًا باللون الأحمر وكانت ضفائر شعرها لها اللون الأحمر الشاحب لاطارات النظارة الشفافة ، وتنهدت الأخت ميرا وقالت " أى شخص آخر ؟ "

فوقفت دافنى فى اندفاع شديد حتى أن كرسيها تشقلب إلى الوراء [كان من المفروض أن ترفعى يديك] وأعلنت " حسنًا ، أنا لدى هذا " ثم رفعت لعبة حصادة الأعشاب لأعلى على رأسها ، فقالت جميع البنات " أوه ! " واعتقدن أن دافنى بارعة وجذابة ، ثم قال الأولاد : ديرموت والأولاد البالغون تسع سنوات " أوو " فى سخرية من البنات ولكن لم يكن يهدفون إلى إحداث أى ضرر أو أذى ، إذ كانوا منخرطين فى الابتسام فابتسمت لهم دافنى ، ثم أوضحت كيف أن الكرات الملونة تفرقع عندما تدفع بحصادة العشب على السجادة ، وكان توماس يدرك أنها ماهرة وذكية وكانت محبوبة بلفائف شعرها الأسود النابض بالحياة السميك الشبيه بباروكة الدمية كما كان وجهها صغيراً للغاية ومليئًا بالحيوية ، وعلى نحو فجائى شعر بأنه فخوراً بها ولسبب ما شعر أيضًا بأنه حزين بعض الشىء .

وقالت الأخت ميرا " شكراً لك يا حبيبة قلبى " وأضافت " أية مشاركات أخرى ؟ "

فرفعت أجاثا يدها ، ونظر توماس من فوق كتفه إليها ، لم تكن قد أشارت إلى أنها ستُحضر شيئًا ما ، ونهضت واقفة ، وراحت تبحث فى جيبها الأمامى وتزم شفتيها لأنها كانت ممتلئة بالنسبة لبنطلونها الشورت وكان من الصعب عليها إدخال جماع يدها فى الجيب ، وأخيراً استخرجت شيئًا ما مستديراً وصافيًا ، ثم قالت : " حبة خردل "

فقالت الأخت ميرا " ماذا ، يا حبيبتى ؟

" حبة خردل فى كرة بلاستيك مثل تلك التى تحدث عنها أميت الموقر بالأمس فى [وقت العصير] «فقالت الأخت ميرا" » أوه نعم [لو كان لدينا إيمان بمقدار حبة الخردل .....] " ثم مدت يدها فأسقطت أجاثا حبة الخردل فى راحة يدها ، وأضافت : " إننى أتذكر حبات الخردل هذه ، كنا نرتديها فى سلاسل عندما كنا فى المدرسة الثانوية ، وكنا نشترى حبات الخردل هذه من كاونتر المجوهرات بمحلات وولويرث " .

فقالت أجاثا " وحبة الخردل هذه كانت من ممتلكات أمى "

ففتح توماس فمه فى دهشة

وأضافت أجاثا " أمى ميّتة الآن ، وأنا لاأعرف اسم الكنيسة التى كانت تنتمى إليها ، ولكن عندما أرانا أميت الموقر حبات الخردل تلك فى [وقت العصير] قلت لنفسى فى تفكير [تلك الحبات تشبه تمامًا تلك الحبة الصغيرة المستديرة الموجودة فى صندوق والدتى] " :

كانت تعنى صندوق مجوهرات أمهم ، وهو الصندوق المغطى بقماش والذى كانت أجاثا تحتفظ فيه بمشابك شعرها . وهى كانت فاسدة أخلاقيًا لأنها جعلت أناسًا آخرين يشاهدون شيئًا ما مأخوذًا من الدرج السفلى الغامض ، ألم تجعل توماس يرسم الصليب على قلبه ويتمنى أن يموت إذا أخبر أى شخص بأن أشياء أمهم مخبأة هناك ؟ بل إنها لم تدعه يخبر دافنى بمكان هذه الأشياء لأن دافنى قد تخبر الناس

الكبار وبعدئذ قد يقوم الناس الكبار بالبحث والتنقيب فى أوراق أمهم والتوصل إلى وسيلة لشحن توماس وأجاثا إلى ناس غرباء مع الاحتفاظ بدافنى لأنفسهم لأن دافنى كانت هى الوحيدة التى تنتمى بالفعل لعائلة بيدلو ، وكانت أجاثا قد حذرت توماس مرات عديدة ولكن انظر إلى ما تفعله الآن : ها هى كانت تتكلم عن " أمى " وكيف " أننى " لا أعرف نوع الكنيسة التى كانت أمى تنتمى إليها فى حين أن حبة الخردل الخصوصية التى تمتلكها أمى قد انتقلت من يد إلى يد مثل أى شىء عادى ، من راحةاليد الوسائدية للأخت ميرا إلى مخلب بيث النحيل القوى الملىء بالنمش إلى جماع اليد غير النظيف تماماً لديرموت كايل وبحلول الوقت الذى وصلت فيه حبة الخردل إلى توماس فإنه اعتقد أنه شم رائحة عرق ، فأمسك بها من حلقتها الذهبية الصغيرة وراح يتفحصها فى دقة كبيرة [فهو لم يكن يعرفها أكثر من الناس الآخرين نظرا لأن أجاثا كانت تحرس ذلك الصندوق فى حرص شديد] أكان البلاستيك مليئًا بالخربشة والغيوم حتى قبل أن يمسك به الآخرون ويلمسونه بأنفسهم ؟ فإذا كان الأمر كذلك فإن هذه الخربشة والغيوم نجمت عن ملْمس والدته حيث إن أصابعها الحقيقية قد أزالت اللمعان من خلال الحك ، كما أن عينيها الحقيقيتين قد نظرت فى ارتياب إلى ذلك التلألؤ الأبيض للحبة .

وحقيقة الأمر إنه لم يتمكن من تذكر والدته على وجه الدقة ، وعندما حاول أن يتخيلها فى داخل ذهنه فإنه تذكر على نحو غامض تتبعه لحذاء أحمر ذى كعب عالى على رصيف المشاة ثم نظر لأعلى فاكتشف أن

الحذاء يخص السيدة الخاطئة فصاح فى هلع قائلاً " ماما !!" فظهر اهتياج وقع أقدام ثم ضحكة رقيقة منخفضة .... ولكنه لم يستطيع تخيل شكلها ، وبدا له أنه كلما حاول تخيل شكلها تجسد فى داخل ذهنه نوع من الأمّ " العمومية " من ذلك النوع الذى يتخيله المرء عندما يقرأ بصوت مرتفع كلمة " أمّ " فى كتاب حكايات الأطفال ، وكان قد سأل أجاثا ذات مرة " هل كان لها على مايبدو سيارة ستيشين من النوع الذى له بدن خشبى مغلق وصفوف من المقاعد القابلة للطى خلف السائق ؟ أعتقد أننى أتذكر سيدة فى سيارة واقفة عند دار الحضانة التى كنت ملتحقًا بها "

ولكن أجاثا قالت " مالذى تتحدث عنه ، إنها لم تكن تعرف كيف تقود سيارة "

فقال لها " من المؤكد إننى خلطت بينها وبين إنسانة ما أخرى "

ولكن السيدة الجالسة فى السيارة ظلت ماثلة فى داخل ذهنه – امرأة مثل أم الأطفال الآخرين منتظرة إياه فى عربة ستيشن بنية اللون لها ألواح خشبية محببة على الجانبين وبها جزء مستقل فى المؤخرة مليء بعلب كرات التنس وعصىّ لعبة الكروس "

وقالت الأخت ميرا " أفضل شىء هو أن أجاثا قد أحضرت لنا شيئًا ما يتعلق بعقيدتنا " وأضافت " فهى قد أضافت لما قاله أميت الموقر فى [وقت العصير] ثم أحضرت شيئًا ما له علاقة بذلك ، هذا شىء لطيف للغاية يا أجاثا "

فأومأت أجاثا برأسها ثم جلست فى كرسيها ، وعندما قام توماس بتمرير حبة الخردل إلى جاسون شعر أنه يتخلى عن جزء من كيانه مثل التخلى عن ذراع .

الآية الإنجيلية من أجل هذا اليوم جاءت من المزمور الثانى والأربعين : مثلما يلهث ذكرالآيل وراء جداول الماء ...... فى بادىء الأمر راحت الأخت ميرا تشرح معنى تلك الآية . " هل يعرف كل شخص معنى كلمة الآيل ؟ أى شخص ؟ أى شخص بأية حال ؟ "

ثم ساعدتهم على حفظ هذه الآية عن ظهر قلب بأن قامت بتقسيمها إلى عبارات يقومون بتكرارها وراءها ، وكان هذا كله بمثابة نوع من أجل " الانجيل بى Bible bee " الذى كان بمثابة نوع من مباراة التهجية التى تتم فى كل يوم من أيام الجمعة ، وفى بعض الأحيان كانوا يتنافسون مع معسكرات أخرى – فى الأسبوع الماضى تنافسوا مع معسكر حمل الله المنتمى لكوكيزفيل ، وفاز معسكر حمل الله .

وبعد " الآية الإنجيلية " جاء وقت " السباحة الصباحية " ، وقامت الفتيات بتغير ملابسهن فى غرفة بيث بالدور العلوى كما قام الأولاد بتغيير ملابسهم فى الورشة .

وتقابلوا فى الفناء الخلفى ، فى بادئ الأمر بدت الشمس رائعة وهى تنفذ إلى بشرة توماس الباردة فى اعتدال وبعدئذ وعلى نحو فجائى بدت الشمس ساخنة للغاية حتى أنه شعر بالابتهاج عندما سار وراء الآخرين إلى حمام السباحة وتسلّق على الثلاث درجات الخشبية وألقى

بنفسه فى الماء الفاتر وكانت الأخت ميرا هى التى تقوم بمهمة إنقاذ الغرقى ، وكانت تقف فى حمام السباحة وقد غطى الماء ردفيها بينما جونلة ثوب سباحتها تطفو حولها كما كانت تحاول منع الأولاد من إلقاء الماء فى طرطشة على البنات ، وكانت الأخت أودرى ترقب حمام سباحة الأطفال الصغار والذى كان بمثابة طبق من المطاط قابل للنفخ وموجود فى مكان قريب ، وكانت تجلس خارج الماء على اليابسة فى كرسى من النوع الذى يُطوى كانت قد جذبته ، وكانت تنخرط فى الابتسام أو النظر فى تحديق فى الأطفال الصغار بينما هم يدفعون بلعب الأطفال من الزوارق للإبحار فى صفحة الماء ويصبون الماء من جرادلهم المصنوعة من الصفيح .

وقال جاسون أن الطفل اللقيط كان موجوداً بجوار الاستاد الرياضى ولكن ديرموت قال بجوار مونداومين مال .

وعقب الانتهاء من السباحة جلسوا لكى يتناولوا طعام الغذاء إلى منضدتين مصنوعتين من الخشب الأحمر وموجودتين فى الفناء المرصوف المحاذى للدار والذى يُستخدم لتناول الطعام فى الهواء الطلق ، وبتلك الطريقة فإنهم لم يقطروا ماءً على أرضيات الأخت ميرا ، فأجسامهم تصبح جافة قبل أن ينتهوا من تناول الطعام ، وكان ميندى هو الذى جاء عليه الدور لكى يبارك الطعام وبعدئذ تناولوا ساندوتشات السجق واللبن ، وكان طبق الحلو بمثابة لفائف مزخرفة من الفول السودانى المملح ، وذلك لأن زوج الأخت ميرا كان يعمل فى شركة تقوم بإعداد الوجبات للطائرات وبالتالى كان يحصل على خصم كبير فى الأسعار ، وبحلول

هذا الوقت كانوا قد استنفذوا كل طاقاتهم وأصبحوا أكثر هدوءًا ، واستغرقت دافنى فى النوم ووضعت رأسها على المنضدة بينما لم تكن قد أكلت سوى ساندوتشاتها ، وراح توماس يضخ اللبن من خد لآخر لكى يسمع حفيف الصوت الهامس ، وتساءل ديرموت على نحو حالم " هل يشاهد كل شخص وميضًا من الضوء الأبيض أثناء مضغ الورق الفضى ؟ "

وبينما هم مازالوا مرتدين مايوهاتهم تم اقتيادهم إلى الدور الأسفل [كانت دافنى متدلية من كتف الأخت ميرا] حيث قاموا بنشر بطانياتهم التى كانوا قد أحضروها من منازلهم وتمددوا على الأرضية من أجل الحصول على سنة من النوم ، وجلست الأخت ميرا فى كرسى يعلوا فوقهم وراحت تقرأ بصوت مرتفع من كتاب حكايات الإنجيل الذى له ورق خفيف للغاية على نحو عجيب ورسومات برتقالية ؛ وفى هذا اليوم : " الولد عيسى فى المعبد " [كم كان وقحًا مع والديه ! ولكن من المؤكد أنه كان هناك مبرر ما لسرد هذه القصة و هو أن توماس كان لايزال صغيرًا للغاية بحيث لا يستطيع أن يفهمها] وكانت الفكرة هى أن الأطفال الصغار سيخلدون للنوم بينما الأكبر سنًا سيحصلون على قدر من الراحة ويستمعون للقصة ، ودائمًا ما كان توماس ينوى فقط الحصول على الراحة ولكن صوت الأخت ميرا المنخفض كان يختلط مع الأصوات المترامية من أعلى الشبيهة بالتزييق والناجمة عن قيام الأخت أودرى بتنظيف المائدة عقب انتهاء طعام الغذاء وبعدئذ كان الشىء التالى الذى يدركه هو قيام الآخرين بلف بطانياتهم ووصول أميت الموقر من أجل " وقت العصير " .

كان أميت الموقر طويلاً ونحيلاً . وبدا عليه وكأنه لا يشعر أبداً بسخونة الجو ولا حتى وهو مرتدى قميصه الأبيض الناشف وبنطلونه الأسود ، وكان جميع الأطفال يحبونه ، كلهم جميعًا باستثناء أجاثا ، إذ أشارت أجاثا إلى أن تفاحة أدم لديه كانت كبيرة لغاية ، إلاّ أن الآخرين كانوا يحبونه لأنه كان يتعامل معهم فى خجل وحياء شديدين ، وهو شخص كبير كان يسبب له الأطفال الذعر والترويع !! وقال " كيف حال صغارنا المقيمين فى المعسكر اليوم ؟ وهل يستمتعون بهذا الطقس الجميل ؟ " وعندما قال شخص ما فى نهاية الأمر [ميندى] " نعم " اتخذ خطوة إلى الوراء فى ابتعاد متسمة بالطابع العملى وأضاف " أوه . هذا شيء رائع ! " وقد أصابه الارتباك الشديد والابتهاج ، ثم جلس على إحدى كراسى دار الحضانة مما جعل ركبتيه تبرزان وتصلان إلى ذقنه تقريبًا وجلس الآخرون على الأرضية فى دائرة بينما قامت الأخت ميرا والأخت أودرى بتمرير أكواب ورقية مليئة بعصير التفاح ، وأخذ أميت الموقر كوبًا لنفسه [وبدا الكوب بين أصابعه الطويلة العظمية مثل حلقة معدنية] . وقال " شكراً جزيلاً لك أيتها الأخت أودرى" ثم ابتسم فى غبطة وسعادة غامرة فى وجهها حتى أنك تعتقد أنه لم يسمع أبداً عن طفلها الذى ولدته سفاحًا واحمر وجه الأخت أودرى خجلاً وتراجعت إلى الوراء وداست على يد واحدة من التوأم نيلسون ولكن نظرًا لأنها كانت ترتدى الخف فإنها لم تتسبب فى آلام كبيرة بكل تأكيد . اذ نظرت التوأم فى دهشة ثم واصلت الحملقة فى وجه أميت الموقر .

وفي بعض الأحيان كان أميت الموقر يتحدث عن السيد المسيح وأحيانًا أخرى كان يتحدث عن الأيام الحديثة ، وكان توماس يفضل الاستماع إلى موضوعات الأيام الحديثة ، وكان يجب الاستماع إلى معلومات عن كنيسة الفرصة الثانية : وكيف أنها بدأت اجتماعتها فى جراج أميت الموقر حيث كانت الأرضية مازال بها بعض تلوث الزيت الناجمة عن سيارة أميت الموقر الفولكسواجن ، أو حتى قبل ذلك : كيف أن أميت الموقر عندما كان طالبًا فى معهد لاهوتى أسقفى بروستانتى وابنا لقسيس بروتستانتى بدأ يناقش مسألة الرياء والدجل والوثنية وذهب في آرائه إلى أن الركوع أمام الصليب ليس سوى نوع من الوثنية . ولذلك عقد العزم على إنشاء كنيسة خالية من الرموز ... كنيسة بدون المعمودية أو العشاء الربانى حيث لا تكون هناك أهمية إلاّ للأشياء "الحقيقية" وحيث ينبغى أن يكون التفكير حقيقيًا مثل الخطيئة ذاتها وحيث – وهذا على سبيل المثال – إذا تسببت فى كسر لعبة زميلك فى اللعب بسبب شعورك بالغضب فإنه ينبغى عليك أن تذهب إلى منزلك على الفور وتحضر لعبة خاصة بك من نفس النوعية أو أفضل وتعطيها لزميلك فى اللعب إلى الأبد ثم تعلن عن خطئك فى " اجتماع إصلاح الذات العلنى " الذى يعقد فى يوم الأحد ، أو كيف أن خطيبة أميت الموقر قد تخلصت منه ومن والده وقالت عنه أنه معتوه ، وغريب الأطوار على الرغم من أن والدته وهى الانسانه الذكية البارعة قد شاهدت نور الحقيقة الروحانية على الفور بل وتشاهد الآن وهى تحضر اجتماعات كنيسة "الفرصة الثانية" فى كل يوم من أيام الأحد وقد ارتدت ملابسها المبهرجة الاسقفية الاصطناعية وقفازها الأبيض وقبعتها الشبكية ، ولكن أميت

الموقر لم يعترض على ملابسها المبهرجة ، لأن إدانة امرأة ما بسبب ملابسها الغريبة الكرنفالية هو أمر تافه تمامًا مثل إدانتها بارتداء ملابس متواضعة ، فالأمور الباطنية الجوانية هى فقط التى لها أهمية كبيرة .

وفى هذا اليوم أشار إلى أهمية حضوره لهذه المناقشات التى يعبرون من خلالها فى حرية عن أرائهم : والتى تتم فى "وقت العصير" . وقال لهم " فهذا وقت من أجل التغذية الروحية والجسدية فى آن واحد "ثم أوضح الأمور فى مزيد من البساطة للأطفال الصغار" أنتم لا تحصلون فقط على عصير التفاح وإنما أنتم تحصلون أيضًا على عضير المعرفة السماوية المقدسة " و أضاف " وكم أنتم محظوظين للغاية لحصولكم على هذين النوعين من المعرفة فى آن واحد وعلى الفور فمعظم الأطفال يكون عليهم أن يختاروا نوعًا واحدًا فى كل مرة : إما التغذية الروحية وإما التغذية الجسدية " .

وأرادت أجاثا أن تعرف " ألا يوجدهناك أى شىء آخر ؟ "

" معذرة ؟ "

ولكنها هزت كتفيها وقامت بنتف بشرة ميتة فاستطرد أيمت الموقر وعلى الرغم من صغر سنكم فإنه يمكن لكم أن تكونوا شواهد بارزة . إذ يمكن لكم أن تعيشوا على نحو ما مما يجعل الناس يتساءلون :

[تُرى مَن هم هؤلاء الأطفال ؟ و ما هو السرّ فى بهجتهم وغبطتهم ؟] وهذا هو معنى أن تكونوا " شواهد بارزة" فى العقيدة الخاصة بنا -

ليس الأمر بمثابة كلمات شاغرة أو كسب مهتدين جدد فى العقيدة الجديدة ، أولئك الناس الذين يدخنون السجائر ويدمنون على تعاطى القهوة وتعاطى السكريات فى كنائسهم الغالية ويرتشفون خمور العشاء الربانى الذى هو كما نعرف بمثابة حافز اصطناعى سوف يتساءلون :

[لماذا هؤلاء الأطفال مباركون للغاية ؟] لأنكم مباركون بالفعل يا أطفالى الصغار . ولسوف تدركون ذلك تمامًا فى يوم ما ، أنتم لا تدركون تمامًا ما أنتم عليه من حظ سعيد ، فأنتم تنشأون تحت ظل كنيسة تهتم بكم اهتمامًا كبيرًا للغاية "

ثم استخرج زجاجة صغيرة لها لون بنى من جيب بنطلونه وقال إنها جاءت من طبيب كينىّ لارسون ، وأشار إلى أنه ينبغى على جميع نزلاء المعسكر أن يضعوا نقاطًا فى الأذن قبل أن يذهبوا إلى حمام سباحة الأخت ميرا مرة اخرى .

وبعدئذ جاءت حصة الحرف اليدوية حيث قاموا بتصنيع اللوحات المنقوش عليها كلام من الكتاب المقدس والتى لها إطار من الأنابيب الورقية ، وبعد ذلك جاءت " حصة الأغنية " حيث قاموا بالإنشاد " لقد حصلت على السلام الذى يُعمِّق الفهم فى أعماق قلبى .... فى أعماق قلبى ... " بأسرع ما يمكن على أمل أن يلتوى لسان شخص ما ولكن لم يلتو لسان أى شخص ، وبعدئذ جاءت " حصة السباحة لفترة ما بعد الظهر " ، وهى أطول حصة فى اليوم ، واعتقد توماس أن الأخت مير ربما تكون قد فقدت كل حيويتها ونشاطها بحلول ذلك الوقت وبحيث تدعهم يستمرون فى السباحة لأن ذلك كان هو الأسهل ، وأثناء خلودهم

إلى الراحة وأخذهم سنة من النوم قامت بتغيير ملابسها وارتدت مرة أخرى جونلتها وبلوزتها [ربما من أجل زيارة أميت الموقر رغم أنه كان من المفترض أن الملابس لا تُشكِّل أهمية] ولم تهتم بارتداء ثوب سباحتها مرة أخرى ولكنها جلست على كرسى بجوار حمام السباحة وقد رفعت جونلتها لأعلى فوق ركبتها مع الإلقاء بوجهها إلى الوراء لكى تستقبل الشمس ، ومع ذلك لم يكن بمقدورك أن تفعل شيئًا بدون علمها ، وقالت بصوت مرتفع " الغطس ممنوع ، يا ديرموت كايل ! " على الرغم من أن ديرموت كان بالكاد قد بدأ فى التحرك فى اتجاه ميندى وعلى الرغم من أن عينى الأخت ميرا كانت مغلقتين ، كان وجهها مليئًا بالنمش الكثير للغاية حتى أنه بدا مبقعًا ... وكما لو أن شخص ما ألقى عليها حفنات من الترتر البيج .

توماس كان يعرف العوم - إذ كان إيان قد علَّمه فى الصيف الماضى - ولكنه كان يكره أن يبتل رأسه بالماء وبذلك كان يبذل مجهودًا أثناء السباحة مع الضرب بذراعيه فى وحشية والطرطشة فى الماء . أما أجاثا فكانت تعوم وهى تضرب بصدرها ضربات بطيئة ثابتة مثل أى شخص كبير فى السن ، مع الحرص على أن تكون نظرتها مثبتة وذقنها تحت سطح الماء مباشرة مما كان يجعلها تبدو عنيدة ، وكان ديرموت كايل رائعًا فى السباحة بل وزعم أنه يعرف كيف يغطس ولكن لم يكن بمقدوره أن يبرهن على صحة ذلك لأن الأخت ميرا لم يكن لديها منصة للغطس .

وفى حمام سباحة الأطفال الصغار كانت الأخت أودرى تقف على قدميها وقد غطى الماء رسغى مع الانحناء ووضع يديها فى الماء ، وكان

جونى لارسون يفرغ علبة رش على قمة رأس بيرسى ، أما دافنى فكانت .... لم يستطيع توماس مشاهدة دافنى . فاتجه نحو حافة حمام سباحته لكى يبحث عنها وعندئذ أدرك أن الشىء الموجود بين يدى الأخت أودرى هو جسد دافنى الصغير المزدهر المائل إلى اللون الأزرق .

فيما بعد لم يستطيع أن يتذكر كيف خرج من الماء بهذه السرعة الهائلة ، بدا له الأمر وكأنه قد رُفع من الماء مباشرة ، وبعدئذ كان يجرى بينما العشب الحاد الخشن يوخز قدميه العاريتين ثم طار فى الهواء وألقى بنفسه فى حمام سباحة الأطفال حيث كانت دافنى مستلقية على بطنها ومبتسمة ومنهمكة فى حركات شبيهة بحركات العوم بينما الأخت أودرى ممسكة بها .

وأمسك بدافنى وكافح مع قدميه وتعثر بعض الشىء ورفض التخلى عنها رغم أنها راحت تتملص وتحتج وقال للأخت أودرى " أتركيها وشأنها " فحملقت الأخت أودرى فى وجهه وقد انفرج فمها بعض الشىء ، ثم قام توماس بحمل دافنى وأخرجها من حمام السباحة وألقى بها فى كومة ونفض يديه بطريقة عملية ثم عاد بخطوات واسعة إلى حمام السباحة الكبير .

وما أن عاد إلى الماء التف الآخرون حوله فى احتشاد لكى يسألوه : " ما الذى فعلته هى ؟ ماذا حدث ؟ " . وظهر الارتباك على الأخت ميرا [فى هذه المرة فقط فاتها شىء ما] ، وقال توماس " إننى لا أريد منها أن تتدخل فى شئون أختى وتفسدها ، وذلك هو كل ما فى الأمر " ثم نظر فى تشامخ وحملق فيما وراءهم نحو حمام سباحة الأطفال ،

كانت الأخت أودرى واقفة الآن على أرض جافة ، وكانت بصدد العودة إلى ارتداء ملابسها ، وكان هناك شىء ما يتعلق برأسها المنكس وابتسامتها العمياء الخنوعة جعل آلامًا تتفجّر فى معدة توماس على الفور ، فأشاح بوجهه بعيداً . فقال ديرموت كايل فى إعجاب " أيها الولد لقد كنت شجاعًا بالفعل "

فقال توماس له " أوه ، حسنًا ، المرء يفعل ما ينبغى عليه أن يفعله

وبعد أن قاموا بتنشيف أجسادهم بالمناشف وارتدوا ملابسهم ونشروا مايوهاتهم على الحبال بالخارج وبينما كان شعرهم مازال مبللاً احتشدوا من أجل صلوات التكريس وقالت الأخت ميرا " نشكرك أيها الرب العزيز على هذا اليوم من الزمالة واستمع أيها الرب إلى صلواتنا الصامتة " ثم تُركت مساحة زمنية طويلة للغاية بعد ذلك ، وكانت الصلوات الصامتة شبيهة بـ " سباحة ما بعد الظهر " حيث كنت تشعر بأن الأخت ميرا قد أصبحت فى غاية الإرهاق مما جعلها غير قادرة على بذل أى مجهود آخر ، وكان كل شخص منهك القوى تمامًا ، ومع ذلك حاول توماس الانغماس فى الصلوات الصامتة إذ أحنى رأسه وأغلق عينيه وصلى من أجل أمه الموجودة فى السماوات وكان يدرك أنها توجد هناك فى الأعالى وترقبه وترعاه ، وكان يدرك أنه يتم الاستماع إلى صلواته بل ويتم تلبية دعواته ، ألم يصل لكى لا يذهب إيان إلى فيتنام فى تلك المرة ، وظهرت نتيجة قرعة الخدمة العسكرية بالحاق إيان بالجيش مما جعل توماس يكرر الصلاة والعتاب وعندئذ اكتشف الأطباء أن دقات قلب إيان سريعة وبذلك تم استبعاده من الجيش فأدرك توماس

أن الله قد استجاب لدعائه ، ولقد وقف توماس فى " جلسة إصلاح الذات العلنية " التى عقدت فى يوم الأحد التالى واعترفت بأنه كان قد شك فى تلبية الله لمطلبه ولكن جميع الحاضرين كانوا سعداء للغاية بخروج إيان من الجيش مما جعلهم يكتفون بالابتسام فى وجه توماس أثناء تكلمة ، وشعر توماس أنه كان محاطًا بمشاعر الحب وفيما بعد أشار إميت الموقّر إلى أن توماس لم يرتكب الخطيئة فى حقيقة الأمر وإنما أظهر جهله فقط كما أشار إلى أنه واثق تمامًا من أن توماس لن يقع فى مثل هذا الخطأ مرة أخرى ، وبكل تأكيد لم يحدث منه خطأ آخر مماثل .

وقالت الأخت ميرا " باسم السيد المسيح نحن نصلى ، آمين "

وصدر عنهم جميعًا حفيف وخشخشة وتدافعوا بالمناكب وقد سرهم أن يبدأوا فى التحرك مرة أخرى .

جاء الدور على أجاثا لكى تجلس فى المقعد الأمامى ولكن إيان أشار إلى أنه ينبغى عليهم الثلاثة أن يجلسوا فى الخلف لأنه سيلتقط سيسلى أثناء الذهاب إلى المنزل ، وقال لهم " فهى مدعوة على العشاء . وذلك فى مناسبة رسمية : ألا وهى عيد العمة كلوديا ، أتتذكرون ؟ "

لا ، لم يتذكروا ذلك رغم أنهم قد أمضوا المساء فى الليلة الماضية فى إعداد بطاقة عيد الميلاد . وقالت دافنى : " أوه ، هذا شىء عظيم " لأن ذلك كان يعنى أن يتواجد هناك جميع أبناء وبنات العم أو العمة ، وكان توماس وأجاثا مسرورين أيضًا وخاصة بسبب وجود سيسلى إذ كانا يعتقدان أن سيسلى فى نفس جمال نجمة سينمائية .

وسأل إيان دافنى عن الآية الإنجيلية التى ورد ذكرها فى هذا اليوم . فقالت دافنى " أووم ... " ثم نظرت لأسفل نحو حجرها ، وكانت تجلس فى المنتصف مع بروز ساقيها فى خط مستقيم أمامها بينما حصادة العشب مستلقية على ركبتيها .

فقال إيان بصوت مرتفع وهو ينعطف إلى شارع تشارلز "أجاثا ؟"

فتنهدت أجاثا ، ثم قالت " مثلما يلهث ذكر الآيل وراء جداول الماء فإن روحى تلهث وراءك يا إلهى "

ومضغت كلمة "إلهى" حتى أنها بدت وكأنها لم تقلها على الإطلاق . ولكن إيان لم يلحظ ذلك على ما يبدو ، فقال لها " أنت ممتازة " وأضاف " وما الذى تحدث عنه إميت الموقر ؟ "

فلم ترد أجاثا لذلك تحدث توماس نيابة عنها وقال " العصير " .

" العصير ؟ "

" كيف نحصل على العصير من أجل الروح والعصير من أجل الجسد ، كلاهما فى آن واحد ، فى معسكر الإنجيل "

فقال إيان " حسنا . هذا حقيقى تماماً "

فقالت أجاثا " هذا شىء متسم بالغباء الشديد "

" عفواً ؟ "

فقالت " وعلاوة على ذلك : أليست كلمة [عصير] والتى هى بمعنى فحولة أيضاً هى كلمة بذيئة أيضاً ؟ "

" عفواً معذرة ؟ إنني لم أسمع ما قلت "

" هذه الكلمة تحمل على نحو ما هذا المعنى البذيء "

فقال إيان " لا أعرف عما تتحدثين " . وكانوا قد وصلوا إلى ضوء أحمر فأصبح قادراً على أن ينظر من فوق كتفه إليها ، فقال لها "عصير ؟ ماذا ؟ "

فقالت أجاثا " وحمام السباحة ذاك مليء بالجراثيم، وأعتقد أن كل شخص يتبول فيه " وأضافت " والأخت أودرى تجهز الساندوتشات في وقت مبكر للغاية حتى أنها تصبح جافة للغاية قبل أن نتناولها ، وعلى كل حال : فما هو الشيء الذى تفعله في معسكر الأطفال ؟ وهي إنسانة قد أنجبت سفاحاً ووضعت الطفل في صندوق القمامة ! "

وبحلول هذا الوقت أصبحت تلك الكلمات مثل نكتة سرية ، فضحك توماس ، فنظر إليه إيان من خلال المرآة التى تكشف المنظر الخلفي .

وتساءل " أأنت تضحك ؟ "

فالتزم توماس على الفور بالوقار والجدية .

" هل تعتقد أن الأخت أودرى فكاهية أو غريبة الأطوار ؟ "

وقام سائق خلفهم بإطلاق بوق سيارته ، إذ كان الضوء قد تحول إلى اللون الأخضر ، ولم يبد على إيان أنه سمع ، وقال لتوماس " إنها مجرد طفلة . وهي ليست أكبر منك كثيراً في السن ، ولم يكن لديها أى ميزة من المميزات الموجودة لديك ، ولا أستطيع أن أصدق أنك تجد أن موقفها هزلي ومثير للضحك " .

فقالت أجاثا "يا إيان . السيارات تطلق أبواقها في جنون بسببك" .

فتنهد إيان وشرع في الانطلاق بالسيارة مرة أخرى ، وأراد توماس أن يقول له : وأنا مجرد طفل أيضًا ، فكيف يمكن لي أن أعرف طبيعة موقفها ؟

وانعطفوا إلى اليسار ، وراحت دافني تمص إصبع إبهامها وتنزلق بإصبع السبابة جيئة وذهابًا عبر شفتها العليا مثلما كانت تفعل عندما تكون مرهقة ، وحرص توماس على جعل عينية مفتوحتين في اتساع لكي لا يتمكن أحد من مشاهدة دموعه ، وتمنى لو كان برفقة جدته ، كان إيان هو الشخص المفضل لديه في العالم كله ولكن من الذي تريده أن يكون إلى جوارك عندما تكون حزينًا أم مريضًا ؟ ليس إيان . فإن لم يكن لديه أركان لينة من أجله ، وأمال توماس رأسه إلى الوراء على المقعد وشعر بعينيه يبردان تحت النسيم المنساب من النافذة .

وعلى طريق لانج أفينيو ذي المنازل البيضاء المنخفضة والأنابيب التي تطلق الرذاذ على الأشجار توقف إيان في المكان المخصص لوقوف السيارات وخرج من السيارة ، وصعد على السلالم إلى المدخل المسقوف لسيسلي وخلع طاقيته في تلك الأثناء ، فقالت أجاثا " أوه . إن لديه رأس قبعة رهيبة horrible - hat head " ولم يكن توماس قد سمع هذه العبارة من قبل ولكنه أدرك على الفور المعنى : قبعة رهيبة منطبعة على فروة رأسه ، فحول الشعر البني اللامع لإيان من جميع الجهات كانت الطاقية قد تركت أخدودًا عميقًا . وقالت أجاثا " إنه مثل شخص جلف " . فأدرك أن هذه هي وسيلتها في مواساة توماس ، ولم يفلح ذلك في التهدئة من روعه ولكنه حاول أن يبتسم بأية حال .

عندما ظهرت سيسلى من الباب كانت ترتدى بنطلونًا جينز له شكل الجرس في الجزء السفلى وقميص تى شيرت له ياقة مصبوغة . وكانت عصابة للرأس هندية مزدانه بالخرز تكبح جماح شلال تجعدات شعرها الطويل الملىء بالفوضى ، وفى بادئ الأمر وقفت على أطراف أصابع قدميها وأعطت إيان قبله . [كانوا جميعًا يرقبون فى اهتمام من السيارة ، حيث يشعرون بالقلق لأن سيسلى لم تعد تحب إيان كثيراً مثلما اعتادت من قبل] ثم لوّحت بيدها لهم ، وبدأت فى النزول على سلالم المدخل المسقوف وهبط إيان وراءها على السلالم وهو يدفع بطاقيته فى إحكام على رأسه مرة أخرى .

وأخرجت دافنى إصبع إبهامها من فمها وقالت بصوت مرتفع " هاى ! مرحبًا ! يا سيسلى "

فقالت سيسلى " حسنًا . مرحبًا بكم جميعًا " وأضافت : " وكيف تسير الأمور ؟ " ثم فتحت الباب الأمامى وانزلقت عبر منتصف المقعد الأمامى ، فامتلأت السيارة بالرائحة العفنة للعطر الذى بدأت تستعمله مؤخراً .

ودخل إيان إلى مقعد السائق وتساءل " هل أمضيت وقتًا جميلاً فى العمل ؟ "

فقالت سيسلى " أمضيت يومًا عظيماً " [فى هذا الصيف كانت تعمل لبعض الوقت فى محل يقومون فيه بتصنيع الصنادل الجلدية] . وتحركت نحوه إلى أن أصبحت قريبه منه للغاية وأزالت قطعة من نشارة خشب عن كتفه وسألته " كيف كان يومك ؟ " .

فقال إيان " حسنًا فلقد بدأنا نسير على نظام جديد "

" هذا يساير روح العصر "

ودخل فى معمعة حركة المرور وقال " لقد جاءت اليوم امرأة من مسافة بعيدة ... من ماساشوسيت ومعها صندوق بطانية ، إنه صندوق بطانية جدها الأكبر . وسألتنا عمّا إذا كنا نعرف كيف نقوم بتصنيع صندوق مماثل تمامًا مع استخدام نفس الطرائق والأساليب ، وتلك بالضبط هى نوعية تلك الأشياء التى يفضلها تمامًا المستر برانت "

فراحت سيسلى تدندن بنغمه ما ثم آوت نحوه فى احتضان .

" وما أن انصرفت قال المستر برانت لى [إذهب ونادى على أولئك الناس المتخصصين فى المطبخ] ... يا سيسلى يا حبيبتى ، توقفى عن ذلك ، لو سمحت "

فسألته فى صوت باسم " أتوقف عن ماذا ؟ "

" أنت تعرفين "

فقالت " إننى لا أفعل أى شئ " ثم جلست فى اعتدال ، وانزلقت نحو الجانب الخاص بها من السيارة واتجهت بوجهها نحو النافذة ، وراحت تتمتم وهى تنظر إلى حنفية حريق " المستر المقدس "

وقال إيان " وربما فى القريب العاجل نتوقف تمامًا عن تصنيع المطابخ " ثم انعطف إلى شارع ويفرلى ، وقام بتجريش السيارة عند الحاجز الحجرى للطريق وأطفأ موتور السيارة وأضاف " لن نصنع

سوى الأثاث الفاخر ، وبناء على المواصفات التى يطلبها الزبون ، مصنوعات النجارة ذات الأسلوب القديم " .

ولم تكن سيسلى مصغية فى انتباه . وأدرك ذلك جميع الثلاثة الجالسين فى الخلف من مجرد الإبقاء على وجهها ملتفتًا فى الاتجاه الآخر ، ولكن إيان قال : " وربما نستأجر عاملاً آخر أيضًا ، على الأقل المستر برانت يفكر فى ذلك الأمر ، وأنا قلت له [هذه فكره جيدة . استأجر العديد منهم واجعلنى مشرفًا عليهم] فقال لى بأنه سيفعل ذلك . فقلت له [فأنا لن أظل رجلاً أعزب للأبد] " ثم نظر إيان فى اتجاه سيسلى ولكنها كانت لا تزال تنظر إلى الخارج من خلال النافذة .

وكان ذلك شيئًا مذهلاً : إذ كيف أمكنه مواصلة الكلام على ذلك النحو بدون أن يدرك أنها غير مصغية إليه ، حتى عندما أدركوا هم ذلك ! وحتى عندما راحت دافنى الصغيرة تمص إبهامها وترقب سيسلى بعينيها المستديرتين المليئتين بالقلق !

وعلى نحو مفاجئ شعر توماس بالغضب الشديد من إيان حتى إنه قفز خارجًا من السيارة فى اندفاع وصفع الباب مغلقًا إياه فى عنف وراءه .

وأشارت جدتهم إلى أنه ينبغى عليهم أن يستبدلوا ملابسهم على الفور لأن عمتهم كلوديا بصدد المجىء فى الخامسة والنصف بينما منظرهم يبدو و كأنهم كانوا يتدحرجون فى فناء تابع لمخزن طوب ، وطلبت من إيان أن يساعد دافنى على الاغتسال فى الحمام ، ثم قالت له

" واحرص على أن يرتدى الاثنان الآخران قميصين نظيفين وأن يرتدى توماس بنطلون شورت نظيفًا ، واحرص على أن يكون الشعر ممشطًا وأن تكون الوجوه مغسولة " .

ولكن ما أن أدار إيان ظهره صعد توماس وراء أجاثا على السلالم الخشبية الضيقة المنحدرة المؤدية إلى العلِّية ، وسار وراءها إلى غرفة النوم ذات السقف المائل الموجودة بالعلية والتى كانت غرفتها وغرفة دافنى والتى اعتادت أن تكون غرفة العمة كلوديا عندما كانت طفلة بالمنزل ، وقال وهو ينظر إليها فى تجهم زائف : " هل تعتقدى أنه كان ينبغى علينا أن نحضر هدية للعمة كلوديا ؟ وإذا قدمنا بطاقة فإن ذلك سيكون شيئًا مثيرًا للملل الشديد "

وما كان يهدف إليه بالطبع هو إلقاء نظرة سريعة على صندوق مجوهرات أمهم ، وكان يدرك أن أجاثا ستفتح ذلك الصندوق من أجل أن تعيد حبة الخردل إليه .

فقالت أجاثا له " أنت سمعت ما قالته الجدة فالبطاقة المصنوعة يدويًا تعتبر أهم من أى شىء آخر وما السبب فى مجيئك إلى غرفتى ؟ "

فقال توماس " ولكنها تقدم لنا الهدايا " ثم جلس على سريرها وراح يهز قدميه ، وأضاف " ربما كان ينبغى علينا أن نصنع شيئًا ما أكبر من أجلها ، صورة توضع على الحائط فى منزلها أو أى شىء من هذا القبيل "

" يا توماس . أنت الآن تنتهك حرمة غرفتى الخصوصية "

فقال توماس لها ، " ولكنها غرفة دافنى أيضًا " وأضاف " دافنى يسعدها أن أتواجد هنا "

" اخرج من غرفتى "

" يا أجاثا ، ألا يمكن لى فقط أن أشاهدك وأنت تضعين حبة الخردل فى الصندوق ؟ "

" لا ، لا يمكن لك أن تشاهد ذلك "

" أنت تعرفين أنها لم تكن أمك أنت فقط "

فقالت أجاثا " ربما لا ، ولكنك لا تلتزم بالحفاظ على الأسرار "

" إننى أحافظ على الأسرار ، فأنا لم أتحدث مع أحد عن صندوق المجوهرات هذا . أليس كذلك ؟ "

فقالت أجاثا وهى تغمض عينيها قليلاً " ومع ذلك فأنت ذكرت اسم والدنا "

" لقد انزلق الاسم من فمى ، وعلى كل حال فأنا كنت صغيراً فى السن "

" ومن يعرف ما الذى سينزلق من لسانك فى المرة التالية ؟ "

فقال وهو يشابك يديه " يا أجاثا . إننى أتوسل إليك ، أتسمحين لى بإلقاء نظرة على الصورة الفوتوغرافية ولا شىء غير ذلك ؟ "

" أنت سوف تتسبب فى اتساخها "

" ماذا لو أمسكت بها من الأطراف وأنا جالس هنا على السرير ؟ .... ولن أطلب منك أن ألقى نظرة على أى شيء آخر ، بل ولن ألقى نظرة فى داخل الصندوق " .

وراحت تفكر فى الأمر ، وكانت قد استخرجت حبة الخردل من جيبها فتمكن من مشاهدتها وهى تلمع فى تلألؤ بين أصابعها بل وكانت قريبة منه للغاية حتى أصبح بمقدوره أن يلمسها .

وأخيراً قالت " حسناً . أوكى ، وهو كذلك "

" سوف تسمحين لى ؟ "

" ولكن لمدة دقيقة فقط "

وعبرت الحجرة الصغيرة التى كانت بمثابة الجزء الأسفل من العلية وحيث كان السقف يميل إلى أسفل على طول المسافة ، بل ولم يكن لهذه الحجرة الصغيرة باب يغلق عليها ، وأحس توماس أنه سيشعر بالخوف إذا نام بالقرب من ظلام شديد كهذا ، ولكن أجاثا لم تكن تخاف من أى شيء ، واتخذت خطوة إلى داخل الحجرة الصغيرة ثم ركعت على الأرضية ، وسمع صوت الدرج الأسفل للصندوق لدى فتحه فى انزلاق ثم سمع خشخشة حبة الخردل لدى ارتطامها مع أشياء مخشخشة أخرى - ربما إسورة التعويذة التى سمحت له أجاثا بالنوم معها ذات مرة عندما كان مريضاً ، مع حلية المقص الصغير الذى يستطيع تقطيع الورق بالفعل وحلية الدراجة الصغيرة التى تستطيع أن تلف عجلاتها بالفعل .

وخرجت من الحجرة الصغيرة وقد أمسكت بالصورة من إحدى أركانها ، وقالت " لا تترك ذرة من الاتساخ عليها " ، فأخذها فى حرص شديد بين راحتى يديه ، وكانت أطرافها المتجعدة لها ملمس الأسنان الصغيرة على راحتى يديه .

كانت صورة فوتوغرافية ملوَّنة وقد طُبع على حاشيتها : يونيو ١٩٦٣ . عربة مقطورة على شكل بيت متحرك مصنوع من الصفيح وبه بلوكات رمادية لكى تحل محل درجات الباب الأمامى ، امرأة جميلة واقفة على البلوكات الرمادية – لها شعر أسود منتشر على كتفيها وأحمر شفاة ناصع على شفتيها ومرتدية فستانًا ورديًا به كشكشة – وقد أمسكت بطفل مقطب الجبين فى عبوس [وذلك الطفل هو توماس !] لا يرتدى أى شىء سوى حفاضًا بينما أجاثا الصغيرة الأكثر امتلاء ترتدى لباس اللعب المصنوع من قماش منقط وتقف جنبًا إلى جنب مع أمها وقد ارتفعت بجسدها لأعلى بعض الشىء لكى تلمس قدم الطفل الرضيع .

لو أمكن لك فقط أن تتسلق إلى داخل الصور الفوتوغرافية ، لو أمكن لك أن تقفز لأعلى وتهبط هناك فى الأعماق فى الداخل ! من المؤكد أن الكشكشة الموجودة عند خط رقبة أمه قد أحدثت أصواتًا بسكويتية فى أذنه ومن المؤكد أن ذراعيها العاريتين قد التصقتا ببشرته بعض الشىء تحت أشعة الشمس الساخنة ، ومن المؤكد أن أخته فى ذلك الوقت كانت تعتقد أنه جميل وجذاب ومسلى ومثير .

من الأمور المروعة أنه لم يكن يتذكر تلك اللحظة ، كان الأمر أشبه بالتحدث أثناء انخراطك فى النوم حيث يقولون لك فى الصباح الكلام الذى قلته وعندئذ تتساءل : " أنا قلت ذلك ؟ هل أنا فعلت ذلك ؟ " وتضحك على نفس كلماتك المتسمة بالبلاهة كما لو كانت قد صدرت عن شخص ما آخر ، وحقيقة الأمر أنه دائمًا ما كان ينظر إلى الطفل الرضيع الموجود فى الصورة على أنه شخص آخر تمامًا - وعلى أنه " هو " وليس " أنا " - على الرغم من أنه أصبح يدرك الأمور على نحو أفضل . وتساءل الآن : " لماذا كنت تحاولين الإمساك بقدمى ؟ "

فقالت أجاثا وقد ظهر عليها التعب والإرهاق : " لقد نسيت "

" أنت لا تذكرين الموقف عندما كنت واقفة هناك ؟ "

" إننى أتذكر ، إننى أتذكر كل شيء ! ولكنى لا أتذكر السبب الذى جعلنى أحاول الإمساك بقدمك "

" أين كان والدنا ؟ "

" ربما كان هو الذى يلتقط لنا الصورة الفوتوغرافية "

" أنت غير متأكدة تمامًا من ذلك ؟ "

" إننى متأكدة بالطبع من أنه هو الذى كان يلتقط هذه الصورة "

فقال توماس " ربما يكون النسيان قد هبط عليك أيضًا " وأضاف "ربما هؤلاء الناس الموجودين فى الصورة ليسوا نحن"

" نحن بالطبع هم هؤلاء الناس الموجودين فى الصورة ، ومن هم هؤلاء الناس الآخرين ؟ إننى أتذكر تمامًا مقطورتنا التى هى على شكل بيت متحرك وأتذكر صندوق بريدنا الأصفر اللون وأتذكر هذا الطريق القذر أو هذا الطريق الفرعى القذر الذى به أعشاب وأزهار فى المنتصف ، بل وأتذكر هذا القوس قزح الهائل الضخم والذى كان يبدأ من عند هذا الطريق وينحنى على طول المسافة من منزلنا "

فقال توماس " ماذا ! حقًا ؟ قوس قزح ؟ " لقد هبطت على ذهنه فكرة مذهلة ، وأصبح مائجًا بالإثارة الشديدة حتى أنه انزلق عن السرير مع الحرص على الحفاظ على الصورة فى نفس الوقت " استمعى إلى ريما فى هذه الحالة يمكن لنا بهذه الطريقة العثور على المكان الذى اعتدنا أن نعيش فيه "

" ماذا تعنى ؟ "

" يمكن لنا أن نسأل عن المقطورة التى بها قوس قزح " .

فرمقته بنظرة ، فأدرك أنه ارتكب خطأ معينا ولكنه لم يعرف طبيعة ذلك الخطأ.

فقال " حسنًا . من المؤكد أن لديهم خريطة لأشياء مثل ذلك . ألن يكون لديهم خرائط ؟ خرائط توضح المكان الذى تتواجد فيه أقواس قزح الضخمة المشهورة بالفعل ؟ "

فقالت أجاثا " يا توماس " ثم راحت تنتقل ببصرها من اتجاه لآخر على نحو متواصل ، كان من الواضح أنها لا تستطيع الاستمرار فى تجاذب أطراف الحديث معه . وأضافت " يا توماس ، أقواس قزح

لا تظل باقية فى مكانها أبداً ، ماذا تعتقد ؟ هل تعتقد أنها مازالت هناك متواجدة هناك فى انتظارنا ؟ حاول أن تفكر على نحو سليم فى يوم ما يا توماس " .

ثم أمسكت بالصورة - وقد وضعت أصابعها على الجزء الملون - ثم جذبتها من يديه ونقلتها إلى الخزانة .

وترامى صوت إيان منادياً من الدور الثانى " يا توماس هل انتهيت من الاغتسال وتنظيف نفسك ؟ "

" على وشك الانتهاء من ذلك "

وراح توماس يفكر بينما كان يهبط نازلاً على السلالم : لن تكون لديه أبداً نفس المعلومات الغزيرة الموجودة لدى أجاثا ، وهو دائمًا ما سيكون مُختلفاً عن الناس من حيث معرفة الأشياء ، ودائمًا ما سيستخدم الناس كلمات لم يسمع عنها من قبل على الإطلاق ويشاركون فى نكات لم يفهم معناها أو يذهبون به إلى أماكن بالسيارة بدون أن يهتموا بالتحدث معه مقدمًا عن تلك الأماكن أو ربما يزعمون بأنهم قد تحدثوا معه بالفعل عن تلك الأماكن ولكنه قد نسى أو كان صغيراً للغاية بحيث لم يفهم المعنى .

قالت العمة كلوديا أثناء تناول طعام العشاء : " حلمت فى الليلة الماضية حلمًا رهيبًا ، وأظن أن ذلك الحلم له علاقة بوصولى إلى سن الثمانية والثلاثين " .

وكانت تجلس فى التواء في مقعدها ، حيث كانت تطعم طفلها جورجى الجالس فى كرسيه العالى بالبطاطس المخبوزة ، وعبر كتفها قالت " قمت بفتح باب خزانة المقشات وعندئذ قفز هذا اللص للمنازل فى وجهى ، وظللتُ أحاول الصياح طلبًا للنجدة والمساعدة ولكن لم يصدر عني سوى ذلك الأنين الضعيف المثير للشفقة ، وبعدئذ استيقظت من النوم " .

فسألها زوجها " وما علاقة ذلك الحلم بالتحول إلى سن الثمانية والثلاثين ؟ "

" حسنًا هذا شيء مخيف يا ماسى ، فسن الثمانية والثلاثين الشبيه بسن الأربعين . وسن الأربعين هو منتصف العمر "

ولم يكن يبدو عليها أنها فى منتصف العمر ، إذ لم يكن لها شعر أشيب أو أى شيء من هذا القبيل وشعرها كان بني اللون تمامًا مثل شعر إيان بل وكان مقصوصًا لكي يكون قصيرًا بعض الشيء ، وكان وجهها ناعمًا ومكتسبًا السمرة الناجمة عن كثرة التعرض لأشعة الشمس ولم تكن ملابسها هى ملابس سيدة فى منتصف العمر : إذ كانت ترتدى بنطلونًا جينز وقميصًا من نسيج لين مربع النقش ، وكلما شعر طفلها جورجى بالجوع فإنها تدفعه تحت قميصها بدون أن تفك الأزرار وتعبث بأصابعها مع نوع ما من الأبزيمات أو الخطاطيف بالداخل وتدعه يرضع . واعتقد توماس أن ذلك شيء مثير للإبهار والإعجاب الشديد ، وتمنى أن يحدث ذلك فى هذا المساء .

وتساءلت الآن وهى تمسح فم جورجى بطرف من منديلها الورقى " هل تعرفون وجهة نظرى ؟ " وأضافت : " أعتقد أننى كنت أحاول أن أعلِّم نفسى كيف أصرخ "

فقال الجد " سبحان الله يا حبيبتى ، أظن أنك تعرفين بالفعل كيف تصرخين "

" لقد كنت أتحدث على نحو رمزى أو مجازى يا والدى ، فها أنا قد وصلت إلى سن الثمانية والثلاثين ولم أقل أبداً أىّ شىء . فكل شىء متسم بنوع من الصدق والملائمة طوال الوقت ، ففى هذه الليلة على سبيل المثال : ها نحن نجلس هنا ، نتجاذب أطراف الحديث فى دردشة جميلة بهيجة عن المسابقات الجارية حاليًا لكرة البيسبول عن أحوال الطقس وتنبئواته وعن [الأعمار المختلفة] التى تأكل فى المطبخ ...."

وكانت تقصد بـ " الأعمار المختلفة " الأطفال الأكبر سنًا – أى من سن العاشرة إلى سن الخامسة عشر أى من سن أجاثا إلى سن أبى ، وهم ما كانت تسميهم الجدة بـ " الكبار biggies " ، الناس الذين لديهم أشياء مثيرة يقولونها ، وكان بمقدور توماس سماعهم حتى من غرفة الطعام ، كان سيندى يحكى قصة وكان الآخرون منخرطين فى الضحك ، وكان بارنى يقول : " انتظر هنا . لقد نسيت أهم جزء "

هنا فى غرفة الطعام لم تكن توجد أية أجزاء هامة ، مجرد محادثة مملة وسخيفة تدور بين اليافعين بينما " الصغار " نادراً ما يقدمون وجباتهم فى العشاء للكلبة بيستى الموجودة تحت المنضدة . وكانت

سيسلى ممسكة ببسكوتة دولاب الهواء حيث كانت تقوم بفكه فى حرص وحذر ، وظل إيان ينظر إليها عبر كتفه ولكنها لم تلحظ ذلك على ما يبدو .

وقالت الجدة " حسنًا . يا كلوديا ، هل تفضلين إذا رحنا نئن ونتألم ونتصرف فى حماقة واهتياج ؟ "

فقالت كلوديا " لا ، لا " وأضافت " لا أعنى ذلك على وجه الدقة ، وإنما أعنى ... أوه ، لست أدرى ، أظن أننى أجتاز حالات الاكتئاب التى تتعلق بمنتصف العمر "

فقالت الجدة لها " هذا كلام فارغ ، أنت لست قريبة من منتصف العمر على الإطلاق " وأضافت : " فأنت مازلت فتاة نحيلة للغاية وصغيرة فى السن ، ومازالت فى ريعان الشباب ، ومازالت أمامك حياتك الرائعة . ومازال أمامك كل شىء تتطلعين إليه " ثم رفعت كأس خمرها لأعلى . فأدرك توماس أن التهاب مفاصلها كان رديئًا للغاية فى تلك الليلة لأنها استخدمت كلتى يديها " وأضافت " عيد ميلاد سعيد ، يا حبيبة قلبى " .

ورفع ماسى والجدة كأسيهما أيضًا ، ووضعت سيسلى البسكويتة على جانب لكى ترفع كأسها لأعلى ، أما إيان فقد رفع كوب الماء الموجود فى يديه لأنه لم يكن يتناول الخمور ، ثم قالوا جميعًا فى آن واحد " عيد ميلاد سعيد " .

فقالت كلوديا لهم " حسنًا . شكرا جزيلاً لكم "

وراحت تفكر للحظات ثم أضافت " إننى أتوجه إليكم بخاص الشكر وجزيل الشكر والتقدير " ثم ابتسمت نحو أرجاء المنضدة وأخذت رشفة من كأسها .

وتم تقديم الكعكة فى غرفة المعيشة حتى يمكن للجميع أن يتغنّوا سويًا بأغنية "عيد ميلاد سعيد "ولكن فى حقيقة الأمر لم يتغنّ فى إنشاد سوى اليافعين والصغار.أمّا أصحاب الأعمار الحرجة الصعبة فقد بدا لهم أن الغناء لا يتناسب مع سنهم الكبير ولذلك فإن توماس لم ينخرط فى الغناء بعد السطر الأول أيضًا ، وبعدئذ وبينما كانت كلوديا تطفئ الشموع وصلت المسز جوردان من الشارع ومعها اثنان من الأجانب ، وأحضر الأجنبيان أجنبيًا ثالثًا يسمى بوب اعتاد أن يعيش معهما على ما يبدو ، وقام بوب بتحية توماس بالاسم ولكن توماس لم يستطيع تذكر اسمه ، وقال بوب له " كان طولك لا يزيد عن هذا الحد " ثم رفع راحة يده عن الأرضية لمسافة ستة بوصات ، وأضاف " وكنت تلبس حذاءً خفيفًا من قماش غليظ ونعل مطاطى ، وكانت أمك سيدة لطيفة للغاية "

فتساءل توماس " والدتى ؟ أكنت تعرف والدتى ؟ "

"بالطبع كنت أعرفها . وكانت رائعة الجمال . وكانت شفوقة للغاية"

وكان توماس يأمل فى سماع المزيد من الكلام عن أمه ، ولكن المسز جوردان اقتربت وبدأت تتحدث مع بوب وتزوده بأخبار الحى : كيف أصبح المستر ويب فى نهاية الأمر متدهورًا وذابلاً وغير قادر على الكلام وأن المتزوجين حديثًا قد رُزقا بطفل وكيف أن الابنتين التوأم

المغرمتين بالجنس للمستر رافى هاميت قد حولتا حياة عشيقته إلى جحيم ، فاضطر توماس إلى التجول بعيداً فى نهاية الأمر .

وكانت جدته تقوم بتمرير الكعك على صينيتها الضخمة التى ترجع إلى طراز القرن الثامن عشر ، وراحت تقدم الكعك للكبار فى بادىء الأمر ، إذ قالت : " يا ماسى أتريد كعكًا ؟ يا جيم أتريد كعكاً ؟ " ثم قدمت بعض الكعك لإيان أيضًا ولكنه قال لها " لا شكرًا جزيلاً " [فهم فى الكنيسة لم يوافقوا على تناول السكر ، وهذه حقيقة أصبحت تعرفها الجدة على نحو أكيد الآن] ، فجعلت شفتيها تبدوان نحيلتين ثم واصلت المسير ، وقالت " جيسى ؟ الكعك يناديك بكل تأكيد "

وقال إيان لسيسلى " ما رأيك لو ذهبنا إلى السينما بعد ذلك ؟ "

" لقد وضعت بعض الترتيبات مع بعض أصدقائى الذين هم زملائى بالكلية "

" أوه "

فقالت سيسلى " اتفقت مع ميلانى وبعض الزملاء من الكلية "

" أوكى ، وهو كذلك "

فقالت " كنت أودّ أن أوجه إليك الدعوة للاشتراك معنا ، ولكن كلامنا سوف ينصب على زملاء لنا بالكلية لم تسمع أنت عنهم من قبل على الإطلاق "

فقال إيان " لا بأس ، أنا موافق على ذلك "

وقام توماس بتعليق أصابعه في تشابك مع إحدى جيوب إيان الخلفية ، وراح ينزلق بإصبع إبهامه جيئة وذهاباً عبر الفتحة المتغضنة عند القمة ، بماذا ذكره هذا ؟ كانت هذه الحركة تشير إلى أن دافنى تمتص إصبع إبهامها ، وكانت دافنى تلف إصبع سبابتها عبر شفتها العليا ، واستند توماس برأسه على جانب إيان فلف إيان ذراعه حوله ، وكان يقول لسيسلى : " على كل حال ينبغى على الذهاب للنوم مبكراً " وأضاف " فالشائعات تشير إلى أن الغد سيكون يوماً آخر من أيام العمل " .

والآن كانت الجدة تعرض محتويات صينيتها على الأطفال . فقالت : " توماس ؟ أتريد كعكاً ؟ "

" لا . شكراً جزيلاً "

فتساءلت " لا تريد كعك عيد الميلاد ؟ " وظهرت الدهشة على وجهها .

فقال مذكراً إياها " السكر هو مثير أو منبه اصطناعى "

وتوقع منها أن تتجادل معه كالمعتاد دائماً ، ولكنه لم يتوقع منها أن تموج بالغضب. ولكن يبدو أن إيان هو الشخص الذى كانت غاضبة منه، إذ استدارت نحو إيان فى حدة وقالت " أحقاً هذا يا إيان ! إنه ليس سوى طفل صغير ! "

فقال إيان " بكل تأكيد ، إنه حرٌّ فى أن يتخذ لنفسه ما يحلو له من قرارات "

" حرّ ! هذا هو التأثير الناجم عن تلك الكنيسة الخاصة بك !! "

وقـالت سيسلى " أتسمحين لى يا مسـز بيـدلو ؟ " وأضـافـت " ربما يكون توماس مصغيًا فقط لمطالب جسده ، وعلى كل حال فالسكر المعالج اصطناعيًا يعتبر بمثابة سم حقيقى ، ونحن لا نعرف ما يفعله فى كيماويه الجسد من أضرار "

فقالت الجدة " كل شخص فى هذه الغرفة يأكل السكر ، ولا ألاحظ عليهم أنهم يركعون فى تداع وانهيار "

فقالت سيسلى " أنا حاليًا ابتدأت فى استخدام عسل النحل غير المبستر كلما أمكن لى ذلك ، وأنا أشعر حاليًا كأننى إنسانة جـديدة تمـامًا "

فقال تومـاس لها " ولكن عسـل النحل يعتبر أيضًا من المثيرات أو المنبهات "

فقال إيان " يا توماس ، ربما لو أننا فقط .... "

فقالت الجدة لإيان فى تساؤل " أتسمع ذلك ؟ " وأضـافت " أتدرك كيف أنه قد تعرض لغسيل المخ ؟ "

" اوه حسنًا ، إننى لن ..... "

" ألا يكفى أنك قد وقعت فى براثن الخداع وتعرضت لغسيل المخ ، وأصبحت تطيع تعاليمهم غير الممتازة وتساند قسيسهم المعتوه وتروع الحى كله بعمل غير أخـلاقى وذلك من خلال تحـويل عائلة آل كـاهن عن دينهـم "

" لم أكن أحاول تحويلهم عن دينهم ! وإنما كنت أدخل فى مناقشة نظرية فقط "

" مناقشة نظرية مع أناس كانوا يهوداً منذ القدم بل وقبل أن تصبح هذه البلاد بمثابة دولة ، أوه ، إننى لن أفهم جوانب الموقف أبداً ! لماذا يا إيان ؟ لماذا تحولت على هذا النحو ؟ ولماذا تلزم نفسك بالكفارة عن شىء ما لم ترتكبه على الإطلاق وأنا أعرف تمامًا أن هذا الشىء لم يحدث على الإطلاق وأنا [أعدك وأبشرك] بأن ذلك الشىء لم يحدث فلماذا تصرّ على تصديق كل هذه السخافات ؟ "

فقال الجد " يا بى . يا حبيبة قلبى "

والآن تلاحظ لتوماس كيف أن الغرفة قد أصبحت هادئة . ولاحظت الجدة ذلك أيضًا لأنها توقفت عن الكلام وبدأت نقطتان محتقنتان باللون الوردى تبزغان فى خديها .

وقال الجد " يا بى ، نحن لدينا هنا مجموعة من الأطفال الجياع الذين يسألون أنفسهم فى تعجب عمّا إذا كنت تخططين من أجل الوقوف فى صفهم ومساندتهم "

وأصدر الآخرون أصواتًا هامسة ضاحكة رغم أن توماس لم يجد أى شىء مثير للضحك ، وقامت الجدة بلوى زاويتى فمها ورفعت ذقنها لأعلى ، وقالت " إننى بالتأكيد أقف فى صفهم " فى صوت موسيقى ، ثم انطلقت مع كعكتها .

كانت الطبقة الخارجية مصنوعة من الكرملة ، وكان توماس قد تأكد بنفسه من ذلك فى وقت مبكر ، كانت جدته هى أفضل من تقوم بإعداد طبقة الكرملة فى بلتيمور كلها - إذ كانت تجعلها غنية وعميقة وذهبية اللون وناعمة مثل الزبدة لدى انزلاقها عبر لسانك .

ونامت دافنى فى الساعة التاسعة بينما كانت تركل فى اهتياج بقدميها فى ذراعى إيان لأن أولاد وبنات العمة كانوا لا يزالون هناك ، ولكن توماس وأجاثا ظلا مستيقظان إلى أن قال آخر الضيوف " طابت ليلتكم " - وذلك فى حوالى العاشرة والنصف وهو وقت يتجاوز الموعد الاعتيادى لذهابهم للنوم فى السرير .

وقال إيان بصوت مرتفع خلفهما لدى صعودهما على السلالم " لا تنسيا أخذ حمّام قبل النوم ! " ولكن توماس كان يشعر بالرغبة الشديدة فى النوم مما جعله غير قادر على أخذ حمام وألقى بنفسه فى سريره وهو مرتدى ملابسه الداخلية مع ترك ملابسه ملقاة فى كومة على الأرضية ، ثم أغلق عينيه فشاهد اللون الأزرق التركوازى الفيروزى الذى هو نفس لون حمام سباحة الأخت ميرا ، وسمع قعقعة آنية الخزف الصينى المترامية من الطابق السفلى كما سمع خشخشة الفضيات وتدفق أغانى الراديو الراقصة البطيئة التى تحب جدته الاصغاء إليها أثناء قيامها بغسل الأطباق [إذ كانت تقوم بأعمال الغسل بينما يقوم إيان بمهمة رفع الأطباق من المائدة علاوة على تجفيفها عقب غسلها ، إذ دائمًا ما كانت تقول إنها تشعر بالراحة الشديدة لدى سقوط المياه الدافئة على مفاصل أصابعها] ، وصاح إيان " أين تريدين وضع قطع

القماش المخرمة التى تخص المائدة ؟ " وتقاطعت أصوات المذيعين المرتفعة مع بعضها البعض فى غرفة المعيشة ، إذ كان الجد يتابع الأهداف فى لعبة البيسبول على التليفزيون ، وقالت الجدة " ..... لم يسبق لى أن شاهدت جيسى جوردان منهمكة فى ثرثرة شديدة على هذا النحو " . وصاح شخص ما قائلاً " لقد ظل مستواها فى ضرب الكرة بالمضرب منخفضاً منذ منتصف يونيو ...... "

وقالت الجدة بصوت مرتفع " أيمكن لك أن تخفض الصوت ؟ "

ومن المؤكد أن توماس قد نام بعد ذلك لأن الشىء التالى الذى أدركه هو أن المنزل أصبح صامتًا وتملكه إحساس بأن الصمت قد ظل مستمراً على مدى فترة طويلة من الوقت ، بل ولم تكن توجد سقسقة صرصار الليل ، ولا حتى صفارة قطار أو بوق عربة نقل متراميًا من على مسافات بعيدة ، الأصوات الوحيدة كانت تلك الفضلات المتبقية من أصوات ماضية والتى تطفوا عبر ذهنك فى بعض الأحيان عندما لا يكون هناك أى شىء آخر تصغى إليه ، قال إميت الموقر " شكراً جزيلاً لك يا أيتها الأخت أودرى " وقالت الجدة :" لماذا يا إيان ؟ لماذا ؟ "

كان ينبغى على توماس أن يذكر لها السبب فهو برغم كل شىء كان يعرف الإجابة ، أو هو كان يعتقد فى ذلك على الأقل ، فالإجابة هى أن تشرعى فى الذهاب لملاقاة الآخرين فى السماوات . فهم سيكونوا فى انتظارك هناك إذا كنت قد حرصت على إنجاز الأمور على نحو سليم ، فوالدته ستكون فى انتظارها وهى مرتدية فستانها الوردى المزخرف الملىء بالكشكشة والأهداب وستقود سيارتها نحو البوابة وتنتظر عند

البوابة مع الاستمرار في تشغيل الموتور ووضع مرفقها على حافة النافذة وعندما يقع بصرها عليه يضيء وجهها في سعادة وغبطة غامرة وتقوم بالتلويح له بيديها ، وتنادى عليه " توماس ! موجود هنا! " فإذا لم يتمكن من تحديد مكانها على الفور فإنها تطلق بوق السيارة وعندئذ يتمكن من مشاهدتها ويشرع في الجرى في اتجاهها .

* * *

(٥)

أناس لا يعرفون الإجابات

بعد أن خرج دوج بيدلو على المعاش وجد مشقة في إمعان النظر في الأشياء التي لها علاقة به ، وقد أدهشه ذلك لأنه كان معتاداً على الإجازات الصيفية الطويلة التي يحصل عليها من خلال مهنته كمدرس ولم يكن يجد أبداً أية صعوبة في شغل الفراغ في هذه الأجازات ، ولكن الخروج على المعاش كان مسألة أخرى على ما يبدو ، إذ لم يكن له أية نهاية ، كما أنه كان يحظى بالمزيد من الأهمية فهو إذا تسكع فيما حوله في الصيف كانت بي تقول إنه من حقه الحصول على فترة راحته ، أما التسكع في الشتاء فكانت تنظر إليه على أنه كسل محض ، لذلك سألته : " أليس لديك مكان ما تذهب إليه ؟ فالكثير من الرجال ينضمون للنوادي أو أي شيء من هذا القبيل ، ألا يمكن لك أن تجهز وجبات وتبيعها من خلال التنقل بها في داخل عربة ، ألا يمكن لك التطوع للعمل في مستشفى ؟ "

حسناً . لقد حاول ، إذ تعرَّف على مجموعة من الناس في كنيسته كانوا يعملون مع الشباب المحرومين من الخدمات الرئيسية ومن الحقوق المدنية ، وقال لهم إن لديه أربعين سنة خبرة كمدرب رياضي في كرة البيسبول .

فابتهجوا لدى سماعهم ذلك ، ولكن كان من المفترض أن يحصل على قدر من التدريب بأن يمضى ثلاثة أيام من أيام السبت في دراسة سعود الحياة ونحوسها العاطفية للمراهقين ولكن في يوم السبت الثانى شعر بالملل والسأم من المراهقين ، فهو قد ظل يتعامل مع سعود حياتهم ونحوسها على مدى أربعين عامًا ، والنتيجة أنهم كانوا متسمين بالضحالة والسطحية من وجهة نظره .

ولذلك فقد انضم لى حلقة دراسية ليلة تتناول القصة القصيرة الحديثة [وابنته هى التى عرضت عليه هذه الفكرة] ، إذ تخيل أن ذلك لن يكون ضحلاً كما أن القصص القصيرة ستتلائم معه لأنه لم يكن أبداً قارئًا سريعًا فى أى وقت من الأوقات ، ولكن اتضح له أنه ليس لديه موهبة أو قدرات خاصة فى مناقشة الأمور ، فأنت إذا قرأت قصة فإنها إما أن تكون جيدة أو رديئة ، وبالتالى ما الذى يمكن مناقشته فى هذا الشأن ؟ أما الناس الآخرون فى الفصل فكانوا على استعداد للتحدث على نحو مترابط ومتواصل للأبد ، ولذلك فقد توقف عن الذهاب إلى هذه الحلقة الدراسية فى منتصف فترتها الزمنية .

وبعدئذ تراجع إلى الدور التحتانى ، وقام بتصنيع لعبة أطفال على شكل صندوق لحفظ النفائس وذلك من أجل أصغر أحفاده ، ولكن أعمال النجارة لم تقدم له أموراً كافية جديرة بالنظر فيها ، وتركت مساحة شاغرة من نوع ما فى داخل ذهنه مما أتاح الفرصة لكافة أنواع الأفكار المزعجة أن تتدافع لكى تملأ ذلك الفراغ .

ونادراً ما كان يظهر هناك شيء بحاجة للإصلاح فكان يرحب بذلك دائمًا . حيث كانت بي تحضر له إحدى الأشياء المنزلية وعندئذ كان يطقطق بلسانه في سعادة ويسألها " ما الذى فعلتيه فى هذا ؟ "

فتقول : " لقد كسرته يا دوج وذلك هو كل ما فى الأمر ، أوكى ؟ " وتضيف " لقد عكفتُ على كسره فى تعمّد لقد سهرت حتى وقت متأخر الليلة الماضية ورحت أفكر فى كيفية كسره "

وعندئذ كان يهز رأسه وهو يشعر بالامتنان والأهمية .

إذ أن مثل هذه الحالات لم تكن تظهر فى كل يوم أو حتى فى كل أسبوع ، لم تكن تظهر فى أوقات متقاربة مما يجعله مشغولاً ومنهمكًا فى العمل تمامًا وباستمرار .

وكان من المفترض منذ البداية أنه سيقدم المزيد من المساعدات للأحفاد بمجرد خروجه على المعاش ، والله يعرف أن المساعدة كانت مطلوبة ، إذ أصبحت دافنى فى الصف الأول الابتدائى ولكنها مازالت طفلة رهيبة ومزودة بقوى روحية خارقة ، وحتى الطفلان الأكبر سنًا – فى سن العاشرة والثالثة عشر – كانا يحصلان على قدر كبير من الاعتناء بهما ، وكان مرض التهاب المفاصل الذى تعانى منه بى قد سبب لها الإعاقة إلى حد كبير بينما كان إيان يهلك نفسه فى العمل ، وتطرقوا إلى فكرة الاستعانة بامرأة شغالة لمدة يومين أسبوعيًا .... ولكن النقود كانت غير كافية لمواجهة ذلك ، لذلك حاول دوج تقديم يد العون والمساعدة ولكن اتضح أنه غبى ومغفل من نوع ما ، مثال ذلك أنه أدرك أن الأطفال

تركوا آثار طين عبر أرضية المطبخ فسارع إلى إحضار ممسحة وجردل وهو يموج بأكبر قدر من الحماس وحسن النوايا ولكنه سرعان ما سمع بى وهى تقول : " يا دوج أنت تنشر الماء القذر في جميع الأرجاء أثناء المسح ...... " ثم قال إيان " يا والدى لسوف أتولى إنجاز ذلك بنفسى " فقام دوج بتسليمه المسحة وهو يشعر بالاستياء والامتنان فى آن واحد. ثم ارتدى جاكتته وراح يصفر بفمه للكلبة لكى يصطحبها فى نزهة .

وكان هو والكلبة بيتسى ينطلقان فى نزهات طويلة للغاية فى هذه الأيام ، ليست طويلة من حيث المسافة ولكن طويلة من حيث الفترة الزمنية ، وكانت الكلبة بيتسى قد أصبحت عجوزاً للغاية مما جعلها تكاد تزحف على قدميها ، وربما كانت تفضل البقاء بالمنزل ولكن دوج كان سيشعر بالسخافة لو راح يجوب الشوارع بدون هدف ، فهذا أعطاه شيئًا ما يتعلق به - مقودها الجلدى المتشقق القديم الذى كان يتدلى فى تراخ بينهما لدى سيرها فى بطء على رصيف المشاة ، وكان بمقدوره تذكرها عندما كانت كلبة صغيرة فى السن وكان المقود يتحول إلى حبل مشدود شبيه بحبل الغسيل فى كل مرة يمر فيها ستجاب .

ولسبب ما غير وجيه راح يتخيل ما يمكن أن يبدو عليه المنظر لو أن بى حلت محله فى اصطحاب الكلبة بى للتريض ، حيث سيبدو كلاهما متماثلين من حيث التحديب والمعاناة من مرض التهاب المفاصل ، فهو كثيراً ما شاهد مناظر مماثلة - أرملات طاعنات فى السن مع حيواناتهن المدللة العاجزة بسبب الشيخوخة ، وهو إذا انتقل إلى رحمة الله ستضطر بى لاصطحاب الكلبة بيتسى من أجل التريض وذلك على

الأقل فى فترة النهار عندما لا يكون الأولاد موجودين بالمنزل ، ولكنه لم يكن على وشك الانتقال إلى رحمة الله بالطبع ، إذ كان دائمًا ما يحاول الاحتفاظ بشكله ومظهره ومازال بمقدوره ارتداء البنطلونات التى اشتراها منذ ثلاثين عاماً لأنها مازالت على مقاسه .

ولكن منذ فترة قال له طبيب أسرتهم كلاماً ما مثيراً للقلق ، إذ قال " هل تعرف الأشياء التى أكره سماعها ؟ عندما يجىء إلى مريض ويقول لى [يا دكتور لقد جئت إليك لكى تجرى لى فحصًا شاملاً ، فأنا سأبلغ سن المعاش فى الشهر القادم ولقد وضعت خططًا من أجل القيام بكافة هذه المغامرات الكبيرة] وعندئذ أكتشف على نحو أكيد مثل القتل بالرصاص أن لديه شيئًا ما حادث فى نهاية العمر أو قاض على الحياة مثل السرطان على سبيل المثال . ويحدث هذا دائمًا على نحو حتمى وبكل تأكيد "

حسنًا لقد تجنب دوج ذلك الاحتمال ، وذلك من خلال عدم الذهاب على الإطلاق من أجل ان يتفحصه الطبيب .

كما إنه لم يخطط للقيام بأية مغامرات أو مشروعات كبيرة .

والمشكلة هى أنه لم يكن له أصدقاء ، لماذا لم يلحظ ذلك من قبل فى أى وقت من الأوقات ؟ ولم يكن لديه أصدقاء كثيرون على ما يبدو عندما كان بالمدرسة الثانوية والكلية .

لو كان دانى قد ظل على قيد الحياة لكان قد اتخذ منه صديقًا على ما يبدو .

على الرغم من أن إيان كان بالطبع طيب العشرة أيضاً .

كل ما هنالك أن إيان كان ... أوه أقل انتماءً إليه على نحو ما . ربما بسبب ذلك العمل المتجَدِّد دائماً . كما أنه كان جاداً للغاية ولم يكن يتصرّف أبداً في بلاهة مثلما كان يفعل داني عادةً أو يجلس لكي يدردش ويتجاذب أطراف الحديث مع والده .بل ولم يعد يتصادق مع أيّ فتاة بعد أن تلاشت تلك الفتاة الجميلة الشابة من الصورة . وافترض دوج أنه قد عثر على صديقة ما أخرى ، إلا أن إيان لم يتحدث في هذا الموضوع مع والده على الإطلاق . وهنا كانت تكمن المشكلة : فهما لم يعتادا على تجاذب أطراف الحديث سوياً .

أمَّ داني فكان معتاداً على الدردشة مع والده .

* * *

وبينما كان دوج يقتاد الكلبة بيتسي للنزهة بجوار منزل الأجانب في يوم لطيف على غير العادة في شهر فبراير تلاحظ له وجود شخص ما مستلقي على السطح وقد اتجه بوجهه لأسفل ، سبحان الله ، ماذا يحدث الآن ، كانوا يعيشون أغرب حياة هنالك ، كان هذا الشخص منبطحاً في خط متوازى مع الافريز حيث كان يحاول إدخال سلك ما أو سلك كهربائي من خلال نافذة بالدور العلوى وتوقف دوج لكي يرقب ، وراحت الكلبة بيتسي تزمجر وترتطم بالأرض محدثة أصواتاً مكتومة ، وقال دوج بصوت مرتفع " أتريد مساعدة ؟ "

فرفع الأجنبى رأسه ، وقال بتلك الطريقة الآمرة التى يستخدما الأجانب فى بعض الأحيان " نعم ، أرجو أن تدخل إلى المنزل وتتلقى هذا السلك "

فقال دوج " أوه . أوكى "

وترك مقود بيتسى . فهى لم تكن بصدد الذهاب إلى أى مكان .

وهو قد سبق له الدخول إلى منزل الأجانب مرات عديدة ، لأنهم كانوا يقيمون حفلة للجيران فى الرابع من يوليو من كل عام [ولقد قال أحدهم ذات مرة " عيد استقلال سعيد عليكم " فرد على الفور " وعيدكم سعيد "] وكان يدرك أن النافذة المتكلم عنها تنتمى لغرفة الحمام بالدور الثانى ولذلك قام بعبور الصالة التى كانت خالية من الأثاث تمامًا وصعد على السلالم ودخل إلى غرفة الحمام ، وكان وجه الأجنبى متدليًا على نحو مقلوب خارج النافذة بينما شعره الغزير الأسود يقع بعيداً فى خط مستقيم عن رأسه مما جعله يبدو مندهشًا . وقال بصوت مرتفع "هنا !" .

ربما يكون قد كسر جزءًا من لوح زجاجى . ليس ثقبًا متقوبًا فى براعة فى الخشب وإنما ثقب على شكل مثلث فى الزجاج نفسه ، إذ بدا الأمر شبيها بسلك تمَّ إقحامه من خلال سلك الإيريال الهوائى ، وراح دوج يجذبه فى حرص وعناية ويلفه قدمًا وراء قدم لكى لا يحدث كشطاً به ، فقال الشخص الأجنبى " أوكى " ثم أختفى وجهه .

ولم يخطر على بال دوج أن يسأل نفسه عن كيفية وصول الرجل إلى السطح فى بادئ الأمر . وعلى نحو فجائى أصبح موجوداً بالطابق

الأول مرة أخرى وراح ينظف ملابسه في مدخل غرفة الحمام – إنه شاب وسيم وقصير وقوى وممتلئ الجسم ومرتدى قميصاً أبيض اللون وجينز أزرق ، يمكن لك أن تكتشف الأجانب دائمًا من خلال الطريقة التى يرتدون بها بنطلوناتهم الجينز حيث تكون أنيقة ومتلائمة مع الخصر عند خط الخصر الفعلى ، وفى حالة هذا الرجل تم إزالة كرمشة واحدة من خلال الكى ، أكان اسمه : جيم ؟ لا ، جيم كان ينتمى لدفعة سابقة من الأجانب ، [إذ كان الأجانب يجيؤن ويرحلون فى موجات متعاقبة بعد الحصول على الماجستير أو الدكتوراه أو درجات علمية فى الشئون الهندسية] وقال دوج فى محاولة " فرانك ؟ "

" فريد "

كانوا دائماً يحرصون على إسقاط أية أسماء عُمِّدوا بها ويصعب النطق بها ، أو ربما لم يعمدوا بها ولكن ....

وقال فريد له " لو سمحت أربط السلك عند كف الهوائى المرسل "

" وعلى كل حال : ما هذا ؟ "

" إنه الإيريال أو الهوائى للراديو الخاص بى المستخدم للموجات القصيرة "

" أه "

" فقد قمت بربطه مع إريال التليفزيون على المدخنة"

فقال دوج له فى تساؤل " أذلك آمن ؟ "

فقال فريد فى ابتهاج " ربما . وربما لا "

ولم يكن دوج سيبدى اهتمامه وقلقه إلاّ أن هؤلاء الناس كانوا ميّالين على ما يبدو إلى إحداث الكوارث ، ففى الصيف الماضى وأثناء قيامهم بتثبيت نظام لتبادل الاتصال الداخلى بين مركزين فإنهم تسببوا فى إشعال النيران فى العلِّية الخاصة بهم ، ولم يكن دوج يعرف على وجه الدقة كيف يمكن لنظام تبادل الاتصال الداخلى أن يتسبب فى إشعال نيران ، وكل ماعرفه هو أن الدخان بدأ يتلاطم خارجًا من نافذة حاجب العين الصغيرة الموجودة فى السطح ، وعندئذ خرج ستة أو سبعة من الأجانب فى بطء من المنزل ووقفوا فى الفناء وراحوا يحملقون لأعلى وقد ظهر عليهم الاستمتاع ، وفى نهاية الأمر قامت المسز جوردان بالاتصال تليفونيًا بمصلحة المطافىء ، وفيما بعد سألت بى عن نوعية الفائدة التى يحصلون عليها من وراء نظام الاتصال الداخلى ، ولكن الأجانب كانوا دائمًا على ذلك النحو حيث كانوا يحبون الآلات والأدوات .

كان فريد يسير إلى الخلف الآن حيث كان يتم جذب السلك إلى النهاية لدى تقدمه عبر الصالة ، وكان يريد على ما يبدو أن يجعله يرقد فى منتصف الأرضية وبحيث يشكل كمينًا أمام كل شخص يمر .

وتساءل دوج وهو يتتبعه " هل حصلت على أية مسامير ؟ "

" معذرة ؟ "

فاستمر دوج فى الكلام بدون أن يكون لديه أمل فى هذا العالم " المسامير ؟ مسامير على شكل حرف U ؟ المسامير الكهربائية المعزولة "

وأضـاف " فأنت تقوم بتثبيت السلك فى لوح القـاعدة لكى لا يتسـبب فى عرقلة المـارة "

فقال فريد فى غموض " ربما فيما بعد "

مع الاتجاه بالسلك فى تلك الأثناء على نحـو مـباشـر عـبـر الصـالة وعدم السماح ببوصة واحدة من جزء متدلى .

وفى غـرفـة نوم فـريد كـان قـمـاش ذهبى مطرز يتـدلى علـى سـرير خـفيف نقالى شـبـيـه بأسـرة الجـيش . وكـانت توجـد خـزانة كتـب تضـم قمصان تى شيرت وبنطلونات المـلاكم القصـيرة وجـوارب ملفوفة ومرتبة على شكل هرم وشبيهة بالقنابل ، وتهيأ دوج لكى يسـتوعب كل هذا لأنه لم يكن هـنـاك أى شىء آخر ينظر إليه – و لا حـتى مكتـب أو كـرسـى أو منضدة للكتابة أو مرآة أو صورة فوتوغرافية عائلية ، وكان يقبع على عتبة النافذة راديو من البلاستيك بنى اللون وقام فريد بإدخال سلك فى ثقب موجود فى جانبه .

فقال دوج " ربما كان ينبغى عليك إدخال السلك فى هذه النافذة "

فهز فريد كتفه فى لا مبالاة وقال " أبعد ما يكون عن السقوط " .

فقال دوج " أوه "

ربما لم يكن فـريد أحـد الطلاب الذين يدرسـون الهندسـة ثم أدار فريد الراديو فبدأت الموسيقى فى الانسياب فى نغمة شرق أوسطية ليست لهـا نهـاية أو بداية ، فـأغـمض عـينيـة بعض الشـىء وراح يومئ برأسه مع الإيقاع .

وقال دوج : " حسناً ، من الأفضل لى أن أنصرف الآن " فتساءل فريد " أتعرف معنى هذه الكلمات ؟ الفتى الشاب الذى يودع حبيبة قلبه فإنه يقول لها الآن .... "

فقال دوج " يا إلهى ! من المؤكد أن الكلبة بيتسى تسأل نفسها عن المكان الذى ذهبت إليه " وأضاف " سأقوم بتوديع نفسى حتى الباب الخارجى ، ولا داعى لأن تشعر بالقلق "

وكان قد اعتقد أنه من دواعى الارتياح أن يهرب من سماع تلك الموسيقى ، ولكنه بعد أن غادر المكان بل وبعد أن عاد إلى منزله وقام بفك مقود بيستى ظلت النغمة تلف وتدور فى داخل رأسه وكانت ضبابية وهائمة ومثيره على نحو غامض "

وبعد يومين حاول الأجانب ربط الراديو بسلك مع مكبرات للصوت موضوعه حول المنزل على نحو استراتيجى ، ولذلك جاء إليه فريد لكى يسأل عن تلك المسامير التى هى على شكل حرف U وعن اسمها على وجه الدقة . فقال له دوج وهو واقف عند الباب وقد وضع قدميه فى الشبشب " إنها تسمى : **staples** " فقال فريد فى تأكيد " لا . لا . فكلمة **staples** تستخدم فى الأشياء التى تتعلق بالورق "

فقال دوج " ولكن المسامير تسمى **staples** أيضاً إن ما تريده هو .... " ثم أضاف " انتظر هنا ، أعتقد أن لدى بعض هذه المسامير فى البدروم "

ولذلك فإن شيئًا قد أدى إلى شيء آخر ، إذ وجد المسامير وذهب إلى هناك لكى يقدم يد العون والمساعدة وظل باقيًا بعد ذلك لكى يتناول زجاجة من البيرة ، وسرعان ما أصبح يتواجد ويتسكع هناك فى أوقات كثيرة ، إذ كان لديهم دائمًا مشروع ما طائش يعملون فيه وعندئذ كان يساعدهم فى إنجازه أو [فى أغلب الأحيان] ينصحهم بالتراجع عن المحاولة ولأنهم كانوا من الطلبة وملتزمين بالأوقات غير المنتظمة للطلاب ، فإنه كان بمقدوره بوجه عام أن يضمن وجود اثنين منهم على الأقل بالمنزل ، وفى الوقت الحالى كان يعيش خمسة منهم بالمنزل : فريد وراى وجون وجون الثانى و علّى ، وفى أجازات نهاية الأسبوع كان يجىء المزيد من الطلبة - طلبة بلديات لهم يدرسون فى مكان ما آخر - ويختفى بعض من الطلبة الخمسة الأصليين ، وكان دوج يتركهم وشأنهم فى أجازات نهاية الأسبوع وكان يفضل الذهاب إليهم فى وقت متأخر من فترة ما بعد الظهر فى أيام الأسبوع عندما تكون روائح التوابل والبصل المحروق قد بدأت فى التصاعد من آنية علّى الموجودة فى المطبخ والتى اكتسبت اللون الأسود وعندما يكون الأخرون قد جلسوا فى تراخ وكسل فى غرفة المعيشة وراحوا يحتسون البيرة ، وكانت غرفة المعيشة مزودة بأريكتى بلاج مصنوعتين من الألمونيوم وكرسى مروج خضراء مصنوع من الحديد المطاوع وزمبرك صندوق مستند على أربعة كومات من الكتب المدرسية الذابلة ، وفوق المستوقد كان يتدلى ملصق ورقى مكرمش لراقصة شرقية عارية البطن تحتسى البيبسى كولا ، وكانت صينية تلفزيون معدنية متهالكة تحمل التليفون ، وكان الحائط فوقها قد

نقشت عليه أسماء وأرقام وأشكال لولبية شرق أوسطية على سبيل التزيين ، وأعجب دوج بتلك الفكرة : وهى أن الحائط يستخدم كدليل للتليفونات ، إذ بدت له أمراً متسماً للغاية بالطابع العملى . وكان يحدق بعينين شبه مغمضتين فى الكتابة إلى أن تصبح شريطية وزخرفية وبعدئذ يأخذ رشفة أخرى من البيرة .

ولم يكن هؤلاء الطلاب من المدمنين على تناول الكحوليات وكانوا ينظرون إلى الكحول على أنه عادة أمريكية أخرى غامضة وكانوا يعكفون على تناول البيرة فى بطء وفى أدب وينسونها على مدى دقائق طويلة ، ولذلك لم يحصل دوج أبداً على أكثر من زجاجة بيرة واحدة ، وبعدئذ كان دوج يستأذن للانصراف فكانوا ينهضون لتوديعه عند الباب ويشكرونه مرة أخرى على الأشياء التى أنجزها من أجلهم .

وفى منزله ومن خلال المقارنة كان كل شىء يبدو دائماً وباقياً على ما هو عليه – الغرف بها طبقة من السجاجيد وبها أثاث منجد وصور لها إطارات ، وكان الأحفاد يضيفون طبقات من أشياء تخصهم ، إذ كانت الصالة تبدو مليئة بخضم من الجاكيتات والكتب المدرسية الملقاة هنا وهناك وعندئذ كان يدرك أن بى بدأت فى إعداد طعام العشاء بالمطبخ ، [كم كانت رائحة وجبات العشاء بمنزل بيدلو غير مزخرفة وغير مليئة بالتوابل ! لحوم قليلة التوابل و خضروات مسلوقة وبطاطس مخبوزة] ، وإذ اكان إيان قد عاد من العمل فإنه يكون مشغولاً مع الأطفال حيث يحدد لهم من الذى جاء عليه الدور فى تلك الليلة لكى يعد المائدة ويقوم بفضّ منازعاتهم أو حتى يشارك فى تلك المنازعات كما

لو كان هو نفسه بمثابة طفل ، استمع إليه مع دافنى على سبيل المثال ، إذ كانت تسبب له الازعاج بأن تطلب منه أن يبحث لها عن السويتر الأخضر الخاص بها لأن الغد كان يوافق الاحتفال بعيد القديس بطرس . فقال لها " السويتر الأخضر الخاص بك موجود فى الغسيل " وكان ذلك الرد سيضع نهاية للحوار لو كانت بى هى المسئولة عن هذه الأمور ولكن دافنى واصلت القول فى إلحاح " أرجوك لو سمحت يا إيان ؟ إنهم سيسخرون منىّ إذا لم أرتد شيئًا ما أخضر اللون "

" قولى لهم إن عينيك هما شىء ما أخضر اللون "

" ماذا ؟ عينانى ؟ ولكن عينىّ لهما لون أزرق "

" حسنًا ، لو قال ذلك شخص ما تظاهرى بالضيق والشعور بالإهانة وقولى [أوه . لقد أحببت دائمًا إنى أعتقد أن لونهما أخضر] "

فقالت دافنى " أوه يا إيان ، أنت إنسان سخيف "

وراح دوج يفكر : إنه إنسان سخيف بالفعل بل ومُغفَّل أيضًا وعلى نحو أكيد وفى وقت متأخر من تلك الليلة سمع صوت الغسالة الكهربائية وهى تتحرك فى إجتياح .

فى معظم الأيام كان إيان يستخدم السيارة ولكن فى أيام الثلاثاء كان يستقل الأتوبيس فى ذهابه إلى العمل وذلك حتى يمكن لدوج أن يصطحب بى بالسيارة إلى الطبيب ، إذ كان عليها أن تذهب للطبيب فى كل أسبوع فردى ، وأصبح دوج يعرف غرفة الانتظار فى عيادة ذلك الطبيب معرفة جيدة للغاية حتى صار بمقدوره مشاهدتها فى أحلامه ،

كان يوجد نبات طويل نحيل شاحب متدلى على الأريكة الفينيل ، وكانت توجد منضدة مليئة بكومات من المجلات مما يجعلك تضطر لأن تشعر بالرغبة الشديدة فى قراءتها - جرائد مطبوعة بحروف واضحة ومخصصة لأحدث الاكتشافات العلمية الدقيقة .

وكان يوجد فى نفس العيادة طبيبان آخران : أخصائى أمراض جلدية وطبيب عيون ، وذات صباح شاهد دوج طبيب العيون وهو يتحدث مع فتاة رائعة الجمال للغاية عند مكتب الاستقبال ، ومن المؤكد أن موظفة الاستقبال كانت قد اقترحت وقتًا ما أو موعداً ما لأن الفتاة الشابة هزت رأسها بما يفيد عدم الموافقة وقالت " أنا آسفة ، لا أستطيع الموافقة على ذلك الموعد "

فتساءل الطبيب " لا تستطيعى الموافقة ؟ " وأضاف " هذا موعد من أجل إجراء جراحة وليس موعداً لتصفيف الشعر ، فنحن نتكلم بشأن بصرك ! "

فقالت الفتاة " إننى مشغولة فى ذلك اليوم " .

" يا آنسة ويلسون ، ربما أنت لا تفهمين جوانب الموقف ، هذه مشكلة ينبغى أن تهتمى بها الآن بل وكان ينبغى أن تهتمى بها منذ وقت مضى ، ولا ينبغى أن تؤجل إلى الأسبوع القادم أو الشهر التالى ، وأنا لا أرغب فى ترويعك أكثر من ذلك "

فقالت الفتاة الشابة " نعم ، ولكن من قبيل المصادفة أنى مشغولة فى ذلك اليوم " .

ثم خرجت بى من غرفة الطبيب بلوم وبالتالى لم يستطع دوج معرفة نهاية تلك المناقشة ولكنه مع ذلك ظل يفكر فى هذا الموضوع ، ماالذى يجعل شخصًا ما يؤجل مثل هذه الجراحة الهامة الحاسمة ؟ أكانت بصدد مقابلة عشيق لها ؟ ولكن كان بمقدورها دائمًا أن تقابله فى يوم آخر ، أكانت ستتعرض للفصل من العمل ؟ ولكن لا يوجد صاحب عمل قاسى القلب إلى هذه الدرجة ، ولم يتمكن دوج من الوصول إلى تفسير كاف .

تخيل هذه الارتجالية الشديدة فيما يتعلق بقوة إبصارك ، فالأمور قد تصاعدت وأصبحت متعلقة بحياتك ، وبالتالى لا ينبغى عليك تحمل النتائج المترتبة على الإهمال والتى قد تستمر إلى الأبد .

وفى يوم الأربعاء جاءت ابنتهما لكى تساعد فى أعمال التنظيف الصعبة ، حيث وصلت فى وقت تناول الطعام ومعها كسرولة مليئة بالطعام من أجل العشاء كما كان معها قفاز مطاطى كانت قد اشترته بعد أن سمعت عنه أنه يخفف الآلام فى الأصابع المصابة بالتهاب المفاصل على نحو رائع ، وقالت لأمها بى " إنه من القفازات الموجودة فى المتجر التنويعى ولقد شاهدت إعلانًا عنه فى الليلة الماضية فى الأخبار المسائية " وأضافت " ومن حسن حظك أننى ذهبت على الفور إلى محلات هوشيلد واشتريته ، فمن المتوقَّع أن يتدافع الناس ويهجمون على شراء هذه القفازات " .

فقالت بى فى طاعة واحترام " نعم يا حبيبتى ، كم كان هذا لطيفًا منك للغاية " ، وهى كان لديها قفاز طبى بالفعل بل وأكثر اتساعًا

بالطابع الطبى من ذلك الذى أحضرته ابنتها ، ومع ذلك فقد ارتدت هذا القفاز ومدت يديها فى خط مستقيم وعلى نحو مسطح بقدر الإمكان على سبيل الاختبار ، وكانت ترتدى القمصان الفضفاضة الرياضية التى تخص إيان علاوة على ارتداء بنطلون فضفاض وجورب خُفّ . ولدى ارتدائها القفاز الأبيض الأنيق بدت ضعيفة ومخبلة بعض الشىء .

وقامت كلوديا بملأ جردل فى حوض المطبخ وأضافت جرعة من النشادر ، ثم قالت لهم " لسوف أقوم بتنظيف تلك النجفة " وأضافت " فقد لفتت انتباهى فى الأسبوع الماضى ، إنها بمثابة خزى وعار ! "

ربما كانت هى ساخطة للغاية من إدارة إيان لشئون المنزل أو ربما كانت ساخطة من الزمن فى حد ذاته والذى غلف كل شىء وكل منشور بالتراب ، ولم تكن تفكر فى الانطباع الذى يمكن أن تتركة عندما تجوب فى اهتياج فى جميع أرجاء منزل شخص ما وتعلن أنه ملىء بالقذارة وألقى دوج نظرة جانبية على بى لكى يعرف على أى نحو تقبلت هذا الكلام ، كانت عيناها دامعتين ولكن ربما السبب فى ذلك هو النشادر . وانتظر إلى أن غادرت كلوديا المطبخ ونقلت جردلها إلى حجرة الطعام ثم وضع يده على يد بى ، وقال لها " أليس هذا أمراً عجيباً ؟ فى بادئ الأمر كنت تقومين بتأنيب وتوبيخ أطفالك وبعدئذ وعلى نحو فجائى بلغ بهم حد الوقاحة أن يقوموا بتأنيبك" .

فابتسمت بى وأدرك أن دموعها لم تكن دموعاً حقيقية على الإطلاق ، فاستطرد فى مزيد من الإشراق والغبطة " تجىء علينا مرحلة نكون فيها متعادلين ومتساويين أعنى عندما كانت هى فى حالة صعود وكنا نحن فى حالة هبوط وهى مرحلة كنا فيها متعادلين مع بعضنا البعض "

فقالت بى " حسنًا – من المؤكد أننى كنت أتحدث فى التليفون فى ذلك الوقت " ثم ضحكت .

كانت يداها المغلفة بالقفاز تبدو فاقدة الحس بالنسبة له ومثلما هو الحال مع يده بعد أن يكون قد نام عليها بطريقة خاطئة مما أدى إلى قطع الدورة الدموية .

* * *

وتسبب الأجانب فى إشعال النيران فى سيارتهم عندما حاولوا تركيب راديو بها ، وقالت المسز جوردن وهى تراقب المنظر من المدخل المسقوف الأمامى لمنزل آل بيدلو : " لم أكن أعرف أن الراديوهات قابلة للإشتعال وسريعة الاشتعال " . كما كان دوج نفسه مندهشًا بعض الشىء ، ولكن الإلكترونيات لم تكن الميزة القوية التى يتميز بها وسار إلى هناك ليرى ما إذا كان بمقدوره تقديم يد العون والمساعدة . كانت السيارة ماركة دودج المنتمية لأواخر الخمسينيات أو ربما أوائل الستينيات عندما كانت تلك الأجنحة التجميلية ، بمؤخرة السيارة هى البدعة السائدة وذات يوم كان جسدها أزرق فاتح ولكنه أصبح الآن أحمر طافئ بسبب الصدأ ، وكان باب واحد له لون أبيض بينما حاجز اكصدام واحد له لون تركوازى ، وكانت ملكيتها غير واضحة نظرًا لأن الشخص الأجنبى الذى اشتراها نصف عمر أو ربع عمر قد عاد منذ فترة طويلة إلى وطنه .

كان جون الثانى وفريد وعلى يقفون حول السيارة فى أوضاع متكلفة رشيقة مع التهوية فى كسل على وجوههم بالمراوح ، ويبدوا أن

الدخان كان ينساب من لوحة أجهزة القياس ، وقال دوج " يا إخوانى ؟ هل تعتقدون أنه ينبغى علينا أن نستدعى عربة الحريق ؟ " الاَّ أن فريد قال " أوه . نحن لا نحب أن نزعجهم باستمرار "

ومد دوج يده إلى داخل النافذة المفتوحة عند باب السائق - وهو يأمل ألا ينفجر أى شىء - وجذب أول سلك تلامس مع أصابعه ، فتضاءل انسياب الدخان على الفور تقريبًا ، وكانت تنبعث رائحة قوية لمطَّاط يحترق ولكن لم يكن هناك دمار حقيقى - على الأقل لم يكن هناك دمار يمكن له مشاهدته . وكان من الصعب معرفة حجم الدمار ، فالمقعد الأمامى كان باليًا لدرجة أن الزنبركات كانت مكشوفة وعارية كما أن المقعد الخلفى قد أزيل تمامًا .

وقال جون الثانى موجهًا كلامه لعلَّى " ربما لن يصبح لدينا راديو"

فقال فريد "ما يسبق أن كان لدينا راديو من قبل على الإطلاق" ،

وقال جون الثانى " كنا قانعين وراضين تمامًا وعندما نسافر كنا نستمع للطيور وهى تغرد وتغنى "

وعندئذ تخيلهم دوج وهم يسافرون عبر أرجاء ريفية خضراء منبسطة مثل المنظر فى الكتاب الأول لتعليم القراءة والكتابة للأطفال ، وكان متأكداً من أنهم من النوع الذى ينطلق بالسيارة بدون ملأ خزان الوقود فى بادئ الأمر أو تفحص الضغط فى إطار السيارات ، ومن المحتمل أنهم لم يعتادوا على أن يكون بحوزتهم خريطة للطريق .

* * *

وذات صباح عندما نزل هابطًا على السلالم وجد الكلبة بيتسى ميتة على أرضية المطبخ بينما جسدها لم يتخشب بعد ، كان موتها بمثابة صدمة له وذلك على الرغم من أنه كان ينبغى عليه أن يكون مستعداً لمواجهة ذلك ، فهى كانت تبلغ من العمر ستة عشر عامًا . وكان لا يزال بمقدوره أن يتذكر الشكل الذى كانت عليه عندما أحضروها إلى المنزل – كانت صغيرة الحجم للغاية حتى أنها كانت فى نفس حجم طبق طعامها ، وفي ذلك الشتاء الأول تساقط الثلج بغزارة شديدة فقامت بتحديد جسدها الضئيل الممتلىء فى غبطة بينما طبقة من الثلج تكسو أنفها وكتل رقيقة من الثلوج المتساقطة تكسو رموش عينيها .

وصعد إلى الدور العلوى لكى يوقظ إيان . وكان يرغب فى القيام بدفنها قبل أن يشاهد الأطفال جثتها وقال " إيان " وأضاف " يا ابنى " كانت غرفة إيان مازالت متسمة بالطابع الطفولى للغاية إذ كانت نماذج الطائرات مازالت قابعة على الأرفف بين كرات بيسبول مُوقَّع عليها بخط اليد وكتب وحوليات المرحة الثانوية ، وكان مفرش السرير به رسومات مطبوعة لسيارات من طراز عتيق ، كانت تشبه إحدى تلك الغرف التى تم الاحتفاظ بها كضريح عقب موت شخص صغير فى السن .

وعلى العكس من ذلك كانت غرفة دانى ، فقد أُدخلت عليها ديكورات جديدة لكى تصبح غرفة خاصة بتوماس ، فلم يتبق بهذه الغرفة أىّ أثر لدانى .

" يا ابنى ؟ "

" هـ م م م "

" إننى بحاجة إليك لكى تساعدنى فى دفن بيتسى "

ففتح إيان عينيه . وقال " بيتسى ؟ "

" لقد عثرت عليها فى هذا الصباح ميتة فى المطبخ "

فراح إيان يفكر للحظات ثم جلس فى اعتدال ، وعندما تأكد دوج من أن إيان أصبح مستيقظًا غادر الغرفة ونزل إلى الدور الأول لكى يأخذ جاكتته .

لم تكن بيتسى كلبة ضخمة الجثة ، ولكنها كانت ثقيلة الوزن بعض الشيء ، وقام دوج برفعها على ممسحة الأرجل ثم جر الممسحة إلى الخارج وإلى أسفل السلالم الخلفية .وتلاحقت أصوات ارتطام مكتوم مما جعل دوج يجفل ، وتركت الممسحة أثار جرجرة وسحب على العشب المتألق المفعم بالحياة ، وذهب إلى الخلف نحو نباتات الأزالية الصحراوية ، وأسقط زوايا الممسحة ، ثم اعتدل فى وقفته ، وكان الوقت مبكرًا للغاية مما أدى إلى عدم وجود جيران فى أى مكان قريب .

وخرج إيان من المنزل وقد رفع ياقة سترته الجلدية لأعلى وأحضر معه كلا الجاروفين ، وقال دوج له : " من الأمور الملائمة أن الأرض ليست متجمدة "

" هذا صحيح "

"ربما يكون هذا الإجراء غير قانونى "

وقاما بالتكسير أسفل الطبقة العليا من التربة المشتملة على العشب وجذوره ، مع الحرص بقدر الإمكان على عدم شقها إلى جزئين ،

وقاما بوضعها على جانب ، وكان النسيم يعبث بفراء بيتسى وظل دوج يتخيل أنها بمقدورها أن تشعر بالنسيم وأنها تدرك وتعرف ما يفعلانه ، وحرص على أن يكون ذهنه خاليًا من أى انفعال ودخل فى إيقاع متبادل مع إيان وهما يعزقان التربة الحمراء مع الارتطام فى رنين من وقت لآخر مع حصوة أو جذر ، وعلى الرغم من النسيم بدأ يتصبب عرقًا فاضطر للتوقف لكى يخلع جاكتته ولكن إيان واصل العزق . ولم يبد على إيان أنه شعر بالسخونة على الإطلاق بل وبدا عليه أنه شاعر بالبرد وشاحب مع وجود ذلك الخط الأبيض الرفيع حول شفتيه الذى يدل على الحزن ، وراح دوج يفكر : تُرى هل هذه الوفاة تسبب له الازعاج الشديد ، ثم قال " أعتقد أنك ستشعر بافتقادها "

فقال إيان وهو مازال مستغرقًا فى الحفر " نعم " .

" فبتسى قد تواجدت عندنا منذ أن كنت أنت ..... فى سن الثامنة أو نحو ذلك بل وربما كنت أقل من سن الثمانية "

فأومأ إيان برأسه وانحنى لكى يلقى بقطعة من الصخر بعيداً .

وقال دوج له " ستجعل الأطفال يضعون نوعًا من العلامة أو الشاهد على هيئة بصلات نباتية أو شىء من هذا القبيل ، ويجعلون مقبرتها جميلة "

وكان ذلك هو كل ما يفكر فى تقديمه .

وبعد أن انتهيا من الحفر أدركا أن الحفرة لها شكل بيضاوى أكثر مما هى مثلثة الشكل ، لذلك كان عليهما استخدام الحيلة والمناورة لكى

يضعا بيتسى فى هذه الحفرة ، ولقد تلاءمت أكثر فى داخل الحفرة عندما وضعت على جنبها مع التقوس بعض الشىء ، وعندما شاهد دوج أنفها المخملى الناعم متلامسًا مع الطين قفزت الدموع إلى عينيه ، لقد كانت دائمًا كلبة غير قاسية ولطيفة ومجاملة للغاية وقابلة للتكيف ، ثم قال " أوه . يا إلهى الذى فى السموات " ونظر لأعلى وعندئذ أدرك أن إيان كان يصلى ، إذ كانت رأسه منحنية وكانت شفتاه تتحركان ، وأحنى دوج رأسه على وجه السرعة ، وشعر وكأن إيان هو الشخص الكبير فى السن وأنه هو الطفل ، لقد انقضت سنوات وربما كل سنوات فترة المراهقة لديه منذ أن كان يعتمد فى امتنان على معلومات شخص ما آخر بشأن ما ينبغى عليه أن يفعله .

* * *

وأصيب الطفلان الأصغر سنا بمرض جديرى الماء - دافنى فى بادىء الأمر وبعدها أصيب توماس ، وتوقع كل شخص أن تصاب أجاثا بنفس المرض ولكن من المُؤكَّد أنها أصيبت به فى وقت مبكر وقبل أن يعرفوها ، كان مرض دافنى خفيفًا للغاية ولكن إصابة توماس كانت رديئة للغاية وذات ليلة استيقظ وهو يموج بهذيان الحمى ، وسمع دوج صوته الخشن المذعور المنطلق فى وضوح بين طيات الظلام " لا تدعوهم يجيئون ! لا تدعوا حوافرهم الحادة ! " ثم سمع صوت إيان وهو يقول "يا توماس ، أيها الرجل العجوز . توماس . توم - توم"

فى تلك الحلقة الدراسية عن القصة القصيرة قرأ دوج قصة عن تجربة قامت بها مخلوقات من الفضاء الخارجى ، وما كانت هذه

المخلوقات تريد أن تعرفه هو : هل يمكن لسكان الكرة الأرضية أن يقيموا علاقات عاطفية ، أم أنهم كانوا واقعين تحت رحمة البيولوجيا ، لذلك قاموا بقطع منزل إلى نصفين فى منتصف الليل وربطوه مع نصف منزل آخر موجود فى موقع مختلف تمامًا ، ثم قاموا بخلط المنزلين مع بعضهما البعض مثل خلط القطع العديدة للعبة ، فاستيقظت هذه المرأة مع رجل وأطفال لم يسبق لها أن وقع بصرها عليهم من قبل على الإطلاق ، وبالطبع شعرت بالحيرة والارتباك الشديدين وشعر الآخرون بنفس تلك المشاعر أيضًا ، ولكن تصادف أن كان الأطفال يعانون من نوع ما من المرض : من الحصبة أو شىء ما من هذا القبيل [بل وربما الجديرى المائى] ، ولذلك فإنها بذلت كل ما فى جهدها بالطبع لكى تجعل الأولاد يشعرون بالراحة ، ولذلك وصلت المخلوقات فى استنتاجها إلى أن سكان الكرة الأرضية لم يميزوا فى المعاملة ، فمشاعرهم العائلية المزعومة كانت مسألة ظروف عمياء .

ولم يستطع دوج أن يتذكر حاليًا الكيفية التى انتهت عليها القصة . وربما كانت تلك هى النهاية ، إذ لم يستطيع أن يتذكر على وجه الدقة .

وفى الظلام كان قفاز بى الأبيض الخاص بالتهاب المفاصل يتوهج على نحو عجيب ومخيف ، كانت مستلقية على جانبها وفى مواجهته بينما القفاز متجعد تحت دقنها ، كان أقل الأصوات يوقظها عندما كان أطفالهما الثلاثة صغارًا – كحة أو مجرد أنين ، والآن أصبحت تستمر فى النوم برغم حدوث أى صوت ، وكان دوج مسرورًا من ذلك ، ومما يدعو للشفقة أن الكثير من العمل كان يقع على عاتق إيان . ولكن إيان

كان فى مرحلة الشباب ، وكان يتمتع بالحيوية والنشاط ، ولم يكن قد وصل بعد إلى تلك المرحلة التى يشعر فيها أن المسألة لا تستأهل منه أن يبذل كل هذه الجهود .

* * *

ووجه إيان الدعوة لوالديه للذهاب فى رحلة خلوية للزمالة المسيحية . فتساءل دوج لكى يكسب الوقت قبل أن يجيب " الذهاب إلى ماذا ؟ " [ومن الذى كان يهمه اسم تلك الرحلة ؟ من المحتم أنها كانت شيئًا ما مثيراً للارتباك] .

فقال إيان بطريقته المتسمة بالطابع الجدى الهام :

" كل واحد منّا يدعوا الناس الذين نودّ أن نشترك معهم فى أخوة وصداقة " وأضاف " أناس ليسوا أعضاء فى كنيستنا. "

" كنت أعتقد أن تلك الكنيسة الخاصة بكم لا تؤمن بلوى أذرع الناس "

" إنها لا تفعل ذلك ، ونحن لا نفعل ذلك وهذا فقط من أجل الصداقة والأخوة والزمالة Fellowship " .

وكانوا يشاهدون نشرة الأخبار المسائية – دوج وبى وإيان – والآن أشاحت بى بوجهها بعيداً عن سماء مليئة بطائرات قاذفة للقنابل لكى تتساءل : " إننى لم أفهم أبداً ما يعنيه الناس بكلمة : الزمالة "

" مجرد الجلوس سوياً والتوصّل إلى تفاهم مشترك يا أمى ، لا شىء غامض للغاية "

" إذن لماذا نستخدم كلمة Fellowship ؟ ولماذا لا نقول [الجلوس سوياً والتوصّل إلى تفاهم مشترك] grtting to gether ؟"

ولم يشعر إيان بالاستياء أو الغضب " وقال " إميت الموقر يريد لنا أن نوجه الدعوة للناس الذين يهتمون والناس الذين يتساءلون فى تعجب عن المعتقدات التى نؤمن بها والناس الذين قد يشعرون بالعداء نحونا "

" نحن لسنا عدائيين "

فقال إيان فى هدوء " إذن فأنتما ربما تنتميان لإحدى المجموعتين الأخرتين ".

فنظرت بى إلى دوج ، فأسترد دوج رباطة جأشه [كان لديه إحساس بالمقاومة فى اتجاه السطح] وقال " أليس الوقت مبكراً بالنسبة للرحلات الخلوية ؟ إذ لا يزال الصقيع يهبط علينا فى الليل !! "

فقال إيان له " هذه رحلة خلوية داخلية "

" إذن ما هو الهدف ؟ وما هى الحكاية ؟ "

" الأخت بريسكيلا وهى والدة إميت الموقر لها أقارب يعيشون بالخارج فى الوادى ويمتلكون مزرعة للخيول ، وهم متواجدون فى جامايكا لمدة أسبوعين وقالوا لها إنها يمكن لها أن تقيم بالمنزل "

" هل قالوا لها بأنه يمكن لها أن تقيم رحلة خلوية كنيسة فى المنزل ؟ "

" نحن لن نتسبب فى أى تلفيات "

وكانت بى مازالت تنظر إلى دوج [كانت بالطبع تريد منه أن يقول : لا] وكانت قاذفات القنابل قد أفسحت الطريق لكى يحل محلها إعلان تجارى .

وقال دوج " حسنًا ، من كرم أخلاقك أن تهتم بنا يا بنى . ولكن...... "

" ولقد وجهت الدعوة أيضًا للمسز جوردان "

" المسز جوردان ؟ "

" نعم "

" جيسى جوردان ؟ "

" إنها دائمًا ما تريد أن تعرف الأمور التى تتناولها كنيسة الفرصة الثانية "

وهذا وضع ضوءًا مختلفًا تمامًا على الأمور ، إذ كيف يمكن لهما أن يرفضا بينما مجرد جارة قد وافقت ، إنها الأرملة جيسى جوردان التى لديها شغف الأرملة فى الذهاب إلى أى مكان يطلب منها الذهاب إليه ! "

وبعدئذ كانت لديها الشجاعة الأدبية التى تجعلها تكتشف أنها كانت جريئة للغاية وخليعة للغاية ، وأثناء الذهاب إلى وادى جرينسبرنج [لأنهما فى نهاية الأمر كانا قد اتخذا قرارًا بالذهاب واستخدام سيارتهما التى كانت مريحة لفخذى بى أكثر من الأتوبيس]

راحت المسز جوردان تتقافز وتبقبق وتثرثر مثل طفلة عمرها ستة سنوات ، وقالت " أليس هذا مثير للغاية ؟ " وكانت ترتدى ملابس وكأنها ذاهبة إلى حفلة بحديقة قصر باكينجهام – قبعة كبيرة مطوقة بالأزهار وفستان حريرى تحت معطفها الشتوى الرمادى ، وقالت " كما تعرفون يوجد هناك عدد كبير من الأديان البديلة التى تقفز إلى الوجود فى هذه الأيام " وأضافت " وأخشى أن أتخلَّف إلى الوراء فى يأس "

فقالت بى فى ضيق " وذلك لن يكون عاراً " كانت ترتدى بدلة فضفاضة رمادية عادية وليس بدلتها الأنيقة التى لها زمامات منزلقة معقدة والتى تؤدى إلى تدفئة جسدها ، ولذلك فمن المؤكد أن يديها ستسببان لها بعض المتاعب اليوم ، ودوج نفسه كان مرتديًا ملابس وكأنه ذاهب لممارسة لعبة الجولف ، وكانت ملابسه متناسقة الألوان للغاية من أجل التعويض عما قد يرى بطريق الخطأ على أنه عدم أناقة من جانب بى ، وحرص على أن تكون سيارته منطلقة خلف أتوبيس الفرصة الثانية المستأجر مباشرة ، وفى بعض الأحيان كان وجه دافنى الضئيل يبرز فجأة فى النافذة الخلفية للأتوبيس وهى تبتسم فى ابتسامات عريضة وتطلق رسائل مطولة لا يستطيع أحد التقاطها ، وتساءلت بى فى توتر " ما الذى قالته ؟ ماذا ؟ "

" لم أتمكن من التقاط كلامها على وجه الدقة يا حبيبتى "

وتوغلوا أكثر وأكثر فى الأماكن الريفية التى يمكن أن تكون رائعة فى فصل الصيف إلاّ أنها الآن كانت شبكة شاسعة من الأغصان العارية المشوبة باللون الأخضر ، وكانت أراضى المراعى تمتد على مدى

أميال ، وكان الطريق الفرعي الخصوصي الذى انعطفوا إليه فى نهاية الأمر طويلاً للغاية بحيث لا يمكن مشاهدة نهايته ، وكان المنزل المشيد من الحجر الأبيض أكبر حجمًا من بعض الفنادق ، وصاحت المسز جوردان وهى تصفق بيديها " أوه !! انظروا ! "

ولم يكن دوج يرغب فى الاعتراف ولكن مشاعره تحسنت إزاء كنيسة الفرصة الثانية بعد أن شاهد مثل هذه الممتلكات الضخمة الهامة المرتبطة بها ، وساءل نفسه فى تعجب : تُرى هل هؤلاء الأقارب أعضاء بالفعل فى هذه الكنيسة ؟ ومع ذلك ربما لا يكونوا أعضاء .

وأخيرا توقفوا فى المساحة المخصصة لوقوف السيارات والتى على شكل دائرة مرصوفة أمامهم ، وتدفق المسافرون هابطين من الأتوبيس : الأطفال أولاً وبعدئذ الكبار وتخيل دوج أن بمقدوره أن يعرف من هم الأعضاء بين هؤلاء الزائرين . إذ كان الأعضاء يرتدون ملابس عتيقة وبالية ويمشون فى استرخاء بينما الزائرون كانوا أكثر أناقة فى ملابسهم وأكثر امتلاء بالمرح والبهجة .

وخطر على باله أنه يمكن أن ينظر إلى بى بطريق الخطأ على أنها عضوة .

وكان كل شخص يحمل معه السلال والمبردات وأباريق الثرموس ويسير وراء والدة إميت الموقر على الممشى ذى الحجر اللوحى ، ودخلوا إلى الصالة الأمامية التى لها أرضية أردوازية وسلالم فى الوسط وقال العديد من الناس فى انبهار " أوهوه !! "

وقال دوج فى تمتمة لـ بى " مجرد مكان أو مسكن " فرمقته بى بنظرة حادة مما جعله يلتزم بالصمت .

ثم عبروا على سجاجيد مخملية وخشب باركيه لامع فى تلألؤ وأخيراً وصلوا إلى شرفة شمسية هائلة توجد فى وسطها منضدة طويلة وكراسى لها ظهر عالى وأرائك منتشرة هنا وهناك ، وقالت والدة إميت الموقر فى تشامخ وغرور " المستنبت الزجاجى " كانت امرأة صغيرة الحجم وقصيرة ومكتنزة وكانت ترتدى طاقم سويتر متلائم وعقد من اللؤلؤ وبنطلون جينز متنافر على مايبدو ، وخاطىء تماماً كما لو كانت قد نسيت أن تغير النصف السفلى من ثوبها ، وقالت " هيا بنا نقدم الطعام على المائدة " وأضافت " يا إميت ، هل أحضرت معك مفرش المائدة ؟"

" لقد ظننت أنك أحضرته معك "

" حسنًا ، لا داعى لأن تشعر بالقلق ، عليك فقط بأن تضع سلطة البطاطس الخاصة بى هنا على هذا الطرف "

كان إميت الموقر يرتدى قميص بولو رياضى وسترة قصيرة من الجلد سمراء ضاربة إلى الصفرة وبنطلونًا رسميًا أسود اللون ، [هو ووالدته كانا ينتميان لمجموعة دافنى وهى المجموعة التى لا يمكن لك أن توائم فيها ما بين الرؤوس والسيقان والجذوع] ، وقام بوضع سلطانية مغطاة فى المكان الذى حددته ، وبعدئذ قام الآخرون بوضع أطباق كبيرة مليئة بالدواجن المُحمرة وأطباق سلطة الكرنب وأرغفة من الخبز المخبوز بالمنزل ، والمنضدة – المصقولة تمامًا بالورنيش الامع حتى بدت وكأنها مبللة –

سرعان ما اختفت تدرجيًا ، والمربعات المخططة لضوء الشمس المترامية من ١٢ نافذة على الأقل نشرت الدفء فى الغرفة فبدأ الناس يخلعون معاطفهم وجاكتاتهم ، وقال إميت الموقر [وهو يخرج يده قليلاً من كمه ويمسك بها دوج] " يا إلهى الذى فى السموات ، وجبة الطعام هذه هى منحة سخية للغاية منك يا إلهى والصحبة هذه هى منحة سخية للغاية منك يا إلهى ، ونحن نشكرك يا إلهى على هذا الاحتفال البهيج ، آمين" .

وكان هناك شىء ما بهيج بالفعل فى الجو بوجه عام ، إذا أقبل كل شخص على الطعام فى شهية وراح يقرق ويطلق صيحات الإعجاب بالطعام وتحول الأطفال إلى الجموح والتهور ، وحتى أجاثا الرسمية فى ملابسها على نحو مثير للملل حيث كانت ترتدى سويتر خاص بالتزحلق على الجليد وبنطلون ركابى دفعت ولداً إلى الوراء فى اندفاع حذر عندما وكزها فى مزاح عند سلطانية عصير الفاكهة وقام الأعضاء بارشاد الضيوف إلى الأطباق الممتازة بل واتخذوا طابع الإقطاعيين الكبار لدى إلقائهم الضوء على السمات المميزة للمنزل . وقالوا " لا حظوا الإطار الرصاصى لألواح زجاج النوافذ " كما لو كانوا هم أنفسهم يألفون تماماً هذه الأشياء ، فأبدى الضيوف [ومعظمهم بلا شك ميالون إلى الشك والارتياب مثل دوج وبى] دلائل الدفء وعدم التحفظ ، إذ قال رجل له شعر فضى " هذا ليس رديئًا " فأعتقد دوج أن ذلك الرجل هو والد الفتاة الهيبز الموجودة على مقربة منه ، وكان دوج قد تناول قدراً كبيراً للغاية من الطعام الآن حتى أنه أصبح غير قادر على مصافحة الناس بالأيدى ، ولكنه أومأ برأسه للرجل وقال له " كيف حالك ، أنا دوج بيدلو " .

فقال الرجل " وأنا ماك كلينتوك " وأضاف " أنت تزور فقط ؟ "

" هذا صحيح "

فقالت الفتاة الهيبيز لوالدها " ابنه هو الأخ إيان " ثم قالت لدوج

" إنني أعتقد أن الأخ إيان شديد الايمان "

" حسناً ...... شكراً جزيلاً "

وقال ماك " هذه هي ابنتي جراسي " وأضاف " هل تقابلتما من قبل ؟ "

" لا . لا أعتقد أننا تقابلنا "

فقالت جراسي " لقد تقابلنا " وأضافت " فأنا التي كنت أقوم باحضار أحفادك من المدرسة في كل يوم عندما كانت زوجتك بالمستشفى "

فقال دوج " أوه ، نعم " ولكنه لم يكن يتذكر ذلك على الإطلاق .

" كنت أحضر الأطفال نيابة عن الأخ إيان وبعدئذ قام الأخ إيان بسد ثقوب الفئران الموجودة في شقتي "

فقال دوج " هذا صحيح "

فقال ماك له " ابنتي تعيش في حي قذر للفقراء "

" في ظل هذه الظروف الحالية يا والدي "

" وهي تكسب نقوداً أقل مما كنتُ أكسب في فترة الكساد العالمي ثم تقوم بإعطاء كل نقودها لكنيسة الدرجة الثانية second Rate "

" كنيسة الفرصة الثانية second Chance ! وأنا لا أعطى كل نقودى ، إننى أدفع عُشر إيرادى للكنيسة ، بل ولا أضطر إلى أن أفعل ذلك إذا كنت لا أريد ، ويتم ذلك فى سرية تامة ، فأنا لا أؤمن بجمع الأموال علناً من أجل الأعمال الخيرية ، أنت تتصرف وكأنهم يحتالون علىّ ويسلبون أموالى أو أىّ شىء من هذا القبيل "

قال ماك " إنهم أناس منتمون لكنيسة ، أليس كذلك ؟ والكنيسة تأخذ من أناسها أىّ شىّء تريده " ثم ألقى نظرة على دوج وأضاف " آمل ألا يسبب لك هذا الكلام الإساءة والانزعاج "

" أنا ؟ لا. لا . "

" أتحب أن تسمع منىّ ما أكرهه فى الكنائس ؟ إنهم يعتقدون أنهم يعرفون الإجابات ، وأنا أكره ذلك بالفعل ، وأنا أقول لك أن الناس الذين لا يعرفون الإجابات هم الذين سيذهبون إلى الجنة "

فقالت ابنته " ولكن فى نفس اللحظة التى تقول فيها هذا الكلام فإنك نفسك تصبح شخصاً يعرف الإجابات "

فنظر ماك فى استياء إلى دوج وراح ينقر فى إيقاع على فخذه .

وكانت بى جالسة على شيزلونج وقد مدت ساقيها وراحت تشارك فى طبق مع دافنى ، وكانت هى الضيفة الوحيدة التى ظلت خارج نطاق حشود الناس على ما يبدو ، إذ كان كل شخص آخر منخرطاً فى الضحك ومتخففاً من القيود الأخلاقية ومتنقلاً من مجموعة لأخرى بطريقة طائشة أو شبه مترنحة [على الرغم من أنه لم يكن يوجد بالطبع أىّ مقدار من الكحول ، ولا شىء سوى عصير الفاكهة ذاك الخالى من الطعم] ،

وكان إميت الموقر يتحدث عن الإلهام الذى هبط عليه بشأن هذه الرحلة الخلوية ، إذ قال لحلقة من النساء " شعرت كأننى منساق إلى ذلك " وكان له شكل اللاعب الرياضى اللاهث الذى يتم عقْد مقابلة شخصية معه عقب إحراز انتصار ، وأضاف " كنت أستمع لواحد من إخواننا منذ أسبوعين ، وقال إنه كان يودّ أن يشارك خلاصه مع والديه ولكن المشكلة أنهما لا يوافقان أبدًا على الذهاب إلى الصلوات الدينية . وعلى نحو فجائى وجدت نفسى منساقًا لأن أقول [ولماذا ينبغى أن تكون صلوات دينية ؟ ولماذا لا تكون رحلة خلوية ؟] " .

فابتسمت النساء وأومأن برؤوسهن وأضاءت نظاراتهن فى وميض . [كانت جيسى جوردان إحداهن وكانت منتشية فى غبطة غامرة] وقامت امرأة شابة ممتلئة بشق طريقها بين الجمهور ومعها حقيبة زبالة من البلاستيك وهى تقول " أطباق ؟ فناجين ؟ ولكن احتفظوا بالشوك ، فطبق الحلو بصدد المجىء " .

وماذا يمكن أن يقدموه كطبق حلو إذا كانوا لا يؤمنون بالسكر ؟ واتضح أن طبق الحلو هو سلطة الفاكهة حيث وضعت فى أطباق صغيرة مصنوعة من رقائق معدنية ، وقام توماس بحمل إحدى الصينيات لكى يقوم بالتوزيع على الحاضرين . وعندما وصل إلى دوج قال له "جدّى ؟ أأنت تستمع بقضاء وقت طيب هنا ؟ "

" أوه . نعم "

" هل تعقد أواصر الصداقة مع أى أصدقاء ؟ "

فقال دوج " بالتأكيد " ثم شعر على نحو فجائى بأسى شديد وتغير نفسانى عنيف إزاء الوجه القلق النحيل للولد والذى كان مليئًا بالحفر القديمة الناجمة عن مرض الجدرى المائى ، واتخذ خطوة مقتربًا أكثر من ماك كلينتوك رغم أنهما كانا قد انتهيا من الدردشة منذ دقائق .

وكانت النساء منهمكات فى تنظيف المائدة الآن والتناقش فى مسألة الكميات المتبقية من الطعام .

" من الخطأ الكبير التخلص من هذه الكميات الكبيرة من الطعام بإلقائها فى صندوق الزبالة " .

" أيمكن لك أن تأخذى هذا الطعام إلى منزلك ؟ "

" لا . وأنتِ "

" لا . إذ لا يمكن لى أن أستهلك هذه الكمية فى خلال شهر من أيام الأحد "

" ومع ذلك فنحن لا نريد أن نبدد هذه الكميات الكبيرة " .

وقالت والدة إميت الموقر " يا مستر بيدلو نحن جميعًا نكن للأخ إيان كل التبجيل والاحترام "

فقال دوج " شكرًا جزيلاً " ، وكان هذا قد بدأ يذكره بأمسية الآباء والأمهات فى المدرسة الابتدائية ، وقام بابتلاع قطعة من الأناناس المُعلَّب التى كانت تحتوى على السكَّر بكل تأكيد أليس كذلك ؟

وأضاف " ومن المؤكد أنك فخورة للغاية بابنك "

فقالت " نعم أنا فخورة به " وأضافت " فأنا أنظر فيما حولى وأشاهد عدداً كبيراً للغاية من الناس المهتدين ثم أقول لنفسى فى تفكير [ما الذى كانوا سيفعلونه لِمَ لَمْ يقم إميت بهديهم ؟] "

وقال دوج فى نفسه : ما الذى كانوا سيفعلونه ؟ كان معظمهم سيصبحون على مايرم بما فيهم ابنه إيان ، نعم يا إلهى ، ولكنه افترض وفق العدل والانصاف أن هذه الكنيسة قد لبت بالفعل احتياجات حقيقية بالنسبة لبعض الناس الآخرين ، ولذلك فقد نظر فيما حوله أيضاً متتبعاً نظرات الأخت والدة إميت الموقر ، ولكن ما شاهده لم يكن ما كان قد توقع مشاهدته ، فبدلاً من الحشد المهرجانى الذى كان يشهده منذ دقائق قليلة فإنه رأى دائرة الصمت الآخذة فى الانتشار والتى انطلقت من المائدة وامتدت الآن حتى إلى الأطفال لدرجة أن مجموعة من البنات الصغيرات الموجودات فى إحدى الأركان سمحن لكرتهن بالتوقف تماماً كما توقف الأولاد عن الركوب فى عنف على مركبة الانزلاق وحتى بى بدا عليها وكأنها أصيبت بصدمة كهربائية حيث إن شريحة من البرتقال قد وقفت فى منتصف المسافة بين شفتيها .

وقالت امرأة موجهة كلامها لوالدة إميت الموقر : " إنها المنضدة "

" ألـ .... ؟ "

" شىء ما قد أتلف سطح المنضدة "

فشقت والدة إميت الموقر طريقها بين دائرة النساء مع دفع إحداهن بالفعل على جانب . ومد دوج رقبته لكى يعرف ما يتحدثون عنه ،

وكانت المنضدة عارية الآن بل وأكثر لمعانًا عن ذى قبل حيث كان يمسحها شخص ما مستخدمًا قطعة من القماش المبللة ، كانت تبدو ممتازة لدى إلقاء النظرة الأولى عليها ، ولكنه عندما أمال رأسه لكى يجعل الضوء ينحدر على نحو مختلف فإنه أدرك أن اللمعان كان مشوهًا عند طرف واحد من خلال حلقات عديدة غير لامعة .

وقالت والدة إميت الموقر فى عصبية " أوه لا "

وبدأ كل شخص يتكلم فى آن واحد

" فلنجرب المايونيز "

" فلنجرب معجون الأسنان "

" عليكم بحكها بالزبدة "

فقالت والدة إميت الموقر " الهدوء ! لو سمحتم ! " ثم أغلقت عينيها وضغطت بكلتى يديها على صدغيها .

وكان إميت الموقر واقفًا بالقرب من دوج ، وكان يحملق فوق رؤوس الآخرين ، [وأعلى ياقة قميصه البولو الأنيق كانت رقبته تبدو نحيلة وعجفاء ومثيرة للشفقة] ، وقال " ربما " وأضاف " إذا حاولنا أن نستخدم ...... "

" اسكت ، ودعنى أفكر يا إميت "

صمت مطبق .

ثم قال أخيراً " ربما رجعت إلى هنا غداً ومعى ذلك الرجل الصغير الذى يعمل فى محلات [أنتيكات ماركس] والذى يستطيع ترميم الأشياء القديمة ... فإنه ربما يتمكن من تقشيرها ويجعل لها سطحًا جديداً . ألا تعتقدون فى ذلك ؟ ولكن من المقرر لأصحاب المنزل أن يرجعوا فى يوم الثلاثاء ، وإذا كان سيضطر إلى كشط السطح كله ... ولكن هذا لا يهم لسوف اطلب منه أن يعمل على نحو متواصل وعلى مدى ٢٤ ساعة ، أو سأسأل ما إذا كان .... "

المزيد من الصمت المُطْبِق .

وقال إيان " هل تم غسلها بالصابون ؟ "

فاستدار كل شخص وراحوا يبحثون عنه ولم يتمكنوا من العثور عليه إلا بعد مرور لحظات طويلة إذا كان واقفًا عند الطرف البعيد للغرفة .

وقال " يبدو لى أن مادة التشطيب النهائى هى نوع من البوليبوريثان ، وإذ كانت تلك الحلقات هى حلقات من الدهنيات فان استخدام القليل من الصابون لن يحدث أى ضرر بل وربما .... "

وقالت والدة أميت الموقر " الصابون ! نعم ! "

وذهبت بنفسها إلى المطبخ ، وأثناء انصرافها قالت المرأة الشابة الممتلئة لدوج " الأخ إيان يعمل فى ورشة نجارة يوميًا كما تعرف "

فقال دوج " نعم . فأنا والده"

فقالت " أأنت والده حقًا !! ؟ "

ورجعت والدة إميت الموقر ، وكانت ممسكة بقطعة من الإسفنج وزجاجة بها مادة مطهرة سائلة ، وأفسحوا لها الطريق ، فاقتربت من المنضدة ثم انحنت عليها ، وكان دوج على مسافة بعيدة للغاية مما جعله لا يستطيع مشاهدة ما قامت بفعله بعد ذلك ولكنه سمع تنهدات الارتياح وقال شخص ما " والآن ينبغي تجفيفها "

وقامت امرأة بانتزاع كوفيتها من حول رقبتها وقدمتها وقُبلت منها .

وقال شخص ما " هذا إجراء عظيم وبالغ حدّ الكمال "

وعندما مد دوج رقبته فى هذه المرة أدرك على الفور أن الحلقات قد اختفت تماماً .

وبعدئذ بدأ الحشد فى تعبئة الحاجيات وأخذ المعاطف والسّلال واعتقد دوج أنه أحس بوجود نوع من الهبوط فى الحالة النفسية بوجه عام ، وسار الناس فى طابور خارجين فى خنوع وبدون أن يلقوا نظرة واحدة إلى الوراء نحو المنزل أثناء المغادرة ، [وقال دوج لنفسه : لم يكن هناك داع للقيام بهذه الرحلة] وعبروا المدخل المسقوف الأمامى ذا الأعمدة بينما كانت رؤوسهم منكسة ، وقام دوج بمساعدة بى على الدخول إلى السيارة ، ثم سأل المسز جوردن " هل ستجيئين معنا ؟ "

فقالت " أوه ، لسوف استقل الأتوبيس " وكانت هى وحدها التى يبدو عليها أنها غير شاعرة بالاكتئاب ، وأضافت " ألم يكن إيان هو البطل !! "

فقال دوج " هذا شىء أكيد "

وشاهدها وهى تنطلق نحو الأتوبيس وقد استخدمت إحدى يديها لكى تثبت قبعتها وتدفع بها لأسفل .

وأثناء القيادة إلى المنزل لم يحاول البقاء مع الآخرين ، إذ خلف الأتوبيس وراءه على طريق بيلتواى وانطلق بسرعة شرقًا بسرعة تتخطى الحد القانونى . وقال لزوجته بى " إذن فنحن شهدنا رحلة أخوية للزمالة المسيحية "

فقالت " نعم "

" إننى أسأل نفسى عمًا إذا كان ذلك سيصبح حدثًا سنويًا "

فقالت " ربما "

وبعدئذ بدأت فى التكلّم عن دانى ، كيف انتقلت من الرحلة الخلوية إلى دانى ؟ لا أحد يعرف ، إذ شرعت فى تدليل مفاصل يدها اليمنى وهى اليد التى تبدو أكثر تورما ، ثم قالت " فى بعض الأحيان تجتاحنى مشاعر غريبة للغاية . حيث أقول لنفسى فى تفكير [ها نحن نشق طريقنا فى الحياة كالمعتاد] ومع ذلك فقد تغيرت أمور كثيرة للغاية ، إذ انتقل دانى إلى رحمة الله ، دانى ولدنا الذهبى أول ولد يرزقنا الله به وكنا فخورين به للغاية ، وأصبح منزلنا الآن مليئًا بأطفال شخص ما أخر ، وأنت تعرف أنهم جميعًا أطفال شخص ما آخر ، أنت تعرف ذلك ! وإيان أصبح الأن شخصًا ما مختلف تمامًا كما أن كلوديا أصبحت مهتاجة للغاية بل أن حياتنا صارت مثل بديل مؤقت وأصبحت حياة من الدرجة الثانية وأصبحت تقوم بدور ثانوى للغاية بل وضاع كل شيء ،

أليس من المذهل أن نستمر فى مواصلة حياتنا ونستمر فى الذهاب للتسوق وشراء الملابس ونستمر فى الشعور بالجوع وتناول الأطعمة ونستمر فى الضحك على النكات التى نشاهدها فى التليفزيون ؟ بينما أكبر أبنائنا قد مات وذهب للأبد ولن نتمكن من مشاهدته على الإطلاق مرة أخرى مما جعل حياتنا خرابًا وحطامًا "

وقال " هدئى من روعك يا حبيبتى "

" أليس هذا الأمر مذهلاً ؟ "

كان الأمر مذهلاً إذا فكر فيه فى عمق ، ولكنه كان حرصًا على عدم التفكير فيه .

* * *

أصبح الجو أكثر دفئًا ، فقام دوج برفع كافة النوافذ كما سحب الملابس الصيفية من العلية نيابة عن بى ، وعبر الشارع خرج الأجانب وهم يرتدون قمصانًا بسيطة غير رسمية لكى يقوموا بتركيب فتاحة كهربائية لباب الجراج ، وكانوا قد اشتروا تلك الفتاحة من خلال الاستعانة بكتالوج ، ووجد دوج فى هذا شيئًا مسليًا باب يفتح من تلقاء نفسه من أجل سيارة تكاد تتحرك من تلقاء نفسها ، وبالطبع ظل برفقهتم أثناء انجازهم الأعمال ولكن الباب كان مصنوعًا من الخشب المتين وكان ثقيلاً للغاية بل وكاد أن يكون مميتًا ومهلكًا . ووقف على مسافة بضعة أقدام وراح يرقب علّى وهو يترنح على كرسى مطبخ لدى

قيامه بتثبيت شيء ما في عارضة خشبية أعلاه . وبعدئذ عندما شعر دوج بالملل فإنه سار في بطء في الداخل مع الاثنين اللذين كانا أقل اهتماماً بالأمور الميكانيكية تاركًا علّي وفريد وجون الثاني لكي يواصلوا العمل على الرغم من العقبات ، ورفض تناول زجاجة من البيرة [إذ كانت الساعة حوالي العاشرة صباحًا] ولكنه وافق على الجلوس على مقعد بجوار النافذة حيث كان نسيم خفيف يحرك الستارة الورقية البالية للنافذة .

من هنا كان الجراج غير مرئي حيث كان يقع مع واجهة المنزل ولكن كان بمقدوره مشاهدة فريد وهو واقف في الطريق الفرعي الخصوصي وقد أمسك في كلتي يديه جهاز التحكم في زر الجرس الكهربائي حيث راح يضغط في قوة ثم في مزيد من القوة . وابتسم دوج ، وانحنى فريد للأمام وقد ظهر التوتر على عضلات وجهه واندفع نحو الزر بكل قوته ، لم تكن بحاجة لأن تُثبت عينيك على الباب لكي تعرف أنه لم يكن يستجيب ، وفي تلك الأثناء سار علّي خارجًا إلى الشارع ودخل إلى السيارة وقام بتشغيل الموتور ، وأزاح جون الثاني قالب طوب من تحت العجلة الخلفية اليسرى ، وتوقع دوج أن يتم المزيد من العمل قبل أن يكون الجراج مستعداً لخدمة الساكن ، ومن خلال النافذة المفتوحة سمع الأصوات المختلفة لدى انعطاف السيارة ووصولها إلى الممر الفرعي ثم التوقف مع تشغيل الموتور على نحو ناقل للطاقة ، وكان جون الأول يقول " في كتالوج آخر شاهدنا ابتكاراً رائعاً ؛ أضواء أوتوماتيكية في الفناء ،

ويحيث تضىء عندما يهبط الظلام !! ونحن فى خطتنا أن نطلبها بالبريد على الفور " .

وقال دوج " إننى أجد صعوبة فى الانتظار " ثم تلوَّى فى كرسيه لأنه اعتقد أنه يشاهد شخصًا ما يخرج من منزله ولكن الأمر لم يكن سوى شجيرات تتحرك مع النسيم .

وكان مصابًا بمقدار ضئيل من قصر البصر ، وكانت شبكة غربال النافذة تبدو له أكثر وضوحًا من الأشياء الموجودة وراءها . وما يقع وراءها - ألا وهو المنزل - كان له المظهر المشوش المتسم برقع ضوء وظل غير متساوية التوزيع لشىء ما مصنع من خلال التطريز الإبرى حيث كان كل مربع صغير فى الغربال مملوء بمربع من اللون ، كان هناك ليس فقط منزل من تخريم إبرى ولكن أيضًا سيارة من تخريم إبرى وأرجوحة من تخريم إبرى فى الرواق أو المدخل المسقوف ودراجة من تخريم إبرى فى الفناء ، كل عالمه الصغير : قطعة من شغل الإبرة عائلية ومطرزة فى موضعها الملائم للأبد .

وذهب فى تقديراته إلى أن أفضل شىء يتسم به الأجانب هو أنهم كانوا ينظرون إلى الحياة فى أمريكا على أنها بمثابة قصة يقرأونها أو فيلم يشاهدونه ، قصة كانت تحدث لشخص ما آخر ، قصة لم تكن قصتهم ، سبحان الله ولا حتى أسماؤهم كانت هى أسماءهم . هنا كانوا يتكلمون بكلمات من اختراع أناس آخرين ، ليست لغة حقيقية - ليست اللغة التى لا تكون بحاجة للترجمة ، وهنا كانوا يرتدون ملابس من قماش الدنيم الأزرق ويستخدمون أثاثًا زائفًا ، وكانوا عندما يرجعون

إلى وطنهم يسلكون فى حزم وجدية مثل أى شخص آخر ، فيقعون فى الحب ويتزوجون وينجبون الأطفال ويناضلون من أجل مشكلات أطفالهم ويجاهدون من أجل شق طريقهم للأمام ويمارسون مهناتهم ووظائفهم فى تروّ و هدوء وكفاءة ، وما كان دوج يشاهده لم يكن سوى أجازة قصيرة من حيواتهم الحقيقة .

وكان مسروراً من هذه الفكرة ، وأعتقد أنه يمكن له أن يتفحص هذه الفكرة فى مزيد من العمق فيما بعد ويحيث يفكر على سبيل المثال فيما يحدث لأولئك الأجانب الذين انتهى بهم المطاف إلى عدم العودة إلى أوطانهم ، فالإجازة لا يمكن أن تدوم للأبد ، أليس كذلك ؟ أكانت هناك لحظة معينة يتحول فيها جهاز السينما إلى جهاز مصمت ؟ ولكنه حالياً لم يشغل نفسه بكل تلك الأمور إذ كان سعيداً لمجرد جلوسه هنا جاعلاً جزءاً من وقتهم المستقطع يزول من خلال الاحتكاك معه.

ثم التفت علّى تجاه المنزل ونادى بصوت مرتفع " تعالوا وشاهدوا " وعلى سبيل المجاملة نهض دوج واقفاً وسار وراء رأى وجون الأول نحو الفناء ، وأدرك أن جيرانا آخرين كانوا موجودين هنا أيضاً ، بدا الأمر شبيها بحفلة ، فانضم اليهم ووقف يحدق بعينين شبه مغمضتين تحت ضوء الشمس ، وابتسم لدى مشاهدة سيارة الأجانب التى كان نصفها قابعاً فى داخل الجراج والنصف الآخر خارجه مثل علبة بيرة متجعدة بينما الباب يشطرها عند المنتصف تماماً .

* * *

(٦)

عينة من الأمطار .... على سبيل الاختبار ....

فى صباح كل يوم من أيام السبت كانت كنيسة الفرصة الثانية تجتمع من أجل أداء أعمال الخير ، ففى بعض الأحيان كان الأعضاء يذهبون إلى مسكن عضو مريض ويقومون بأعمال تنظيف المنزل أو ترتيبه وتنظيمه وإصلاح الأشياء التى تحتاج إلى إصلاح ، وأحياناً كانوا يذهبون إلى شخص ما أجنبى ، واليوم – وهو يوم دافئ ومشمس فى أوائل سبتمبر – تقابلوا فى المنزل الصغير الذى يسكن فيه إميت الموقر مع أمه الأرملة، ولم يكن إميت الموقر قسيساً يحصل على راتب شهرى ، وكانت وسيلته الوحيدة لكسب الرزق هى وظيفة استشارية لبعض الوقت فى مدرسة خاصة للبنات ، ولذلك عندما احتاج منزله للطلاء [حيث كان الآن فى مسيس الحاجة للطلاء بعد أن أصبح الطلاء القديم متدليًا فى شرائط من الألواح الخشبية الطويلة] فإن جميع رعاياه شاركوا فى إنجاز ذلك العمل .

وأحضر إيان الأطفال الثلاثة بعد أن ارتدوا أقدم الملابس عندهم . وكان توماس ودافنى يحبان أعمال الخير ولكن كان ينبغى التحدث مع

أجاثا لإقناعها بالمجيء ، فهى بعد أن وصلت إلى سن الخامسة عشر أصبحت حرونة وجامحة وسريعة الامتعاض وميالة إلى اليأس المليء بالاكتئاب ، ولم يكن بمقدور إيان أن يقرر على الإطلاق : أينبغى عليه أن يرغمها على المشاركة وذلك من أجل مصلحتها ؟ أم أن ذلك من شأنه أن يجعلها تبتعد أكثر فى نفور ، ولكن فى هذا الصباح وجد الأمر أسهل من ذى قبل ، وشك فى أنها تخفى اهتمامًا معينًا بتفاصيل الحياة الخصوصة لأميت الموقر .

كان المنزل بمثابة كوخ يتكون من طابق واحد وكان أقرب إلى اللون الرمادى منه إلى اللون الأبيض ، وكان يقع فى حى متواضع شرق طريق يورك رود ، وبحلول الوقت الذى وصل فيه إيان والأطفال كان أعضاء آخرون من الجماعة يرتِّبون ويضعون علب الطلاء والفرشاوات ، وكانت المسز جوردن [أصبح اسمها الآن الأخت جيسى ولكن كان من الصعب على إيان أن يتحول إلى استخدام اسمها الجديد] تنشر غطاء من القماش على أخشاب البقس . وكان أميت الموقر قابعًا على سلم حيث كان يزود المدخل المسقوف أعلاه بسلك ، وأمسك إيان بسلم وذهب لكى يخلع شيش النوافذ . وخرجت والدة أميت الموقر بينما كانت ترتدى حذاءً له كعب عالى وفستانًا من النوع المحبوك بصنارة وتساءلت عما إذا كان هناك أىّ شيء ضئيل يمكنها أن تنجزه ولكنهم جميعًا قالوا إنه لا يوجد أى شيء ، [فما الذى كان بمقدورهم أن يقولونه ؟ إذ كانت سترتها المحبوكة تتدلى على كتفيها على نحو أنيق وأرستقراطى بينما الكُمَّان يتجهان إلى الوراء بمقدار بوصتين] .

أثناء إنجاز العمل أُرسل شخص ما لا يعرفه إيان لكى يساعده ، وكان رجلاً نحيلا للغاية وفى الثلاثينيات من عمره وله لحية ذات شريط ضيق مثل لحية إبراهام لنكولن . فنظر إليه إيان فى فضول وحب استطلاع [لأن كنيستهم لم تكن تشهد ضيوفًا كثيرين] فقال الرجل "أنا إيلى ايفرجون ، وأنا زوج ابنة بيرتا كينج ، ونحن جئنا للزيارة قادمين من كارو ميل"

فقال إيان " وأنا إيان بيدلو " .

وأدرك الآن مَنْ تكون زوجة هذا الرجل – فهى الفتاة الشقراء الصفراء التى تشبه الأخت بيرتا بالفعل والتى جاءت لكى تكشط وتحك الألواح الخشبية الطويلة ، وبدت جميلة للغاية بحيث ما كان ينبغى عليها أن تتزوج مثل هذا الزوج المليء بالبثرات الجلدية ، وكان هذا الإيلى يستخدم الآلات من على مسافة وكانت مهمته هى أن يقوم بخلع المفصلات من شيش النوافذ ويضعها فى جردل ، وهو عمل يبدو سهلاً بما فيه الكفاية ولكن المفك كان يخذله ويخزيه على ما يبدو ، فهو قد جعله ينزلق مرات عديدة لدرجة أن رؤوس القلاووظ أصبحت تتعرض للتلف والتشويه والسحق ، فقال إيان وهو ينزل شيشًا " استمع إلىّ : سأتولى أنا هذه المهمة ويمكن لك أن تنجز العمل الذى أقوم به "

فقال الرجل " أوه ، لا أستطيع القيام بذلك العمل فأنا أخاف من الارتفاعات "

الارتفاعات ؟ لقد كان أعلى شيش يبعد عن الأرض بثمانية أقدام . ولكن إيان لم يشر إلى ذلك .

ورفع إيليّ ذراعًا واحدة ليمسح جبهته ملوحًا بالمفك على نحو خطير بالقرب من وجه إيان ، وقال " فى الكنيسة الخاصة بى لا نتدخل فى أعمال كهذه لكى لا نُفسد الأمور " وأضاف " وبدلاً من ذلك نقوم بزيارة الجيران " .

" وما اسم هذه الكنيسة ؟ " .

" البيت المقدس للإنجيل " .

" أعتقد أننى لم أسمع عنها على الإطلاق " .

فقال إيلى " نحن أكثر حزما من كافة الكنائس الأخرى " وأضاف " فعلى سبيل المثال نحن لا نسمح أبدًا لنسائنا بارتداء ثياب الرجال " .

فألقى إيان نظرة على زوجة إيلى ، كانت ترتدى بالفعل فستانًا ريفيًا متبرعم الأزهار يتداخل فى جدية مع محاولاتها للصعود على كرسى بدون مسند .

وقال إيلى " كما أننا لا نلعب الكوتشينة ولانرقص كما أننا أكثر انتباها لظهور الشّر " وأضاف " " وبالأمس صرفت أم زوجتى روشتة من صيدلية تبيع الخمور ، ودخلت مباشرة إلى مكان يبيع الخمور بدون أن تلقى بالاً لما يمكن أن يبدو عليه هذا التصرف ! كما أنكم ليس لديكم امتداد تبشيرى " .

فقال إيان بعد أن بدأ يشعر بأنه فى موقف دفاعى " نحن نعتقد أن حيواتنا هى امتدادنا التبشيرى " .

فقال إيلى " ذلك موقف متسم بالأنانية " وأضاف : " إن تنظر إلى شخص ما يعيش فى ظل الخطيئة المميتة الأبدية ولا تحاول أن تغير طرائقه فى الحياة : ذلك هو تصرف يتسم بالأنانية " .

ودار إيان على عقبيه وذهب لكى يحضر شيئًا آخر .

وعندما عاد استأنف إيلي كلامه قائلاً " ونحن نصلى مقدمًا قبل أن نقوم بإنجاز أى عمل لكى لا يتم إنجازه على نحو ردىء للغاية " واندفع المفك الخاص به بدون فائدة عبر مسمار قلاووظ ، واستطرد قائلاً " نحن نصلى قبل أن نقوم بإنجاز أىّ عمل . ونحن نؤمن بأن أى عمل نقوم به مهما كان نوعه فهو عمل يخص الله فأنا سهم يطلقه الله لكى يقوم بإنجاز عمل الله اليدوى " .

وكان يشبه بالفعل شيئًا ما شبيه بسهم إذ كان مستقيمًا وناعمًا وكانت له خصلة شعر مرفوعة فوق الجبين .

وسأله إيان " ما هى طبيعة عملك على وجه الدقة ؟ " وذلك على أمل أن يغيّر موضوع الحديث .

" إننى بوليس سرى خصوصى "

وكان هذا أمر غير متوقع للغاية لدرجة أن إيان انفجر ضاحكًا ، فنظر إيلي فى عبوس وتساءل " وما هو الشىء المضحك الذى يتعلق بهذا العمل ؟ " .

فقال إيان " مخبر سرى خصوصى ؟ " وأضاف " أنت تقصد أشياء مثل كشف النقاب عن القتلة والسفاحين وكشف الأسرار الغامضة وأشياء من هذا القبيل ؟ " .

" حسنًا . عملى أقرب ، إلى تتبع وتعقب الأزواج الذين يذهبون إلى الغرف بالموتلات والفنادق . ولكن ذلك هو عمل الرب أيضًا ، صدقنى "

فقال إيان له " إذا كنت تقول ذلك "

" وما هى مهنتك أيها الاخ ؟ "

فقال إيان " أنا نجار "

" مخلّصنا ومُنْقذنا كان نجاراً "

" حسنًا ، نعم "

" شىء لا يمكن الخجل منه "

" ومن قال إننى كنت خجولاً من هذا العمل ؟ "

" هل هؤلاء الأطفال الصغار الذين جاءوا معك أولادك ؟ "

" نعم "

" أنت تبدو صغيراً فى السن بحيث يتعذر أن يكون لك أطفال كبار فى السن على هذا النحو "

فقال إيان " أنا عمهم فى حقيقة الأمر " وأضاف " وأنا ووالدى نقدم لهم الرعاية "

" كنت أعتقد أنك لست سوى طالب جامعى "

" لا ، لا "

" أأنت متزوج ؟ "

" لا "

" أعزب "

فقال إيان " حسنًا ، نعم ..... أعزب "

فانحنى إيلى على مفصلة مرة أخرى وراح إيان يرقب للحظات ثم عاد إلى سلَّمه.

ولكن عندما أحضر شيشًا فى المرة التالية قال : " أنت لم تعثر أبدًا على أى شخص مفقود أو أى شىء من هذا القبيل "

فقال إيلى " هذا يتوقف على ما تسميه مفقودًا " وأضاف " لقد عثرت بكل تأكيد على عدد قليل من الأزواج هنا وهناك ، وهم عادة كانوا يقيمون مع صديقة ولكن كل شخص كان يعرف أسماءهم وعناوينهم باستثناء زوجاتهم "

فقال إيان " أدرك ذلك "

وقام بإسناد الشيش على حصان نشر الخشب ، وراح يدرسه فى تأمل ، وبدون أن ينظر إلى إيلى قال " نفترض أن شخصًا ما ظل مفقودًا على مدى فترة طويلة ، على مدى خمسة أو ستة سنوات على سبيل المثال ، أو ربما على مدى سبعة أو ثمانية سنوات ، فهل اقتفاء الأثر يكون مثبطًا للهمة للغاية ، بحيث لا يمكن لك أن تقوم به ؟ "

فقال إيلى " ماذا ؟ لا " وأضاف " فمن المحتم أن يترك المرء وراءه أثرًا ما ، فالناس يتسمون بالفوضى إلى حد بعيد ، وتلك كانت هى خبرتى ، فالناس يتركون الكثير من الفضلات المبعثرة أينما ذهبوا "

وأدار ساعده وتفحص الجانب الداخلى من معصمه ، كان مقدار ضئيل من الدماء الملوثة بالغبار ينساب أسفل راحة يده وتساءل " أهناك شخص ما معين وضعته فى ذهنك ؟ "

فقال إيان " لا فى حقيقة الأمر "

وأزاح ورقة جافة من كُوَّة ، وسلّك صوته ، وقال : " أولئك الأطفال الذين أقوم برعايتهم : أظن أنه يمكن لك أن تقول أن والدهم مفقود . والد الطفلين الأكبر سنًا "

فقال إيلى " هل الأمر على ذلك النحو " وأضاف " هل هو يتفادى إعالة طفله ؟ "

فقال إيان " إعالة الطفل ؟ أوه . هذا صحيح "

فقال إيلى " إننى أكره إعالة الأولاد الذين تخلى عنهم آباؤهم وأكره الذين يقومون بإعالة هؤلاء الأولاد ، أو إننى لا أكره فالإنجيل ينبهنا ويحذرنا من أن نكره ، ولكنى أشفق عليهم وأشفق على أولئك الناس الذين يقومون برعاية الأطفال ، إننى لا أوافق على الإطلاق على القيام بتربية واحد من هؤلاء الأطفال "

فقال إيان " أوه ، إنهم فى حقيقة الأمر مثل أولادى تمامًا الآن "

" وحتى لو كان الأمر كذلك ، فأنت تجلس الآن فى المنزل مع ثلاثة أطفال صغار بينما هو ينطلق مستمتعًا بحياته "

فقال إيان " هذا لا يهمنى "

لم يكن يرغب فى أن يقص عليه الحكاية كلها ، وحقيقة الأمر أنه لم يكن يعرف السبب الذى جعله يفتح هذا الموضوع فى بادىء الأمر .

* * *

كان إيان يقوم بمراجعة الواجب الدراسى المنزلى للأطفال وهو جالس إلى منضدة المطبخ عندما سمع صوت بكاء بالخارج فقال " أذلك هو بكاء طفل رضيع ؟ "

فلم يرد أحد على سؤاله ، إذ كانوا مشغولين للغاية في الجدل والمناقشة . كان توماس يقول لدافنى إنه عندما كان فى الصف الثالث الابتدائى كان يكفيه قلم رصاص خشبى عادى عتيق ، وقال إنه ليس من حق دافنى أن تسرق قلمه الحبر الذى له سن كروى ، فقالت دافنى "ربما ما قمت أنت بكتابته فى الصف الثالث الإبتدائى لم يكن يستأهل قلم حبر " وعندئذ اشتكت أجاثا من أنهما يجعلانها تفقد تسلسل الأفكار وأنها بسببهما سوف تضطر للبدء في هذه المعادلة الرياضية كلها مرة أخرى .

وتساءل إيان " أكان ذلك بكاء طفل رضيع ؟ "

وبالكاد توقفوا عن الجدل .

وقال توماس للآخرين " هاى " وأضاف " أتودون سماع شىء ما مثير للقرف ؟ "

" لا ، لماذا ؟ "

وقام إيان بعبور المطبخ وفتح الباب ذى الحاجب المنخلى وكان هناك ضوء يكفى لأن يتمكن من مشاهدة أعمدة خط الغسيل وشجيرات الإزالية الصحراوية والسور الآجر الذى يفصل الفناء الخلفى عن الزقاق.

وقال توماس " مُدرسّى المستر براث الذى يدرّس لنا مادة العلوم يقف عند السبورة ويقول لنا : [بحلول الوقت الذى انتهى فيه من تدريس هذا الدرس فإن الأجزاء الميكروسكوبية لفمى ستكون قد انتشرت فى جميع أرجاء هذه الحجرة] "

فقالت دافنى وأجاثا " أيـ يوى "

وفى داخل البوابة التى لم تكن قد أُغلقت منذ سنوات كانت توجد رقعة صغيرة للغاية من الظلام أكثر إظلامًا من أعمدة السور ، وتحركت هذه الرقعة وتلألأت فى وميض بطريقة ما ثم أطلقت عويلاً رفيعًا آخر . فقال إيان منادياً " أيتها القطة الصغيرة ؟ "

ثم خرج وأغلق الباب ذا الحاجب المنخلى وراءه ، نعم لقد كانت قطة بكل تأكيد ، وعندما اقترب منها تمايلت وتأرجحت وتهيأت لمغادرة المكان ولكنها أصرت أخيراً على الوقوف مكانها ، فانحنى لكى يربت على رأسها ، وشعر بجمجمة ضيقة تحت فراء ناعم للغاية حتى أنه لم يترك أى انطباع على أطراف أصابعه .

وتساءل إيان " أين صاحبك أيتها القطة الصغيرة ؟ " ولكنه اعتقد أنه كان يعرف الإجابة على ذلك السؤال ، إذ لم يكن يوجد أية بطاقة أو باقة وعندما جرى بيده على جسدها كان بمقدوره أن يعد الضلوع . وترنحت القطة الضعيفة تحت لمساته ثم استجمعت قواها وراحت تخرخر فى ضعف وعلى نحو خال من الخبرة مع الضغط بوجهها الصغير على راحة يده .

وتصادف أن آل بيدلو لم يكن لديهم أية حيوانات أليفة فى ذلك الوقت ، فهم لم يحضروا أية كلبة بديلة عن الكلبة بيتسى كما أن آخر قططهم قد اختفت منذ شهور قليلة ، ولذلك فإن هذه القطة الصغيرة الجديدة قد جاءت للناس الملائمين والذين يرغبون فى حيوانات أليفة ، وتركها إيان تمضى دقائق قليلة فى الاعتياد عليه وبعدئذ التقطها وحملها وعاد بها إلى داخل المنزل . فتشبثت بمخالبها الإبرية وهى تموج بالتوتر ولكنها كانت لا تزال تخرخر وفقًا لما يمليه عليها ضميرها الحى ، وقال للأطفال " انظروا وشاهدوا ما عثرت عليه فى الزقاق "

فصاحت دافنى وهى تنزلق عن كرسيها " اوه ! " وأضافت " أيمكن لى أن أمسكها يا إيان ؟ أيمكن لى أن أحتفظ بها ؟ "

فقال إيان لها وهو يناولها لها " إذا لم يطالب أحد بها "

وتحت الضوء أدرك أن القطة سوداء من الرأس إلى القدم ولم تتخط كثيراً نصف مرحلة النمو ، وكانت عيناها قد تغيرت إلى اللون الأخضر بالفعل ولكن وجهها كان لا يزال هو الوجه المثلث الشكل وغير

المستقر لقطة صغيرة ، وراح توماس يرفـع ذيلها المغزلي الشكل ليرى ما إذا ما كانت ذكرًا أم أنثى ولكن القطة اعترضت على ذلك وصعدت لمسافة أعلى على كتف دافنى فأطلقت دافنى صوتًا عاليًا حادًا "أوش ! " وأضافت " اتركها يا توماس ! أترى ما جعلتها تفعله ؟ "

وأعلن توماس " إنها أنثى على ما أعتقد "

" أتركها وشأنها يا توماس "

وقـالت أجـاثا "إنهـا ليس مملوكـة لك فـقط يا دافنى " وكـانت قـد نهضت أيضًا وراحت تهرش للقطة خلف إذنيها

وقـالت دافنى : إنهـا مملوكـة لى تمـامًا ! فـقـد قال إيان ذلك . أنتِ ملكى ملكى يا صغيرتى يا حبيبة قلبى " وهى تحك أنفها مع أنف القطة ، واضـافت " أوه ! ما نوعية ذلك الشـخص الوضيع المتوحش الذى تخلص منك ووضعك فى تلك الحفرة ثم انطلق بسيارته ؟ "

وعلى نحـو فـجـائى قـفـزت إلى ذهـن إيان صـورة لأجـاثا وتومـاس ودافنى وقـد احـتـشـدوا فـى حـفـرة عند جـانب الطريق وكـانوا ممسكين ببعضهم البعض وكانت عيونهم واسعة ومليئة بالخوف ، وعلى مسافة بعيدة وعلى نحو يكاد يكون خارج نطاق مرمى البصر كانت سيارة إيان آخذة فى الإختفاء عند منعطف .

ولكن عقب ذلك على الفور شعر بإحساس عميق بالفقدان مما جعل أنفاسه تحتبس هلعًا ورعبًا .

كانت والدته قد أصبحت الآن معاقة بالفعل ، وصحيح إنها كانت لا تزال تمشى فى عرج من غرفة لآخرى ومازالت تصر على أن تراقب الموقد فى انتباه والزحف خلف ممسحة الغبار .

ولكن إلتهاب المفاصل كان قد أعاق يديها فأصبحت غير قادرة على القيام بحركات الحياة اليومية ، فطى الملابس المغسولة وقيادة السيارة وغلق فستان دافنى بالأزرار من الخلف - كل هذا قد ترك لإيان ووالده ، ووالد إيان لم يكن من النوع الذى يقدم الكثير من العون والمساعدة ، فكل عمل يبدأ فيه كان ينتهى بـ " يا للشيطان ...... ؟ " ثم يضيف : "يا إيان أيمكن لك أن تجيء إلى هنا لمدة دقيقة ؟ " فى الأيام السالفة كانت كلوديا تجيء مرة أو مرتين أسبوعيًا لكى تنجز الأشياء التى تتطلب الإنجاز ولكنها انتقلت إلى بيسبرج عندما عثر ماسى على وظيفة أفضل وفى بادئ الأمر كانوا يرجعون فى الإجازات ولكنهم الآن لم يعودوا يفعلون ذلك كثيراً .

وفى نفس الوقت كان الأمر يتطلب الإشراف الكامل وطوال الوقت على هؤلاء الأطفال ، لقد كانوا أطفالاً ممتازين وأذكياء وكانوا متفوقين فى الدراسة بالمدرسة ولم يدخلوا أبداً فى أى متاعب ولكن إيان كان يدرك أن المتاعب حتى ولم تكن خطيرة يمكن أن تستهلك قدراً كبيراً من الطاقة ، فأجاثا على سبيل المثال كانت تعانى من كل أنواع البؤس التى تتعلّق بفترة المراهقة ، ففى كل صباح كانت تنطلق ذاهبة إلى المدرسة بمفردها وبدون أن يرافقها أصدقاء - فهى فتاة جادة وشاحبة ومجتهدة فى الدراسة ومن النوع الذى كان إيان يتجاهله عندما كان فى نفس

عمرها ولكنه الآن كان يلعن أؤلئك الأولاد قليلى الخبرة بالحياة الذين هم بالمرحلة الثانوية والذين لم يستطيعوا أن يدركوا كم كانت هى إنسانة ممتازة وذكية وبارعة ومتسمة بالتبصّر ، وعلى العكس من ذلك كان لتوماس أصدقاء كثيرون للغاية ، وكان توماس فارع الطول ورشيقًا وكان صوته قد أصبح أجشّ بالفعل كما أن ظلاً بدأ يظلم ويسود شفته العليا وكان مهتمًا بالروابط والعلاقات الإجتماعية على نحو يفوق اهتمامه بالداسة . ودائمًا ما كان أحد أفراد أسرة بيدلو يضطر لأن يحضر اجتماعات الآباء / المدرسين المشتركة ، وفى معظم الأحيان كان إيان هو الذى يحضر هذه الاجتماعات على ما يبدو .

أما بالنسبة لدافنى فإنها كانت تشق طريقها فى الحياة وهى تتألق أمام كل شخص وتنزل رموشها السوداء الطويلة على عينيها الزرقاء / السوداء المذهلتين فى إبهار ، ولكن إذا قام شخص بمعاكستها فإنها تنزل عليه وابلاً من الجحيم ، تلك الفتاة دافنى كانت دائمًا " متوحشة " وكان إيان دائمًا ما يوضح الأمور إذ قال لمدرس أعتقد أنها شهدت فترة طفولة صعبة ، وأنا أعتقد أنها فى حقيقة الأمر فتاة طيبة ، وكل ما هنالك إنها تشعر بأنه ينبغى عليها أن تصون نفسها وتدافع عن نفسها كما قام بتوضيح ذلك لمدرس آخر بل وأشار إلى ذلك فى اجتماع للآباء / المدرسين .

كانت سيسلى تعيش فى كاليفورنيا مع عازف شعبى على الجيتار ، كما أن عائلة بيج بنصون قد انتقلت للعيش فى مكان آخر عندما كان ملتحقًا بالجيش . والتحق أندرو بقسم الدراسات العليا فى طولان ،

وعلى كل حال ففى المرة الأخيرة التى عاد فيها أندرو إلى منزله اتضح أنه هو وإيان لم يعد لديهما موضوعات كثيرة مشتركة يتحدثان بشأنها ، ففى موضع ما تحدث أندرو عن "حركة المرور الرهيبة فى أيام الأجازات" وبعدئذ احمر وجهه فى توتر وقال " آسف " ولذلك أدرك إيان أنه قد سمع عن كنيسة الفرصة الثانية من شخص ما ، وبعدئذ كان على إيان أن يصطحب دافنى إلى النادى فأدى ذلك إلى تجمد العلاقة بينهما ، حيث لم يقترح أندرو أن يتقابلا مرة أخرى .

أعزب . يا لها من كلمة مثيرة للكآبة وخيبة الآمال ، يمكن له أن يعيش فى شقة بمفرده [شقة أعزب] ، وعندئذ سيكون له أصدقاء من نفس عمره يجيئون إلى شقته لزيارته ، وتخرج معه نساء شابات ، ولا أحد يتخلف عن الآخرين فى السير لكى يتساءل " ولكن ماذا عنا ؟ ومن الذى سيعتنى بنا ، ومن الذى سيعثر لنا على جواربنا نيابة عنا ويساعدنا فى تاريخ مشروعنا ؟ "

* * *

وفى العمل كان يضع اللمسات الأخيرة على مكتب ، إذ كان يحك فى المكتب مستخدما زيت اللينسيد بينما كان بيرت وهو أحد الرجال الجدد يعمل فى إنجاز منضدة للكتابة ذات أدراج وسطح مائل عبر الغرفة .

وشكر الله فقد انتهت الأيام التى كانوا يقومون فيها بتصنيع المطابخ الخشبية والآن أصبح أزواج أغنياء من سكان بولتون هيل

يجيؤون إلى ورشة المستر برانت لكى يكلفوه بتصنيع أثاث وحيد من نوعه : خزائن كتب مصنوعة بناء على طلب الزبون تتوافق مع الأسقف العالية ومقاعد خشبية طويلة هزازة ، وكان كل شىء يتم تصنيعه وفق الطراز العتيق ... مع لُسَيِّنات وتعشيقات خشبية ووصلات تراكيب وبدون استخدام مسامير أو أصباغ أو تشطيبات من البلاستيك ، وكان يتم تنفيذ أوامر الشغل بعد سنة أو أكثر بل وكان عليهم استئجار ثلاثة من العمال الجدد .

وقد تظن أن هذا من شأنه أن يدخل المتعة والسرور على المستر برانت ولكنه ظل مكتئباً مثلما كان عليه الحال دائماً ، أو أكان السبب فى ذلك يرجع فقط إلى الصمم الذى يعانى منه ؟ لا ، لأنه فى كل مرة كانت زوجته – وهى امرأة أصغر منه كثيراً فى السن وصماء منذ مولدها وذلك بعكس حالة المستر برانت – تذهب فيها لزيارته بالورشة كانت تصدر إشارة إليه بأصابع مرفرفة بينما وجهها يشرق ويكفهر بما يتماشى مع ما تقوله من كلام وكان بمقدور إيان أن يدرك أنها تعيش حياة كاملة ومليئة بالثرثرة مثل حياة أى شخص آخر يتمتع بحاسة السمع سليمة ، كان المستر برانت يرقبها دون أن يغير التعبيرات الموجودة على وجهه وبعدئذ قد يصدر بعض إشارته القليلة المُتبلِّدة غير البارعة ، وساءل إيان نفسه فى تعجب : تُرى كيف كانا يغازلان بعضهما البعض ، وما الذى كان يقوله المستر برانت لكى يكسب ودّ امرأة كهذه ؟ وعندما كانت المسز برانت ترقب يديه كانت عيناها تتهمكان فى تركيز شديد ويتخلى عنها كل نشاطها وحيوتها ، وكان لدى إيان إحساس بأن زوجها كان يكبح جماح حماسها على نحو ما ولكن ربما ذلك لم يكن صحيحاً .

وكانت ابنة أخت المسز برانت من بين المستخدمين الجدد ، وهى فتاة متوردة ومشرقة وناهدة الثديين وتسمى جينى وكانت قد تركت الدراسة بالكلية من أجل أن تفعل شيئًا متسمًا بالمزيد من الواقعية . [كانوا يشاهدون الكثير من هذه الحالات فى هذه الأيام] ، وقالت جينى أن المسز برانت إنسانة عابثة ومستهترة من الناحية الاجتماعية وبصفة منتظمة ، وقالت إن المسز برانت لديها العشرات من الأصدقاء الذين ذهبوا إلى الجالوديت Gallaude معها والذين كانوا يجلسون من حولها فى مطبخها ويتحدثون بسرعة ميل فى الدقيقة ويستخدمون لغة الإشارة الخاصة بهم علاوة على استخدام النكات الجنسية السرية والكلمات البذيئة القذرة ، وكان زوجها يصل إلى المنزل متأخراً ، وكان يترك بمفرده لكى يعانى من الذل والهوان ، وهذا زاد من إعجاب إيان بهذا الرجل . وكان قد فقد الأمل منذ فترة طويلة فى أن يعقد معه أواصر الصداقة أو يشاهد أية لمحة من العاطفة فى ذلك الوجه الوسيم الجلدى . ولكنه شعر الآن بالأسف لأنه تخلى عنه بهذه السهولة الكبيرة ، وقال لجينى " من المؤكد أنه يعانى للغاية من الشعور بالوحدة القاسية لأنه يشاهد زوجته وهى تستمتع بحياتها مع أصدقائها " .

فقالت جينى " أوه ، إنه لا يهتم كثيراً بتصرفاتها " وأضافت " فهو يكتفى بالسير فى حديقته ضارباً الأرض بقدميه ، ولا أحد منا يعرف السبب الذى جعلها تتزوجه ، وربما كان الجنس هو السبب ، وأنا أعتقد أنه مثير للغريزة الجنسية على نحو ما ، ألا تعتقد فى ذلك ؟ "

وكثيراً ما كانت جينى تتكلم على ذلك النحو . مما كان يجعل إيان يشعر بالضيق وعدم الراحة ، وفى مرات عديدة اقترحت على إيان أن

يخرجا سوياً فى مساء يوم ما ، وعلى الرغم من أنه كان يدرك أنها جذابة للغاية بشعرها المنساب فى تدفق وبلوزاتها القروية المتواثبة كان دائماً ما يختلق عذراً ليقوله لها .

وفى فترة ما بعد الظهر هذه كانت تساعد بيرت فى إنجاز العمل فى منضدة الكتابة . [لم تكن قد وصلت بعد إلى البراعة التى تكفى لتكليفها بالعمل فى قطعة من الأثاث بمفردها] ، كانت مهمتها هى تركيب أكرات الدرج - أسطوانات من خشب الزان البسيط تماماً - ولكنها ظلت تحرص على ترك الأكرات لكى تقترب من إيان وتتحدث معه و تحدثت عن المكتب قائلة " إنه جميل " ثم أضافت على الفور " أتحب المناظر الطبيعية الخلابة يا إيان ؟ "

" المناظر الطبيعية ؟ بالطبع "

" أنا وبعض الأصدقاء سنأخذ معنا طعام الغذاء ونذهب فى رحلة خلوية إلى لوش رافين فى يوم الأحد القادم ، أتريد أن تجىء معنا ؟ "

فقال إيان لها " حسناً إننى ملتزم بالذهاب إلى الكنيسة فى أيام الأحد "

فقالت " الكنيسة " ودارت إلى الوراء على حذائها ذى الكعب المنخفض للغاية ، ثم قالت " وماذا عن الفترة ما بعد الكنيسة . فنحن لن نذهب إلا بعد الساعة الواحدة ظهراً أو نحو ذلك "

فقال إيان " أوه ، أوه يوجد أيضاً ابن وابنتا أخى ، إذ ينبغى أن أشرف عليهم فى أجازات نهاية الأسبوع "

" ولماذا لا يشرف عليهم أبوهم و أمهم ؟ "

" لقد انتقل أبوهم وأمهم إلى رحمة الله "

فقالت مع التوافق مرة أخرى على الفور " إذن يقوم جداهما بهذه المهمة "

" أمى مصابة بمرض التهاب المفاصل ووالدى مرتبط بأمور أخرى"

" أو الجدان الآخران ! أو العمات الأخريات والأعمام الآخرين ! أو جلساء الأطفال ! أو ألا يمكن للأطفال الأكبر سنًا أن يشرفوا على الأطفال الأصغر سنًا ؟ أو ربما يمكن لك أن تستدعى أمهات بعض أصدقائهم وترى ما إذا كان .... "

فقال إيان " الأمور تتسم بالتعقيد والتشويش "

وكان مذهولاً من عدد الاختيارات التى يمكن طرحها من غير إعطاء مهلة كافية لأخذ الحيطة والاستعداد . وأضاف قائلاً لها " أظن إنه من الأفضل لى أن أقول : لا "

فقالت " يا إلهى " وأضافت " يا لها من ورطة معوقة ، حتى السجناء المربوطين مع بعضهم البعض فى سلسلة واحدة يحصلون على أجازة فى أيام الأحد "

وبعدئذ نادى المستر برانت قائلاً " جينى ! "

وارتفع بهامته فوق المكتب وراح يحملق فى اتجاههما ، فقالت "أوب س !! إننى بصدد الذهاب"

ثم انصرفت على وجه السرعة . إنها فتاة غير محتشمة ومثيرة للشهية وتلاحظ لإيان كيف كان شعرها الطويل يتأرجح على مقعدة بنطلونها الجينز المعبأة فى اكتناز شديد

لقد عُوّض الأطفال عن فقد والديهم بالطبع .

وهم قد تجاوزوا المرحلة التى يحتاجون فيها لجلساء الأطفال ، ولكنه بدأ على نحو ما يؤمن ببرائته وبأنه كان موجوداً فى مكان آخر أثناء وقوع الجريمة . وبينما كان يراقبها قال لنفسه فى تفكير : هذا صحيح ! حتى السجناء المربوطين مع بعضهم البعض فى سلسلة واحدة يحصلون على أجازة فى أيام الأحد ، حيث يسمح لهم بالانفراد بأنفسهم لبعض الوقت .

حسنًا . لا أحد قال أن هذا سيكون أمرًا سهلاً .

ولكن لماذا لم يشعر بأنه قد غُفر له ؟ لماذا لم يشعر بعد كل هذه السنوات من التوبة أن الله قد غفر له ؟

* * *

واستقرت القطة السوداء الصغيرة على الفور ، كانت مؤدبة للغاية ونظيفة ولها رائحة تشبه الغزل الصوفى الجديد ، وكانت تتسامح مع أى قدر من المزاح والتدليل . وأطلقت دافنى عليها اسم : هانيبانش ، أما توماس فقد سماها : اليكساندرا ، وفى كل مرة ينادى فيها أحد عليها ينادى عليها الآخر بصوت أعلى . " تعالى إلى هنا يا هانيبانش " "لا ، ألكساندرا ! تعالى يا الكساندرا أنت تعرفين من تحبينه أكثر" ،

وحرصت أجاثا على البقاء بعيداً عن هذا الصراع بين توماس ودافنى ، وكانت طوال فترة أجازة نهاية الأسبوع تلك تمر بحالة من الحيرة والقلق ، وكانت شاردة الذهن لأن زميلة لها بالصف بالمدرسة أقامت حفلة بدون أن توجه إليها الدعوة . ولقد عرف إيان هذا السبب لأن توماس أعلن عن ذلك فى قسوة أثناء تناول العشاء فى يوم السبت ، إذ كانت أجاثا قد قالت لتوماس إنه يشبه الخنزير لأنه يمضغ الطعام مع فتح فمه ، فرد عليها توماس قائلاً "حسنًا . إننى على الأقل لا أضطر لشراء ملابسى من محلات شوبيت ، وعلى الأقل لست ممتلئًا للغاية مما يجعل الآنسة بيركينز لا توجه الدعوة لى لحضور حفلتها الوخيمة المليئة بالنعاس!" وعندئذ ألقت أجاثا بورقة السُّفرة الخاصة بها على الأرض واندفعت تاركة المنضدة ، فقالت دافنى فى نغمة مليئة بالرضا والارتياح " أنت إنسان حقير ووضيع يا توماس "

" لست كذلك "

" أنت كذلك "

" هى التى بدأت بالهجوم علىّ "

" هى لم تبدأ "

" هى التى بدأت "

فقال إيان " توقفا عن ذلك الكلام ، ويمكن لكل منكما الانصراف من هذا المكان "

فقالت دافنى " ولماذا ينبغى علىَّ الذهاب بينما هو الشخص الذى ...... " .

" لقد قلت إنه يمكن لكما الانصراف من هذا المكان " فنهضا وهما يدمدمان فى تذمر بصوت هامس وذهبا إلى غرفة المعيشة .

وعلى كل حال كان العشاء قد قارب على الانتهاء ، وكان والد إيان قد دفع بالفعل طبقه بعيداً ومال بجسده للوراء فى كرسيه ، بينما كانت والدته تلهو وتعبث مع طبق الحلو الخاص بها ، ولم تكن قد أخذت قضمة فى خلال الدقائق الخمسة الأخيرة ، إذ كانت غارقة فى إحدى قصصها البطولية التفصيلية المنزلية ، وبدا عليها أنها لن تتناول أبداً نصف الخوخة المعلبة المتبقية فى طَبَقها .

وقالت " لذلك ذهبت إلى البدروم ، ورحت أنظر إلى كل هذه المياه المليئة بذلك الشىء الذى لا يمكن أن يذكر اسمه ، وقام الرجل بجذب أنبوبة لها زمام منزلق من ماكينة وزاوجها مع .... "

وبدأ إيان يفكر فى النكات والرسومات الهزلية ، وكان يدرك أنه من الأمور الطفولية أن يفكر فى هذه الفكاهيات إلاّ أنها كانت بالفعل من الأمور التى يستمتع بها فى نهاية كل يوم حيث كان يحرص على قراءة باب " القروى الساذج " فى مجلة الايفننج صَنْ ، وكان ذلك نوعًا من الترويح عن النفس ، فعالم الفكاهة هو عالم ملىء بروح الصداقة ويكون فيه كل شخص متسماً بالجاذبية والطرافة والجدية والتفكير ولكنه بعد أن أنهى عمله فى ورشة النجارة وانتهى من رحلة شراء مواد البقالة الأسبوعية وشراء أحذية الرياضة الجديدة للأطفال لم تتح له فرصة

لإلقــاء نظرة على المجلة بعـد ، والآن كـان بمقـدوره سـمـا ع الآخـرين يتعاملون فى خشونة فى غرفة المعيشة ، وبحلول الوقت الذى أمسك فيه بالمجلة كانت صفحاتها قد أصبحت مكرمشة وغير مرتبة .

وكانت أمه تقول " ووصل إجمالى الفاتورة إلى ستين دولاراً ، وأنا أعتقد أن ذلك رخيص فى ضوء الأشياء التى كان على الرجل أن يتعامل معها . وبعد أن انتهى من العمل جعلنى أنظر إلى البالوعة الموجودة فى الأرضية ، بالوعة أرضية ضخمة مظلمة ومليئة بأصداء الصوت ، وقال لى [أتسمعين ذلك ؟] فقلتُ [أسمع ماذا؟] فقال [على طول الخط يقوم جيرانكم بشد السيفون بالمراحيض الخاصة بهم ، السيفون الأول هنا وبعدئذ يوجد سيفون بعيد .... بعيد هنالك وكافة المراحيض مرتبطة من خلال هذه الشبكة من الأنابيب] فقالتُ [حسنًا . هذا شىء جميل . ولكن إذا أُتيحت لى الفرصة لتحقيق رغبتى فإننى أعتقد أن بمقدورى أن أظل حيّة بدون الاستماع . شكراً جزيلاً] " .

وفى غرفة المعيشة تصاعدت أصوات الشجار وراحت تعلو فوق بعضها البعض ، وترامى إلى أذن إيان صوت تمزيق أوراق ، وكان متأكداً من أنهم يقومون بتمزيق صفحات " القروى الساذج " وتنهّد .

وعلى نحو فجائى راح يفكرّ : لقد وصل عمره إلى ٣٦ عامًا ومع ذلك فهو مازال يعيش مع والديه ويقدم الرعاية لأطفال شخص ما آخر وما زال يهتم بالمجلات المسائية الفكاهية ، وقال لنفسه : سبحان الله ! ما هذا الذى حدث هنا ، وما هذا الذى حلّ بى ؟ وما هذا الذى حدث لى ؟ ولماذا بحق السماء وصلت الأمور إلى هذه الحالة ؟

* * *

وقالت أجاثا فى صباح يوم الأحد : " أذكر لى سبب وجيه يدعونى إلى ضرورة الذهاب للكنيسة " ، وأضافت : " فذهابى إلى الكنيسة يُعتبر نوعًا من النفاق ، لأننى لست مؤمنة "

فقال إيان لها " يمكن لك الذهاب إلى كنيسة جدتك وجدك إذا كنت تفضلين ذلك "

" استمع إلىّ جيّداً يا إيان ، لسوف أقول لك هذه الحقيقة مرة واحدة : وهى إننى لستُ مؤمنة .

فقام بلفّ شريط من المطاط حول تسريحة شعر دافنى الشبيهة بذيل الحصان ، ثم قال " ما رأيك فى أن تواظبى على الذهاب إلى الكنيسة إلى أن تبلغى سن الثمانية عشر ، وبعدئذ تتوقفى عن الذهاب ، وبتلك الطريقة فأننى لن أشعر بعقدة الذنب التى ترتكز على أنك لم تحصلى على الأساس السليم فى التربية "

فقالت أجاثا " لستَ بحاجة لأن تشعر بالذنب ابتداء من الآن " وأضافت " فأنا أغفر لك يا إيان " .

فتراجع قليلاً إلى الوراء وقال فى داخل ذهنه : تغفر ؟

وقالت دافنى على سبيل الاقتراح " ربما يمكن لها الذهاب إلى كنيسة مارى ماك كوين Mary Mc queen فقالت أجاثا " كنيسة مارى ملكتنا Mary our queen هى كنيسة من أجل الكاثوليك . أيتها الغبية "

" يا أجاثا لا توصفيها بالغباء ، هيا بنا نتحرك بسرعة ، فتوماس موجود بالفعل فى الدور الأول "

ونزلوا إلى غرفة المعيشة بينما كانت دافنى تخشخش فى المارى جينز الجلدى الذى تحب ارتداءه لدى ذهابها للكنيسة وراح إيان يفكر : إنه صوت صباح يوم الأحد ، ثم قال لوالديه " نحن ذاهبون الآن "

فقالت أمه " أوه ، وهو كذلك يا عزيزى ، وكانت هى ووالده منهمكين فى قراءة الجريدة وهما جالسان على الأريكة .

وقالت أجاثا وهى تدع الباب الرئيسى الأمامى ينغلق فى عنف خلفها " خذ مثلاً ذلك الذى حدث مع شجرة التين والذى يتلخص فى أن السيد المسيح صبّ لعناته على شجرة التين "

" أين توماس ؟ "

فقال توماس وهو جالس على أرجوحة المدخل المسقوف الأمامى " أنا موجود هنا .

" هيا بنا "

وقالت أجاثا " السيد المسيح يعلن أنه يريد الحصول على التين ، وبالطبع لم يكن الوقت هو موسم التين ، ثم يذهب إلى شجرة التين هذه . ولكن كل ما يجده هو الأوراق بالطبع ، فما الذى يفعله ؟ لقد صب اللعنة على شجرة التين المسكينة "

فقالت دافنى وهى تتنفث الهواء " لا " ، كان من الواضح أنها لم يسمع عن هذه القصة من قبل على الإطلاق .

" وبعد ذلك نجد أن هذه الشجرة قد ذبلت وماتت "

" لا "

وكان إيان يدرك أن أجاثا كانت تمر فقط بمرحلة ولكنه مع ذلك شعر بالقلق بعض الشيء ، وكان على مدى السنوات قد بدأ ينظر إلى السيد المسيح نظرة شخصية للغاية ، إذ كان بمقدور البورتريه العاطفي والمبتذل للغاية لمدرسة الصنداي إرسال ومضة من المشاعر في داخل كيانه كما لو كان السيد المسيح .... أحد أولئك الأولاد الأكبر سنا الذي إعتاد أن يعجب به عندما كان ولداً صغيراً ، كما لو أن السيد المسيح كان شخصاً يثير إعجابه مما كان يجعله يحرص على مراقبته من على مسافة وبحيث بدأ يتعرف عليه ويحبه حتى بدون أن يجرؤ على الدخول معه في محادثة .

وأيضاً كانت أجاثا تبذر بذور الشك في كل من توماس ودافني .

إذ كانت تسأل دافني " ألا يبدو هذا أمراً غير معقول ؟ وإذا تصرفنا نحن على ذلك النحو يتم إرسالنا إلى حجراتنا لكي ننعم النظر ونفكر في الأمر ملياً "

فقال إيان " يا أجاثا ، هناك أشياء كثيرة في الإنجيل يتعذر علينا فهمها لأنها بكل بساطة تندّ عن فهمنا "

فقالت أجاثا " ربما تندّ عن فهمك أنت " ثم وجهت كلامها لدافني "أو سفينة نوح : كيف يحدث ذلك ؟ الله يقتل جميع الخاطئين والأشرار والأوغاد والآثمين في عاصفة ممطرة هائلة للغاية ، وهو يبتهج لذلك ويقول [جوتشا Gotcha] بينما كان ينبغي أن يبعث أولاً بعينة من الأمطار على سبيل الاختبار وذلك حتى يمكن للناس أن يصلحوا أنفسهم ويعدلوا أسلوبهم في الحياة"

وراح إيان يفكـر : تُرى كـيف يبـدو منظرهم من الخـارج أمـام الناس : أسرة صغيرة ومرتدية ملابس نظيفة ومكوية ويسير أعضاؤها سويًا إلى الكنيسة وهم منخرطون فى مناقشة أمور تتعلق باللاهوت ، هذا شيء عظيم .

من الخارج

" أو سيدنا إبراهيم . أو سيدنا إسحاق ، وذلك الموضوع يسبب لى حقا الوخز والآلام . الله يطلب من إبراهيم أن يقتل ابنه الخاص به فيقول إبراهيم [أوكى سمعًا وطاعة] ، أيمكن لك أن تصدق ذلك ؟ وبعدئذ وفى آخر دقيقة يقول الله [هذا مجرد اختبار . ها ها ها] وأنا أود أن أعرف أيها الولد ماذا دار فى ذهن إسحق ، إنه طوال الفترات المتبقية من حياته وفى كل مرة ينظر فيها والده إليه فى تمعن فإن إسحاق سوف يعتقد .... "

فقال إيان " يا أجاثا ، من السلوك الرديئ للغاية أن ننتقد دين أناس آخرين "

فقالت له أجاثا " ومن الأخلاق الرديئة للغاية أيضًا أن تقحم الدين الخاص بك على أناس آخرين " وأضافت " سحقًا فهذا شيء غير دستورى بالمرة . إن تجعلنى أذهب إلى الكنيسة بينما أنا لا أرغب فى ذلك "

فقال إيان " حسنًا ، أنت على حق "

" هـ و و ه ؟ "

" أنت على حق . ما كان ينبغى على أن أفعل ذلك "

وكانوا قد توقفوا عن السير تمامًا فى تلك الآونة ،وراحت أجاثا تحملق في وجهه ، ثم قالت " إذن . هل يمكن لى أن أنصرف الآن ؟ "

" يمكن لك أن تنصرفى "

فوقف هنالك للحظات طويلة ، وراح الآخران يرقبان الموقف فى اهتمام ، ثم قالت أخيراً " أوكى " وأضافت " إلى اللقاء "

" إلى اللقاء "

واستدارت وشرعت في السير نحو المنزل

ولكن بدون تواجدها بدا الجو هادئًا للغاية ، وافتقد نغمة صوتها المليئة بالعناد وتلك الخدعة التى تلجأ إليها حيث تغير صوتها لكى تقتبس من تعليقات كل شخص مهما كانت تلك التعليقات خيالية .

* * *

وراح إميت الموقر يقرأ من سفر الخروج : " أنا الرب إلهكم ، أنا الرب الغيور "

فكاد إيان أن يسمع أجاثا وهى تقول : " فى كل مرة نتصرَّف فيها فى حقد وغيرة ينفجر الناس فى موجة من الغضب " فأبعد هذه الفكرة عن ذهنه ، وانحنى لأسفل فى مقعده ، وأسند جبينه على إصبعين من أصابعه ، وإلى جواره قامت دافنى بتمزيق جزء صغير من صفحة بكتيب ترانيمها ووضعته على لسانها ، وكان توماس جالسًا خلفها مع كينى لارسون وعائلته ، وكانت هناك ذبابة تزحف فى بطء على الكاونتر الأمامى .

وطلب إميت الموقر التَّرنم بأنشودة " العهْد المُقدَّس " فنهض الحاضرون لكى يتغنوا وقد تلاصقت أكتافهم وكان كل شخص هنا مألوفًا أو شبه لإيان مألوف على الأقل [كان إيلى إيفرصون وزوجته جالسين مع الأخت بيرتا وكانت المسز جوردان قد أحضرت ابن عمها] وراحوا يتغنون وينشدون " هذه هى قصتى .... هذه هى أغنيتى " ولفّ إيان ذراعه حول دافنى فأوت إلى أحضانه وهى تغنى وكان صوتها مبحوحًا على نحو غير لائق بالنسبة لبنت صغيرة فى السن مثلها . .

وكانت الخطبة تدور عن قانون السكر ، ففى الآونة الأخيرة كانت لجنة قد أجرت اتصالات مع إميت الموقر واقترحت عليه إلغاء قانون السكر . وأشاروا إلى أنه قانون معقد للغاية ، وقالوا إنهم من الناحية الواقعية كانوا يأكلون السكر فى كل يوم من أيام حياتهم بطريقة ما أو بأخرى . وحتى زبدة الفول السودانى تحتوى على السكر إذا قمت بشرائها من السوبر ماركت ، وكان إميت الموقر قد قال لهم أنه سيدرس هذه المسألة ويقدم تقريراً عن النتائج التى توصّل إليها ، وما قاله هذا الصباح – وهو يمشى فى بطء خلف الكاونتر ويمر بأصابعه الطويلة على شعر مقدم رأسه – هو أن قانون السكر "يُفترض" فيه أنه قانون معقد ، وأشار إلى أن " السكر شأنه شأن الإثم يزحف فى الشقوق ، فأنت تقول لنفسك أنك لم تكن تدرك وأنك كنت خاضعًا للظروف وأنك نسيت أن تقرأ قائمة بالمقومات والعناصر وأن السكر على كل حال موجود فى كل مكان وبالتالى يتعذر تفادى السكر ، أليس هذا أمراً هامًا ؟ ولن تلعنوا للأبد إذا حصلتم على قدر ضئيل للغاية من السكر . فلا أحد يقول ذلك ،

فالسكر ليس سوى إلهاءً وليس خطيئة . ولكنى مع ذلك أشعر أنه من المهم للغاية أن نبقى على قانون السكر وذلك من أجل المبدأ الذى نؤيده ألا وهو الحذر واليقظة الأبدية . "

وراح الأطفال الحاضرون يتبادلون تكشيرات ونظرات مليئة بخيبة الأمل ، ولكن إيان لم يهتم كثيراً بذلك ، فقانون السكر هو شيء مزعج بعض الشيء على الأكثر ، وكذلك الحال بالنسبة لقانون القهوة و بالنسبة لقانون الكحوليات ، أما القانون الصعب فهو قانون الجنس لغير المتزوجين وكانت سيسلى قد تساءلت " كيف يمكن لشيء ما أن يكون صواباً فى يوم ما وخطأً فى اليوم التالى ؟ وأضافت : " وما تم عمله قد تم إنجازه ولا يمكن له أن يكون غير منجز أليس هذا صحيحاً ؟ "

فقال لها " لو اعتقدتُ فى ذلك فإننى لن أكون قادراً على الاستمرار فى الحياة " . ثم قال لها إنه يريد أن يتزوجها .

فصاحت سيسلى " نتزوج ! نتزوج ونحن فى هذا السن الذى نمر به الآن ! إننى لم أشهد العالم بعد ! ولم أحصل حتى الآن على أى قدر من المرح والتسلية "

وغطى عينيه بيده .

فى أحلام اليقظة الخاصة به أدى صلواته بسرعة ذات صباح ثم وجد فتاة جميلة محببة للنفس ولها شعر ذهبى جالسة فى الصف أمامه تماماً ، وكان انتباهها متركزاً للغاية على الخطبة حتى أنها لم تنظر فى اتجاهه ، وكانت قد نشأت وترعرعت تحت ظل دين يشبه تماماً هذا

الدين وكانت مؤمنة بكل قلبها ، وبعد انتهاء مراسم منح البركة قام إيان بتعريف نفسه ، فبدأ عليها الخجل والغبطة ، ومارسا أفضل أنواع المغازلة السليمة ولكنه لم يستطيع أن يعرف ما إذا كانت قد شعرت بنفس الأحاسيس التى شعر بها ، يمكن لهما أن يتزوجا فى كنيسة الفرصة الثانية تحت إشراف إميت الموقر ، وهى ستحب الأطفال الثلاثة كثيراً كما لو كانوا أطفالها وتظل بعدذلك للأبد بالمنزل لكى تقدم الرعاية لهم ، وفى داخل ذهنه أطلق عليها إيان اسم : عذراء الكنيسة ، وهو لم يدخل أبداً هذا المبنى بدون أن يلقى نظرة على الصفوف بحثاً عن "عذراء الكنيسة" .

وبعد انتهاء الخطبة جاء " إصلاح الذات " فتساءل إميت الموقر " أيريد شخص ما أن ينهض واقفاً ؟ " ولكن الوقوف كان من أجل الخطايا الخطيرة حيث ينهض الشخص المرتكب للخطيئة ويعترف أمام جميع المصلين بالخطيئة التى ارتكبها وتتم مناقشة علنية لكافة الوسائل الممكنة للتكفير عن الخطيئة ، وكان من الواضح أن أحداً من الحاضرين لم يرتكب خطيئة كبرى خلال هذا الأسبوع المنصرم فقال إميت الموقر فى ابتسام " حسناً ، إذن ، لسوف نصلح أنفسنا فى السر " فأحنوا رووسهم وراحوا يهمسون بأخطائهم لأنفسهم ، وترامى إلى سمع إيان نُتفاً مثل " كذبتُ على زوجى " ، " قمت بصفع ابنتى " و " احتسيت البيرة مع رئيسى فى العمل " وقالت دافنى " فى يوم الخميس قمت بسرقة صديرية الثديين الجديدة الخاصة بأختى وارتديتها فى درس الألعاب الرياضية " مما جعل إيان يشعر بالانزعاج ولكن ما كان ينبغى

عليه أن يصغى بالطبع ، وحوَّل وجهه بعيداً عنها وقال هامساً " لقد كنت فظًّا غليظ القلب مع الأطفال فى ثلاث مرات مختلفات ، أربعة مرات ، كما أننى قلت للمستر برانت إننى مريض بالانفلونزا بينما إننى فى حقيقة الأمر كنت أرغب فى الحصول على يوم أجازة »

وعلى العكس من الملل والطوائف الدينية الأخرى التى كان يعرفها إيان فإن هذه الملة لم تكن تقف ضد المرء إذا أخطأ فى داخل أفكاره بمعنى إذا فكر فى ارتكاب الخطيئة ولكنه لم يرتكبها ، إذ قال إميت الموقر أن التفكير فى فكرة خاطئة مع عدم العمل على تنفيذها هو من قبيل ممارسة الصلاح والاستقامة بل ويتسم بنفس القدر من الصلاح المتعلق بعدم التفكير فى تلك الفكرة فى بادئ الأمر ، ومن المؤكد أن الناس قد اقتبسوا بطريق الخطأ عن السيد المسيح فيما يتعلق بذلك العمل الخاص بارتكاب الزنا فى داخل قلبك ، ولذلك ترك إيان الأمور التى كانت تتعبه للغاية بدون أن ينطق بها : —

لقد ظللت أكفر وأكفر عن ذنوبى ، وفى بعض الأحيان فى الآونة الأخيرة تضايقت كثيراً لآن الله يستغرق وقتًا طويلاً للغاية لكى يغفر لى ، فى بعض الأحيان أشعر أننى أتحدث فى تليفون معطل وأشعر أن كلماتى ترتطم على حائط مصمت. لا شئ يجئ ليبين أننى قد سُمعت .

وقال إميت الموقر "يا إلهى . دع الخطيئة تختفى الآن من أرواحنا ، باسم السيد المسيح ، آمين" .

بدا عليه أنه متألق فى إشراق ، ومهما كانت الأمور التى كانت ثقيلة الوطأة على روحه [لأن شفتيه كانتا تتحركان فى صمت مع شفاه الآخرين] فإنها رُفعت عن كاهله بشكل واضح .

وقاموا بالتغنى بأنشودة " ساعة الصلاة الحلوة " فى نغمة أعجبت إيان من حيث هى متأنية ومفعمة بالندم ، ثم قام إميت الموقر يمنح البركة ، وبعدئذ أصبحت لهم مطلق الحرية فى الانصراف ، فانطلقت دافنى لكى تنضمّ إلى صديق ، وشق إيان طريقه بين تحيات الأعضاء الآخرين ، ورد على استفسارات عديدة عن التهاب المفاصل الذى تعانى منه والدته . ورفض فى أدب عرض المسز جورادان لكى توصله بسياراتها إلى منزله [لأنها كانت تقود السيارات مثل إنسانة مجنونة] ، وبالقرب من الباب كان إلى إيفيرجون يقف فى ارتباك وقد ارتدى بدلة زرقاء رائعة بينما كانت زوجته تتكلم مع الأخت ميرا ، وقال إيان "صباح الخير يا أخ إيلى " وبدأ فى التحرك لكى يمرإلى جواره ويتخطاه ولكن إيلى الذى كان بكل تأكيد يشعر بأنه قد تُرك وحيداً ، تهلل وجهه فى اشراق وقال " مرحباً بك مرحباً "

فتساءل إيان " هل استمتعت بأداء الصلاة ؟ " فقال إيلى " أوه . أنا متأكد من أن راعى كنيستكم يضمر المشاعر الودية للجميع ، ولكن تحريم السكر الأبيض العادى ثم السماح لشبابكم الصغار بالاستماع لموسيقى الروك أندرول بعد ذلك أنه بذلك من وجهة نظرى قد خلط ما بين الأولويات . كما إننى لا أوافق على " إصلاح الذات " فهذا شىء شديد التشابه مع الكاثولوكية الرومانية على نحو شنيع من وجهة نظرى " .

" أه ، حسنًا ، أعتقد أن هذه مسألة تتعلق بوجهات النظر "

لا . يا أخ إيان ، إنها ليست مسألة تتعلق بوجهات النظر

وتصور إيان أن تلك العبارة قد أنهت المناقشة إلى حد ما ، لذلك توقف عن الكلام ورفع يده مودعًا في محبة ، إلا أنه توقف واستدار وقال " يا أخ إيلى ، هل تعتقد أن بإمكانك أن تحدد لى مكان شخص مفقود كخدمة لى ؟ ".

فقال إيلى " إننى على استعداد لأن أبذل كل ما فى جهدى " ،

ولم يبد عليه أنه قد دُهش من هذا السؤال ، ولكن إيان هو الذى شعر بالدهشة .

* * *

وقال لإيلى " كان اسمه : توم دين " : توم دين " وأضاف " توماس دين ستيو ، وكان متزوجًا من زوجة أخى قبل أن تتزوج أخى ، وهو الشخص الوحيد الذى يمكنه أن يعطينا فكرة عن عائلة زوجة أخى وعن زوجة أخى " .

وجلس مع إيلى على الأريكة فى حجرة معيشة الأخت بيرتا ، ومما لاشك فيه أن الأخت بيرتا كانت تسأل نفسها فى تعجب عن نوعية ؟ البيزنيس الذى يمكن أن يكون لدى إيان هنا ولكنها ظلت بعيدة عن الأنظار وراحت تختخش فى أوعية وآنية الطهى فى تفاخر فى المطبخ وتتحدث مع ابنتها ، وكان منزلها بمثابة مربى للماشية مع وجود غرف

مفتوحة فى انسياب مع بعضها البعض وسمعها " إيان وهى تتحدث وتتناقش مع سيدة ما تسمى نيتًا قد عانت من نيران رهيبة اشتعلت مع الزيت .

وقال إيان " إننى لا أعرف المكان الذى نشأ فيه توم دين ، ولكنه فى وقت ما بين ربيع عام ١٩٦٥ أرسل خطاباً للوسى من شبين / فيومينج ، أو ربما اتصل بها تلفونيًا ، فأنا لست متأكداً من ذلك على وجه الدقة فهو قد اتصل بها على نحو ما وطلب منها أن ترسل إليه حاجياته " .

فتساءل إيلى " منذ متى تم الطلاق بينهما ؟ " .

" لست أدرى ، وكان الأطفال مازالوا صغاراً ، ولا يمكن أن يكون الطلاق قد تم منذ فترة طويلة للغاية " .

" وما هى الولاية التى تم فيها هذا الطلاق ؟ ميرلاند ؟ ويومينج ؟ وماهى الولاية للاتحاد ؟ " .

" وذلك أيضًا لا أعرفه " .

فراح إيلى ينظر إليه فى تمعن مليىء بالحزن ، وكان قد خلع جاكتته فظهر تحت أبطيه بقميصه الأبيض لون أزرق فاتح .

وقال إيان " ولم يُذكر هذا الطلاق إلا بطريقة عابرة ، فالمرأة عادة لا تتناقش فى موضع طلاقها بالتفصيل مع أسرة زوجها الجديد .

ولذلك عندما انتقل أخى إلى رحمة الله ثم انتقلت لوسى إلى رحمة الله لم يكن يوجد هناك شخص ما لكى نسأله ، وهى قد تركت الأطفال

الثلاثة ونحن كنا نأمل أن يأخذهم أحد أقربائها ولكننا لم نكن نعرف ما إذا كان لها أقارب ، بل إننا لم نعرف اسم البتولة الخاصة بها أو اسم أسرتها قبل زواجها " .

وإلى ما وراء النافذة الكبيرة ذات الزجاج البلورى كانت حركة المرور تحدث هسهسة خفيفة على طول شارع ليك أفينو ، وقالت الأخت بيرتا أن نيتا قد تمكنت من الهرب بدون أن تحترق وكذلك زوجها وطفلها الرضيع وكلبها الصغير للغاية الحبيب الرائع .

وقالت إيلى " ومع ذلك فمن المؤكد أن زوجة أخيك كان لديها وثيقة من نوع ما ، شهادة من نوع ما ، أو أى شىء من هذا القبيل موجود فى مكان ما بين أوراقها " .

" إنها لم تترك أية أوراق ، فهى بعد أن انتقلت إلى رحمة الله راح والدى يفتش ويبحث فى جميع أرجاء منزلها ولم يستطع العثور على أية وثيقة " .

" وماذا عن محفظة جيبها للأوراق المالية ؟ وماذا عن رخصة قيادة السيارات الخاصة بها ؟ " .

" إنها لم تكن تقود السيارات " .

" وماذا عن بطاقة الضمان الاجتماعى ؟ " .

" غير موجودة " .

" ألا توجد أية صورة فوتوغرافية ؟ " .

" لا " .

" ولكن من المؤكد أن أسرتك لديها صور فتوتوغرافية منذ الفترة التى أعقبت زواجها من أخيك " .

" لدينا بالفعل صور عن هذه الفترة ، ولكنى أُمى قامت باخفائها فى مكان ما ، وذلك حتى لا تذكّر الأطفال " .

" لكى لا تُذكِّر هم ؟ " .

" فوالدتى من النوع .... إنها تفضل أن تنظر إلى الجانب المشرق للأمور ولكنى متأكد من أننى أستطيع العثور على تلك الصور وإطلاعك عليها .

فقال إيلى " ريما فيما بعد " . " وأضاف » أوكى ، دعنا نتكلم عن صديقات زوجة أخيك ، هل تتذكر ما إذا كان لديها أية صديقات ؟ " .

فقال ، إيان " لم يكن لها أية صديقات حميمات " وأضاف " ليس سوى هاتين الفتاتين الجرسونتين حيث كانت تعمل جرسونه معهما وذلك خلال فترة سابقة على زواجها من دانى ، لم نستطع تتبع إحداهما أو معرفة مكانها على الإطلاق أما الثانية فقد التقت بها والدتى مصادفة عقب وفاة لوسى بحوالى سنة ، ولكنها أوضحت أنها فى حقيقة الأمر لم تكن تعرف أى شىء عنها " .

" ألم يطلب أىّ شخص من لوسى أى شىء ؟ " .

فقال إيان " هذا شيء يبدو عجيبًا " ، وكانت هذه هى أول مرة يدرك فيها بالفعل أن ذلك أمرًا عجيبًا للغاية ، ودُهش للغاية من أنهم ظلوا غافلين للغاية وغير مدركين للغاية أثناء عيشهم طوال تلك الشهور بجوار كائن بشرى آخر .

وقال إيلى " حدثنى عن الأشياء التى كانت موجودة فى مكتبها ؟

" لم يكن لها مكتب " .

" أو ذلك الدرج العلوى لخزانة ملابسها ، أو ذلك الدرج الخاص بسقط المتاع والملىء بالخيوط والأسلاك وأشياء من هذا القبيل والذى يوجد عادة فى مطبخها " .

" كل ما أعرف أن والدى راح يبحث ويفتش فى أرجاء منزلها ، فلم يعثر على أى شىء مفيد ، وتكلم عن كيف أن الناس لم يعودوا يكتبوا خطابات " .

" إذن لا توجد خطابات " .

" ولا أجندة عناوين أيضًا ، فأنا أتذكر تمامًا أنه قال ذلك " .

" وماذا عن الأوراق والمستندات التى تتعلق بطلاقها ؟ لا يمكن أن تكون قد تخلصت من تلك المستندات " .

" ربما تكون قد تخلصت من تلك الأوراق عقب زواجها للمرة الثانية " .

" حسنًا ، ووثيقة زواجها ، وثيقة زواجها من أخيك " .

" غير موجودة أيضاً " .

" أنت تعرف أنها ربما تكون قد احتفظت بها " .

" كل ما يمكن لى أن أقوله هو أننا لم نعثر على تلك الوثيقة أيضاً".

" ومن المؤكد أنها كان لديها صندوق للودائع آمن " .

" لوسى ؟ أشك فى ذلك ، فإذا كان الأمر كذلك أين كان المفتاح إذن ؟ ".

فقال إيلى " إذن آنت تحاول أن تقول لى أن المرأة يمكن لها أن تشق طريقها فى الحياة بدون أن يكون فى حوزتها ورقة رسمية واحدة ".

" حسنًا ، درك أن هذا شىء غير عادى .... " .

" هذا شىء مستحيل " .

" حسنا ..... " .

" هل قام اللصوص بالسطو على منزلها مؤخراً ؟ وهل تم التنقيب فى الأدراج بهدف السرقة ؟ " .

فقال إيان ؛ لم أسمع عن شئ من هذا القبيل ".

" أكان هناك أى شخص أخر يعيش فى المنزل معها ؛ .

" لا .... " .

ولكن قلقًا غامضًا رفرف إلى جواره متخطيًا إياه مثل شىء ما تراه ومع ذلك لا تراه من زاوية عينيك .

" هل كان هناك شخص مشبوه يحوم حولها " .

" لا ، لا ...." .

ولكن أجاثا الحذرة المتشككة شقت طريقها إلى داخل ذهنه : وجهها المغلق الجامد مع حاجبى عينيها المنتفخين اللذين قاما بحجب أفكارها السرية .

فقال إيلى " والآن ، لا أريد لك أن تسىء فهمى ، ولكنك أول زبون غير نافع صادقته فى حياتى " .

فقال ، إيان " وأنا أدرك ذلك ، آسف ، ما كان ينبغى علىّ أضيع وقتك " .

فهز إيلى رأسه فاهتزت خصلة الشعر الموجودة على جبينه ، ولم يملك إيان سوى أن ينخرط فى التفكير : سهم الله بدون مكان ينطلق إليه .

* * *

وفى ظهر يوم الاثنين قال إيان للمستر برانت إنه سيتناول طعام الغذاء فى منزله اليوم ، ثم انطلق بسياراته إلى منزله ، ودخل إلى منزله قائلاً " لقد جئت ، فقد نسيت محفظة نقودى " ، فقالت أمه بصوت مرتفع أثناء وجودها بالمطبخ :

" أوه ، مرحباً ، يا عزيزى " وبعدئذ استمرت هى ووالده فى الكلام وهما يتناولان بدون شك وجبة غذائهما الاعتيادية المكونة من الحساء المعلب والبسكويت الرقيق الناشف المملح .

وصعد إلى الدور الثانى ثم واصل الصعود فى خلسة إلى العلِّية والغرف الصغيرة لدافنى وأجاثا الموجودة تحت الإفريز .

وقال لنفسه فى تفكير: كانت الفتيات أكثر ميلاً للفوضى من الأولاد ، [إذاً تلاحظ له ذلك منذ الأيام التى قضاها فى الكلية] ، وكان سرير أجاثا مليئًا بكتب كثيرة للغاية لدرجة أنه تعجب من الكيفية التى كانت تنام بها على ذلك السرير كما أن سرير دافنى كان بمثابة غابة مليئة بحيوانات محشوة ، واتجه إلى مكتب أجاثا ، إنه بمثابة خزانة ذات أدراج مثبتة على قاعدة عالية القوائم وهى خزانة مطلية بلون غامق داكن وكان تقف بعيداً عن الحائط بعض الشىء لكى لا تصطدم بالإفريزات . وكان قمتها مليئة بأعقاب أقلام الرصاص ومناديل الكلينيكس المستخدمة وبالمزيد من الكتب ولكن الأدراج كانت مُنظَّمة ومرتبة على نحو جيِّد بعض الشئ ، فراح يُربِّت فى خفة على محتويات كل درجة بحثًا عن دفتر عناوين له حواف ناشفة ، ولكنه لم يجد شيئًا من هذا القبيل .

فرجع ونظر تحت سريرها فشاهد كرات من الغبار ، فقام برفع الحاشية فشاهد أغلفة ورقية لقضبان الحلوى ، فهز رأسه وأسقط الحاشية ، وحاول مع خزانة الثياب المصنوعة من رقائق الفيبر الواقفة فى إحدى أركان الغرفة ، فعثر على قضيب من الملابس نصفها يخص دافنى والنصف الآخر يخص أجاثا وقد تم حزمها فى إحكام شديد مع بعضها البعض ، وكانت هناك أحذية كثيرة متشابكة فى فوضى تحت السرير .

وانحنى لكى يدخل رأسه فى غرفة التخزين الموجودة تحت الافريزات ، وفى العتمة تمكن من مشاهدة قالب لفستان وُظلَّة لمبة وصندوق كرتونى من الورق المقوى ، فزحف أكثر إلى ا لداخل ورفع إحدى ألسنة الكرتونة ، فذكَّرته الرائحة الكئيبة العفنة برائحة الفئران ، وقام بجر الكرتونة نحو الباب لكى يلقى نظرة عن كثب أكثر : شهادة الدبلوم التى حصلت عليها أمه من الكلية ، ومجموعة خطابات مرسلة إلى ؟ ألمس بياترس كريج .... فقام بدفع الكرتونة إلى الوراء مرة أخرى .

ولدى استدارته للانصراف شاهد صندوقًا مغطى بنسيج قماشى له لون باهت شبيه بذلك النوع الذى توضع فيه الأدوات الكتابية فى بعض الأحيان ، فأطاح بالغطاء الأعلى فوجد مجموعة من المجوهرات الزائفة وشرائط للشعر ومشابك لشعر المرأة ، إنها ممتلكات أجاثا بدون شك . فترك الغطاء يسقط لكى ينغلق الصندوق ، وزحف خارجًا .

وتوقف فى غرفة النوم واتجه إلى الوراء وقام بفتح الدرج الموجود فى أسفل الصندوق .

وكان يدرك أنه سيعثر على شىء ما بطريق الصدفة ، كانت المحتويات منظمة ومرتبة للغاية ، أوراق مسطحة ومرتبة مع بعضها وفقًا لحجمها وفوقها قطع قليلة من المجوهرات ليست أقل تفاهة من المجوهرات الأخرى الموجودة فى الحجرة الصغيرة الرئيسية ولكن كان من الواضح أنها ترجع إلى فترة زمنية أقدم ، فأزاح المجوهرات على جانب وأخذ الأوراق .

دفتر توفير من بنك التأمين والائتمان التجارى يوضح أن الرصيد هو مبلغ ١٢٣٠٠٨ دولارًا أمريكيًا .

مستندات ملكية لسيارة شيفرولية يمتلكها دانيال س . بيدلو ، إيصال من شركة مورهيد لإصلاح التلفزيونات تضمن كافة قطع الغيار لمدة ثلاثين يومًا ، وثيقة زواج تخص دانيال كريج بيدلو ولوسى آن دين ، (فتوقف إيان قليلاً عند هذه الوثيقة ، أكان هناك أى احتمال ولو ضئيل بأن يمكن أن يكون هو الاسم الأخير ؟) . وشهادة ميلاد لدافنى مارى بيدلو ، ونشرة بشأن التعليمات المتعلقة بالتأمين على الصحة ، وشهادة ميلاد تخص أجاثا لين دالسيمور وشهادة ميلاد تخص توماس ، وإيصالاً من أجل .

أجاثا من ؟

أجاثا لين دالسيمور ، مولودة فى ٤ أبريل ١٩٥٩ . اسم الوالد بالكامل : توماس روبرت دالسيمور ، الاسم البتولة للأم قبل زواجها : لوسى أن دين ، وتوماس روبرت دالسيمور جونيور له نفس الآبوين .

دين لم يكن اسم لوسى عقب الزواج وإنما كان اسمها البتولى ، من المؤكد أنها رجعت إلى اسم دين عقب الطلاق وقامت بتغير أسماء أطفالها أيضًا على الأقل من خلال التضمين ، وطوال هذا الوقت كان آل بيدلو يبحثون عن رجل ليس له وجود .

وراح إيان يتصفح الأوراق القليلة المتبقية - صورة فوتوغرافية ضبابية عادية للوسى والطفلين الأكبر سنًا ، ووثيقة تأمين على سيارة ،

وصيغة تصف كيفية إعداد خبز الموز ، ولكن شهادتى الميلاد هما الشيء الوحيد الذى قدم معلومات نافعة ، وظهر فى كلا الشهادتين عنوان مسكن الأبوين فى بورتيا بولاية ميريلاند كما ظهر كلا الشهادتين تواريخ محددة واسم الطبيب واسم المستشفى الواقعة فى مدينة تسمى مارسى وهى مدينة إذا تذكر إيان على نحو سليم تقع على مسافة غير بعيدة عن بورتيا حيث تقع أسفل خط بنسلفانيا مباشرة ، لقد أصبح لديه الوثائق التى تكفى لافتقاء أثر رجل شريطة أن يكون لديه بعض المهارة فى افتقاء الأثر .

ووضع هذه الأوراق فى داخل قميصة وانطلق لكى يتقابل مع إيلى إيفرجون .

* * *

قالت دافنى : "تناولى بعض البطاطس المهروسة يا هانيبانش " كانت تمد ملعقتها نحو القطة الصغيرة التى كانت جالسة فى حجر دافنى وقد طوت مخلبيها الأماميين فى احتشام وأناقة تحتها ، فى بادىء الأمر حملقت القطة فى عينى دافنى كما لو كانت تريد أن تتأكد من أن دافنى تعنى ذلك بالفعل ، وبعدئذ انحنت للأمام وقامت بلعق الطعام فى تذوّق وعندما انتهت من تناول البطاطس تلألأت الملعقة فى لمعان ، واعتدلت دافنى فى جلستها لكى ترقب وجهها ثم قالت " أنت قطة رائعة " ثم غرست الملعقة فى طبقها وجرفت ملىء الفم لنفسها .

فقالت أجاثا "أوه هذا شىء مثير للاشمئزاز" وأضافت : "يا إيان" ، هل شاهدت ما فعلته ؟ "

فتساءلت دافنى " ماذا ؟ ما الذى فعلته أنا ؟ "

" لقد أكلت من ملعقة لعقتها القطة " وعند الطرف الآخر للمنضدة أطلق توماس كحة رجل عجوز وقال " فى حقيقة الأمر أن القطة هى التى ينبغى عليها أن تشعر بالقلق ، فالمستر برات يقول إن بصق الإنسان يحمل جراثيم أكثر من بصق أى حيوان آخر لأن الآدميين لهم تلك الأصابع التى يضعونها باستمرار فى أفواههم " .

فضحك إيان ، فنظر الآخرون نحوه .

فقالت لهم " آه ، لقد كنت فقط مستغرقا فى التفكير "

فأشاحوا بنظرهم بعيداً عنه مرة أخرى .

لا يمكن لك أبداً أن تسمى ذلك تكفيراً أو عقوبة ذاتية ، فرعاية هؤلاء الأطفال الثلاثة لايمكن أن يعتبر تكفيراً عن خطيئة ، فهم الذين قد أضفوا على حياته الطعم واللون والحيوية و .... الحياة النابضة المليئة بالروح .

وقال لنفسه : ما أن ينتهى إيلى من إعداد تقريره فإننى سأحتفظ بذلك التقرير فى درج فى مكان ما ، وعندما يكبر هؤلاء الأطفال ويرغبوا فى معرفة أصولهم وجذورهم أبادر بتقديم ذلك التقرير لهم ، وهو بالتأكيد لن يستخدم المعلومات بنفسه بأية وسيلة .

الناس كانوا بحاجة لأن يعرفوا خلفيّاتهم الجينية الوراثية – والأمراض التى سادت فى عائلاتهم وهكذا دواليك ، وأيضًا هذا من

شأنه أن يساعده على التقدم بطلب من أجل الحصول على الوصاية عليهم ، الأمن الاجتماعي وتلك النوعية من الأمور .

ونهض واقفًا وشرع في نقل بقايا الطعام وتنظيف المائدة ، وشعر بالارتياح لأنه تم حسم كافة هذه المسائل ، وكان مسروراً لأنه لم يخبر أي شخص بالأشياء التي كان يفعلها .

ولكن في العمل في اليوم التالي أخبر بالفعل شخصاً ما ، إذ أخبر جينيّ ، كان يعلمها كيفية اختيار النوع الملائم من الخشب فسألته عما إذا كانت ترغب في الذهاب إلى السينما في تلك الليلة ، فقال إذن " لا أستطيع الذهاب للسينما " .

" هل الأفلام السينمائية ممنوعة من وجهة نظر دينك ؟ " .

" لا ، فقد جاء الدّور عليّ لكي أشارك في رهان على السيارات نيابة عن عائلة براوني " .

فقالت " يا إيان ، إلى متى سوف تستمر في العيش على ذلك النحو ؟ " .

لذلك تحدث معها عن إيلي ، ولم يعرف السبب في ذلك على وجة الدقة ، لم يكن الأمر كما لو أن العثور على توماس دالسيمور من شأنه أن يُغيّر موقفه ، وربما كان يأمل فقط أن يبرهن على أنه لم يكن سلبيًا على النحو الذي افترضته وبدا عليها أنها مهتمة للغاية ، ، وعندما أشار إلى صندوق أدوات الكتابة من ورق وأقلام فإنها قالت " أوه ! استمر " وتساءلت " ماذا كان في ذلك الصندوق ؟ " بل وكانت تريد أن تعرف

معلومات عن المجوهرات فقال لها " ليست تلك المجوهرات التى تقدِّم لك أية مفاتيح لحل (اللغز) وأضاف " وأنا بكل صدق لم أهتم بذلك كثيراً ".

" وماذا عن الصور الفوتوغرافية ؟ " .

« أوه » ، حسنًا لقد ابتهج البوليس السرى من مشاهدتها بالطبع ، وذلك حتى يمكنه أن يعرف إلى حد ما الشكل الذى كانت عليه ، ولكن الصورة لم تبين لافتة الشارع أو لوحة الرخصة أو أىّ شىء من هذا القبيل ، لم تبيّن سوى لوسى .

" أ كانت لوسى جميلة ؟ "

" أعتقد أنها كانت جميلة بكل تأكيد " .

ولسبب ما لم يرغب فى أن يوضح لها على أىّ نحو كانت جميلة ، وسبحتْ صورة لوسى فى داخل ذهنه - ليست النسخة فى حياتها الحقيقية ولكن النسخة فى اللقطة الفوتوغرافية : خارج نطاق التعديل البؤرى صغيرة فى السن للغاية ومازالت غير متشككة وليست واضحة المعالم على النحو الذى بدت عليه فيما بعد ، وكانت أحد فخذيها مرفوعاً فى رشاقة لكى يساند وزن توماس ، وكانت يد واحدة تمتد فى غير وضوح لكى تجذب أجاثا نحوها أكثر ، وبما يتعارض مع المنطق كله [وهو يدرك أنه مثيراً للسخرية فى ذلك الشأن] بدأ يستاء من عدم . إخلاص أجاثا نظراً لأنها تداوم على ذلك التشابه الشديد بينها وبين أمها ، وها حالك الآن : فأنت تتوقف عن الدراسة وأنت تُضحىّ بكل شىء من أجل هؤلاء الأطفال وما الذى يفعلونه ؟ إنهم يدخرون فى سرية صورة أمهم الفوتوغرافية ويتشبثون بها ويفضلونها ، على الرغم من أن

أمهم لم تكن تقدّم أية رعاية سليمة ، بل وتعمدت أن تموت وتتركهم على النحو الذى فعلته ولكن كان من الواضح أن أمومة الدماء قد تغلّبت على كل شيء آخر .

وقال جينّى : يا إيان ، إننى مسرورة بالفعل لأنك تفعل هذا " .

فقال لها " حسنًا ، لا يمكن أن تستقيم حياتنا إلا على هذا النحو ؛ وأضاف " فأنا بكل تأكيد لا أفكر على الإطلاق فى تسليم هؤلاء الأطفال الثلاثة إلى ناس أغراب أو أى شيء من هذا القبيل " .

فتساءلت : أأنت مخبول ؟ " وأضافت : " فأنت لك حياتك التى ينبغى تعيشها ، ولا يمكن لك أن تجرّهم حولك ومعك للأبد " .

" ولكننى مسئول عنهم ، وأخشى أن أصبح مرتكبًا للخطيئة إذا تخلّيتُ عنهم إن صحَّ هذا التعبير " .

فتساءلت جينىّ " أتريد أن تعرف رأيى ؟ " ثم استندت للأمام ، وعندئذ بدا وجهها أكثر صرامه وحدّة ، وكان بمقدور التجويف المتواجد بين عظمتى الترقوة الخاصة بها أن يستوعب ملئ ملعقة شاى من الملح ، وأضفات : " أعتقد أنك ترتكب الخطيئة إذا لم تتركهم وتبتعد عنهم " .

" كيف تتخيلين ذلك ؟ "

فقالت " أعتقد أن كل واحد منّا قد منحت له حياة واحدة لكى يعيشها على هذا الكوكب ، ولن تتاح لنا فرصة أخرى على الإطلاق وإلى

الأبد " وأضافت " وإذا تركت حياتك تضيع منك هباءً وسُدى – فهذا هو ارتكاب الخطيئة " .

فقال " نعم " وأضاف "ولكن ماذا لو كان لدىّ التزام أخلاقى بذلك ؟ ماذا لو كان لدىّ التزام أخلاقى بتضييع حياتى هباءً وسُدى ؟" .

وخشى أن تدفعه إلى أن يوضح لها السبب فى ذلك الالتزام الأخلاقى ولكن ذهنها كان متركزاً للغاية على ضرورة أن تبرهن له على صحة رأيها ، إذ قالت له فى انتصار : " وحتى لو كان الأمر كذلك ، عليك بالتخلى عن الأسف والندم الذى يجتاحك ، وعليك بمواصلة شق طريقك فى الحياة وترك الندم والأسف وراءك ويجب عليك ألا ترتكب خطيئة تبديد الحياة الوحيدة التى تعيشها " .

فقال " حسناً ، كلامك هذا يبدو معقولاً " وكان كلامها يبدو جيداً بالفعل ولم يكن لديه برهان أو حجة ضد رأيها .

* * *

وفى اجتماع الصلاة فى الليلة التالية راح يبحث عن إيلى ايفرجون ولكنه لم يتمكن من العثور عليه أو العثور على الشقراء التى لها لون الفراولة ، وشاهد تسريحة الشعر الأحمر الداكن للأخت بيرتا فجلس إلى جوارها وسألها : " أين ابنتك فى هذا المساء ؟ " .

" لقد ذهبت إلى المنزل " .

المنزل ؟ " .

" ذهبت هي وكذلك إيلي إلى المنزل في كاروميل ، وإيلي قال لي أن أبلغك برسالة ، قال لي أن أبلغك بألا تعتقد أنه قد نسي موضوعك ، وإنه سوف يتصل بك " .

فقال لها إيان " شكراً جزيلاً " .

وبعدئذ أعلن إميت الموقر عن الترنيمة الافتتاحية : " العمل من أجل الليل بصدد المجيء " .

في كل مرة يشهد فيها إيان " اجتماع الصلاة ، فإنه كان يفكر في أول زيارة جاء فيها إلى هذا المكان ، وكان يتذكر الترحيب الشديد به من جانب الأصوات المحبة للمنشدين وكان يتذكر الإحساس بالصلوات التي تتدفق في اتجاه السماوات .

وكان يدرك أن المجيء إلى هذا المكان قد أنقذوه فلولا كنيسة الفرصة الثانية لكان قد كافح بمفرده للأبد ولكان قد غرق في ظلمات اليأس .

لذلك عندما بدأ « اجتماع الصلاة " طويلاً ومثيراً للملل وعندما كان على التوسلات أن تتعلق بالشكاوى المحدودة المتعلقة بالنواحي الصحية وبالمنازعات الشخصية فإنه حاول السيطرة على شعوره بنفاذ الصّبر ، وفي هذه الليلة صلّى من أجل أن يصبح القولون الخاص بالأخ كنيث أقل تهيّجاً وصلىّ لكي يعجب زوج الأخت ميرا بها في مزيد من القوة ، وراح يصغي للتلاوة التي قامت بها الأخت نيل التي كانت أقرب إلى سيرة ذاتية منها إلى التماس للتضرّع والابتهال ، إذ جاءت إحدى الفقرات

التى قالتها على النحو التالى " لقد تعلمت كيف أتوقف عن توجيه اللوم لنفسى عن كل شىء يسير فى الاتجاه الخاطئ ، كنت أوجه اللوم لنفسى طوال الوقت ، ولكن فى حقيقة الأمر عندما تفكر فى هذا الأمر فإنك تجد أن اللوم يقع على الناس الآخرين فى معظم الحالات ..... الناس الآخرين الملحدين الكافرين المتسمين بالآنانية ولذلك فأنا قلت لهذه الفتاة الموجودة معى فى فريق المناوبة [استمعى إلىّ يا آنسة ماجى ، وقد تظنين أننى الإنسانية المسئولة عن ....] " .

فقاطعها إميت الموقر قائلاً [" آه . الأخت نيل ؟] .

ماذا " .

" من أجل ماذا تريدين لنا أن نصلىّ على وجه الدقة ؟ " فقالت " تصلوا من أجلى لكى يمنحنى الله القوة فى مواجهة الأغبياء والمغفلين ومرتكبى الخطيئة " .

فراح إيان يصلى من أجل أن تحصل الأخت نيل على القوة والصحة والعافية .

وكانت الأنشودة الخاتمية هى : " فى رفق وحنان " وعندما أنشدوا " ارجع إلى منزلك ! ارجع إلى منزلك ! " يشعر إيان أنه هو الشخص الذى ينادون عليه .

وقال إميت الموقر وهو يرفع ذراعيه " تذهب أنت الآن إلى العالم وتشهد على تعاليم الله " وحتى قبل أن يقول " آمين " كان الناس يتحركون ويستعدون للمغادرة ، وتحدث الكثيرون مع إيان لدى مرورهم

يجواره " إنني سعيد برؤيتك يا أخ إيان " ، " كيف حال الأولاد " ، " هل ستجيء لكي تقوم بالطلاء معنا في يوم السبت ؟ " . وكانوا يسيرون في جماعات خارجين ، وتسكعُ إيان لكي يتخلّف عن الآخرين .

في كثير من الأحيان بدا له أن هذه الغرفة في حدّ ذاتها هي مصدر شعوره بالسلام ، وحتى رفرفة أضواء الفلورسنت كانت تشجعه وتشدّ من أزرهم المكان دكان لبيع المنظفات الجافة ، ووجد أسبابًا تدعوه للتخلّف عن الآخرين : جمع كتيبات الترانيم في بادئ الأمر ثم وضعها في ترتيب على شكل كومات على الكاونتر ، وتوقف لكي يستمع إلى نهايات محادثة دارت بين إميت الموقر والأخ كنيث الذي كان يتحدث في مزيد من التفصيل عن المتاعب والأمراض الموجودة في قولونه ، وأنزل كُميّ قميصه وراح يزرّر في حرص وعناية طرفي الكّمين قبل أن يخطو خارجًا من الباب بعد طول انتظار .

وبعدئذ ومن ورائه ترامى صوت ، ميت الموقر مناديًا " يا أخ إيان ؟ هل لديك مانع من أن أسير معك لمسافة قصيرة ؟ " .

فشعر إيان بارتخاء كتفية ، ربما هذا هو ما كان يأمل فيه دائمًا ومنذ البداية .

وسار شمالاً على طريق يورك رود بين طيّات ليلة شبيهة بليالي الصيف بينما كان إميت الموقر يهزّ ويؤرجح إنجيله ، كان أطول من إيان وبالتالي كانت خطواته أوسع على الرغم من أنه ظل يحاول الإبطاء من سرعته .

ومن وقت لآخر كان يترنم بنغمات قليلة فى صوت هامس .

مرة أخرى كان يترنم بأنشودة " فى رفق وحنان " . وتذكر إحدى الأمسيات التى ترجع إلى أيامه عندما كان ولدًا فى فريق الكشافة وعندما قام رئيس الكشافة [وهو فتى رياضى نجم سابق فى كرة السلّة] بتوصيله بسيارته إلى المنزل مما جعله يمتلئ بمزيج من الغبطة والوعى الذاتى ، وكان يدرك أن إميت الموقر كان يقوم فقط بدور خادم الله وأن إميت المقر من حيث هو مؤسس هذه الكنيسة وزعيمها الوحيد كان غير مدرك تمامًا لمدى أهميته ، ومع ذلك كان إيان يشعر دائمًا أنه معقود اللسان أثناء تواجده معه ، وفى هذه الليلة فكّر فى أن يتحدث معه عن الطقس ولكنه رأى أن ذلك سيكون متسمًا للغاية بالأمور الدنيوية وبعدئذ عندما امتدّ الصمت للحظات طويلة للغاية تمنّى لو كان قد تحدث عن الطقس ولكنه إذا تطرّق إلى موضوع الطقس الآن سيبدو الأمر مُتبسّمًا بالتكلف ، لذلك التزم بالصمت وكان إميت الموقر هو الذى شرع فى الكلام فى نهاية الأمر ، إذ قال " بعض اجتماعات الصلاة تشبه المرحاض ، إزالة كميات قليلة ، وهو عمل ضرورى ولكنه مثير للملل والضجر " .

فقال إيان كما لو كان يردّ بإجابة ملائمة تمامًا : " أيوجد هناك شىء ما مثل الشيطان ؟ " .

فنظر إميت الموقر فوق كتفه نحوه .

فقال إيان " أعنى هل يوجد شخص ما تتركز أهدافه على أغواء الناس وإغرائهم لكى يرتكبوا الشرور والآثام ؟ وجعلهم يشعرون بالتمزق

فى هذا الاتجاه أو ذلك وبحيث لا يعد بمقدورهم معرفة الطريق الصحيح على نحو أكيد ؟ " .

فتساءل إميت الموقر " ما هو الشيء الذى تريد أن تفعله بدافع من الإغراء والإغواء ؟ " .

فابتلع إيان ريقه ، ثم قال " إننى أُبدِّد حياتى هباءً وسُدًى " .

" معذرةً ؟ " .

من المؤكد أنه قد مضغ الكلمات ، فرفع ذقنه وقال بصوت يكاد يكون صارخًا " إننى أُبدِّد الحياة الوحيدة التى أمتلكها ، فأنا ليس لدىّ سوى حياة واحدة فى هذا العالم وأنا لا أستخدم هذه الحياة ولا أستفيد منها " .

فقال إميت الموقر فى هدوء " حسن ، بالطبع أنت تستخدمها وتستفيد منها " .

" أنا الذى أفعل ذلك ؟ " .

فقال إميت الموقر " هذه هى حياتك " .

وواجها بعضها البعض فى نقطة تقاطع ، وانحرفتْ امرأة حولهما .

وقال إميت الموقر " استند إلى حياتك واعتمد على حياتك يا آيان . لم يقل : يا أخ إيان " وإنما قال " يا إيان " . وهذا جعل ما قاله يبدو أكثر نفاذًا وأكثر اتسامًا بطابع الحكمة والنبوءة ، وأضاف : " أنظر إلى العبء المُلقَى على كاهلك على أنه منحة إلهية . فهذا العبء هو الفكرة

الرئيسية التى أُعطيت لك لكى تعمل بموجبها ، فتقبّل ذلك واعتمد عليه . وتلك هي الحياة الوحيدة التى ستحصل عليها ": .

ثم صفح إيان على كتفه واستدار لكى يعبر طريق يورك رود .

فاستأنف إيان سيره ، وراح يفكر لبعض الوقت فى رسالة إميت الموقر ، ولكنه لم يجد بها قدراً كبيراً من المساعدة ، بل إن إميت الموقر قد سبّب له الإحباط فى حقيقة الأمر ، وعلاوة على ذلك فإنه لم يردّ على سؤال إيان ، إذ كان السؤال هو : إيوجد هناك شيء ماثل الشيطان ؟ .

كان إيان يشير بالطبع إلى جينّى - جينّى التى تميل بجسدها للإمام نحوه بينما التجويف عند قاعدة حلقها بتعمّق لدى ، إغرائقه على ترك الطريق الذى يسلكه فى الحياة ، ولكن الوجه الذى قفز إلى ذهنه فى هذه اللحظة لم يكن وجه جينّى ، وإنما كان وجه لوسى ، كان الوجه الصغير البالغ حدّ الكمال المتخذ شكل القلب للوسى دين .

* * *

قالت أجاثا لإيان " القطة هانيبانش عندها ديدان " :

" كيف عرفت ذلك ؟ " .

" أتريد منّى حقًا أن أقول ؟ " .

فقال إيان " لدى إعادة النظر فى هذا لا داعى لأن تقولى لى عن الكيفية التى عرفت بها ذلك " ثم أضاف : " إذن ماذا ؟ ينبغى علينا اصطحابها إلى الطبيب البيطرى " .

" لقد قمت بتحديد موعد غداً فى الساعة الرابعة بعد الظهر " .

وكانت هى وتوماس يجلسان على جانبى إيان فى أرجوحة المدخل الأمامى المسقوف مع الاستمتاع بالفترة الأخيرة من يوم خريفى ذهبى ، وفى أسفل وعلى البستان الأمامى كانت دافنى تلعب لعبة الحجلة مع فتاة آل كارتر ، وقالت فى صوتها الأجش " أنت قد دُسْت على الخط يا تراسى " ،

وقال إيان " ربما جدّك يصطحبك بالسيارة إذ يمكن لى أن أترك السيارة معه غداً وأستقلّ الأتوبيس " .

فقالت أجاثا ؛ نفضل أن تتخذ هذا الإجراء عندما تجىء " .

" ولكننى لدىّ عمل ينبغى إنجازه " .

فقال توماس " لو سمحت يا إيان . أرجوك يا إيان ، فجدّى قاد بنا السيارة عندما ذهبنا لكى نحصل على الجرعة الخاصة بالقطة ، وهو قد صرخ فى وجه القطة لأنها جلست على قدمة فقالت أجاثا " لأنها جلست على قدمه الموضوعة على دواسة البنزين " .

وقال تورماس له " نحن نفضل أن تكون معنا وتتولى أنت هذه المهمة .

فنظر إيان نحوه للحظات ، وكان ذهنه قد انحرف إلى مكان ما آخر، ثم قال ؛ يا توماس ، هل تتذكر تلك الدّمية الكبيرة التى اعتدت أن تأخذها معك فى كل مكان ؟ " ،

فقال توماس " أوه ، كان ذلك منذ فترة طويلة مضت " .

" نعم ، ولكنى كنت أسائل فى تعجب : تُرى ما الذى جعلك تسميها دالكيمار ؟ " .

فقال توماس " بل أننى لم أعد أعرف مكانها ، ولا أعرف السبب الذى جعلنى أطلق عليها ذلك الاسم " .

وبدا عليه الارتباك أكثر مما بدا عليه التكتّم فى حرص وحذر ، ولم تكن أجاثا مصغية لذلك الحوار ، وقد تعتقد أنها ستشك لأنها هى الإنسان التى احتفظت بالصندوق وخبأته فى مكان سرّى ، ولكنها راحت تحرك أرجوحة المدخل المسقوف بقدم واحدة وهى سابحة فى دنيا الخيال وقال لإيان " ، ولتفرض أننا تعرضنا للقصف بالقنابل " .

" معذرة ؟ " .

وشاهد صندوق الأدوات الكتابية فى داخل ذهنه : التراب على الغطاء وحزمة الأوراق المعقودة ، من المؤكد أنها لم تلق نظرة فى داخل الصندوق منذ سنوات ، وربما قد نسيت أن الصندوق مازال موجوداً .

وكانت تقول " ولنفترض أن بلتيمور ضُرِبتْ بالقنابل الذرية . أتعرف ما الذى سأفعله " .

فقال توماس لها " أنت لن تفعلى أىّ شىء لأنك ستموتين على الفور " .

" لا ، إننى أتحدث فى جدّية ، لقد كنت أفكر بالفعل فى هذا الموضوع وقلت لنفسى بأنه يمكن لى عندئذ أن أقتحم سوبر ماركت

وأضع عائلتى فى داخله وبتلك الطريقة يمكن لنا الحصول على كافة المؤن والامدادات التى نحتاجها ، أطعمة مُعلّبة وأطعمة محفوظة فى زجاجات ، وتكتفى للإبقاء علينا على قيد الحياة للأبد " .

فقال توماس " ليس للأبد " .

" ولكن على مدى فترة تكفى للتغلب على الاشعاع " ؛

" لا توجد فرصة ، أليس كذلك يا إيان ؟ " .

فقال إيان " ه م م م ؟ " .

" الاشعاع سوف يستمر على مدى سنوات ، أليس كذلك" .

فقالت أجاثا " والأطعمة المعلبة سوف تستمر أيضًا على مدى سنوات صالحة للأكل إذا كان لا يزال لدينا كهرباء ...... " .

فقال توماس " كهرباء ! ها ها !! هل أنت تعيشين دائمًا فى عالم الأحلام ! " ،

فقالت أجاثا فى عناد " وحتى بدون كهرباء يمكن لنا أن ندبر أمورنا بل وفى هذه الأيام تبيع محلات السوبر ماركت البطاطين ، والجوارب ! والدواء الموصوف من خلال الروشتات الطبيه وهذا ما تفعله محلات السوبر ماركت الأكبر حجمًا ، ويمكن لنا الحصول على البنسلين والدواء ، وبطريقة ما يمكن لنا أن نحضر كلوديا ومن معها من بتسبرج .

إننى لم أحدّد الطريقة أو الكيفية ولكن ....

فقال توماس لها " عليك بالتوقف عن هذا الكلام ولا تكونى خيالية يا أجاثا ، فهذا يعنى إطعام عشرة أفواه آخرين " .

" ولكننا بحاجة لعدد كبير من الأولاد والأطفال ، فهم يشكّلون جيل المستقبل ، وجدّتى وجدّى هم الناس الطاعنون فى السن الذين يعلمونا كيف نشق طريقنا فى الحياة رغم العقبات " .

وتساءل توماس " وماذا عن إيان ؟ " .

" ماذا عنه ؟ " .

" إنه ليس عجوزاً وليس من جيل المستقبل أيضًا ، ينبغى عليك أن تضعى خطًا فاصلاً فى مكان ما .

فقال إيان وهو يدفع الأرجوحة بأصابع قدمه فى كسل " أوه ، شكراً " ولكن أجاثا ألقت عليه نظرة مليئة بالتأمل .

ثم قالت أخيراً " لا " وأضافت " إيان يجيىء أيضًا ، فهو الشخص الذى يحافظ على تكافلنا ووحدتنا " .

فقال إيان لتوماس " إنه الكاوبوى أو راعى البقر لهذه العائلة إن صح هذا التعبير " ولكنه شعر بالتأثر الشديد ، وعندما نادى عليه والده من المدخل قائلاً له " يا إيان ؟ تليفون " فإنه استند براحة يده على شعر أجاثا السميك الأسود للحظة لدى نهوضه واقفًا .

كانت السماعة ملقاة بجوار التليفون على منضدة الصالة الأمامية ، فالتقطها وقال " هالو ؟ " .

فقال رجل من على مسافة بعيدة " الأخ إيان ؟ أنا الخادم Wallah .

" عفوا ؟ " .

" أنا إيلى إيفرجون الذى أتحدث معك الآن ، وأنا قلت لك : أنا الخادم Wallah ".

" الخادم ؟ " .

" أنا عثرتُ على الرجل الذى تبحث عنه " .

" أنت ...... ماذا ؟ " .

واستند إيان بكتفه على الحائط .

" يبدو أنه لم يعش فترة طويلة عقب وفاة زوجة أخيك ، هالو ؟ هل تسمعنى ؟ " .

" نعم أسمعك " .

" ربما هذا الخبر يشكل صدمة بالنسبة لك " .

فقال إيان " لا . لا توجد مشاكل " .

لم تكن الصدمة هى موت توم دولسميور ولكن الصدمة هى الحقيقة التى مفادها أنه قد عاش بأية حال - وأن شخصًا ما آخر فى العالم قد اكتشف دليلاً حقيقيًا على وجوده .

ولكن إيلى بدأ يذيع الأنباء مرة أخرى وأن كان فى هذه المرة فى مزيد من الكياسة ، إذ قال " إننى آسف لأن أقولك لك أن توماس

دولسيمور سينور قد انتقل إلى رحمة الله ، حيث مات فى حادثة موتوسيكل فى عام ١٩٦٧ " .

فقال إيان " عام ١٩٦٧ " .

" كان يقود الموتوسيكل ، ويبدو أنه من الناس الذين لا يحبون ارتداء الخوذات " .

إذن توم دولسيمور لم يعد اختياراً - ولا حتى فى الخيالات الجامحة لإيان .

" السبب فى معرفتى بهذه المعلومات هو أننى قمتُ بالاتصال تليفونيًا بوالدته ، وهى تسمى المسز ميلليت ، وهى تزوجت مرة أخرى وذلك هو السبب فى أن البحث استغرق منى مزيداً من الوقت ، وأنا قلتُ لها إننى كنت رفيقًا فى السلاح مع توم وأرغب فى التقابل معه ولكنى لم أقل أىّ كلام أكثر من ذلك لحين الحصول على رأيك ، فهل ينبغى علىَّ الآن استمرار فى مهمتى والذهاب لزيارتها فى منزلها ؟ " .

" لا ، لا داعى لذلك " .

" ومن المؤكد أنها تعرف أقارب الأطفال ، فهى سيدة تعيش فى مدينة صغيرة ويمكن لك أن تقول إنها تعرف كل ما يدور فى أرجائها .

فقال إيان " ربما ينبغى علىّ الحصول على عنوانها " ،

" أوكى ، تصرّف كما يحلو لك : المسز مارجى ميلليت ٤٣ شارع أورشاد رود / بورتيا / ميريلاند وأنت بحاجة لتدوين ذلك بالقلم ؟ " .

قـال إيان " لقـد طُبع العنوان فـى داخل ذهنـى " [وشـعـر أن هذا العنوان سـيظل مـحـفـوراً فى داخل ذهنه بالأزمـيل] وأضــاف " شكراً جزيلاً لك يا إيلى ، إننى أقدر تمامًا ما قدمتـه لى من مسـاعدات . وأنت تعرف المكان الذى ترسل إليه الفاتورة " .

" أوه . المبلغ بسيط وصغير للغاية فهذه المهمة كانت سهلة " .

فقال إيان لنفسه فى تفكير ربما كانت سهله بالنسبة لك ، ثم قال لإيلى : مع السلامة ووضع سماعة التليفون .

وترامى صوت أمه وهى تنادى من المطبخ " أجاثا ؟ لقد حان الوقت لإعداد المائدة " .

" أنا قادمة إليك " .

" وتقـابل إيان مع أجـاثا عند البـاب ومـشى مـتـجـاوزًا إياها نـحـو الشرفه ، ولم تلاحظ هى أىّ شىء .

كان المساء قد أصبح أكثر إظلامًا الآن كما لو أن ستائر متلاصقة من الظلام قد هبطت أثناء غيابه وكان تومـاس يهزّ الأرجوحة فى عنف شديد مما جعل السلاسل تحدث صوتًا شبيهًا بالصرير ، وفى أسفل على رصيف المشاه كانت الفتيات الصغيرات مازلن يلعبن لعبة الحجلة فتوقف إيان لكى يراقبهن ، هناك شىء ما يتعلق بزرع الأحذية الصغيرة فى داخل نطاق مربعات مرسومة بالطباشير جذب انتباهه ، فاستند على الدربزين وراح يفكر : تُرى بماذا يذكرنى هذا ؟ ماذا ؟ ومـاذا ؟ وألقت دافنى بالحصاة التى تستخدمها كعلامة فهبطت فى المربع البعيد فى

تموج شديد وفى رنين مدوى للغاية لدرجة أن الصوت بدا وكأنه قد ارتد من سماء ليست أعلى من سقف مطوقًا كافة أرجاء شارع ويفرلى ستريت على مسافة علوه بأقدام قليلة .

* * *

قالت المسز ميلليت " لوسى إن دين كانت عاهرة وفاجرة وقذرة " وأضافت " أدرك أنه لا ينبغى على أن أتحدث بالسوء عن الذين انتقلوا إلى رحمة الله ، لكن بدون مواربة وبدون لف ودوران يمكن القول إنها كانت عاهرة ومبتذلة " .

كانا يجلسان فى ركن الإفطار المنعزل ذى الطراز الهولندى البنسلفانى بمنزل المسز ميلليت وهو ركن ملىء بالقلوب والتوليبات المصنوعة من الخشب والمطلية باللون الأزرق [كان منزلها من النوع الذى تظل فيه غرفة المعيشة محتجزة من أجل مناسبة هامة وخطيرة لا تجىء أبداً ، وتمكن إيان من القاء نظرة خاطفة على سجاجيدها الصوفية البيضاء وعلى تنجيدها الأبيض أثناء رحلته إلى المطبخ] ، وسارت المسز ميلليت فى تثاقل نحوه مع فتح علبة سجاير ، كانت أصغر فى السن مما كان يتوقع وكانت تسريحة شعرها ناشفة للغاية وبنية تماماً وكان لها وجه طويل نحيل ، وكان فستانها المينى الصغير الأحمر الأرجوانى يرجع إلى موضة قديمة مما جعل إيان يندهش رغم أن إيان لم يكن له الرأى الأخير فى عالم الموضة والأزياء .

وكان هو نفسه يرتدى حلة ورباط عنق تم اختيارها بعناية لكى يبدو جديراً بالثقة ، وبرغم ذلك كيف عرفت هى أنه لم يكن من النوع الذى يطرق على الباب من أجل السرقة ؟ وهو لم يكن قد اتصل بها بالتليفون مقدماً لأنه لم يكن يخطط للقيام بهذه الزيارة ، وقال لنفسه إنه قد ارتدى ملابسه بالكامل فى هذا الصباح من أجل الذهاب للكنيسة فقط على الرغم من أنه لم يرتد أبداً رباط عنق من أجل الذهاب للكنيسة ، وكان قد انتهى من تناول طعام الغذاء مع عائلته عقب الانتهاء من الصلاوات وبعدئذ أعلن [وهو يتثاءب بصوت مرتفع ويتمطّى بطريقة متكلفة] إنه يشعر بالقلق الشديد وبالتالى فهو يفكر فى الانطلاق بسيارته فى نزهة قصيرة ، ثم وجد نفسه منطلقًا نحو الشمال بدون أن تكون معه خريطة إرشادية للطريق واعتمد على علامات الطرق التى قد تظهر أو لا تظهر ، ولكن العلامات ظهرت بالفعل ، العلامات التى تشير إلى بورتيا والعلامات التى تشير إلى شارع ٤٣ تلمع وتكاد تصبح حيث كانت مثبتة على عامود الكهرباء المواجه للكوخ المصنوع من الخشب الأحمر الصنوبرى ، عندما فتحت الباب قال " أنا اسمى إيان بيدلو ".وأضاف آمل ألا أُسبب لك أى إزعاج ، ولكنى شقيق زوج لوسى وأنا أحاول أن أعرف المكان الذى يعيش فيه أى شخص من عائلتها " .

لم تصفع الباب فى وجهه على وجه الدقة ولكن التعبير كان قد تجمد على وجهها على نحو ما ، وقالت له : " من الأفضل لك أن تسألها ".

" أسأل من ؟ " .

" تسأل لوسى دين طبعًا " .

فقال " ولكن لوسى قد ماتت " .

فراحت تحملق في وجهه .

فقال لها " لقد ماتت منذ فترة طويلة " .

فقالت " حسنًا إننى أكذب عليك إذا قلت لك إننى أشعر بالأسف على موتها لأننى أعرف عنها دائمًا أنها إنسانة رديئة للغاية " .

وشعر بالخجل من موجة المتعة والغبطة التى أحسَّتْ بها - المتعة الخسيسة المريرة التى يشعر بها المرء لدى سماعه شخص آخر يتفق معه فى الرأى بعد طول انتظار .

والآن قالت " أول شىء كان والداها مدمنين على تعاطى الخمور " ثم استخرجت سيجارة من علبتها وراحت تطرق بها فى خفة على المنضدة ، وأضافت " على أىِّ نحو على ما تعتقد حدث لهما حادث تحطم السيارة ذاك ؟ لقد كانا ثملين ، مخمورين للغاية هما الاثنان ، وبعدئذ انتقلت عمتها آليس لكى تيعش معها ، كانت معتوهة إذ أرادت أن تحصل على رأيى بكل صداق وأمانة . ولا تعتقد أنه كانت توجد هناك أية علاقة بينهما ، وأغلب الظن أن لوسى كانت تربىّ نفسها ، ولهذا السبب فإنى أفتخر بها كثيرًا ، إذ كانت تخرج من ذلك الكوخ الردىء فى كل صباح أنيقة ، كل شعرة فى مكانها ، كل إكسسوار متلائم مع غيره والله وحده هو الذى يعرف كيف كانت تنجز كل هذه الأمور على الرغم من أجورها الزهيدة .... " .

فقال إيان فى داخل ذهنه : كانت تنجز هذه الأمور من خلال السرقة ، كانت تسرق الأشياء المعروضة فى المتاجر ولا حتى أنت تعرفين أسوأ الأمور عنها .

" .... وكانت تسير فى أناقة إلى المدرسة وقد بدت نيّقة وصعبة الإرضاء والآنسة أمريكا قد وضعت كتبها أمام صدرها ، وكان الأولاد مولعين بها ، ولكنها لم تكن تنظر فى إعجاب إلا لابنى تومّى ، كان ينبغى عليك أن تشاهد ابنى تومىّ ، وإذ كان وسيما مثل نجم سينمائى ، بل وكان شديد الشبه بالممثل العالمى تونى كيرتس ، وهو ولوسى قد سارا سويًا فى مراحل التعليم ابتداء من الصف التاسع الابتدائى فصاعداً ، وكان يذهبان سويًا إلى كل حفلة رقص وكل مبارة رياضية ، وكانا يشاركان فى حفلة الكلية الصغرى ، وقد حدث خلاف بينهما فى الأسبوع السابق على حفلة الكلية وبعد هذا الخلاف تصادقت هى مع جارى دوربين ، ولكن تومى أعطى جارى علقة ساخنة فى صباح اليوم التالى ، ورجعت العلاقة بينه وبين لوسى مرة أخرى ، وكانا يبدوان فى الحفلة التى يذهبان إليها مثل ملك وملكة ، وأنا لا زلت أحتفظ بالصور الفوتوغرافية ، تومى كان يرتدى ملابس السهرة الرسمية السوداء ، وأنا قلت له [يا تومى يمكن لك الحصول على أية فتاة تريدها] ولكن بعدئذ .... حسنًا .... ويمكن أن تخمن ما حدث " .

ثم أشعلت سيجارتها وأمالت رأسها وأطلقت نفسًا طويلاً من الدخان مع الحملقة فى تحد نحو إيان .

" أنا أخمِّن ماحدث ؟ " .

" لوسى تركت لنفسها العنان وأصبحت حاملاً " .

" أوه " .

" وقلتُ [يا تومى ، لا يمكن لك أن تتأكد من أن ذلك الطفل هو طفلك] فقال لى [يا أمى ، إننى أدرك هذه الحقيقة ، ولكنى لا أعرف ماذا أفعل إزاء ذلك] " .

وقال إيان " ماذا ؟ " إذ شعر أن شيئًا ما من الكلام قد فاته ، وأضاف " هل تقصدين أنه ربما يكون طفل شخص ما آخر ؟ " .

فقالت المسز ميلليت " حسنًا ، من الذى يمكنه أن يقول ذلك ؟ " وأضافت " أقصد أن الحياة دائمًا ما تكون مليئة بالأمور المشوشة والغامضة ، أليس كذلك ؟ " وقلت له [يا تومى " لا تقع فى غرامها ، ولا ترتبط بها ، والمستقبل أمامك ، ويمكن لك أن تصبح إنسانًا مرموقًا فى المستقبل بل ويمكن لك أن تعمل كموديل للذكورة أمام الرسامين ، فلماذا تحمل نفسك مسئولية زوجة وطفل ؟] ولكن لوسى أقنعته بأن يتزوجها .

ويمكن لى أن أقول لك إنها قد تمكنت من ربطه حول إصبعها الصغير ، وتلك هى النوعية من الأمور التى تحطم قلب الأم " .

فقال إيان : "إذن ... ولكن تلك المرأة التى هى عمّتها" وبدأ يفقد على ما يبدو السبب المتعلق بهذه الزيارة ، وأضاف "أنت قلت أن عمتها تسمى آليس"

آليس دين ، حسنًا ، إنها لم تعترض على زواج لوسى ، كان يسعدها أن تتخلص من لوسى من خلال زواجها وذلك حتى يمكنها أن

ترجع إلى المكان الذى جاءت منه وترجع إلى طرائقها السابقة ، لذلك أقام تومى ولوسى مسكنًا فى هذه المقطورات الصغيرة القذرة الموجودة فى ساحة بلالوك تريلار وبدأ تومى فى العمل فى شركة لوثر للتجهيزات الرياضية ، ولكن عندما قالت له لوسى إنها أصبحت حاملاً مرة أخرى – طفلان فى خلال ثلاث سنوات – فإنه تركها ، وأنا لا ألومه أيضًا ، وإننى لا أوجه اللوم إليه ، فهو كان مجرد ولد صغير أو شاب صغير . ودائمًا ما كانت تسأله [متى ستفعل هذا ومتى ستفعل ذاك ؟] ولكنه لم يكن قد كوَّن أية حياة مستقرة بعد ، وكان من الطبيعى أنه يرغب فى التسكع والتجول فى الحياة لبعض الوقت ، فزعمتْ أنه غير قادر على تحمل المسئولية .

وأصبحت تتزعج لأتفه الأسباب ولذلك بدأ يبتعد عنها أكثر وأكثر ويقضى ليالى متواصلة بالخارج ، وعندما يرجع إليها كان الشجار ينشأ بينهما ، وتطلب الأمر استدعاء الشرطة مرتين ، وأخيراً تصرف على نحو سليم وتركها ، وهذا من فضل الله وتخلص منها وطلب الحصول على الطلاق ، وأستأجرت هى محاميًا كبيرًا وأقامت دعوى من أجل أن تقوم هى بإعالة أطفالها ، وهذا يبرهن على صحة ما كنت أقوله دائمًا : وهو أنها كانت تهدف دائمًا إلى الحصول على أمواله ، وكانت تريد فقط الحصول على شخص ما لكى يعول أولئك الأطفال ، فبحلول ذلك الوقت كانت قد وضعت طفلها الثانى وكان دائمًا تتشكىّ فى تذمر [لا أستطيع إطعام هؤلاء الأطفال على عشاب الغناء] وكلام آخر من هذا القبيل ، وأنا قلت لتومى [ينبغى عليها أن تذهب وتلتحق بأى عمل إذا كانت هى فى مسيس الحاجة للنقود] " .

فتساءل إيان " ولكن عندئذ من الذى كان سيرعى الأطفال ؟ " .

فقالت المسز ميلليت بصــوت مرتفع وهى تقلد صوته فى سخرية ، " يا إلهى ، أنت تبدو مثلها [وعندئذ من الذى سيرعى الأطفال] " . ونفضت عبــار سيجارتها فى طفاية سجايــر من الصفيح ، وأضافت : " بالطبع كان ، ينبغى عليها الحصول على جليسة للأطفــال ، وذلك هو ما قلته لتومى، إذ قلتِ له [ولا تتوقع منى أن أقوم بدور جليسة للأطفال] . فأنا لم أكن أحب أبداً أطفال الناس الآخرين ، وعلى أية حال فلقد تسكع تومى هنا لبعض الوقت ولكنه لم يجـد الجـو متلائمًا كثيراً معه فى بورتيا .

وأخيراً تطفل بركوب السيارات مجانًا إلى أن وصل إلى فيومينج ، حيث كان يأمل فى الحصول على عمل هناك ، عمل رائع يتعلق بالخيول ، ولكن ذلك لم يتحقق على النحو الذى كان يأمله ، ولذلك فإنه لم يتمكن بالطبع من إرسال نقود فى بادئ الأمر ولكنه كان يعتزم إرسال نقود ، وبعدئذ سمعنا أن لوسى لاذت بالفرار " .

" لاذت بالفرار ؟ " .

" هربت مع رجل ، هربت مع ذلك المحــامى الذى تولى الإجـراءات المتعلقة بطلاقها ، لقد قال لى المستر بلالوك ذلك الخبر وكانت هى مدينة له بالإيجار وقال لى أن مقطورتها كانت شاغرة مثل عُشّ طائر فى السنة الأخيرة وأن الباب كان يتحرك متلاطمًا بسبب الرياح وأن كل شئ غير مثبت بالمسامير كان يغير اتجاهه وقال إن جيرانها شاهدوا مجيء عربة نقل فان لكى تنقل ممتلكاتها ، وذهب الناس فى تقديراتهم إلى أن ذلك الرجل كان ذا مـال وفيـر ، ومن المؤكد إنها قد هربت معـه من أجل الحصول على النقود " .

فتساءل إيان " إلى أين ذهبت معه ؟ " .

" إلى بالتيمور ، ولكننا لم نعرف ذلك فى بادئ الأمر ، ففى بادئ الأمر لم يكن لدينا أدنى فكرة ، وأنا قلت لتومى إنه بتلك الطريقة قد أصبح فى حال أفضل ، وقلت له تليفونيًا [سجل الأحداث قد مُسح وأصبح نظيفًا ، وإننى أعتقد أننا قد تخلصنا منها للأبد] ولكن تخيل ما الذى حدث بعد ذلك ، إنها تقوم بالاتصال به تليفونيًا بعد مرور شهور قليلة ، وتقول إنها موجودة فى بلتيمور وتريد الحصول على نقودها التى هو مدين بها ، أوه أتمنى لو كنت موجودة عند الطرف الآخر للخط ، حيث كنت سأنهى المكالمة على الفور وذلك بإعادة سماعة التليفون إلى موضعها بأقصى سرعة، ولكن تومى فى تلك الأونة كان مهذبًا للغاية فى كلامه ، إذ قال لها [لقد كنت أعتقد أنه قد أصبح لديك الآن رجل غنى] فقالت له [أوه ولكن ذلك لم يؤدى إلى تحقيق النجاح] حسنًا ، أراهن على أن ذلك الشخص كان متزوجًا بالفعل ، وقال لها تومى [لا أستطيع أن أسدد لك هذا الدين ، لأننى تقابلت مع فتاة هنا وسوف نتزوج فى شهر يونيه ، وكل ما لدى من نقود حاليًا سيتم صرفه على هذا الزواج] وبعدئذ أضاف قائلاً لها [وعلى كل حال أين الأشياء والمتعلقات الخاصة بى ؟ فأنت قد أخذت معك كل شىء لعين تركته فى تلك المقطورة ، أشياء كنت بصدد الرجوع لأخذها فى يوم ما ولكنك قمت بحزمها وأخذها معك وكأنها مملوكة لك] ، فقالت له " تومى ، إننى فى مسيس الحاجة للنقود ، بل إننى فى ورطة ورهيبة الآن] فقال لها [عليك أولاً أن ترسلى لى حاجياتى وأشيائى] ثم أنهى المكالمة ، وهكذا ترى أنه

كان مهذباً للغاية معها ، أوه لقد سببت له المشاكل وجعلته يبدو طاعنا في السن وجعلته يتعود على احتمال المشاق وتسببت في جعل بشرته تبدو خشنة ومتصلبة " .

وأطفأت المسز ميلليت سيجارتها بأن سحقت عُقبها ثم راحت تحملق في الفراغ ، على الموقد كانت ساعة حائط من البلاستيك على شكل قطة تهز ذيلها الطويل المقلم المخطط في تكتكة جيئة وذهاباً .

وقالت " ولقد تعرض لهذه الحادثة في شتاء عام ١٩٦٧ ، حادثة موتوسيكل ، كان منطلقاً بالموتوسيكل على طريق مغطاة بالجليد ، واتصلت زوجته بي تليفونياً وأفضت لي بذلك الخبر ، ومنذ ذلك الوقت إذا دق جرس التليفون في منزلي أشعر على الفور بالبرد والمرض يتدفقان في أرجاء جسدي " .

فقال إيان " حسناً ، إنني آسف للغاية " .

ولكنه لم يكن سوى أكثر أنواع الأسف اتساماً بالتجرد والمجاملة . فهو لم يكن على استعداد على الإطلاق لأن يترك الأطفال مع رجل كهذا حتى ولو كان الرجل يرغب في ذلك .

وقالت المسز ميلليت " وبالطبع لم تكن تلك الزوجة الثانية جميلة على الإطلاق " .

فنهض إيان واقفاً [لا فائدة من وراء البقاء لفترة أطول من ذلك] . وقال " يا مسز ميلليت أقدّر تماماً تحدثك معي ، وأعتقد أنك تريدين أن تقولي إنه لا يوجد أي أقارب للوسي سوى تلك العمة " .

فقالت " لم أسمع عن وجود أقارب لها سوى عمتها هذه " .

" ولا يوجد أخوة أو أخوات أو أولاد عم أو أى شىء من هذا القبيل " .

" لا وفقًا لمعلوماتى ، بل وهناك احتمال أن تكون هذه العمة قد ماتت أيضًا بحلول هذا الوقت ، يا إلهى فى هذه الآونة الأخيرة يبدو لى أن العالم كله قد انتقل إلى رحمة الله " .

* * *

فى اجتماع الصلاة كانت الرائحة الخفيفة لسائل التنظيف تختلط مع كلونيا المسز جوردان ، وقالت الأخت ميرا : " صلّوا من أجلى لكى أتقبل هذا الصليب بدون شكوى " ما هو ذلك الصليب الذى تتقبّله ؟ ولم يكن إيان مصغيًا فى انتباه ، وأحنى رأسه وأحسَّ بالصمت يغلفه مثل الملاية الباردة النظيفة التى تجذبها نحوك أثناء نومك فى منتصف ليلة حارة .

وأخيراً قال إميت الموقر " من أجل أختنا ميرا " .

" آمين " .

" آية صلوات أخرى ، أية صلوات أخرى .... " .

وفى صف قريب من المؤخرة نهضت الأخت بيرتا واقفة ، وقالت " إننى أشعر بالقلق الشديد على شخص آخر فى هذه الليلة " وكانت تتوجه بكلامها إلى الكرسى الشاغر الموجود أمامها ، وأضافت " وهذا

الشخص موجود معنا هنا ويبدو أنه يعانى من مشكلة خطيرة ، وكنت أنتظر لأرى ما إذا كان سيطلب أن تصلى من أجله ولكنه لم يطلب ذلك حتى الآن " .

تُرى من يكون ذلك الشخص ؟ لم يكن يوجد سوى ثلاثة رجال : إميت الموقر والأخر كنيث وإيان .

وقالت الأخت بيرتا " وأنا أعرف أن هذا الشخص يشعر بكل تأكيد بالأرهاق الشديد فهو يعانى من المشكلات التى تحدق به من جميع الجهات وبالتالى يبحث عن حل ، ولكن لا يخطر على ذهنه أن يعرض هذا الأمر على اجتماع الصلاة " ،

ثم جلست .

فتدفقت الدماء الساخنة إلى وجنتى إيان .

من المؤكد أن المخبرين السريين كانوا يقسمون على الحفاظ على الأسرار ، أليس كذلك ؟ تماماً مثل المحامين أو الأطباء أليس كذلك ؟

وبدا على إميت الموقر أنه يموج بالقلق والشكوك ، وقال حسناً .. وراح ينظر فيما حوله نحو المتعبدين الآخرين ، ولم تتوقف عيناه بشكل ملحوظ على إيان ، على الرغم من أنه كان يشك فى أنه إيان بالطبع ، ثم قال : « هل هذا الشخص يريد منا أن نصلى من أجله ؟ " .

لا يردّ أحد ، ولا شيء سوى خشخات وهمسات ، فقال إميت الموقر " فى هذه الحالة فإننا لا نرغب فى التدخّل ، وبدلاً من ذلك هيّا بنا نصلى

من أجلنا جميعًا ، من أجلنا جميعا لكى ندرك أنه يمكن لنا أن نعرض مشكلاتنا على الله كلما نشعر أننا على استعداد للكشف عن هذه المشكلات :

ورفع ذراعيه فهبط الصمت المطبق كما لو كان قد ألقى بالصمت أمامه .

وراح إيان يفكر : الأخت بيرثا إنسانة محبة للاستطلاع ، وأنا أكره ذلك اللون الذى تصبغ به شعرها والذى يشبه لون حساء الطماطم .

وبعد : " منح البركة " كان أول شخص يخرج من الباب ، بل وخلف وراءه المسز جوردان التى غالبًا ما كانت ترغب فى العودة معه فى طريقها إلى منزلها وانطلق فى خطوة سريعة وهو يموج بالغضب ، لذلك كان آخر شىء يتوقعه هو سماع إميت الموقر وهو ينادى عليه باسمه " يا أخ إيان " .

فتوقف إيان واستدار .

من المؤكد أن الرجل قد انطلق فى الجرى على طول هذه المسافة ومن المؤكد أنه قد ترك رعيته بدون أن يشملهم برعايته وترك إنجيله مفتوحًا فوق الكاونتر وترك كنيسته مضاءة وبدون غلق أبوابها ، ولكنه مع ذلك لم يكن لاهث الأنفاس ، إذا اقترب وهو يمشى الهوينى حيث كان منهمكًا على مايبدو فى ارتداء سترته الصوفية المحبوكة التى لها لون شبيه بلون الغسق .

وتساءل " هل لى أن أسير وراءك ؟ " .

فهز إيان كتفيه فى لامبالاة .

وانطلقا سوياً فى مزيد من البطء .

وقال إميت الموقر فى لهجة بارعة للغاية " بالطبع الأمر يتعلق بما إذا كان المرء يشعر أنه على استعداد للإفصاح عما يدور فى ذهنه .

وقام إيان بركل بفنجان ويسكى لابعاده عن طريقه .

وقال إميت الموقر " بعض الناس يفضلون الاحتفاظ بمشكلاتهم فى داخل أنفسهم وعدم البوح بها " .

فاستدار إيان فى اندفاع نحوه وهو يطبق على جماع يديه فى إحكام فى جيبه . ثمّ قال " هذه هى حياتى ؟ وهى كل ما حصلت عليه ؟ وحياتى أصبحت مستقرة للغاية وهى حياة مخفضة ومجففة للغاية . وبعد هذا لا يوجد هناك أى تغير ! وليس أمامى سوى أن أحنى رأسى تحت عبء هؤلاء الأطفال للأبد ، أليس هذا ما تقوله ؟ " .

فقال إميت الموقر له " لا " .

" أنت قلت ذلك ! قلت لى أن أحنى رأسى تحت عبء الحمل الخاص بى ! " .

فقال إميت الموقر " ولكن هؤلاء الأطفال سوف يصبحون كباراً فى خلال فترة قصيرة للغاية، وهؤلاء الأطفال ليسوا هم العبء الذى أقصده. فالعبء هو العفو والصفح " .

فقال إيان " أوكى " وأضاف " بعد كم من الوقت سيتم الصفح عنى ؟ " .

" لا ، لا ، العبء هو أنه يجب عليك أن تعفوا وتصفح وتغفر " .

فقال إيان " أنا ؟ " وراح يحملق فى وجــه إميت الموقـر وأضــاف " أغفر لمن ؟ وأصفح عن من ؟ " .

" عن أخيك وزوجة أخيك بالطبع " .

فلم يرد إيان بأى كلام .

وأخيراً تساءل إميت الموقر " هل سنواصل المسير ؟ " لذلك شرعا فى السير سوياً ، ومراً بجوار رجل وحيد واقف فى انتظار عند محطة أتوبيس وبجوار صاحب دكان يغلق دكانه . وشعر إيان أن كل خطوة تقربه من شىء ما له أهمية ، وعلى نحو فجائى أصبح مدركًا للغاية للحركة والتدفق والإمكانية ، وشعر أنه بمثابة سهم – ليس سهمًا يطلق بمعرفة الله وإنما سهم منطلق نحو الله وإذا استغرق هذا كل قطعة من هذه الحياة الوحيدة التى يحياها فإنه سيصل إلى هناك فى نهاية الأمر على ما يعتقد .

(٧)

زواج منظم

كانت أجاثا هلى التى أثارت فكرة البحث عن عروسة من أجل إيان، وكانت بصدد الانتهاء من المرحلة الثانوية فى شهر يونيو ، ثم وصلت إليها رسالة تفيد بأنها قد قُبلتْ فى الكلية التى حددتها كاختيار أول لها، وبذلك فهى سرعان ما ستترك أسرتها للأبد ، وذات ليلة في شهر أبريل دخلت إلى غرفة المعيشة وقالت للاثنين الآخرين "إننى أشعر بالقلق على إيان" .

فألقى توماس ودافنى نظرات خاطفة عليها [وعلى كل حال كان هناك إعلان تجارى بالتليفزيون فى تلك اللحظة] كانت أجاثا تقف فى المدخل وقد طوت ذراعيها بينما نظّاراتها المصنوعة من الذّبلْ تستند بقوة على قمة رأسها بطريقة متسمة بالعزم والتصميم والبعد عن توافه الأمور ، وتساءلت " ومن الذى سيبقى إلى جواره بعد أن نذهب " .

فقالت لها دافنى " أنت الوحيدة التى ستذهبين " وأضافت " فأنا وتوماس مازلنا معه " .

فقالت أجاثا " ليس لفترة طويلة " فعادا ببصرهما إلى التليفزيون مرة أخرى لاستئناف مشاهدة الفيلم .

ولكنهما أدركا أن أجاثا كانت على صواب ، فإلى حدّ ما أصبح توماس منطلقًا فى خارج المنزل بالفعل ، إذا أصبح طالبًا مستجداً فى المدرسة الثانوية الآن وبالتالى صار له تواجد كامل فى خارج المنزل - مجموعة كبيرة من الأصدقاء وصديقة خصوصية وجدول ليس جزءاً من المناهج المقررة مثل النشاط الرياضى / الاجتماعى ، فرد مزدحماً للغاية حتى أنه نادراً ما كان يذهب إلى منزله لكى يتناول طعام العشاء ، أما بالنسبة لدافنى فإن جدتهم كان تحب أن تقول إن دافنى سرعان ما ستنتقل من سن الحادية عشر إلى سن الثمانين ، إذ كانت ترتدى ملابس شبيهة بملابس غجرية عجوز - طبقات مختلفة من الملابس وكافة أنواع الأسمال البالية التى قامت بشرائها بمفردها من المحلات المخصصة لبيع الأشياء الرخيصة - وتنطلق فى الشوارع فى مكان ما وتدير أمورها فى اقتدار شديد .

وقالت أجاثا " كل من سيتبقى لديه فى القريب العاجل هو جدتنا وجدنا " وأضافت " ولسوف يعتنى بهما دائمًا كالمعتاد ويقوم بأعمال التسويق وشراء الحاجيات وقيادة السيارة علاوة على المساعدة فى الأعمال المنزلية ، فما هى نوعية تلك الحياة ؟ أعتقد أنه ينبغى عليه أن يتزوج " .

واستحوذت الآن على انتباههما .

" ونظراً لأنه لا يعرف أى نساء على ما يبدو فإننى أعتقد أنه ينبغى علينا أن نعثر له على امرأة " .

فقالت دافنى على الفور " الآنسة بنينجتون " .

" من ؟ " .

فقالت دافنى " الآنسة أريانا بنينجتون ، مدرستى " .

وهكذا بدأ مشروع الزواج بتلك السهولة .

* * *

كانت الآنسة بنينجتون تقوم بالتدريس للصف الخامس الابتدائى منذ العامين الدراسيين الماضيين فقط ولذلك لم يكن توماس أو أجاثا من تلاميذها عندما كانا فى الصف الخامس ، ولكن توماس كان يعرفها من خلال شكلها وليس من خلال اسمها ، بل وكل ولد فى الحى كان يعرفها من خلال شكلها ، ولا حتى أصغر الأطفال كانوا محصنين ضد قوامها الشبيه بالساعة الرملية أو عنقها المليىء بالشعر البنى المجعد النابض بالحياة ، ومن ناحية أخرى كانت أجاثا بحاجة لأن تشاهد تلك الآنسة التى كانوا يتحدثون عنها .

ولذلك ففى فترة ما بعد الظهر فى إحدى أيام الجمعة وقبل الجرس الأخير مباشرة حيث كان من المفترض أن يكون توماس متواجداً فى اجتماع " قادة الغد " وأن تكون أجاثا متواجدة فى قاعة المطالعة فإنهما تقابلا عند نافورة المياه الخزفية الصينية القديمة المشروخة الموجودة خلف بو هاى Poe High وسارا سوياً على تلك المسافة القصيرة المؤدية إلى المدرسة الابتدائية ، وتقريبًا لم يكن هناك طلبة آخرون بالخارج فى هذه الساعة ولكن توماس ألقى التحية بالاسم على القليلين الموجودين –

أولئك الذين استأذنوا مبكرًا من أجل المواعيد المحددة للذهاب إلى طبيب الأسنان وغير ذلك من أمور ، وقالوا له " مرحبًا يا توماس ! " و "ما الذى يشغل بالك يا رجل ؟ " ، واكتفت أجاثا بمواصلة السير فى تشامخ وبدون أن يظهر على وجهها أى انفعال . وكانت ترتدى جاكيت على جونلة تتوقف عند منتصف ركبتها العاريتين القصيرتين المكتنزتين ، ولم تكن أجاثا تهتم أبدًا بالمظهر فى الملابس مثل زميلاتها ، وكانت غير مكترثة وكتومة ومغلقة ومستمرة فى المشى بدون تواجد توماس إلى جوارها إلى أن اضطر للجرى لكى يلحق بها .

وعند مدرسة رئيسة الابتدائية تولى توماس القيادة واختار بابا جانبيًا بدلاً من المدخل الرئيسى وصعد فى رشاقة على السلالم قاطعًا سلمتين فى كل مرة ، ثم توقف بالخارج عند الحجرة رقم ٢٢٣ والتفت نحو أجاثا وأشار إليها لكى تقترب منه .

ومن خلال النافذة الصغيرة شاهدا صفوفًا من تلاميذ الصف الخامس فى حالة انحناء على كتبهم ، وكانت الآنسة بنينجتون تمشى بينهم وكانت طويلة ورشيقة وممشوقة القوام وكانت تتوقف عند هذا المكتب أو ذاك لكى تجيب على الأسئلة ، ولا يمكن لك أن تعتقد أنها امرأة منتمية للسبعينيات ففى عهد بدأت فيه المدرسات فى ارتداء البنطلونات أثناء العمل كانت الآنسة بنينجتون ترتدى بلوزة بيضاء حريرة وجونلة سوداء مربوطة فى أحكام عند الخصر وجورب نيلون شفاف وخف من الجلد له كعب عالى - وهذه كلها هى الملابس الضيقة المحزقة المثيرة للجنس والتى كانت سائدة فى الخمسينيات ،

وكان شعرها يصل إلى كتفها وكانت أظافرها سهامًا حمراء حادة ، وكان مكياجها – عندما استدارت كما لو كان من خلال الغريزة وألقت نظرة نحو الباب – مشرقًا ومرسومًا وفق خبرة كبيرة : أحمر شفاه عميق يركز على شفتيها المكتنزتين وروج أرجوانى أزرق داكن وتظليل للعيون أزرق فوسفورى . واتخذ توماس وأجاثا خطوة إلى الوراء على وجه السرعة لكى يبتعدا عن خط بصرها ، ثم نظرا إلى بعضهما البعض .

وتساءل توماس " حسنًا ؟ " .

" إنها .... إنها تحب الألوان البراقة ، أليس كذلك ؟ " .

" أوه أجاثا ، أنت لا تعرفين أى شىء ، إنها رائعة الجمال ! ومن المفروض أن تبدو النساء على ذلك النحو ، فذلك هو الطراز الذى يحلم به الشباب " .

فقالت أجاثا " أوه " .

وقال توماس " إنها بالغة حد الكمال "

فقالت أجاثا على نحو حازم وواضح " وهو كذلك ، هيا بنا نبدأ فى تحريك هذا الموضوع " .

* * *

قالت دافنى لإيان إنه بحاجة إلى تحديد موعد لحضور اجتماع الأباء / المدرسين . فقال إيان " اجتماع ؟ " وأضاف : ما هو الشىء الخاطئ الذى أقدمت عليه ؟ " .

" لم أرتكب أى خطأ ، لماذا تفترض دائمًا أسوأ الأمور فيما يتعلق بالأشياء التى تخصنى ؟ لا أريد منك سوى أن تتحدث مع مدرستى بشأن الواجب المنزلى الخاص بى " .

" بشأن ماذا ؟ " .

" لكى تسأل على سبيل المثال عن : هل من المفترض أن تقوم بمساعدتى فى إنجاز واجبى المنزلى أو تتركنى لإنجازه بمفردى وعلى مسئوليتى ؟ " .

" ولكنى حاليًا أتركك لإنجازه بمفردك بالفعل فهل أنت تريدين الحصول على مساعدة ؟ " .

" قد تكون هذه فكرة جيدة " .

" إذن فلماذا لا أقوم على الفور بمساعدتك ؟ إذ يمكن لنا أن نوفر وقتًا فى كل مساء " .

فقالت دافنى له " لا ، أعتقد أنه ينبغى عليك أولاً أن تسأل الآنسة بنينجتون وتأخذ رأيها " .

فنظر إليها فى حملقة ، كان هو وهى يعدان ويغسلان أطباق العشاء [وكانت هى قد عرضت أن تقوم بتجفيف الأطباق عقب غسلها] بينما الاثنان الآخران قد جلسا إلى منضدة المطبخ وتظاهرا بأنهما منهمكان فى الدراسة ، والآن قالت أجاثا : "لا مانع من أن تظهر للمدرسة أنك مهتم يا إيان " .

فقال إيان لها " إننى مهتم بالطبع " وأضاف " يا إلهى ! إننى مثل أم لها تلاميذ فى المرحلة الابتدائية فقد قمت بخبز ١٢ دستة من الفطائر من أجل " أمسية الآباء " وقمت بنفسى بتوزيعها على الحاضرين " .

فقالت دافنى " ومع ذلك فأنت لم تذهب لم تذهب أبدًا من أجل اجتماع خصوصى " .

" لقد اعتقدت أن ذلك يدل على تحسن الأمور ، إذ لم يتم استدعائى ولو مرة واحدة طوال سنتك الأولى بالمدرسة " .

فقالت دافنى فى أسف وحزن " حسنًا ، وهو كذلك " وأضاف " إذا كنت لا ترغب فى جعل خطوط الاتصالات مفتوحة ... " .

فقال إيان وهو يضع كومة من السلطانيات فى الحوض : " جعل ماذا ؟ خطوط ماذا ؟ حسنًا ، لسوف أذهب هل أنت راضية ومسرورة الآن ؟ " .

فأومأت دافنى برأسها وكذلك أومأ الاثنان الآخران ولكن إيان كان قد أدار ظهره نحوهم فلم يشاهد تلك الإيماءات .

* * *

وأشارت دافنى إلى أن اجتماع ولى الأمر/ المُدرِّسة قد سار على ما يرام تمامًا ، وقالت لتوماس وأجاثا " كان يرتدى ذلك القميص الخاص باليافعين الذى قمنا بشرائه له فى مناسبة الكريسماس وهو القميص الذى يتطلب الكى ، وجاء من عمله إلى المدرسة مباشرة بينما

كانت رائحة الخشب تفوح منه ، وأنا متأكدة من أنها قد لاحظت تلك الرائحة " .

فقال توماس " ربما كان ينبغي عليه ارتداء بدلة " وأضاف "فالأنسة بنينجتون دائماً ما تكون متأنقة فى ملابسها ونحن لانريد لها أن تعتقد أنه مجرد عامل " .

فقالت دافنى إنه بالفعل مجرد عامل ، وما هو الخطأ فى ذلك ؟ " .

فقال توماس " نعم ولكن فى بادئ الأمر ينبغى عليها أن تدرك أنه إنسان ذكى وبعدئذ يمكن لها أن تعرف نوعية العمل الذى يقوم به لكى يكسب رزقه فى الحياة " .

" حسنًا ، لم يعد هناك متسع من الوقت لاتخاذ هذا الأسلوب ، وعلى كل حال فأنا قد استخدمت الاسم الأول لهما فى التعريف مثلما قالت لى أجاثا تمامًا ، إذ قلت : [إيان بيدلو ..... آريانا بنينجتون ، وأعتقد أنكما تقابلتما مع بعض من قبل] " .

فقالت أجاثا لها " كان ينبغى أن يتم التعرف على العكس من ذلك {آريان بنينجتون ..... إيان بيدلو } " .

" أوه يا أجاثا ، لذلك تصافحا بالأيدى ، وسألت الآنسة بنينجتون إيان عن الأمور التى يمكن لها أن تفعلها من أجله ، ثم جلسا إلى مكتبين فى نهاية الحجرة وأنا وقفتُ إلى جوار إيان " .

" كان من المفترض أن تتركيهما بمفردهما " .

" لم يكن بمقدورى أن أفعل ذلك ، فهما قد أدخلانى معهما على نحو ما ، إذ قال إيان { يا دافنى ..... دافنى أرادتْ لى أن أتناقش معك فى ..... } . وأشياء من هذا القبيل " .

فقال توماس لأجاثا " أعتقد أن هذا ليس له أهمية كبيرة فى هذه المرحلة ، فهما لن يشرعا على الفور فى فهْم حقيقة الموقف أو شىء من هذا القبيل " .

وقالت دافنى " كانت الآنسة بنينجتون ترتدى فستانها الأزرق الذى له تجويف عند الرقبة " وأضافت " وكنا نتوقع جميعًا أن ترتدى ذلك الفستان ، وهو فستان له تنّورة تحتانيه تكشف عما تحتها سواء أكانت متصلة أم منفصلة ، وهى عادةً ما تُشبك هذا الدبوس على صدرها ولكنها لم تفعل ذلك فى هذه المرة ، وقد سررتُ من ذلك ، فنحن نعتقد أنه ربما تكون هناك صورة فوتوغرافية لصديق مستديم معها فى داخل هذا الدّبوس " .

فتساءل توماس متجهّمًا " هل تقصدين أنها ربما يكون لها بالفعل صديق على علاقة دائمة بها حاليًا ؟ " .

" ومن يهتم بذلك ؟ المهم الآن أنها قد تقابلت مع إيان " .

وقالت أجاثا " ثم شعرت بالإعجاب به " .

" كان من المحتم أن تُعجب به ، إذ كان يجلس فى المكان الذى سقطتْ فيه أشعة الشمس على رأسه مما جعل الجزء العلوى من شعره يكاد يكون أصفر اللون ، وذلك على النحو الذى تعرفانه ، وظل خالعًا

طاقيته ولم يقل أيّ كلام متّسم بالطابع الدينى ولا مرة واحدة ، وظلت الآنسة بنينجتون تبتسم فى وجهه وتميل برأسها أثناء انهماكه فى الكلام " .

فقال توماس " هذا شيء عظيم لقد سارت الأمور على نحو أفضل مما كنا نتوقع " .

" وعندما خاطبها بقوله { يا آنسه بنينجتون }" .

وضعتْ يدها على ذراعه وقالت له {لو سمحت ، يكفى أن تقول لى : يا أريانا } .

" هذا شيء عظيم " .

" وهى قالت لى إننى من أفضل طالباتها ، وإنها لم تعرف السبب الذى جعلنى أشعر بالقلق فيما يتعلق بالواجب المنزلى الخاص بى ولكنها قَدَّرتْ كثيراً مجيئه وكان من المثير للغاية أن تشاهد رجلاً قد شغل نفسه للغاية فى متابعة تعليم أطفاله " .

فتساءلتْ أجاثا " هى أدركت أننا لسنا أطفاله فى حقيقة الأمر ؟ أليس كذلك ؟ " .

وأضافت : " فهى تدرك أنه غير متزوج ، ألیس كذلك ؟ " .

" من المؤكد أنها أدركت أنه غير متزوج ، لأنها كانت قد أحضرت الملفّ الخاص بى وفتحته ووضعته أمامها ، وعلاوة على ذلك فإن إيان قال لها { لست أنا فقط الذى يهتم بمتابعة تعلّم الأطفال ، فكل من جدّهم

وجدتهم سبق لهما العمل فى مجال التدريس وبالتالى فهما يقدمان أيضاً قَدْرا من العون والمساعدة } " .

" حسنًا ، أتمنى لو أنه لم يقل ذلك ، فهو برغم كل شيء هو الذى يبذل معظم الجهود من أجلنا " .

فقال توماس " لا ، هذا أفضل ، فهى الآن تعتقد أنها لن تُصاب بالإرهاق ولن تضطلع تماماً بأعباء الأطفال عندما تتزوجه " .

وقالت دافنى " ولسوف يشعر كل شخص فى مدرستى بالحقد والغيره " .

فقالت أجاثا لها " عليك بالوصول بنا إلى نهاية الحكاية " وأضافت " هل قمت بتنفيذ الخطة التى وضعنها فيما يَتعلّق بتوجيه الدعوة لها على العشاء ؟ " .

" لقد نفذتُ بكل دقة الخطة الموضوعة ، فعندما نهض إيان واقفًا لكى ينصرف قال [حسنًا ، إننى أتقدّم لك بجزيل الشكر يا آنسة بنينجتون ....] " .

" ليس [آريانا] ؟ " .

" قال [يا آنسة بنينجتون] وأنا قلت [وأنا أيضًا أشكرك شكرًا جزيلاً ، يا إيان ألا يمكن لنا أن نطلب منها أن تتناول معنا طعام الغذاء فى يوم ما ؟] " .

فقال توماس " وذلك أنجز المهمة ، فلا سبيل للتراجع عن ذلك " .

" لقد حاول أن يتراجع ، إذ قال [آه يا دافنى ، الآنسة بنينجتون لديها جدول مواعيد مزدحم للغاية] ولكنها قالت [لو سمحت ، خاطبنى بـ أريانا ، وأنا يسعدنى للغاية أن أجيىء] " .

فقالت أجاثا " هذا شىء عظيم " .

" باستثناء ... أنا إيان إنسان متخلّف للغاية " .

" متخلّف ؟ " .

" إذ قال [فى حقيقة الأمـر إن أسرتى لا تتّسم كثيراً بكرم الضيافة] " .

فزمجر الاثنان الآخران فى أنين .

" ولكن الآنسة بنينجتون قالت له (آوه . أننى لا أريد وليمة) ثم ضحكت ووضعت يدها على ذراعه مرة أخرى " .

وقال توماس " إنها مولعة ومفتونة به للغاية " .

" ولكن إيان سحب ذراعه بعيداً عنها ، وحقيقة الأمر أنه فى كل مرة تضع هى يدها على ذراعه فإنه يبادر إلى سحب ذراعه " .

" إنه يبذل جهداً كبيراً لكى يُبعد ذراعه " .

وذلك جعل دافنى وأجاثا تبدوان أكثر ابتهاجًا ، وبرغم ذلك كان توماس هو الإنسان الاجتماعى ، بل وكان اجتماعياً على نحو يكاد يكون محموماً ، بل وكان بمقدوره أن يتصرف فى لباقة شديدة إزاء أىّ موقف ، كان هو الشخص الذى يعرف الكيفية التى تسير عليها الأمور فى العالم .

* * *

وفى الليلة التى جاءتْ فيها الآنسة بنينجتون لكى تتناول طعام العشاء كانت جدّتهم قد قامت بإعداد شرائح من لحوم البقر المشويه [كان آل بيدلو يكتفون الآن بالأطعمة التي لا تتطلب وقتًا طويلاً فى الإعداد : اللحوم المشوية والدواجن المخبوزة وساندويتشات اللحوم المشوية] ، وكانت تجد مشقة فى الإمساك بالآنيه ولذلك طلبت من آجاثا أن تُعد لنا صلصة مرق اللحم ، وأصدرت لها التعليمات " عليك بصبّ مقدار ضئيل من الماء " واستطردت " والآن صبيّ مقدارًا قليلاً آخر من الماء .... " .

وانهمك إيان فى إعداد المائدة ، وقام بوضع الأطباق الفضية على قطع القماش المثقوبة التى كانت جدّتهم قد نشرتها بالفعل على أرجاء المائدة وهى قطع القماش التى تُسمَّى : الحصائر ، وذهب إلى المطبخ ومعه حفنة من الشوك ، وقال : " لماذا وضعت تسع حصائر ؟ " .

فتساءلت جدتهم "لماذا ، كم عدد الذين سيجلسون إلى المائدة ؟" .

" لا يوجد سوانا والآنسة بنبنجتون ، أى أن العدد الإجمالى : سبعة " .

فقالت جدّتهم " وأيضًا المستر كيت ، وتلك المرأة المنتميه لكنيستكم وأضافت " هذا ما يجعل العدد الإجمالى تسعة " .

لم يكن المستر كيت بحاجة إلى توضيح ، فهو الشخص المتشرد الرسمى الموثوق به الذى تبنّته كنيسة الفرصة الثانية فى خلال الشتاء الماضى ، أما المرأة ؟ ، فتساءل توماس " من هى تلك المرأة ؟ " .

فقالت جدّتهم " لا أعرف ، ربما هى عضوة جديدة أو زائرة أو شىء من هذا القبيل ، ينبغى عليك أن تسأل إيان " .

فنظر ثلاثتهم إلى بعضهم البعض ، وقالت دافنى : هذا شىء مثير للقرف وخيبة الأمل rats " .

وقالت جدّتهم لهم "إننى متأكدة من أننا سوف نحبّها ، ولقد أشار إيان إلى أننا إذا كنا سنتكبد كل هذه المشاق فإنه يمكن لنا أن نوجه الدعوة لهذه المرأة ، كما أشار إيان إلى أننا لم نوجّه الدعوة أبداً للمستر كيت للمجىء عندنا وقال إننا الناس الوحيدون بالكنيسة الذين لم يوجّهوا الدعوة إليه" .

فقالت دافنى " نعم ولكن .. هذا شىء مثير للإزعاج " وأضافت " فمن المفترض أن تكون الآنسه بنينجتون هى الضيقة الوحيدة على وجبة العشاء هذه " .

فقالت جدتّهم فى مرح "لا داعى للقلق ، فنحن لن نُهمل مُدرِّستكم الغالية" .

فى الأسبوع الماضى كانوا قد سمعوا جارة جديدة تسأل جدتّهم عن عدد أطفالها ، وراحوا يصغون لإجابتها : تُرى هل ستقول إن لديها اثنان أم ثلاثة ؟ وما الذى يمكن لك أن تقوله إذا كان ابن قد انتقل إلى رحمة الله ؟ ولكنها خدعتهم . إذ قالت : لا يوجد سوى شخص واحد ظل ماكثًا بالمنزل : كما لو أن الناس الذين ظلوا بالمنزل هم فقط الذى يتم احصاؤهم وكما لو أن أى شخص غير حاضر لم يكن متواجداً من قبل .

وربما اعتقدت أنه كان من الملائم لإيان أن يكبر فى السن بمفرده مع والديه .

* * *

كان المستر كيت هو أول شخص يصل إلى المنزل ، وهو فى حقيقة الأمر لم يعد متشرداً ، إذ أصبح يقوم بمسح البلاط فى مقرّ عمل الأخ سيمون كما كان يسكن مجانًا فوق جراج الأخت نيل ، ولكن الناس بالكنيسة ظلوا يتفاخرون بأنهم يوجهون إليه الدعوة لتناول الطعام فى منازلهم ، وظل هو يتوقع منهم ذلك ، وكانت سوالفه الرمادية التى تصل إلى ربع بوصة تُلقى بظلال على وجهه الشاحب ، ودائمًا ما كانت ملابسه مرتخية وشاغرة على نحو عجيب حتى ولو كانت هى البذلات الغالية الثمن المفصلة عند الترزى والتى كانت تصل إليه كهدية من والد زوج الأخت بيل ، وكان يلبس فى قدميه خُفًا أحمر اللون من ذلك النوع الخشن الذى يرتدية الناس الذين يمشون فى تثاقل ، وكان ذلك الخف يجعله يمشى فى هدوء شديد ولذلك عندما سار وراء دافنى إلى غرفة المعيشه بدا عليه الترويع والتردّ وقال وهو يحملق فيما حوله " أوه ، يا له من طابع عائلى فى هذا المنزل " .

وقالت دافنى له « إيان لم يعد من العمل إلى المنزل حتى الآن » ، وكان قد طُلب من الأطفال الثلاثة تجاذب أطراف الحديث مع ذلك الرجل أثناء قيام جدّتهم بتغيير ملابسها ، وقال توماس « ألن تتفضّل بالجلوس ؟ » .

فجلس المستر كيت بدون إحداث أىّ صوت على البوصات الأربعة لكرسى فوتى ، وقال لهم " فى الليلة الماضية تناولتُ الطعام فى منزل المسز ستامى " [من المؤكد أنه يعنى : منزل الأخت ميرا ، إذ كان يرفض التأقلم مع استخدام كلمة : الأخت وكلمة الأخ] وأضاف قائلاً " وقدّمت لى شريحة من لحم البقر كان زوجها قد أعدّها بطريقة الشورمة " .

فقالت أجاثا " ليس لدينا سوى لحم البقر المشوى " .

" هذا شيء عظيم "

وهبط جدّهم نازلاً على السلالم ، وتوقف عند المدخل وقال : " مرحبًا بك ! أنا دوج بيدلو " .

فقال المستر كيت له " وأنا جورج كيت " ، ونهض واقفًا تدريجيًا ثم تصافحا بالأيدى ، وإذا عقدنا مقارنة بين ملابس الرجلين نجد أن ملابس كيت كانت أكثر اتسامًا بالطابع الرسمى ، كان جدّهم يرتدى بنطلونه القطنى المخملى المليء بالزغب والخف الجلدى المتجعّد الذى بدون كعب ، وسأل المستر كيت " أيمكن لى أن أقدم لك مشروبًا ؟ " .

" لا ، شكرًا جزيلاً ، فالخمور هى التى سببت لى الدّمار " .

فقال جدّهم " آه " ، وراح يتفحّص المستر كيت على مدى لحظات ، ثم أضاف قائلاً " من المؤكد أنك الشخص القادم من كنيسة إيان " .

" نعم ، أنا " .

" حسنًا ، زوجتى بصدد النزول على السلالم والمجيء إلينا ، فهى فقط تغسل وجهها وتضع الميكاج " .

وجلس على الأريكة بجوار آجاثا ، ولم تكن أجاثا قد ارتدت ملابسها الرسمية أيضًا - فأجاثا لم تكن معتادة أبدًا على ارتداء الملابس الرسمية - ولكن توماس ودافنى قد أعطيا اهتمامًا خاصًا ، إذ كان البلوفر المنقط بألوان مختلفة والذى يرتديه توماس يتلاءم مع

الشارة الزرقاء الموجودة فى قميصه ، كما كانت دافنى ترتدى الملابس المفضلة لديها : جونلة من الشاش الأرجوانى تتدلى حتى كعبيها وجاكيت من جلد الغزال المزدان بالأهداب ، وكانت تلوى الطوق الفضى فى شحمة أذنها ، إذ كانت لديها هذه العادة المتسمة بالطابع العصبى ، وظلت إحدى فردتى حذائها المجعّد ذى الرقبة تهتز صعوداً وهبوطاً .
وسألتْ أجاثا "هل ذكَّرتِ إيان لكى يجىء إلينا مباشرةً من العمل ؟ " .

" لقد ذكَّرته بذلك أثناء تناول طعام الإفطار " .

" آمل ألا تجىء الآنسة بنينجتون إلى هنا قبل مجيئه " .

فتساءل جدّهم : " مَنْ تكون هى الآنسة بنينجتون ؟ " .

" إنها مدرستى يا جدّى ، وقد حكينا لك كل هذا الموضوع " .

" أوه ، هذا صحيح " .

" إنها مدرستى بالصف الخامس " .

" هذا صحيح " .

فتساءل المستر كيت وهو يشعر بالقلق " الصف الخامس ؟ " .

وأضاف " لقد كنت أكره بشدة الصف الخامس الابتدائى " .

فقالت دافنى له " أنت لن تكره الآنسة بنينجتون " .

فقال المستر كيت " الصف الخامس كان بمثابة حدٍّ فاصل " وأضاف " وقد اعتدت أن أزيل الثقوب فى ورقتى " .

" الآنسة بنينجتون ممتازة للغاية وهى تسمح لنا باحضار كتب فكاهية وهزلية فى أيام الجمعة .

وفُتح الباب الأمامى . فصاحت دافنى "ها هو قد جاء" ، ولكن كان أول مَنْ دخل إلى غرفة المعيشة امرأة شابة ممتلئة مرتدية بذلة أعمال البزنيس ودخل وراءها إيان حاملاً معــه دلو وجبة غــذاء خفيفــة ، وقال "آسف إذا كنا قد تأخّرنا" .

كنا ؟ ونظر الأطفال إلى بعضهم البعض .

وقال إيان " هذه هى الأخت ها ربيت " وأضاف " وهى جديدة فى كنيستنا . يا هارييت ، هذا هو والدى دوج بيدلو ، وأنت تعرفين المستر كيت ، وأعتقد أنك قد شاهدت توماس ودافنى أثناء الصلوات العامة المقدسة . وهنالك توجد أجاثا " .

وإذا كانت الأخــت هــاربيت قد شــاهدتهم فإنهم لم يشــاهدوها أو شاهدوها ولكنهم نسوها ، وكان شعرها البيج غير المجعّد المتُدلِّى إلى أسفل ظهرها يتجمع على نحو سخيف من خلال مشبك بلاستيك للشعر عند مؤخرة رقبتها ، وكان وجهها عريضًا وبسيطًا وبدون ألوان وكانت بذلتها – جاكيت مستقيم وجونلة تصل إلى منتصف ربلة الساق – مصنوعة من قماش رخيص الثمن ليس له طابع خاص أو صفة مميزة وأيضًا لم يَبْد عليها أنها ترتدى جوربًا ، وكان لون ربلْتى ساقيها طباشيرى أزرق / أبيض ، وكان حذاؤها السويدى المنتفخ مصقولاً ولامعًا عند الجزء العريض من قدميْها .

وقالت " أوه ، يا مستر بيدلو ، إنني مسرورة للغاية لأنى تقابلتُ معك فى نهاية الأمر ، وأنت يا مستر كيت لقد أسعدنى أن أشاهدك مرة أخرى " ، ثم اتجهت إلى المطبخ ، وقالت " يا توماس ، لقد كنتُ جالسة خلفك مباشرة فى الكنيسة فى يوم السبت الماضى أنا الأخت هارييت" .

ومدّت يدها لكى تصافح كل واحد منهم – وكانت يدها قوية ومسترجلة ومقصوصة الأظافر تمامًا ، وهبطتْ لحظات لم تظهر فيها سوى أصوات المشى فى تثاقل وهمهمة ، " أوم ... كيف الأحا ... يسعدنى أن ...... " . وبعدئذ جاءت جدّتهم ، إنها دائمًا ما كانت بطيئة على السلالم ، حيث كانت تمسك بالدرابزين بشدة أثناء نزولها ولكن من المؤكد أنها قد خمّنت أنهم كانوا فى حاجة إليها فى هذا المساء لأنها راحت تقول بصوت مرتفع " هالو ... مرحبًا ، آسفة لأننى استغرقتُ وقتًا طويلاً للغاية "-وفى هذه المرة سار التعريف على النحو الذى افتُرض له مع تبادل القليل من التحيات والمجاملات ومع تحدّث كل فرد فى آن واحد ، وقالت الجدة للأخت هارييت وهى تشير إلى الشىء الوحيد الجذّاب المتعلّق بها "أليس هذا دبّوسًا جميلاً للغاية ! " فقالت الأخت هارييت إنه كان من ممتلكات عمة أمها ، وبعدئذ دقّ جرس الباب فذهب إيان لكى يستقبل الآنسة بنينجتون .

وكانت الآنسة بنينجتون تبدو فى حالة ملائمة تمامًا ، إذ كانت إحدى أولئك الناس الذين يعرفون على وجه الدقة ما ينبغى ارتداؤه فى كل مناسبة من المناسبات ، وفى هذه الحالة لم تبلغ فى ارتداء الملابس الفاضحة مثلما قد تفعل نساء أخريات كما أنها لم تقع فى تلك الغلطة

التى يقع فيها الناس بأن تصدم الآخرين من خلال ارتداء شيء ما مثبذا وغير رسمى على نحومبالغ فيه ، إذ كانت ترتدى القميص المشجّر الذى كانت ترتديه طوال اليوم بالمدرسة علاوة على ارتداء سترة فضفاضة من قماش الفلانيلة وجديلتين من اللؤلؤ حول رقبتها ، والطريقة التى تحركت بها بين المجموعة مع إلقاء التحية على كل شخص فى ابتهاج شديد بما فى ذلك المستر كيت والأخت هارييت جعلت الأطفال يتبادلون الابتسامات وعندما وصلت إلى دافنى احتضنتها على وجه السرعة ، ربما كانت متسمة بالطابع العائلى أيضًا .

ومما يؤسف له أن الكلام قبل تناول طعام العشاء قد تركّز على الأخت هارييت ، واتضح أن الأخت هارييت قد جاءت من مدينة صغيرة قريبة من رتشموند وهى قد اكتشفت فى بادئ الأمر أن بلتيمور من الأماكن التى يصعب فيها تكوين الصداقات ، وقالت " الشركة التى أعمل بها ضخمة ولها نفس حجم مدينتى " وأضافت " : أما فى مدينتى فقد كنت أعمل فى مكتب فرعى صغير ، ولكن هنا فإنهم لديهم موظفون كثيرون للغاية حتى أنه لا يمكن لك أن تأمل أن تعرفهم جميعًا " .

فسألتها الآنسة بنجينتون " ما هى تلك الشركة ؟ " .

" إنها شركة [الحياة الشمالية الشرقية] وهم يعملون فى كافة أنواع التأمين : ليس فقط التأمين على الحياة ولكن أيضًا التأمين على السيارات والعجز .... " .

" التأمين ؟ ولكن ألست راهبة ؟ " .

فقالت الآخت هارييت " لماذا ، لا " .

وشرع المستر كيت فى الضحك ، وقال " ها ! ها ! راهبة !! هذه نكتة جديدة" .

فقالت الأخت هارييت للآنسة بنينجتون " هذا هو فقط ما نطلقه على بعضنا البعض فى الكنيسة " ، وأضافت " فى كنيسة إيان وفى كنيستى نطلق على بعضنا البعض لقب [الأخت] ولقب [الأخ] ولكن يمكن لك أن تقولى لى [يا هارييت] إذا أردت ذلك " .

فقالت الآنسة بنينجتون " آوه ، أدرك ذلك " ، ونظر الأطفال الثلاثة لأسفل نحو حجرهم ، كم أن عبارة : كنيسة إيان وكنيستى مثيرة للضيق والضجر للغاية ، كما لو أن إيان والأخت هارييت كانا مرتبطين على نحو ما ، ولكن الآنسة بنينجتون ظلت محتفظة بالتعبيرات المشجعة المرسومة على وجهها وقالت " أعتقد أن الكنيسة هى المكان المثالى لعقد الصداقات " .

فقالت الأخت هارييت لها " هذا شىء أكيد ، فهى بالتأكيد كذلك " وبعدئذ كان عليها أن تواصل الكلام عن الكنيسة وعن كيف أنها مكان لطيف ومتسم بالطابع العائلى ومتسم بالترحيب وكيف أنها من بعض النواحى تذكرها بالكنيسة الصغيرة التى نشأت فيها باستثناء أن اجتماع الصلاة كان يعقد هناك فى يوم الثلاثاء بدلاً من يوم الأربعاء وباستثناء أنهم لم يكونوا يوافقون هناك على المكياج وأعمال التجميل وكانوا يعتقدون أن كلمات مثل [يا إلهى gosh] ومثل [يا للعنة damn]

هى من كلمات السب والشتائم التى لا ينبغى استخدامها ولكن بخلاف ذلك فإن ....

وبينما كانت الأخت هارييت تتكلم ابتسم لها إيان وكان جالساً على مقعد البيانو وقد مدّ ساقيه المغلفين فى بنطلونه الجينز الأزرق أمامه واستند بمرفقيه على غطاء لوحة المفاتيح ، وكان بصيص أخير من شعاع ضوء الشمس ينحدر من خلال نافذة جانبية ويقع على وجهه على نحو ما مما يجعل الزغب الخوخى اللون الموجود على عظمتى وجنتيه يتحول إلى اللون الذهبى الخالص ، ومن المؤكد أن الآنسة بنينجتون كان عليها أن تلحظ ذلك ، كيف أمكن لها أن تقاومه ؟ إذ كان يبدو متألقًا ورائعًا وباهراً .

* * *

وأثناء تناول الطعام تحدث المستر كيت عن تجربته الكاملة للصف الخامس الابتدائى ، فقال " إننى أعتقد أن كل شىء قد سار فى الطريق الخاطئ فى حياتى يمكن إرجاعه إلى الصف الخامس الابتدائى مباشرة ، فقبل ذلك كنت أحقق نجاحًا مدوياً ورائعًا ، بل وكنت مشهوراً بالأناقة والنظافة ، ففى معظم الأحوال كنت أنا الذى يقوم بتنظيف المحاوات أو مراقبة المطعم الذى يقدم وجبات الغذاء السريعة على مدى مرات كثيرة للغاية مما جعل التلاميذ يهمسون بأننى التلميذ المُدلل لدى المُدرِّسة ، وعندما وصلنا إلى الصف الخامس أصبحت مدرستنا هى : الآنسة يبلشنار يا إلهى ، مازال بمقدورى مشاهدتها فى داخل ذهنى ، كان لها شعر نحاسى مصبوغ ومجعد وقصير وكانت لها تلك الابتسامة الشراء

الزائفة التى لا يمكن أن تخدع شخصًا تحت سن العشرين . وفى أول يوم فى الدراسة سألتنى [أين ورقتك التى بها سطور ؟] فقلتُ لها [أنا أحب استخدام الورق الخالى من السطور] فقالت [حسنًا ، فى الصف المدرسى الخاص بى لا يكون لدينا أفراد خصوصين لهم طريقتهم الخيالية فى عمل الأشياء وإنجاز الأمور] وعندئذ أدركت أننى سوف أصادف أوقاتا عصيبة ، وبعدئذ لم أتمكن من تحقيق النجاح فى أى وقت من الأوقات على الإطلاق " .

فقالت الآنسة بنينجتون " أوه ، يا مسترٍ كيت ، يا له من أمر يدعو للشفقة ! " .

وقال جدهم من مكانه عند رأس المنضدة " وأنا من ناحية أخرى كنت مفتونا بالصف الخامس ، إذ كانت لىُ مدرِّسة شبيهة بنجمة سينمائية ، بل وكانت صورة طبق الأصل من النجمة ليليان جيش ، ولذلك قررت أن أتزوجها " .

وكان هذا الكلام غير مريح ، فراح الأطفال الثلاثة يتحركون فى قلق فى كراسيهم ، ولكن الآنسة بنينجتون اكتفت بالابتسامة والتفتت نحو إيان وقالت " يا إيان آمل أن تكون لك ذكريات سعيدة مع الصف الخامس الابتدائى " .

فقال إيان بدون شغف " هـ م م ؟ أوه ، نعم " .

ولم يرفع بصره عن طبقة ، وكان منهمكًا فى تقطيع شريحة اللحم إلى أجزاء صغيرة .

فسألته " أكنت تذهب إلى المدرسة هنا فى بلتيمور ؟ " وكان صوتها منحنيًا نحوه ومليئًا بالتملق ، ولكن إيان اكتفى بنقل شوكته إلى يده اليمنى ، وبدا أثناء هذه الحركة كأنه يبتعد أكثر عنها ، ثم قال فى اقتضاب " نعم " وأخذ قضمة من اللحوم وشرع فى المضغ البطىء ، لماذا كان يتصرف بهذه الطريقة ، لقد كان يتصرف مثل ... مثل أحد العمال العاديين فى حقيقة الأمر .

وأخيراً تكلمت جدتهم نيابة عنه وقالت فى إشراق " نعم ، فى حقيقة الأمر ! وهو قد أمضى فى التعليم ١٢ سنة " وأضافت " وكما تعرفين يا آنسة بنينجتون .... " .

" آريانا " .

"فأنا كنتُ – يا آريانا – أعمل مُدرِّسة منذ قرن مضى من الزمان" .

" أوه ، إيان سبق له أن قال ذلك " .

"كنت أقوم بالتدريس للصف الرابع الابتدائى فى العصور المظلمة" .

فقالت الأخت هارييت على نحو فجائى " وأنا أيضًا " .

فنظر إليها كل شخص .

فقالت " قمتُ بالتدريس للصف السابع ، ولكنى لم أكن ممتازة فى التدريس للصف السابع " .

فقال إيان " يا هارييت ، أراهن أنك كنت ممتازة فى التدريس " .

فقالت " لا " وأضافت " فهذه حقيقة ، إذ لم يكن لدى ..... لست أدرى ..... لم يكن لدى الشخصية أو أى شىء من هذا القبيل " .

حسنًا ، من المؤكد أنها لم يكن لديها الشخصية الملائمة وتبادل الأطفال الثلاثة نظرات جانبية خاطفة .

وانحنت الأخت هارييت بشدة للأمام حتى أن صدرها الشبيه بسناد الآلة الموسيقية كاد أن يتلامس مع طبقها فى رفق ، ثم قالت " فى كل يوم ذهبت فيه كان الأمر يبدو بمثابة كفاح مرير ، ولم أكن أعرف السبب فى ذالك ، وبعدئذ وذات ليلة حلمتُ بهذا الحلم ، حلمت بأننى كنت واقفة أمام صفى المدرسى وكنت منهمكة فى شرح حروف العطف ولكن البريرة والكلام غير المفهوم ظل يخرج من فمى ، وقلت [بقبقة / بقبقة / بقبقة] ، فقال الطلاب [عفواً ؟] فقلت [بقبقة / بقبقة / بقبقة] ، وفى الحلم لم أستطيع التفكير فيما يحدث ، ولكنى عندما استيقظت أدركت جوانب الموقف على الفور ، إذ كان الربّ يحاول أن يقول لى شيئًا ما ، كان يقول لى [يا هارييت ، أنت لا تتكلمين بلغة هؤلاء الأطفال ، ينبغى عليك أن تتركى التدريس] " ، ولذلك تركت التدريس بالفعل " .

فقالت جدتهم وهى تُلق بظهرها إلى الوراء فى كرسيها : " خيراً فعلتِ يا حبيبتى " .

ولكن إيان كان ينظر للأخت هارييت فى جدية وقال لها " أعتقد أن هذا الإجراء كان متسماً بالشجاعة الكبيرة من جانبك " .

فاحمر وجهها خجلاً وقالت " أوه ، حسنًا .... " .

فهذه شجاعة كبيرة فى حقيقة الأمر : الاعتراف بأن خط السير فى الحياة كان خاطئًا واتخاذ قرار بتغيره تغيرًا كاملاً " .

وقالت الآنسة بنينجتون " ذلك يتطلب شجاعة كبيرة بالفعل ، وأنا أتفق مع إيان فى الرأى فى هذا الشأن " ثم أرسلت إليه ابتسامة مشرقة لم يلحظها على ما يبدو .

أكان أعمى أم ماذا ؟

فى عيد الفصح الأخير جاء أحد الأجانب ومعه أخته الصغيرة التى كانت قد جاءت من كليتها لكى تزوره ، وهى ربما كانت قد خرجت لتوها من " ألف ليلة وليلة " إذ كانت سمراء ورشيقة وجميلة ولها طريقة فى التكلم متسمة بالحشمة وعذوبة الصوت ، ولقد أشار أخوها مرتين إلى أن الشباب يميلون إليها فى إعجاب ، وقال " وهى فى الوقت المناسب سوف تعثر على الزوج الملائم وتستقر فى حياة زوجية وتحصل لنفسها على بطاقة خضراء وتنجب بعض الأطفال " وأوضح لهم أنه هو الذى يختار لها زوجًا ملائمًا لها نظرًا لأن عائلته مازالت تعتقد فى ما يُسمى بـ : الزواج المنظم أو الذى يقوم على أسس أو الذى يتم التخطيط له على أسسس ، ولكن إيان لم يفهم جوانب الموقف على ما يبدو وفيما بعد عندما سألته دافنى عما إذا كان يعتقد أن هذه الأخت جميلة قال "جميلة ؟ منْ ؟ أوه ، لا ، فأنا لا أهتم أبدًا بالنساء اللاتى يرتدين جوارب متغضنة " .

عندئذ كان ينبغى عليهم أن يعرفوا أنهم لن يعثروا أبدًا على فتاة تتوفر فيها المواصفات التى يريدها .

وكان جدهم يتساءل " أيريد أحد المزيد ؟ " وأضاف " المستر كيت ؟ الآنسة بينجتون ؟ يا إيان المزيد من لحوم الأبقار المشوية ؟ " .

وقال إيان : مما يثير دهشتي إننا نشاهد تلك النوعية من الأحلام مرات عديدة – وهى أحلام تكون غريبة وغير منطقية ومع ذلك نفشل فى أن ندرك أن الله يحاول أن يقول لنا شيئًا ما " .

أوه ، إنه يحاول الآن التطرق إلى النواحى الدينية المقدسة فى حديثه معهم ، فقالت جدتهم بسرعة " يا أريانا خذى لنفسك كمية من صلصة مرق اللحم : إلا أن الآنسة بنينجتون كانت ترقب إيان بينما ابتساماتها تلمع مثلما كانت تلمع ابتسامات الناس دائمًا عندما يتم النطق بالاسم الجاف غير المريح لله فى الأوساط الاجتماعية .

وقال إيان " من السهل أن نزعم أنه شيء ما آخر " .

وأضاف " إن نزعم أنه اللاوعى الخاص بنا أن موجات الذهن العشوائية ، فمن السهل علينا أن ندعى أننا لا نعرف الأشياء التى يظهرها الله لنا " .

فقالت الأخت هارييت له " هذا كلام صادق وحقيقى تمامًا " .

والآن بدت على ابتسامة الآنسة بنينجتون وكأنها قد تشكلت من الفولاذ .

وقالت دافنى " سحقًا " .

فنظر كل شخص إليها ، وقالت جدتهم " دافنى ؟ " فقالت دافنى "حسنًا ، معذرة ولكننى فقط لا أستطيع .... " ثم اعتدلت فى جلستها

وأضـافت قـائلة " إننى فـقط لا أسـتطيع التـفكيـر فى ذلك الحلم الذى شاهدته منذ ليلتين " فقالت جدتهم وقد بدا عليها الارتياح " أوه ، احكى لنا " فقـالت دافنى " كنت واقفة على قمة جبل " وأضـافت " " وكان الله يتكلم معى من سحابة رعدية " ثم نظرت فيما حولها إلى الآخرين - وإلى وجوههم المؤدبة المليئة باليقظة والانتباه وروح المجاملة والتى استعدت كلها لابداء الإعجاب بأى كلام تقوله . واستطردت" وقال لى [يا دافنى] - وكـان له ذلك الصـوت الضـخم العـميق المدمـدم [يا دافنى بيـدلو ، احترسى من الأغراب] " .

فقالت جدتهم على وجه السرعة "وهو كان على صواب تمامًا أيضًا" ولكن بدا عليها أنها أصبحت أقل اهتمامًا بسماع بقية الحـلم ، وقـالت " يا دوج ، أيمكن أن تدفع سلطانية السلاطة فى هذا الاتجاه ؟ " .

وقـالت دافنى بصوت مـرتفـع للغـاية " [يا دافنى بيدلو ..... هناك إنسانة أجنبية بصدد البدء فى أن تحوم حول عمك وهى إنسانة ممتلئة وليست من مدينة بلتيمور وهى تحاول اصطياد عمك إيان] " .

فقالت جدتهم " ما هـذا الكلام يا دافنى !! " وسقطت من يديها كتلة من أوراق الخص على مفرش المنضدة .

* * *

أشـارت دافنى فيما بعد إلى أن جدتهم هى التى تسببت فى جرح مشـاعر الأخت هاربيت ، وما قالتـه لم يكن كـلامًا رهيبًا للغـاية ، فـهى كـانت تصف حلمًا لا أكثر ولا أقل ، ولكن جدتهم هـى التى قـامت بربط

الحلم بالأخت هاربيت ، وفى ذعر شديد استدارت نحو الأخت هاربيت وقالت " إننى آسفة للغاية ، لا أستطيع أن أتخيل ماذا دهاها " وعندئذ تحولت شفتا الأخت هاربيت إلى اللون الأبيض ، وقالت " الأمور على ما يرام " وارتشفت الماء من كوبها فى ارتعاش بدون أن تنتظر للآخرين .

وقالت دافنى إن الأخت هاربيت لم تكن ستأخذ هذا الكلام مأخذاً شخصياً إذا لم تعتذر جدتهم لها ، ووافق توماس وأجاثا على هذا الرأى . وقالت أجاثا لإيان " إنها على حق فى هذا الرأى " وأضافت " فليست الغلطة هى غلطة دافنى إذا كانت قد ظهرت إنسانة ممتلئة فى حلمها " .

كان هذا عقب رحيل ضيوفهم ، إذ كانوا قد رحلوا فى أقرب لحظة ملائمة – وكانت الآنسة بنينجتون غارقة فى التأمل والتفكير وكان المستر كيت مهذباً ومؤدباً وغير مدرك لجوانب الموقف بينما كانت الأخت هاربيت ترفض فى إصرار مدهش عرض إيان بأن يقوم بالسيرمعها وتوصيلها إلى منزلها ، وما أن انصرف الضيوف حتى استدار الجدّان وصعدا على السلالم إلى غرفة النوم الخاصة بهما .

وقال توماس لإيان " كانت دافنى لا تريد سوى خلق جو من الدردشة وتجاذب أطراف الحديث " ، ولكن إيان قال فى صوت خال من التعبيرات " نعم ، بالتأكيد " ثم دخل إلى حجرة الطعام وشرع فى رفع الأطباق وتنظيف المائدة .

فساروا وراءه فى تواضع وتلهف متزايد ، وقاموا بتكويم وتكديس الأطباق ونقلها إلى المطبخ وقاموا بكشط بقايا الطعام ووضعها

فى صناديق صغيرة علاوة على القيام بجمع الحلل والأوعية والأوانى من الموقد بينما قام إيان بملأ الحوض بالماء الساخن ، ولم يقل لهم كلمة واحدة ، وبدا عليه أن يدرك أن اللوم ينبغى أن يقوم عليهم الثلاثة وليس على دافنى بمفردها .

وهم لم يكن بمقدورهم تحمل الموقف عندما يكون إيان متضايقًا منهم للغاية .

وكان الموقف يزداد سوءًا عندما يكون إيان مكتئبًا ، كل خططه الجميلة لا تسفر عن أىّ شىء ، أو ، ما الذى فعلوه ؟ ما الذى أقدموا عليه ؟ وبدا عليه البؤس واليأس والاكتئاب الشديد ، وكان يقف عند الحوض فى إعياء شديد بينما كان ينظف ويغسل سلطانية مرق اللحم .

فى الشهر الماضى كان قد أحضر إلى المنزل مملحة للمائدة على شكل إنسان آلى ، فإذا قمت بالضغط على زرّ فى ظهره فإنها تبدأ فى السير على ساقين صارمتين من البلاستيك ، ولكنهم لم يدركوا ذلك بل ولم يعيروها الكثير من الاهتمام عندما قام بوضعها بين أطباق العشاء ، وظل يتساءل " أيريد أىّ واحد منكم ملحًا ؟ من الذى يريد ملحًا ؟ هل سأقوم فقط بتمرير الملح ؟ " وأخيرًا قالت أجاثا " هووه ؟ أوه ، أريد ملحًا " ، فضغط على زرّ الروبوت ومال للأمام وضحك فى تهلل بينما الروبوت يمشى بخطى ثقيلة وقلقة عبر المنضدة نحو أجاثا ، وكان فمه ممدودًا فى بهجة وكانت يداه متشابكتين تحت ذقنه وظل يلقى بنظرة مليئة بالأمل فى وجوههم ، ومن حسن الحظ أنهم لاحظوا ذلك الروبوت فى الوقت الملائم فظهرت على وجوههم تعبيرات الدهشة والمتعة .

ودائمًا ما كان يتغنى فى غبطة فى شهر ديسمبر قائلاً : " الغبار بعيد عن فطيرة الفاكهة ، لقد جاء الكريسماس مرة أخرى " مبتكرًا نغمة خاصة به مع التكرار ، وفى عيد القديس فالنتين كان يترك قلبًا مصنوعًا من الشيكولاته فى طبق الإفطار لكل طفل قبل أن يخرج ذاهبًا للعمل مما كان يجعلهم يشعرون بالحزن بعض الشيء لأنهم جميعًا – باستثناء دافنى – قد وصلوا إلى مرحلة أصبحت فيها البطاقات غير العائلية التى ترسل فى عيد القديس فالنتين إليهم هى الشيء الوحيد الذى يهمهم ، وحقيقة الأمر أنهم كانوا يشعرون بالحزن من أجله فى الكثير من المناسبات ، ففى كثير من الأحيان كان يبدو غير متوافق – حيث تغيب عنه روح الفكاهة وحيث لغته الكنسية تجعل عيون الأجانب متيقظة للرد على أى هجوم قد يشن عليهم وحيث تكون ملابسه صبيانية على نحو غير ملائم كما لو كان قد وقع فى مصيدة الزمن ، كان الأطفال يحبونه ويخافون منه فى آن واحد ، وكانوا يحرصون على مراقبة ردود فعل الناس الآخرين نحوه حيث كانوا على استعداد دائمًا لاتخاذ موقف عدوانى وصلب فى دفاعهم عنه .

وفى أحد الإجازات عندما كانوا صغارًا فى السن نزل لكى يسبح فى المحيط وطلب منهم الانتظار على الشاطئ ، وابتعد فى سباحته وتخطى مكسرات الأمواج وأصبح بعيدًا للغاية بحيث لم يعد سوى نقطة وعندئذ جلس ثلاثتهم على الرمال فجأة وشرعت دافنى فى الانخراط فى البكاء ، إذ بدالهم أنه بصدد تركهم للأبد وعدم العودة إليهم مرة أخرى على الإطلاق ، وقال رجل واقف على الرمال وقد غاصت قدماه حتى

الكاحل لزوجته : " ذلك الشخص قد ضاع للأبد " فانطلقت دافنى فى مزيد من البكاء المرير وانهمرت الدموع من عينى توماس وأجاثا أيضًا ، ولكن إيان استدار وعاد سابحًا مرة أخرى ، وسرعان ما خرج من مساحة الأمواج المتكسرة ، وانطلق ماشيًا بخطوات واسعة مع التعثر من وقت لآخر بينما كان جسده يقطر ماء ويلمع تحت أشعة الشمس ، فبرغم كل شىء عاد إليهم سالمًا وقويًا وراسخًا وموحيًا بالثقة والاعتماد عليه وحبيبًا عزيزًا عليهم .

ووضع سلطانية طعام فى الحوض ، وراح يدفع بها جيئة وذهابًا مما أدى إلى ظهور صوت كالهسهسة فقالت دافنى ... إيان ؟ أتريد لنا أن نتولى القيام بهذه المهمة الآن ؟ " ولكنه قال " لا ، شكرًا جزيلاً " فألق الآخران عليها نظرات متعاطفة معها ، لا داعى للقلق ، فهو لم يكن من النوع الذى يحمل ضغينة فهو سينظر غدًا إلى هذا فى ضوء جديد تمامًا ، حيث سيدرك أنهم يكونوا يهدفوا إلى التسبب فى أى ضرر .

فهو سيدرك أن كل ما كانوا يريدونه هو اختيار إنسانة رائعة للغاية بحيث تستحق أن يرتبط بها فى زواج .

* * *

(٨)

ما كان ينبغى على أن أقول لك أى شىء على الإطلاق

عندما أصيب إميت الموقر بنوبة قلبية كان على كنيسة الفرصة الثانية تدبير أمورهم والاعتماد على أنفسهم بدون تواجده فى معظم الأوقات فى شهر أكتوبر ، ففى يوم الأحد الأول نجد أن القسيس المعمدانى المتقاعد الدكتور بنينج Benning هو الذى ألقى الخطبة ولكن الدكتور بنينج قد اضطر للمغادرة بعد ذلك من أجل الانضمام إلى رحلة بالأتوبيس إلى منطقة " صن بيلت " ولذلك فقد حل محله عم الأخت نيل فى يوم الأحد التالى – وهو رجل غير منتمى لطائفة دينية معينة ويسمى لويس الموقر ، ولقد ظل هذا الرجل يخلط فى المعنى ما بين كلمة Thy التى هى بمعنى : ملكك وكلمة Thou التى هى بمعنى : أنت ، إذ كان يترنم قائلاً : " نحن نتضرع إليك Thee يا إلهى أن تنزل بركاتك Thou " مما جعل إيان يتذكر المدرسين البدلاء الذين قاموا بالتدريس له فى المرحلة الابتدائية وكانت الخطبة تتناول أول خطاب يرسله بولس الرسول إلى تلميذه تيموثى ، وقال لويس الموقر إن الكثيرين قد لا يدركون أن حب المال هو أصل جميع الشرور فى العالم ولكن إيان الذى لم يحصل

أبداً على أى قدر كاف من النقود فى حياته ولم يكن لديه حب للنقود فى نفس الوقت ألقى بظهره للوراء فى تثاؤب ، كل الشرور ؟ ألم يكن الأمر يتطلب تفحص هذه العبارة فى مزيد من الدقة والتمحيص .

وفى يوم الأحد الثالث تعذر الاستعانة بلويس الموقر ، فاضطروا لحذف الخطبة ، وتغنوا بترانيم قليلة ثم أحنوا رؤوسهم أمام الدعاء النهائى الذى ترنم به الصوت المهزوز للأخ سيمون ، إذ قال الأخ سيمون " يا إلهى الحبيب ، من فضلك أعد إلينا إميت الموقر بأسرع ما يمكن " وفى الأحد الرابع عاد إميت الموقر ، لقد أصبح أكثر نحافة وشحوباً عن ذى قبل ، وألقى خطبة عن رسالة إعادة الطمأنينة ، وبعدئذ وبينما كان يتصافح باليد مع إيان عند الباب سأل إيان عن إمكان أن يتحدثا سوياً لبعض الوقت .

لذلك طلب إيان من دافنى أن تعود بمفردها إلى المنزل وظل منتظراً على جانب وراح يستمع إلى كل عضو وهو يستفسر من إميت الموقر عن صحته ، وعندما رحل آخر فرد من المصلين سار إيان وراء إميت الموقر عبر الباب وإلى خلف الكاونتر وإلى ما كانوا يسمونه بالمكتب ، وكانت هناك أنابيب ومواسير متشابكة فى المساحة العلوية كما كانت توجد ثقوب مسامير عملاقة بالأرضية مما جعل منظرها مشوهاً ، وفى وسط هذه الحجرة كان يوجد مكتب عتيق الطراز وكرسى دوار قد تَمَّ إحضارهما من عند عائلة إميت الموقر بكل تأكيد مع اثنين من الكراسى القوتى المخملية الزرقاء الموضوعين فى مواجهة المكتب ، وأشار إميت الموقر بيده لإيان لكى يجلس على كرسى فوتى بينما ظل هو واقفاً على

قدميه فى تخبل وحيرة وراح يمر بيده على شعر رأسه ، وكالمعتاد كان يرتدى قميصًا أبيض اللون بدون رباط عنق وبنطلونًا أسود اللون ، واعتقد إيان أنه ربما يكون فى منتصف الأربعينيات من عمره بحلول هذا الوقت أو ربما أكبر فى السن من ذلك . ولكنه مازال متسمًا بطابع الهاوى غير البارع ، وكانت تفاحة آدم الخاصة به تبرز فوق ياقته مثل ولد فى منتصف مرحلة النمو .

وقال " يا أخ إيان ، أثناء وجودى فى المستشفى انخرطتُ فى تفكير عميق وجاد ، فمن غير العادى أن يصاب شخص فى مثل عمرى بنوبة قلبية ، وهذا لا يبشر بالخير مستقبلاً وكنت أفكر فى أنه ينبغى على أن أدرك الحقيقة التى مفادها أننى لن أظل متواجداً على قيد الحياة للأبد "

ففتح إيان فمه لكى يحتج على هذا الكلام ولكن إميت الموقر رفع راحة يده ، وقال " أوه ، إننى لا أعتزم أن أنتقل إلى رحمة الله غداً أو أى شىء من هذا القبيل ، ومع ذلك فإن هذه النوعية من الأشياء تجعلك تدرك بواطن الأمور ، ولقد حان الوقت لأن نتناقش فى مسألة استبدالى بشخص آخر "

فتساءل إيان " استبدالك ؟ "

" استبدالى بشخص ما يتولى السلطة فى الكنيسة عقب انتقالى إلى الأمجاد السماوية ، شخص ما يقدم يد العون والمساعدة قبل رحيلى وبحيث يخفف من العبء الملقى على كاهلى "

فقال أيان " ولكن .... "

أراد أن يقول : ولكنك أنت الكنيسة ، إلاّ أن ذلك بدا وكأنه تجديف على الله وكان من شأنه أن يؤدى إلى إدخال الهم والقلق على نفس إميت الموقر .

وقال إميت الموقر له " إننى أعتقد أنه ينبغى عليك أن تبدأ فى التدريب على منصب الكاهن "

فسأل إيان نفسه فى تعجب : تُرى هل سمع الكلام بطريقة سليمة .

وقال إميت وهو يجلس أخيراً على الكرسى الفوتى الثانى : "وأنت تعرف أن المصلين عندنا غير متعلمين إلى حدّ ما وبوجه عام ، وأنا أعتقد أن معظم المصلين يشعرون أن هذه الوظيفة صعبة عليهم ومتخطية لقدراتهم ، ولكننا نريد شخصاً ما متآلف مع طرائقنا "

فقال إيان " ولكنى أيضاً غير متعلم ، فأنا لم أحصل إلا على نصف سنة دراسية بالكلية "

" حسناً الشىء الملائم فى النوبة القلبية هذه هى أنها تعتبر بمثابة تنبيه مبكر ، فهى تعطينا الفرصة لكى نبدأ فى تدريبك ، وأنا أدرك أنك ربما لا تريد أن تسلك نفس الطريق الذى سلكته أنا – الجامعة وغير ذلك من أمور ، فأنا كنت أصغر فى السن وكان لدى المزيد من الوقت ، أما أنت هل تبلغ الآن ثلاثين عاما ؟ ومع ذلك فإن مدرسة لورانس للإنجيل الموجودة هنالك فى ريتشموند.... "

" ريتشموند ! لا أستطيع الذهاب إلى ريتشموند "

" ولم لا ؟ "

" فأنا لدى مسئوليات هنا "

فتساءل إميت الموقر " ولكن من المؤكد أن أولئك الأطفال على وشك الانتهاء من الدراسة الآن أليس كذلك ؟ " وأضاف . " ألا ينبغى عليك أن تفكر فى الأمور المتعلقة بالمستقبل ؟ "

فانحنى إيان فى جلسته للأمام وقد أمسك بركبته .

وقال " يا إميت الموقر ، دافنى التى تبلغ من العمر ستة عشر عاماً تسبب لى المتاعب أكثر مما سببها ثلاثتهم فى أى مرحلة من العمر . أتعرف أن مديرة مدرستها تجعلنى أستلمها من المدرسة يوميًا . وبذلك أضطر إلى ترك العمل وألتقطها وأقوم بتوصيلها بنفسى بالسيارة إلى المنزل ، ويتطلب الأمر أن أقوم شخصيًا بهذه المهمة وليس والدى حيث اتضح أن والدى يصدق أى كلام تقوله له ، كل من والدىّ : إنهما الاثنان متخلفان كثيراً عن روح العصر ، فهما لا يفهمان الأمور التى يقتنع بها الأولاد والبنات المودرن ، وأنت تفترض أنه يمكن لى أن أتركها معهما وأنطلق إلى ريتشموند ؟ "

فانتظر إميت الموقر إلى أن انتهى إيان من كلامه ، ثم قال " ما هو الصف المدرسى الذى توجد فيه دافنى "

" إنها فى الصف قبل الأخير "

فقال إميت الموقر " أمامها سنتان أخرتان ، وربما أقل من ذلك ، إذا هى حصلت على دراسة متواصلة قبل التخرج ، وأنا واثق من أنه يمكن لها أن تفعل ذلك ، لأن دافنى دائمًا ما كانت شخصية قوية ، ولكن حتى إذا لم تفعل دافنى ذلك فإنها فى خلال سنتين ستصبح مستقلة تمامًا عن أهلها ، وفى تلك الأثناء يمكن لك أن تبدأ فى مناهج دراسية قليلة هنا فى بلتيمور . فى مدرسة ليلية ، إن فى تاوسون ستيت أو ربما فى كلية تابعة لجامعة شعبية "

فقال إيان " ولكن أيضًا "

" نعم ؟ "

" أعنى .، ألا ينبغى علىَّ أن أسمع نداء باطنيًا بأن أقبل منصب الكاهن أو القسيس؟"

فقال إميت الموقر " ربما أنا بمثابة النداء "

فنظر إيان فى دهشة بعينين طارفتين .

فقال له إميت الموقر " وبالطبع ربما لا أكون أنا بمثابة النداء ، ولكن دائمًا ما تكون هناك إمكانية أو شىء ممكن "

ثم نهض واقفًا وقام بمصافحة يد إيان مرة أخرى بتلك الأصابع الناتئة العظام للغاية حتى أنها كانت تصدر خشخشة فى وضوح .

* * *

عندما وصل إيان إلى المنزل كانت دافنى تتحدث من تليفون المطبخ بينما كانت جدتها تضع أطباقا مختلفة على المائدة ، وكان غذاء يوم الأحد يتكون على ما يبدو من بقايا طعام اليوم السابق - سلطانيات صغيرة مليئة بالبسلة الباردة وسلاطة مشبعة بالماء وطعام اليخنة الذى يؤخذ من علبة ويعاد تسخينه ، وكانت دافنى تقول فى التليفون " هذا حسن ، يمكن لنا أن نتقابل فيما بعد ونستذكر من أجل أن ندخل ذلك الاختبار الخاص باللغة الأسبانية " ، كانت هناك نغمة اصطناعية واستعراضية فى صوتها مما جعل إيان يلقى نظرة سريعة على بى ولكن بى لم تدرك ما يرمى إليه ، واكتفت بأن قالت " حسنًا ؟ كيف كانت الكنيسة ؟ "

" كانت على ما يرام "

" أيمكن أن تقول لوالدك أن الغذاء جاهز ؟ "

فنادى بصوت مرتفع فى اتجاه الدور التحتانى ثم استدعى دافنى المسكة بسماعة التليفون ، فاضطرت لأن تقول فى سماعة التليفون "إننى مضطرة لأن أتركك الآن لأن أهلى بصدد البدء فى تناول طعام الإفطار / الغذاء brunch فى آن واحد الآن".

فسأل إيان والدته " أوه ، أهذا إفطار / غذاء ؟ "

فابتسمت ووضعت رغيفًا من الخبز عن المنضدة .

وما أن جلسوا قام إيان بمباركة الطعام بصوت مرتفع على وجه السرعة حيث كان يدرك أن والده يطرق بأصبعه على ركبته ، وبعدئذ

شرع كل شخص فى تناول طعام مختلف ، إذ مد دوج يده نحو لحوم اليخنى ، بينما شرع إيان فى تناول ساندوتش محشو بزبدة الفول السودانى ، أماً دافنى التى كانت نباتية فإنها راحت تلتقط وهى شاردة الذهن حبات البسلة من السلطانية الواحدة تلو الأخرى بأصبعها . أمّا بى فكانت تتناول الطعام المتبقى من الآخرين - إنها مسألة تدبير منزلى أكثر مما هى مسألة تذوق شخصى للطعام وذلك من وجهة نظر إيان .

وكان إيان يشعر بافتقاد الطفلين الأكبر سنّاً . إذ كان توماس بعيداً فى كورنيل بينما كانت أجاثا فى السنة الثانية بكلية الطب ، وبذلك أصبحت معظم الوجبات مؤقتة وسريعة على هذا النحو ، وكثيراً ما كانت تقدم على نصف المنضدة فقط لأن الواجب المنزلى المدرسى لدافنى كان يغطى النصف الآخر ، وأصبحت معظم المحادثات التى تتم بينهم متسمة بالتفكك وعدم التركيز الذهنى مثل دردشة قليلة متناثرة تتم عقب مغادرة كبار الضيوف للحجرة . .

وقالت دافنى فى إحدى فترات الصمت " أنا وجيدون سوف نستذكر اللغة الأسبانية فى منزله "

فقالت جدتها " جيدون وأنا "

فتساءل إيان " هل ستكون والدة جيدون موجودة فى المنزل ؟ "

" بالتأكيد "

فنظر إليها إيان فى تفحص إذ كان جيدون هو الصديق الخصوصى لدافنى ، وكان من النوع الإنعزالى المتحفظ ، وكان لأمه

المُطلقة صديق خصوصى مخصص لها ، وهى كثيراً ما كانت بالخارج فى مكان ما عندما كان إيان يتوقف عند منزلها من أجل اصطحاب دافنى .

وقال إيان لدافنى " ربما يمكن لك أن تستذكرى هنا بدلاً من الذهاب إلى منزله "

ولكن دافنى قالت " لقد وعدته بالفعل بالذهاب إليه " ثم التقطت سلطانيتها الشاغرة ولعقتها فى استمتاع بالطعام اللذيذ مثل قطة ، وقد لاحظ كل شخص ذلك إلاّ أن أحداً لم يعترض ، إذ كان ينبغى عليك أن تختار نقاط النقاش مع أى فتاة شبيهة بدافنى .

ومما كان يزعج إيان فى بعض الأحيان أن دافنى كانت تذكره دائمًا بلوسى ، إذ كان لها نفس وجه لوسى الصغير ونفس شعرها الأسود المجعد على الرغم من أنه كان مقصوصًا ليكون قصيراً وأشعثًا ، كما كان لها نفس البحة فى الصوت وحتى فى حالات التعب الشديد ، كانت عظامها تبدو متوافقة فى أناقة وكأنها قد سويت بمخرطة الخشب والمعادن ، ولكن كان لعينيها اللون الأزرق الداكن الخاص بها ، وكان عطر الونيلية الطبيعى الخاص بها قابعًا تحت روائح السجاير وزيت الموتور والجلد .

ولدى الانتهاء من تناول الطعام نهض والد إيان واقفًا وأحضر سلطانية العصيدة [البودينج] السابقة الطهى من الثلاجة ، وراح يلوح بها أمام الآخرين مستفسراً ولكن بى قالت " لا ، شكراً جزيلاً "

وهزت دافني رأسها بما يفيد الرفض ، فقال دوج في ابتهاج " إذن كل هذا من أجلي " ، ثم جلس وشرع في الأكل مباشرة من السلطانية .

هل رفضت دافني تناول البودينج بسبب قاعدة السكر ؟ لا ربما لا ، فهي فتاة كانت تحتسي البيرة في السيارات الواقفة في المكان المخصص لوقوف السيارات أثناء فترة الساعة المخصصة لتناول طعام الغذاء وذلك وفقًا لما قالته مديرة مدرستها ، ولكنها كانت مستمرة في الذهاب إلى الكنيسة في كل يوم من أيام الأحد والتغنى بالترنيم في شغف وحيوية وإحناء رأسها أثناء الصلوات في حين أن معظم الشباب الآخرين الصغار في السن قد فقدوا الحماس والاهتمام بمجرد الوصول إلى سن المراهقة ، وألقت بنفسها في الأعمال الخيرة بروح حقيقية ، ولم يستطيع إيان أن يعرف ماذا كانت هي مؤمنة صادقة في إيمانها . ومنعه شيء ما من أن يسألها .

وكان هناك طرق على باب المطبخ ، مجرد طرقة واحدة مكتومة مكفهرة فألقوا نظرة فوجدوا جيديون وهو ينظر إليهم من خلال زجاج النافذة ، فقالت دافني " يا إلهي ! إنني ذاهبة من الآن " ، لا مجال لتوجيه الدعوة لجيديون بالدخول لأنه لم يكن معتاداً على التحدث مع الناس الكبار في السن ، ولم يشاهدوا سوى شريحة من وجهه وستارة من الشعر الأشقر غير المجعد . ثم انزلقت دافني خارجة من الباب وانطلق الاثنان سويًا على الفور ، فقالت بي Bee " دافني ؟ يا إلهي . إنها سوف تتجمد حتى الموت "

تمنى إيان أن يكون تجمد دافني حتى الموت هو أسوأ ما يقلق باله .

وصـعـد دوج وبى إلى الدور الثـانى من أجل الخلود إلى سنة من النوم مـثلمـا يفـعـلان عـادة فى يوم الأحـد ، وقـام إيان بـغـسل وتنظيف الأطباق وأثناء قيامه بوضع الجزء الأخير المتبقى من البدوينج فى وعاء أصغر حجمًا راح يفكر مرة أخرى فى الاقتراح الذى قاله إميت الموقر ، "مدرسة الانجيل ! " . وفى داخل ذهنه شاهد لمحة خاطفة لنفسه وهو يعبئ ويحزم السيارة من أجل مغادرة المنزل – ومن أجل المشاركة فى طقوس سبتمبر التى سبق أن شاهدها كثيراً من الخطوط الجانبية ، وكانت السيارة مملوءة حتى السقف بالملابس وبتسجيلات LP وكان والداه واقفين عن كثب من أجل توديعه بالتلويح بالأيادى ، وربما كان يوجد رف متدلى من السقف به دراجة هوائية أو جهاز ستريو مثبت على القمة .

أو كرسى هـزاز مثل كرسى زميله السـابق بالغـرفة إذا كـانوا لا يزالون يصنعون الكراسى الهزازة .

وعلى مدى السنين كثيراً ما كان يسـأل نفسـه فى تعجب : تُرى ما الذى حل بزميله فى الحجرة ، وكان قد تصور أن ونستون يشق طريقه فى نجاح ويتخرج من الكلية ويعثر على وظيفة ، ومن المؤكد أنه قد أصبح الآن مـترسـخًا وربما فى مـجـال مـا يشـتمل على فكر خـلاق وابتكار، وربما يكون قد صنع اسمًا لنفسه وأصبح مشهوراً ، وحملق إيان لأسفل نحو سلطانية البودينج وأدرك أنه كان يأكل كل ملْو ملعقة يقوم بكشطها ، إذ كانت الجوانب الداخلية لفمه مغطاة بطبقة سميكة ، كانت هناك مادة سميكة حلوة تسد حلقه .

* * *

وفى ورشة العمل كان يدرب عاملاً جديداً وهو رجل أسود وقصير وممتلىء وله لحية ويسمى رفائيل ، وكان يلقى خطبته الاعتيادية عن أهمية اختيار نوعية الخشب وقال : " بالنسبة لى فأنا دائمًا ما أختار خشب الكرز إذا كان بمقدورى أن أفعل ذلك ، ويمكن لك أن تقول إن خشب الكرز هو أكثر أنواع الأخشاب ملاء مة ، وأكثرها طاعةً وامتثالاً "

فقال الرجل وهو يومئ برأسه " مبهج ومشجع على إنجاز الأعمال "

" بل وهو يكاد يكون مفعمًا بالحياة ، فهو يغير لونه بمرور الوقت بل ويغير شكله بل ويتنفس "

وعندئذ نظر رفائيل إليه على نحو فجائى بعينين شبه مغمضتين وكما لو كان يريد أن يتأكد من سلامة عقله .

لقد أصبح بورشة النجارة الآن سبعة من المستخدمين وذلك بخلاف تلميذة المدرسة الثانوية التى تجىء فى فترات ما بعد الظهر لكى تكتب على الآلة الكاتبة وتنجز أعمال السكرتارية والأعمال الورقية ، وفى جميع أرجاء الورشة كان نجارون عديدون يعملون فى المشروعات المستقلة الخاصة بهم ، وكانوا يتحدثون فى مودة مع بعضهم البعض ولكنهم كانوا يتركون إيان وشأنه فى معظم الأوقات ، وهو كان يدرك أنهم ينظرون إليه على أنه إنسان غريب الأطوار ، فمنذ عامين كان قد وقع فى غلطة حيث حاول التحدث عن كنيسة الفرصة الثانية مع جريج الذى تصادف أن كابد من بعض المتاعب ، وبعدئذ حرص جريج للأبد على الابتعاد عن إيان وكذلك فعل الآخرون بعد أن تزودوا بمعلومات سرية

على ما يبدو ، وهم كانوا مهذبين ومؤدبين معه ولكنهم كانوا يشعرون بالارتباك أمامه ويميلون إلى الحرص والحذر ، أما بالنسبة للمستر برانت فإنه أصبح فى هذه الأيام أقل اتساماً بروح العشرة والصداقة ، ويقال إن زوجته قد تركته وهجرته من أجل أن تعاشر رجلاً أصغر سناً . وهو الرجل الذى قال إن جينى ابنة أخت المسز برانت هى التى لم تعد تعمل هناك ولكنها كانت تتوقف فقط من أجل الزيارة فى بعض الأحيان ، ولم يعد المستر برانت نفسه يتحدث عن زوجته على الإطلاق .

فى الربيع الماضى كانت المسز برانت قد توقفت فى الورشة لكى تبدى إعجابها بمقعد خشبى طويل كان إيان ينظفه ويصقله بالورق الرملى ثم وضعت يدها فى رفق ولكن فى تعمّد على يد إيان ، وكان زوجها موجوداً آنئذ فى مكتبه الخلفى وكان الآخرون فى فترة الإستراحة من العمل ، ورفعت المسز برانت بصرها لأعلى ونظرت بعمق فى عينى إيان فى تعبيرات مكبوحة الاهتياج كما لو كان هذا بمثابة نوع من الاختبار ، فلم يصب إيان بالدهشة الكاملة [ففى كثير من المرات كانت النساء اللائى يعرفن إيمانه الدينى الراسخ قد بدأن يتصرفن معه بطريقة جريئة للغاية حيث كُنَّ يعتبرنه نوعًا من التحدى الماثل أمامهن] وتعامل مع الموقف على نحو جيد من وجهة نظره ، إذ اكتفى بسحب يده وتركها مع ورق السنفرة متظاهراً بأنه قد فهم حركتها هذه بطريق الخطأ على أنها ترغب فى مساعدته بأن تمسك بورق السنفرة لكى تنظف الخشب ، وهو بالطبع لم يقل أىّ كلام لزوجها ، ولكن لم يمض شهرين حتى أعلنت جينى أنها قد هربت وعندئذ اعتقد إيان أنه ربما كان

ينبغى أن يقول أىّ كلام برغم كل شيء ، كان ينبغى أن يقول على سبيل المثال – " يا مستر برانت . يبدو لى أن زوجتك تتصرف بطريقة تدل على أنها تعانى من مشاعر الوحدة القاسية " أو يقول " ألا تود أنت والمسز برانت القيام برحلة قصيرة سويًا أو أىّ شيء من هذا القبيل !؟ "

ولكنه كان قد وعد نفسه بألا يقوم " بالإخبار " مرة أخرى على الإطلاق .

أوه ، كانت هناك وسائل عديدة للغاية تدفع الإنسان إلى أن يضل الطريق ، ولا عجب فى أنه قد أحب إشغال الخشب ! وجعل رفائيل يشاهد الكومودينو المصنوع من خشب الكرز والذى انتهى من تصنيعه فى اليوم السابق وكان الدرج ينساب فى سلاسة مثل السّتان وبدون أى توقف واحد مفاجيء .

* * *

وبينما كان الآخرون يمضون فترة استراحة ما بعد الظهر اختطف إيان جاكتته وانطلق بسيارته لكى يحضر دافنى من المدرسة . وكان بمقدوره الانتهاء من هذه الرحلة الدائرية فى حوالى عشرين دقيقة إذا سارت الأمور وفق البرنامج أو الجدول الزمنى الخاص بها ولكن بالطبع نادراً ماتسير الأمور وفق جدولها الزمنى ، فهو فى هذا اليوم على سبيل المثال قد ترك بالتأكيد ورشة النجارة فى وقت مبكر للغاية لأنه عندما توقف بسيارته فى المكان المخصص لوقوف السيارات أمام المدرسة اكتشف أنه قد وصل مبكراً وأنه مازال أمامه دقائق عديدة ينبغى عليه

أن يقتلها بل وربما لفترة أطول إذا خرجت دافنى متأخرة كالمعتاد أو كان عليها أن ترجع إلى المدرسة لأنها نسيت شيئًا ما بها ، ولذلك أطفأ الموتور وخرج من السيارة ، وكان الجو دافئًا وثقيلاً ومليئًا بالرياح كما لوكانت عاصفة خريفية تتجمع وعلى وشك أن تهبّ ، وتوقفت سيارة أخرى وراءه ، وخرجت منها امرأة مليئة بالنمش ومرتدية بنطلونًا فضفاضًا وقالت " ماذا فى الأمر ؟ هل نحن جئنا مبكرين ؟ "

فقال إيان " يبدو الأمر كذلك " ثم شعر أنه سخيف لأنه واقف فى مكان قريب منها ، فوضع يديه فى جيبه ومشى فى تسكع نحو مبنى المدرسة ، وكانت سحب ضبابية تسطع من نوافذ الطابق الثانى – وتذكر إيان أنها نوافذ حجرة الفنون ونوافذ حجرة تاريخ العالم التابعة للآنسة دونلاب ، على الرغم من أن الآنسة دونلاب قد تقاعدت بكل تأكيد أو حتى ماتت بحلول هذا الوقت ، وسار ولدان يرتديان حلتين متماثلتين فى بطء فى اتجاهه ثم انفصلا من حوله وواصلا المسير فساءل نفسه فى تعجب : ترى هل هما قد خمنا ما كان يفعله هنا ["ذلك هو عم دافنى بيدلو ، فهى فى حالة حرمان مؤقت من الامتيازات وبالتالى ينبغى عليها الذهاب إلى منزلها تحت الحراسة"] . وخطر على ذهنه أن دافنى ستشعر بالخزى والعار لو أن شخصًا ما تعرفه وقع بصره عليه ، ولذلك سار حول المدرسة وواصل المشى . وتخطى دكان الوجبات الخفيفة الذى إعتاد أن يجلس فيه ومعه سيسلى طوال فترة ما بعد الظهر من أجل احتساء الكولا ، كما وصل إلى الكنيسة الميثودية الخاصة بالإصلاح الدينى والتى لها نافذة ذات زجاج ملون ومليئة بالملائكة المتسمين بالوقار ،

وكان أحد البابين المزدوجين للكنيسة مفتوحًا على مصراعيه ، وبدون تفكير تقريباً تسلق صاعداً على السلالم ودخلها .

كانت اللمبات غير مضاءة ، ولكن سرعان ما تأقلمت عيناه على الظلام ، وتمكن من مشاهدة صفوف من المقاعد المزودة بالوسائد ومنبر خشبى منقوش على ارتفاع أمامه ، مع وجود نافذة أخرى لها زجاج ملون وعالية فى الحائط خلف المنبر ، وفى هذه النافذة كان يوجد السيد المسيح وكان مرتدياً رداءً أبيض اللون وعارى القدمين وكان يحتجز يديه عند جانبيه وقد اتجهت راحتا يديه لأعلى ، وكان يحملق لأسفل نحو إيان فى شفقة ، فانزلق إيان إلى مقعد ووضع مرفقيه على المقعد الموجود أمامه . ورفع بصره لأعلى نحو وجه السيد المسيح ، ثم قال : هل يمكن لى الحصول على إشارة من نوع ما ؟

لا شىء خيالى ، مجرد شىء ما أكثر تحديداً من الاقتراح الذى تقدم به إميت الموقر

وانتظر ، وترك الصمت لكى يتضخم وينمو .

ولكن عندئذ دق جرس المدرسة - أصوات وثرثرات متنافرة ذكرته بسلاسل المفاتيح المصنوعة من كرات معدنية صغيرة - فتحطم تركيزه الذهنى - فتنهد و نهض واقفًا ، وعلى كل حال فهو ربما كان جريئًا ووقحًا فى تساؤله .

وعند المدخل ألقى نظرة إلى الخارج فشاهد أول مجموعة من جماهير الطلاب وهى تمر ، كما شاهد جيدون وهو برفقة فتاة لها شعر

أحمر وقد لف ذراعه حول رقبتها فى لامبالاة مما جعلهما يرتطمان مع بعضهما البعض أثناء السير .

جيدون ؟

لم يكن هناك مجال لأن يخطئ فى التعرف على ذلك الحجاب من الشعر الأشقر أو الوقفة المحدبة ، وشعر بأن قلبه يكاد يتوقف عن النبض وكأن هذا هو حب إيان وليس حبّ دافنى ، وشاهد الفتاة ذات الشعر الأحمر وهى تمد رقبتها لأعلى من أجل الحصول على قبلة فأخذ نفسًا عميقًا وأخذ خطوة للوراء لكى يتوارى وراء ظل الباب .

وبحلول الوقت الذى وصل فيه إلى السيارة كانت دافنى فى انتظاره بالمقعد الأمامى بالسيارة ، وكانت السيارة من الداخل مليئة برائحة النعناع والتبغ ، وقالت بصوت عالى وحادّ لدى دخوله إلى السيارة " أين كنت ؟ " فقال لها : " أوه ، فى مكان قريب " وقام بتشغيل الموتور ودخل إلى حركة المرور المزدحمة عقب خروج التلاميذ من المدارس.

وسألها " لا جيديون ؟ "

" هذا هو اليوم الذى يذهب فيه لزيارة والده "

" اوه "

و انزلقت دافنى لأسفل فى مقعدها ووضعت قدميها على لوحة أجهزة القياس ، واتضح أنها كانت مرتدية حذاء له رقبة خاص بالقتال ، كما أن بنطلونها الأصفر / الأخضر كاد يراد منه أن يكون صالحًا للقتال أيضًا ولكن بلوزتها تحت جاكتتها الجلدية كانت من نسيج أبيض

شفاف وهش مع وجود مجموعتين من الأجراس الفضية المتدلية من نهاية التكة ، ولذلك ففي كل مرة تتحرك فيها كان يصدر عنها خشخشة خفيفة وصوت الصرير المتذمر للجلد ، كيف تمكنت من أن تحدث تأثيراً شديداً عليه على هذا النحو ؟

وفكر في الرأس الأشقر لجيديون وهو متلاصق مع الرأس النحاسي اللامع للفتاة الموجودة في انعقاف ذراعه .

وكان ينبغي عليه أن يقول : يا دافني ، هناك شيء ما ينبغي عليّ أن أقوله لك .

ولكنه لم يستطيع أن يقول ذلك

وتوقف بالسيارة أمام منزلهم وانتظر إلى أن خرجت دافني من السيارة مع الحملقة بدون انفعال من خلال الحاجب الزجاجي . . ولدهشته أحس بقبلة على خده خفيفة مثل البتلة ، وقالت " مع السلامة " ثم انزلقت وأغلقت الباب وراء ها ، وكاد يصدق أنها كانت تعرف الأمور التي أخفاها عنها .

* * *

ذات يوم في الصيف الماضي وبينما كان إيان يجلس مع القطة هانيبانش في غرفة الانتظار بعيادة الطبيب البيطري تلاحظ له وجود كلب صيد ذهبي اللون وجميل الوجه للغاية فقال لصاحبته " هذا كلب جميل " فابتسمت صاحبته – وهي امرأة في منتصف العمر – ثم قالت "نعم ، ولقد امتلكت كلاباً كثيرة خلال فترة حياتي ، ولكن هذا الكلب : إنه كلب حياتي . أتدرك كيف يكون الأمر كذلك ؟"

وكان يدرك إيان المعنى تماماً .

إذ كان يشعر أن دافنى هى : فتاة حياته ، وساءل نفسه فى تعجب عما إذا كان سيحب فى أى وقت من الأوقات ابنة له من صلبه بمثل هذا الحب العميق الكامل .

وصحيح أن الاثنين الأكبر سناً كانا أكثر سلاسة وعفوية بل ومن بعض النواحى كان يحبهما أكثر ، إذ كان توماس متسماً بالمرح الشديد والوسامة الرائعة كما أن أجاثا قد تخلت بعض الشىء عن أسلوبها المتسم بالاستياء والسخط - إذ تحول التبلد والفظاظة إلى ثقة بالنفس هادئة وتحولت البشاعة العدوانية إلى براعة ماكرة وواضحة ، ولذلك كان يستمتع بهما مثلما قد يستمتع بأصدقاء حميمين قدامى يجدون نفس الأشياء مسلية أو مزعجة ولا يحتاجون لأن تشرح لهم معنى كل ملحوظة أخيرة ، ولكن دافنى كانت هى التى تجذبه نحوها فى عنف شديد .

كانت دافنى دائمًا ما تعتمد عليه وتتوقع منه أن يقف إلى جوارها ويساندها مهما كانت الظروف ، وكان لا يزال لديه ذاكرة فيزيقية حادة عن وزن رأسها وهى طفلة رضيعة عندما كانت ترتكز برأسها على راحة يده ، بل وحتى الآن فإنها فى بعض الأحيان قد تستند عليه أثناء مشاهدتهما للتليفزيون بل وتأتمنه على أسرارها و تُدردش معه عن زملائها وزميلاتها بالصف المدرسى بل وتقص عليه مغامراتها المثيرة والمرعبة التى لم يكن لديه أية فكرة عنها أثناء قيامها بها ، [كانت تعرف قاع المدينة وتتزلق بدون وعى بين أحياء كان إيان نفسه يتجنبها] . ولكنه إذا أبدى أى قلق عليها فإنها تقول له " كنت أدرك أنه لم يكن

ينبغى على أن أحكى لك ! ينبغى على ألاّ أحكى لك أىّ شىء !" وعندما كان أصدقاؤها يجيئون تصبح بعيدة عنه بشكل واضح وتشير إليه بـ "عمىّ" ، كما لو لم يكن له اسم وتدحرج عينيها عندما تحاول صديقاتها الدردشة معه أو مغازلته [فى بعض الأحيان] . وعندما قال إنه ذاهب لكى يحضر إجتماع الصلاة قالت لصديقاتها " إنه يتكلم استعاريا " ، وعندما فرض عليها حظر التجول أعلنت أنها كانت تخطط للهرب لكى تعيش مع أقارب أمها الذين كانوا – وفقًا لزعمها وادعاءتها – متسمين بالحكمة وسعة الثقافة والتحرّر بحيث لا يفكرون فى ضرورة أن تعود إلى منزلهم فى أىّ وقت محدد على وجه الدقة ، وعندما سمع إيان ذلك الكلام انخرط فى الضحك وبعدئذ شعر بألم عميق ملىء بالحزن .

وذلك هو ما كانت دافنى تفجره فى داخله بوجه عام : الضحك والآلام .

* * *

ووجه إميت الموقر الدعوة له على العشاء ، وقال فى التليفون : نحن الاثنان فقط ، لكى نتناول مسألة النداء الباطنى الدينى الخاص بك فازدرد إيان ريقه ولكنه وافق بالطبع .

وأوضح إميت الموقر له أنه لا يحب الطهى [وكانت أمه قد انتقلت إلى رحمة الله فى فصل الخريف الماضى] ولذلك سأله إيان عن إمكان أن يحضر معه أىّ طعام " . فقال إميت الموقر : " حسنًا . أتعرف تلك الصلصة البيضاء الباردة التى يقدمها الناس مع رقائق البطاطس ؟ "

" الصلصة ؟ هل تعنى الصلصة السائلة ؟ "

" يكـون بـهـا قطـع من البصل المجفـف المبعثـرة والمنتشـرة بها هنا وهناك "

" أنت تقصد الصلصة السائلة التى بها قطع صغيرة من البصل؟"

فقال إميت الموقر " من المؤكد إنها هى تلك الصلصة ، إذ اعتادت أمى أن تُعد هذه الصلصة كلما يكون لدينا ضيوف ولكنى لم أتمكن من العثور على الصيغة الطهوية التى تحدد طريقة الإعداد ، وخطر على ذهنى أن تسأل والدتك عما إذا كان باستطاعتها أن تُعد لنا تلك الصلصة من أجلنا "

فقال إيان " لسوف أقوم بإعدادها بنفسى ، ولسوف أُحضر معى العناصر والمواد المطلوبة ولسوف أُريك طريقة الإعداد "

فقال إميت الموقر له " إننى أفضل ذلك "

ولذلك ففى مساء يوم الثلاثاء عندما قام إيان بدق جرس الباب فإنه كان يحمل معه كمية صغيرة من الزبدة الحمضية وكيسًا به خليط من ذلك النوع من حساء البصل الذى لا يحتوى على أى سكر ، وكان إيان قد أخذ حمامًا عقب انتهائه من العمل ولكنه ارتدى نفس ملابسه العادية اليومية [حيث كان منتبها لخطيئة المظاهر الإصطناعية الخارجية] وقام إميت الموقر بفتح الباب وهو مرتدى بنطلون جينز وأحد قمصانه البولو الأنيقة . وقال : " تفضل بالدخول "

فقال أيان " شكراً جزيلاً "

وحقيقة الأمر أن إيان شعر بشيء من القلق والخوف وخشي أن يكون إميت الموقر قد تصرف وفق انطباع خاص عنه وإلا فكيف نفسر خططه عن مستقبل إيان ؟

كانت غرفة المعيشة صغيرة لكنها رسمية ومزخرفة بعض الشيء بفعل والدته وفقاً لما كان يعتقده إيان ، وكان قد شاهد غرفة المعيشة في مناسبات عديدة ولكنه لم يذهب أبداً إلى ما هو أبعد من ذلك أمّا الآن فقد راح ينظر فيما حوله في حب استطلاع لدى سيره وراء إميت الموقر عبر غرفة المائدة المعتمة المليئة بالأزهار ومنها إلى المطبخ الذى بدا وكأنه تغيّر إلى حدّ كبير وأصبح مهزوزاً . وقال إميت الموقر له " لقد فكرت في أن أقوم بإعداد شرائح من لحوم الأبقار المشوية " . فقال إيان " هذا يبدو رائعاً " ، وتعجب من كيف أن لحوم الأبقار المشوية تتطلب كل هذه الآنية وربما استُخدمت هذه الآنية في إعداد طبق ثانوى إضافي ، وتساءل إميت الموقر " أتحب أن ترتدى مريلة أثناء قيامك بإعداد الطعام ؟ "

فقال إيان " الأمر ليس مُعقّداً إلى هذه الدرجة " وأضاف " فأنا أحتاج فقط إلى سلطانية للخلط وملعقة "

وقام بتفريغ الكريمة الحمضية في السلطانية التى أحضرها إميت الموقر له ثم راح يحرك خليط الحساء بينما إميت الموقر يرفرف ويحوم ويتابع العملية كلها ، ثم قال في نهاية الأمر " حقًا إنها عملية سهلة بالفعل "

" أتوافق على أن نتناول هذا الحساء فى المطبخ ؟ فأنا بحاجة لأن أراقب الشواء بعناية "

" لا مانع عندى من ذلك "

وقاما بجذب كرسيين بدون مسند إلى الكاونتر الذى كان مزدحمًا فى تشويش بالعديد من الألوان المختلفة للسوائل وشرعا فى تناول الصلصة السائلة ورقائق البطاطس ، وراح إميت الموقر يلتهم البطاطس فى شهية كبيرة بينما عرق يبرز فى صدغه أثناء المضغ . [ألم يحذره طبيبه من تناول الأشياء الدسمة ؟] ، وطلب من إيان أن يكتفى بأن يناديه بـ : إميت وبدون لقب الموقر ، فقال له إيان :" أوه ، وهو كذلك يا .... إميت " ولكنه كان يقول فى داخل ذهنه كلمة " الموقر " أو كلمة " الأخ " قبل أن ينطق بكلمة : إميت . كما إنه اعتقد من خلال التوقف الفجائى الذى يقوم به إميت الموقر كلما ذكر كلمة : إيان أنه كان يذكر فى داخل ذهنه كلمة " الأخ " .

وقال إميت الموقر " وحقيقة الأمر أووم .... يا إيان إنه لم يعد يوجد شخص يعرفنى ينادينى بـ : إميت فقط بدون لقب الموقر " وأضاف " وحقيقة الأمر أن هذه مهنة موحشة ، ولكنها لن تكون مهنة موحشة بالنسبة لك ، ولسوف تتلقى التدريب مع أناس من أمثالك منذ البداية ، وبذلك تتاح لك الفرصة لعقد صداقات معهم ، وأىّ فتاة يتزوجها ستدرك أنه لا ينبغى عليها أن تتوقع منزلاً فاخراً لقسيس وحفلات شاى على أعلى مستوى "

فقال إيان " ولكن يا .... إميت . كيف يمكن لى أن أتأكد من أننى أصلح للقيام بهذا العمل ؟ فأنا لست سوى نجاّر " .

فقال إميت الموقر مذكرًا إياه " لا تنسى أن سيدنا المسيح كان نجارًا " . ثم نهض واقفًا وراح يحملق فى داخل الفرن .

فقال إيان " ربما يكون الأمر كذلك ، ولكن ربما يكون هناك شىء من المبالغة "

" معذرة ؟ "

" فنحن لم نسمع عن شىء ما قام السيد المسيح بتصنيعه أليس كذلك ؟ أتمنى لو كُنا قد سمعنا ، وفى بعض الأحيان عندما أنظر إلى اللوحات والرسومات التى تعبّر عن السيد المسيح أحاول أن أشاهد نوعية عضلاته – وما إذا كانت من نوعية العضلات التى تنجم عن كثرة الطرق بالمطرقة أو النَّشْر بالمنشار ، وأودّ أن أعتقد أنه قام بالفعل بتصنيع بعض الأشياء الخشبية ، بل إنه لم يتوقف فى مكان قريب لكى يناقش فى الثيولوجيا مع أصدقائه وحوارييه أثناء قيام يوسف بتصنيع الأثاث " .

وقام إميت الموقر بوضع اللحوم المشوية على الكاونتر ثم أمال رأسه فى إتجاه إيان وهو منهمك فى تفكير عميق .

وقال إيان " أو تصنيع حظائر الجمال أو أشياء من هذا القبيل " وأضاف " آمل ألاّ أبدو قليل الاحترام للآخرين "

" لا . لا ..... أيمكن أن تحضر تلك السلاطة لو سمحت ؟ "

وقال إيان " ولكن على أية حال." والتقط سلطانية السلاطة وسار وراء إميت الموقر إلى حجرة الطعام . وأضاف : " فأنا أضلّ الطريق هنا ، أن ما أحاول أن أقوله هو : إننى غير متأكد من أن شخص ما مثلى يكون قادراً على الرد على استفسارات الناس ، عندما يكون لدى الناس شكوك ومشكلات عويصة وأشياء من هذا القبيل ، وكل تلك التقلبات فى الحظّ والثروات التى يمر بها الناس وكل تلك الحالات من العذاب الجهنمى التى يمر بها الناس – عندئذ لن أعرف ماذا أقول لهم "

فقال إميت الموقر " ولكن ذلك هو مايتم تدريسه فى المدرسة الإنجيلية "

فقال إيان " وهذا التدريس لا يكون كافياً " .

وكانا قد جلسا الآن إلى المنضدة المغطاة بالمفرش المزركش . وكان إميت الموقر يلوح بآلة نقش لها مقبض من العظام ، فتوقف عن التلويح ونظر إلى إيان .

فقال إيان " أعنى أن هذا التدريس رُبَّما لا يكون كافياً "

فقال له إميت الموقر " إنه بالطبع ليس كافياً " وأضاف على أى نحو تعلمت أنا على ما تعتقد ؟ فلا أحد يولد وهو مزود بالمعرفة "

وشرع فى تقطيع الشواء إلى شرائح ، وكان من الواضح أن اللحوم قد طهيت تماماً – إذ كانت هناك كتلة متفحمة سوداء ملتصقة فى الإناء الذى تم فيه الطهى . وقال وهو ينشر ويقطع فى ثبات " عندما بدأت فى الدراسة فى المعهد اللاهوتى كان لدى الكثير من المفاهيم الخاطئة ،

وكنت أعتقد أنني أدخل في مستقبل وظيفي راسخ ومستقرّ ومُريح وهو نفس المستقبل الوظيفي الذي سار فيه والدي حيث كان الوعظ الديني هو المهنة التي تمتهنها أسرتي وعائلتي من أجل كسب الرّزق في الحياة ، وتخيلت أنني ووالدي سنجلس سويًا في غرفة مكتبته ونتناول خمور الشيري ونفكر في الشروح والتفاسير الغامضة للعهد الجديد [الإنجيل] وبحيث يستمع إليَّ في نهاية الأمر وبحيث يأخذ فكرة ممتازة عنّي ويصغي إلى أرائي ، ولكن الأمور لم تحدث على ذلك النحو ، فالذي حدث هو أنني بدأت بقراءة الإنجيل ... قراءة عميقة ومستفيضة وما أن انتهت من ذلك لم يعد والدي يتكلّم معي بل وتركتني خطيبتي بل واعتقد جميع زملائي بالدراسة أنني مصاب بنوع من المرض العقلي "

ثم وضع سكّينته ، وقال " يا إلهي " وأضاف : " ليست هذه هي النقطة التي أحاول أن أوضّحها لك "

فضحك إيان ، فنظر إميت الموقر إليه في دهشة ثم انفجر ضاحكًا أيضًا .

وقال " وأيضًا هذه اللحوم غير صالحة للأكل . أليس كذلك ؟ " وأضاف " دعنا نواجه هذه الحقيقة وهي أنني طبّاخ رهيب "

فقال إيان له " يمكن لنا دائمًا أن نسدّ النقص من خلال السلاطة"

" نعم يمكن لنا ذلك ، ولكن هل تعرف ما أودّ أن أفعله في حقيقة الأمر ؟ إنني أريد أن أتخلص بسرعة من حساء البصل ، فذلك ممتازًا "

فقال إيان له " إذن هيا بنا نفعل ذلك "

لذلك بينما كان إيان منهمكًا فى تناول السلاطة خرج إميت الموقر إلى المطبخ من أجل رقائق البطاطس وحساء البصل ، وقال وهو عائد من المطبخ " لا ، صدقنى لم تكن هذة هى النقطة التى أحاول توضيحها لك على الإطلاق ، إذ كانت النقطة التى أريد توضيحها هى ..... حسنًا .... هى أن منصب الكاهن أو القسيس يشبه أىّ منصب آخر من حيث خضوعه لمسألة المحاولة والخطأ ، وأنا قد ارتكبت أخطاء عديدة للغاية وفى المستشفى قفزت جميع الأخطاء التى ارتكبها عائدة إلى ذهنى ، لقد استلقيتُ على ذلك السرير ونظرتُ إلى السّقف فراحت أخطائى تنساب فى تدفق وتكشّف عبر تلك الألواح الزجاجية المنقوطة المانعة للأصوات . "

" لم أشاهدك أبدًا ترتكب خطأ "

فقال إميت الموقر وهو يهزّ رأسه " أوه . يا إيان " وتلاحظ له وجود قطعة من بصل الحساء على إصبعه فمدّ يده لكى يمسك بمنديل ورقى . ثم أضاف قائلاً " عندما كنت فى بداياتى الأولى كانت كنيستى بصدد أن تصبح ممتازة ، وأعتقدتُ أننى كنت أضع النظرية المثالية ، أمَّا الآن فإننى أرى أن الأمور تسير فى غير توافق وتمتلىء بالثقوب والمتناقضات ، ولماذا أهتم إذا تناول شخص ما قدحًا من القهوة ؟ ألم يكن من الأفضل أن أدعو إلى عدم مشاهدة التليفزيون ؟ وهاك أسوأ ما فى الإمور يا إيان : أن اقوم بتنفيذ الفكرة التى كانت قد خطرت على ذهنى فى بادىء الأمر ، ولكنى عندئذ قلت : لا ، لا ، ولم أعترف بالسبب أبدًا ألا وهو : كيف يمكن لى أن أحصل على أىّ أعضاء جدد إذا قمت بتحريم مشاهدة التلفزيون ؟" .

ولم يعرف إيان ما الذى يقوله فى هذا الشأن وافترض أنه من المتعذر إلى حد ما الحصول على أعضاء فى حالة حظر مشاهدة التليفزيون.

ثم قال إميت الموقر " كما توجد مسألة دفع عُشْر الإيراد للكنيسة " وأضاف " فمن أكون أنا لكى أقول لهم إنه ينبغى عليهم أن يدفعوا عُشْر إيراداتهم ؟ فبعض هؤلاء الناس فقراء للغاية ، ولا يوجد واحد بينهم يمكن أن نقول عنه إنه غنى أو واسع الثراء ، ولذلك فأنا لا أطيق حاليًا طقوس جمع الأموال ، وقلت [ضعوا مظاريفكم فى الشِّق الضيق فى صندوق البريد مع عدم ذكر عنوان المرسل] لأننى فى حقيقة الأمر كنت آمل ألاَّ يقوموا بدفع العُشْر حتى لو اضطررت إلى تسديد فاتورة التدفئة من جيبى الخاص ولم أرغب فى الاضطرار إلى التعامل مع العُشْر إذا كانت ظروفهم لا تسمح بذلك، وكنت أفضل التغاضى عن هذا الموضوع ، وهناك الكثير من الأمور التى تغاضيتُ عنها بالفعل وأنا أدرك حاليًا أن كل فرد قد جعل كنيسة الفرصة الثانية بمثابة كنيسة خاصة به ومملوكة له بحيث يوائمها لكى تتوافق مع الأهداف الخاصة به و بحيث يقوم بتغير قوانينها وقواعدها لكى تصبح أكثر تلاؤمًا وأنا أتظاهر بأننى لا ألحظ أى شيء من هذا القبيل ، فأنا أعرف أن الأخ كنيث يدخن السجاير حيث أستطيع أن أشم رائحة السجاير التى تنبعث من ملابسه على الرغم من أننى لا أقول ذلك على الإطلاق ، وأعرف أن الأخت جيسى لم تتوقف أبداً عن تناول خمور الكوكتيل فى كل مساء ولا حتى فى اليوم الذى تذهب فيه للكنيسة حيث تشير الشائعات إلى أنها تتناول زجاجة

صغيرة من الشمبانيا عقب الانتهاء من الصلاة ، ولكنى لم أذكر ذلك على الإطلاق ...لأن الحقيقة الرهيبة هى : إننى أكتشف أننى لم أعد أهتم بل وأكتشف لدى تقدمى فى السن أن كل شىء يبدو نوعًا من التحبيب ENDEARING فى حقيقة الأمر : فهذا القطيع الصغير من الآدميين الذين جاءوا إلىَّ فى بادئ الأمر من أجل التكفير عن خطيئة ما ارتكبوها قد تحرروا من التوتر واستسلموا للاسترخاء ثم نسوا تمامًا مسألة التكفير عن الذنب ، فمنذ متى شاهدت شخصًا ما يقف أثناء جلسة إصلاح الذات العلنية ؟ والكريسماس ! ثلاثة أرباع المصلين ينظرون إلى الكريسماس من حيث هو أشجار الكريسماس وسانتا كلوز أو بابا نويل قديس الأطفال وموزّع الهدايا عليهم عشية عيد الميلاد ، هل تعتقد أننى لا أعرف كل ذلك ؟ "

فتحرك إيان فى قلق وقد اعتراه شعور بالذنب .

وقال إميت الموقر " ولكن أكثر القوانين سخافة هى قانون السكر أو قاعدة السكر "

فقال إيان " أوه . حسنًا .... . "

بدا الأمر وكأنَّ هذا الموضوع لم يتم التطرق إليه من قبل من وقت لآخر .

وقال إميت الموقر " كنت أدرك منذ البداية أننى قد وقعت فى غلطة تتعلق بذلك الموضوع . ولم أكن أعرف كيفية الخروج من هذه الورطة ، بعد أن أدركت أنه من الصعب الالتزام بهذه القاعدة ، ولكن أثناء وجودى بالمستشفى رحتُ أقرأ ذلك الكتاب الذى أحضرته الأخت نيل ، وهو ذلك

الكتاب الذى يتناول التغذية ، كنت أحاول أن أتعلم كيف أتناول الطعام بطريقة صحيحة ، وذلك على الرغم من أننى .... " ولوَّح بيده تجاه رقائق البطاطس ثم أضاف " قد لا ألتزم دائمًا بتطبيق الكلام الذى قرأته . حسنًا . ثم قرأتُ كلامًا عن السكر يفيد بأن السكر ليس من المنشطات "

" ليس من المنشطات ؟ "

" وإنما من المهدئات "

فقال إيان " لا يمكن أن يكون من المهدئات "

" إنه من المهدئات ، وهو بالفعل يزودك بالطاقة ، الطاقة الفيزيقية الجسمانية ، ولكن من حيث التأثير الذهنى فإنه يُهدئك "

" حسنًا ، أوه .... "

" أتود أن تعرف ما هو المنشط ؟ "

" ماذا ؟ "

" اللبن "

وراح إيان يفكر فى اللبن ثم شرع فى الابتسام .

فقال إميت الموقر " أتدرك ذلك ؟ " وكان هو الآخر منخرطًا فى الابتسام . وأضاف " فكيف يمكن لك أن تعطى إجابات أكثر خطأً من إجاباتى يا إيان ؟ يمكن لك أن تصبح قسيسًا أفضل منى بينما إحدى يديك مربوطة وراءك "

فقال إيان " لا يمكن لأى شخص أن يكون قسيساً أفضل منك "

وكان يؤمن بذلك تماماً ، ومن المؤكد أن إميت الموقر كان يدرك هذه الحقيقة لأنه أفاق من شرود ذهنه وقال : " حسنًا . شكراً جزيلاً "

" ولكنى سأفكر فى موضوع مدرسة الانجيل يا ...... إميت "

فقال إميت الموقر " هذا شىء رائع " ثم مدّ يده لكى يتناول المزيد من رقائق البطاطس ، ولم تعد عيناه متخذة على ما يبدو اللون البنّى وإنما أصبحت صفراء/ حمراء كهرمانية .

وقال " أوه ، سيكون من الرائع للغاية أن يعمل شخص ما إلى جوارى وينادينى باسمى المجرّد : إميت !!"

ووضع قطعة كاملة من رقائق البطاطس فى فمه و ابتلعها فى غبطة .

* * *

كانت بيرتا تحكى للرجل الجديد رفائيل كيف أن المستر برانت قد اكتشف أن زوجته قد تركته ، وقالت بيرتا " وهو فى بادىء الأمر يزعم أنها قد اختُطفتْ ويرى جينى خزانة الملابس : [أتشاهدين ؟ كل ملابسها مازالت معلقة هنا ولا يمكن أن تكون قد تعمدت ترك ملابسها] وتلقى جينى نظرة وتقول [يا عمى ، تلك الملابس التى أراها هى أقل الملابس المفضلة لديها ، أين بلوزتها الحريرية المزدانة بالخشخاش ذى اللون الأحمر الفاتح ؟ وأين جونلتها التركوازية ، وهذه ليست سوى الأشياء التى أمكنها الاستغناء عنها] "

وأبدى رفائيل استهجانه وقال " النساء دائمًا ما يكون لديهن الكثير من أبواب الطوارئ التى يهربن منها "

وقال جريج وهو يلكز ضلوع بيرت " تكلم عن الجار " .

" وتقول جينى [يا عمى ، جارك المستر هوفمبرج مفقود أيضًا ، وزوجته أصبحت مسعورة وشديدة الاهتياج] أتعرف ما تقول ؟ إنها تتقول [إنها سلسلة متلاحقة من الاختطافات !]

وانخرط الرجال الثلاثة فى الضحكات الخافتة ، فتهجم إيان وهو واقف عند المنضدة التى يعمل عليها ، كان ينبغى عليه أن ينبّه المستر برانت ويحذّره وتمنى لو كان قد فعل ذلك مرة أخرى .

وعلى نحو غير متوقع راح جيديون والفتاة ذات الشعر الأحمر يتجولان فى نزهة فى داخل ذاكرته ، وتبادلا القبلات بينما مدخل الكنيسة يشكّل إطاراً لهما ، وعلى الفور اعتدل إيان فى وقفته .

ماذا لو كانت تلك هى الإشارة التى صلّى من أجل أن يشاهدها فى داخل الكنيسة ؟

ولكن إذا كانت تلك هى الإشارة بالفعل فإنه لم يكن لديه أدنى فكرة عن معناها .

وذهب الآخرون لقضاء فترة الاستراحة القصيرة من العمل ، وانطلق إيان بسيارته لكى يلتقط دافنى ، لقد كان يومًا منعشًا وباردًا ومبهرًا ، وكانت أوراق الأشجار زاهية ومتألقة للغاية وكان يشعر بالمتعة الشديدة حتى أنه عندما وصل إلى المدرسة لم يلاحظ أن المكان مهجورًا

إلاَّ بعد مرور لحظات طويلة ، إذ لم تكن توجد أىّ سيارة واقفة أمام المدرسة ولا أىّ طالب يتسكَّع على المساحة المحيطة بالمدرسة ، فخرج من سيارته وذهب لكى يجرّب المدخل الرئيسى ولكنه كان مغلقًا بالقفل . وشاهده بواب كان يدفع بمقشة عبرْ الصالة وذلك من خلال الزجاج فجاء لكى يفتح له الباب وقال لإيان " المدرسة مغلقة ، ويوجد اجتماع للمدرسين ، والتلاميذ خرجوا فى الظُّهْر "

فقال إيان " أوه . عظيم " وأضاف " شكراً جزيلاً "

ثم سار متجهًا إلى كشك التليفون الموجود عند أحد جوانب المبنى واتصل تليفونيا بمنزله وقال " أمى ؟ هل دافنى موجودة عندك ؟ "

" لماذا ، لا ، لقد كنت أعتقد أنها موجودة بالمدرسة "

" لقد انصرفوا من المدرسة اليوم ظُهْرًا "

فقالت " يمكن لك أن تتصل بالفتاة التى هى من عائلة لوكلير هل تحب أن أستخرج لك رقم تليفونها من الدليل ؟ "

فقال إيان " لا داعى لذلك "

وساءل نفسه فى تعجب : كم ستظل أمه إنسانة ساذجة للغاية ، إنها ينبغى عليها أن تقوم بدور هام وجوهرى ، إنها مازالت تعتقد أن أهم مسألة تواجه فتاة تحت سن العشرين هى ما إذا كان ينبغى عليها أن تتبادل القبلات فى أول موعد غرامى مع صديقها الخصوصى أم لا والإجابة على ذلك [فهو قد سمعها وهى تقول الإجابة لدافنى]

هى : لا ولا ولا وألف لا " فمازال أمامك سنوات وسنوات قبل أن تفعلى ذلك . فأنت لا تريدين للناس أن يقولوا عنك أنك إنسانة مبتذلة "

واتجه بسيارته إلى منزل جيديون - وهو منزل متهالك وغير مدهون بالطلاء ويقع فى شارع جرينمونت ، وتوقف بالسيارة فى المكان المخصص لوقوف السيارات وصعد على السلالم المؤدية للمدخل المسقوف بسرعة ودقّ جرس الباب ، فلم يردّ أحد ، ولكنه أحسّ بوجود تجميد فجائى لحركة فى مكان ما فى داخل المنزل ، فقام بفتح الباب ذى الحجاب المنخلى وراح يطرق بيده على الباب الداخلى ، وأخذ يحملق وهو يحجب الشمس عن عينه من خلال اللوح الزجاجى ، فشاهد سجادة متهالكة وبالية وجزءاً من درابزين ثم شاهد جيديون وهو يهبط فى تثاقل على السلالم مع الحرص على إدخال قميصه فى بنطلونه وعلى مدى لحظات واجها بعضهما البعض من خلال الزجاج .

وتثاءب جيديون ، ثم فتح الباب وأطلّ برأسه .

فقال إيان له " أودّ أن أتحدث مع دافنى "

ففكر جيديون للحظات ثم قال أخيراً " أوكى "

كانت تنبعث منه رائحة رمادية محترقة وكما لو كانت بشرته تتعرض للاحتراق ، وعلى الرغم من أن قميصه قد أصبح الآن داخلاً إلى حدّ ما فى بنطلونه فإنه كان غير مغلق بالأزرار ، وظهر جانب من صدره العارى من خلال القميص ، وقال منادياً " يا دافنى ! عمك موجود هنا " واستمر فى مواجهة إيان . وعن كثب كان شعره هشاً مثل قشّ المقشّة . من المؤكد أن اللون يجىء من خلال الزجاج .

وقالت دافنى " إيان ؟ " ونزلت على السلالم بينما كانت مرتدية حذاء ها القتالى ، وبدا وجهها متغضنًا وكأنها قد استيقظت من النوم لتوّها وكانت عيناها بمثابة فتحتين ضيقتين ، وتساءلت لدى وصولها إلى جوار جيديون " ما الذى تفعله هنا ؟"

فقال إيان لها " يمكن لى أن أسألك نفس هذا السؤال "

" كان لدينا نصف يوم مدرسى ، وأنا نسيتُ أن أقول لك ذلك"

" وهل نسيت أيضًا الطريق المؤدى إلى منزلك ؟"

فراحت توائم القرط فى أذنها .

فقال إيان لها " هيا بنا " وأضاف " فأنا بصدد التأخر عن مواعيدى "

" أيمكن لجيديون أن يجىء معنا ؟ "

" ليس فى هذه المرة "

فلم تجادل ، ثم ألقتْ نظرة على جيديون فنظر إليها جيديون نظرة خالية من أى تعبير أو انفعال ، ثم انتزعت جاكتتها الجلدية من خُطّاف عامود الدرابزين وخرجت وراء إيان نحو السيارة بعد أن ارتدت الجاكتة وألقت بحقيبة الظهر على كتفها ، وبعد أن انطلقا بالسيارة لبعض الوقت قالت : " لم يكن الأمر يستلزم أن تكون وقحًا معه "

" لم أكن وقحًا معه ، كل ما هنالك هو أننى أريد التحدث معك على انفراد "

فقامت بتثبيت حقيبتها على صدرها ، ونظراً لأنها كانت تجلس قريبة منه للغاية فأنه أدرك أنها أيضًا كانت تنبعث منها نفس تلك الرائحة التى تشبه الرماد المحروق . وكانت شفتاها متورمتين وملطختين كما كان تلوث أحمر اللون يمتدّ من حلْقها حتى خط الرقبة لقميصها الـ "تى شيرت" الأسود اللون .

وقال " دافنى "

فقامت باحتضان حقيبتها فى مزيد من الإحكام .

فقال " يا دافنى بعض الأمور ليست على النحو الذى تبدو عليه "

فقالت له " عليك بمراقبة الطريق أثناء القيادة "

" أعنى أن بعض الناس ليسوا على النحو الذى يبدون عليه . فالناس الذين تتخيلين أنهم سيكونوا معك للأبد ، على سبيل المثال ..... "

" تلك السيارة تتقدم تدريجيًا نحو الخط يا إيان " وكانت تعنى السيارة البلايموث ذات اللون الأخضر الغامق والتى كانت تترنح بعض الشىء فى الحارة اليمنى أمام إيان مباشرة ، فقال إيان فى ضيق وتذمر " مما لا شك فيه أنه صبى تحت سن العشرين "

فقالت دافنى فى توبيخ وتعنيف " التحيز ، التحيز ! لا إنه رجل عجوز. أترى كيف أن رأسه منخفضة للغاية ؟ إنه مجرد رجل عجوز أبيض الشعر يختلس النظر من فوق عجلة القيادة ويتشبث بها من أجل حياته الغالية "

فقال إيان " ما أحاول أن، أقوله لك هو .... "

" إنه يتباهى ويتفاخر أمام صديقته الخصوصية "

" صديقته الخصوصية "

" أتشاهد تلك السيدة الموجودة فى سيارة على مقربة منه ؟ فى تلك السيارة البك آب . إنه يحاول أن يُبين لها كيف أنه إنسان مسئول وراسخ ويمكن الاعتماد عليه "

فشخر إيان ، وداس على الفرامل وتراجع إلى الوراء مما أعطى السيارة البليموث مُتَّسعًا أكثر وقالت دافنى " هل تعتقد أننى لا أعرف الأمور التى ينبغى علىّ القيام بها "

" عفوًا ؟ "

" هل تعتقد أننى إنسانة مغفلة وساذجة ترغب فى أن تفعل الصواب ولكنها تظل تفرط فى النواحى العاطفية ، ولكن ما لا تستطيع أن تدركه أنت هو : إننى اتعمد الافراط فى النواحى العاطفية ، وأنا لست مثلك : فأنت العاهل المتشدّد وأنت المستر الحريص الذى ينظر إلى الأمور من جميع النواحى وأنت الشخص الذى ربما يكون قدِّيسًا "

فقال إيان " انظرى الآن . السيارة البلاموث تُبطىء من سرعتها أيضًا ، يبدو أنه مصمم على البقاء معنا "

فقالت دافنى بصوت عالى وحاد " إننى أقول لك : ادخل فى مأزق ، وانبطح على وجهك وارتكب كل خطأ يخطر على ذهنك ، واستنفذ كل الحياة التى حصلت عليها ! "

فنظر إيان من فوق كتفه نحوها ، ولكنه لم يتكلم .

وقالت دافنى له " هيا بنا نتخطّى "

" نتخطّى ؟ "

" انطلق فى مزيد من السرعة وتخطى ، فهذا السائق رجل مغرور وفاشل "

فأطاعها ديان وانطلق محدثًا أزيزا من خلال ضوء أصفر اللون وخلف السيارة البليموث وراء ه بينما أنزلتْ دافنى زجاج نافذتها وقالت بصوت عالى " انتبه ! انبته ! السيدة فى السيارة الخضراء ! موعدك الغرامى مع عشيقتك قد تم كشفه وتحديده فى الملصق العام عن الناس المطلوب القبض عليهم للمكتب االفيدرالى للتحريات ، وأنا أكررّ تحذيرى لك ! "

فقال إيان " هذا قول صادق يا دافنى " ولكنه كان منخرطًا فى الابتسام ؟

وانعطف إلى شارع ويفرلى ، وتوقف بالسيارة أمام المنزل ، وظل جالسًا فى مكانه مع الاستمرار فى تشغيل الموتور ، وقال " دافنى ؟ " .

فقالت له " شكرًا جزيلاً لك على توصيلى بالسيارة " ثم وثبت خارجة من السيارة .

وشاهدها وهى تعبر على المساحة العشبية الأمامية الخضراء بينما حقيبتها تتواثب وشعرها الأشعث يتقلّب ، وكان نعل فردة واحدة من

حذائها القتالى مفكوكًا وفى كل خطوة كان عليها أن تطوح بقدمها اليسرى لأعلى على نحو غير طبيعى فوق الأرض وتنزل بها بشدة على الأرض ، وهذا جعل مشيتها تبدو متهورة ومتسمة بالمرح ، بل وجعلها تبدو رائعة ، وكان لا يزال مبستما عندما انطلق بسيارته مرة أخرى .

* * *

فى اجتماع الصلاة كانت الكنيسة تبدو دائمًا أكثر اتساماً بالطابع العائلى الدافئ ، فاعتقد إيان أن ذلك شيء له علاقة بالظلام الذى يحدق بالمكان ، وكان هذا منطبقًا بصفة خاصة فى هذه الليلة لأنه قد جاء مبكراً ولم تكن لمبات الفلورسنت قد أُضيئت بعد ، وشق طريقه بين صفوف من الكراسى المعدنية التى تلمع فى خفوت ، وتوقف خلف كاونتر الدكان ثم طرق فى خفّة على باب المكتب الذى كان يُظْهر خطًا رفيعًا من الضوء الأحمر عند الأطراف .

فقال إميت الموقر " أُدخل "

كان جالسًا فى أحد الكرسيين الفوتيي وقد مدَّد ساقيه فى خط مستقيم إلى أقصى درجة ، وكان يُقلِّب صفحات كراسة ترانيم وأناشيد دينية ، وقال مبتسمًا " إيان !! " ثم نهض واقفًا على قدميه بطريقته المتسمة بالتَّرنُّح .

وقال إيان " إميت الموقر ..... "

لقد توقف عن الكلام لأن إميت الموقر ظهر عليه الاكتئاب على نحو فجائى ، ومن المؤكد أنه قد خمَّن ما كان إيان بصدد أن يقوله .

وقال إيان " المسألة ليست فقط هى ما إذا كنت سأصبح قادراً على تقديم إجابات شافية للناس ، وإنما أيضًا ما إذا كُنت أرغب فى ذلك . ما إذا كنت أشعر بأننى ملائم للقيام بهذا العمل "

فاستمر إميت الموقر فى الصمت والانتظار ، فإدرك إيان أنه ينبغى عليه أن يشرح جوانب الموقف فى مزيد من التفصيل ، بل وينبغى عليه أن يحدثه عن الإشارة المرسلة إليه من الله ، وينبغى أن يقول ما الذى ذكرته به الإشارة فى تهاية الأمر : لوسى مندفعة إلى منزلها وهى لاهثة الأنفاس ومنفجرة فى الضحكات والإثارة ويقينه المتعجرف بأنه يقع عليه الالتزام بإبلاغ أخيه ولكن ذلك من شأنه يفتح الطريق أمام مناقشات مطولة ، [متى يكون شىء بمثابة تقبُّل فلسفى ومتى يكون بمثابة سلبية بكماء ؟ ومتى يكون شىء ما بمثابة قرار أخلاقى ، أو بمثابة سلسلة أكاذيب ناجمة عن ندبات عميقة فى النفس ؟] لم يكن كُفْئًا أو أهْلاً لذلك فاكتفى بأن قال " آسف "

فقال إميت الموقر " وأنا آسف أيضًا "

فقال إيان له " آمل أن يكون بمقدورنا أن نظل أصدقاء "

فقال إميت الموقر بطريقة مهذبة " نعم ، بالطبع "

وبالخارج فى الحجرة الرئيسية ، ألقى إيان بنفسه وراح يفك أزرار جاكتته وشعر بأن أصابعه ضعيفة كما لو كان قد تخطّى محنة أن محاكمة صعبة ولكى يُهدئ من روعه أحنى رأسه وانهمك فى الصّلاة . وصلى على النحو الذى كان يفعله دائمًا أى بدون أن يُكوِّن كلمات

حقيقية وبدون أن ينطلق بكلمات حقيقية ولكن من خلال تصوّر وجود هذا الكوكب الأخضـر الدوّار فى حـالة من الأمن و الأمـان بين يدىْ الله مع وجود الأطفال وأبويه وإيان نفسـه على هيئة نقاط ثقة صـغيرة بين كافة النقـاط الأخرى ، وبدت الغرفة فيما حوله وكأنها تخشـخش فى صلوات منذ سنوات بعيدة مضت : دعنى يا إلهى أشق طريقى فى الحياة بنجاح واجعلها تحبنى واغفر لى ذنوبى .

ثم وصلت الأخت ميرا ومعها الأخت إيدنا وقامت بالضـغط على زرّ الإضـاءة فقفز الضـوء وغمر الغرفة بطوفان من التوهج المليء بالطنين والأزيز وسـرعـان مـا جاء آخـرون وجلسـوا على المقـاعد فى ضـجـيج وضـوضـاء . وكـان إيان جـالسًـا بينهم فى هدوء وسلام مع اسـتيعـاب الهدير المبهج لأصواتهم والألوان المبهرجة الزاهية لملابسهم

* * *

(٩)

صندوق الخياطة الذى غمرته مياه الأمطار

كان ربيع عام ١٩٨٨ هو أكثر الفصول مطراً بقدر ما يتذكّر أى إنسان ، إذ هطلت الأمطار فى كل يوم تقريبًا فى شهر مايو ، ففاضت كافة مصارف مياه العاصفة وجرت قنوات البلوعات متدفقة بالماء مثل الأنهار ، وظهر رشْح فى سقف منزل عائلة بيدلو فوق خزانة الملابس الكتانية مباشرة فذات صباح عندما ذهبت دافنى لكى تحضر فوطة جديدة وجدت الكومة كلها منقوعة فى الماء ، فاتصل إيان بشركة "دافيدصون روفارز" تليفونيًا ولكن الرجل الذى جاء قال إنه لا يمكنه القيام بأىّ عمل إلاّ بعد أن ينقشع الجو ويتوقف المطر ، وبالتالى فإنه ينبغى عليهم الانتظار خاصة وأن نصف منازل المدينة قد تعرضتْ لرشْح فى السقف بسبب هذه السيول والأمطار الغزيرة ، ولذلك قاموا بوضع وعاء فوق رف خزانة الملابس مع وضع قطعة مطوية من القماش فى القاع لكى تكتم التقطير المستمر .

وبالطبع قاموا بنقل الملابس الكتانية إلى مكان آخر ولكن كانت لا تزال تنبعث من الصالة العلوية أشياء لها رائحة شبيهة برائحة الرطوبة

الشديدة وشبيهة برائحة المستنقعات ، وأشار إيان إلى أن السبب فى ذلك يرجع إليــه وأوضح أن لديه ذلك العفـن الفطرى الموجـــود تحت إبطيه .

وبعدئذ جاء شهر يونيو متسمًا بالجفاف الشديد ، إذ لم يسقط سوى وابل واحد من المطر طوال هذا الشهر الشديد الحرارة ، وتحول الفناء إلى اللون البنى واستلقت القطة فى تمدد على أرضيــة المطبخ الباردة بقدر ما تستطيع ، ولكن بحلول ذلك الوقت لم يظهر آل بيدلو اهتمامًا بهذه الأمور لأن بى استيقظت ذات صباح فى يوم من أيام يونيو وهى غير قادرة على الكلام وبعد يومين انتقلت إلى رحمة الله .

وجاءت أجاثا مع زوجها بالطائرة قادمة من كاليفورنيا ، وجاء توماس من نيويورك ، وجاءت كلوديا وزوجها ماسى من بتسبرج مع أصغر اثنين من أبنائهما وهما : جورج وهنرى أمًّا أبىّ وهو أكبر أبنائهما سنًا فقد جاء من شارلستون ، ولم يكن المنزل ممتلئًا وإنما كان متشققًا عند خطوط الالتحام ، ومع ذلك كانت دافنى تشعر بالوحدة والاكتئاب ، وفى وقت متأخر بالليل راحت تجوب وتطوف فى الغرف المظلمة وتتعثر فى حقائب النوم ومرّت فى خفة بجوار هيكل يغطّ فى نوم عميق على الأريكة وراحت تفكر : هناك شخص ما متغيّب ، هناك شخص ما مفقود ، وصبّت لنفسها مقدارًا ضئيلاً من الويسكى الخاص بجدّها ووقفت تحتسى عند نافذة المطبخ ثم انهمكت فى تفكير عميق : إنها جدّتى ، لقد بدا عليهم أنهم قد نسوا وفاتها أثناء معمعة وصول الناس والترتيبات التى تتم من أجلهم .

ولكن بعد أن غادر كل فرد المنزل مرة أخرى كاد أن يُصبح غياب بى حضوراً . وأمضى دوج ساعات طوال حبيسًا فى داخل غرفته ، كما أصبح إيان نزاعًا إلى التأمل العميق ومتخذًا طابعًا غير ودّى ، وكانت دافنى فى تلك الآونة تعمل لصالح بائع للزهور وبعد أن تغلق الدكان غالبًا ما كانت تستمر فى الوجود فى قلب المدينة - وذلك لكى تتناول وجبة طعام خفيفة وتذهب إلى عدد قليل من البارات مع بعض أصدقائها وتذهب إلى منزلها مع شخص ما تعرّفت عليه منذ فترة قصيرة للغاية وذلك لمجرد أن تُشغل نفسها وتُبعد نفسها عن مشاعر الوحدة القاسية ، منْ كان يتوقع أن تترك بى وراءها كل هذا الفراغ الشديد ، وهى على مدى السنوات القليلة الماضية بدا عليها وكأنها تتقلّص وتتلاشى وتتوارى إلى الخلفية ، وكان إيان هو الذى يدير الأمور على ما يبدو ، والآن رأت دافنى أن الأمور لم تكن على ذلك النحو بالمرة ، أو ربما كانت تشبه تلك المرات التى تشهد فيها اعتلالاً أو مرضًا جسمانًا - متاعب فى المعدة على سبيل المثال وعندئذ تقول لنفسك : إننى لم أدرك من قبل على الإطلاق أن المعدة هى مركز الجسد وبعدئذ تصاب بالصداع فتقول لنفسك : لا ، انتظر ! أن الرأس هى التى تعتبر مركز الجسد ....

وكان شهر يوليو فى مثل جفاف شهر يونيو ، فبدأت المدينة تقتصد فى توزيع المياه ، وبذلك لم يكن بمقدورك أن ترشّ مساحتك الخضراء بالماء إلاّ فى الفترة من الساعة التاسعة ليلاً حتى التاسعة صباحًا . وأبدى إيان ارتياحه لذلك ، فهو لم يكن على استعداد للرش على الإطلاق وأشار إلى أن مساحته الخضراء لم تعد تستأهل بذل مجهود فى الرشّ ،

حيث كان العشب قد بدأ يتحوّل إلى الهشاشة وسرعة الانكسار وأصبح مثل ورقة يتم تقريبها من لهيب شمعة ، كما أن أشجار الزينة التى تشبه ثمارها كوب الماء قد ذبلت وتدلّت فى انحناء . وعندما وصل دافيدصون روفارز ذات صباح لكى يطرق بالمطرقة فوق السطح تعجبّت دافنى من السبب الذى يجعلهم يهتمون بذلك .

وفى أواخر أغسطس بدأ مطر خفيف فى التساقط ذات يوم فى فترة ما بعد الظهر ، فانطلق الناس خارجين من بيوتهم ومدّوا أيديهم ورفعوا وجوههم نحو السماء ، واعتقدتْ دافنى التى كانت تمشى نحو منزلها قادمة من محطة الأتوبيس أنها كانت تعرف الكيفية التى تشعر بها النباتات بكل تأكيد إذا استقبلتْ بشرتها كل قطرة باردة وعذبة من المطر فى امتنان شديد ، إلاّ أن المطر توقف فجأة عقب مرور عشرة دقائق كما لو أن أحداً قد أغلق صنبوراً وانتهى الأمر عند هذا القدر .

وبعدئذ انتهى الصيف – وقال جدّها إن ذلك كان أصعب صيف فى التاريخ ، [وهو قد قال ذلك بسبب موت بى بالطبع ، فهو ربما لم يلحظ فترة القحط والجفاف] إلاّ أن الخريف لم يكن أكثر مطراً بقدر كبير أو أكثر اتساماً بالبهجة .

وكان شهر أكتوبر يشير إلى أطول فترة شغلت فيها دافنى وظيفة – لمدة سنة كاملة – فقام صاحب دكان الأزهار بمنحها زيادة فى الراتب الشهرى ، وقال أصدقاؤها إنه ينبغى عليها بعد أن أصبحت تكسب المزيد من النقود أن تستأجر لنفسها شقة لكى تقيم فيها بمفردها . فقالت لهم " أنتم على حقّ فى هذا الرأى فأنا بصدد البدء فى البحث عن

شقة ملائمة ، وأنا أدرك أنه ينبغى علىّ أن أستأجر شقة ، ولسوف استأجر شقة بالفعل ذات يوم " ، ولم يكن بمقدور أحد أن يصدق أنها مازالت تعيش فى منزل العائلة مع أسرتها .

وكان عيد الشكر ذاك هو أول عيد يجىء إليهم بدون تواجد بى ، ولم يكن من الأجازات التى تعود فيها أجاثا عادةً إلى منزل عائلتها – إذ كانت أستاذة فى علم الأورام فى لوس انجيلوس L.A ولكنها فى هذا العيد جاءت بالفعل إلى منزل عائلتها وبصحبتها استيوارت بالطبع ، وعندما عادت دافنى من العمل إلى المنزل فى مساء يوم الأربعاء شاهدت أجاثا التى كانت منهمكة فى غسل الجزر فى حوض المطبخ ، وتبادلتا القبلات وقالت أجاثا " لقد رجعنا توًا من دكان البقاّل ، حيث لم نجد فى الثلاجة أى طعام "

فقالت دافنى وهى تستند على الكاونتر " حسنًا ، لم يكن يوجد طعام فى الثلاجة ، لأننا كنا قد قررنا أن نتناول عشاء عيد الشكر فى مطعم "

" ذلك هو ما قاله الجدّ "

وكالعادة كانت أجاثا ترتدى جونلة زرقاء داكنة وبلوزة بيضاء تفصيل عند الترزى ، وكانت بملابس شبيهة بملابس موظفة تعمل فى مجال التبشير للديانة المسيحية ، وكان شعرها الأسود مجعّدًا عند خط فكّها بذلك الأسلوب المطيع لتلك النساء العموميات بالكتب الدراسية بالمرحلة الابتدائية ، وكان وجهها أبيض اللون فى اتّساق كما لو كانت بشرتها أكثر سُمْكًا من بشرة الناس الآخرين ، وكانت نظارتها السميكة

الثقيلة ذات الإطار الأسود تُعطى إطاراً لعينيها ، ويمكن لك أن تقول إنها كانت تعتقد أن الوسامة والجمال هى مضْيعة للوقت ، وكان بمقدورها أن تصبح جميلة - فأى امرأة أخرى لها مثل هذه الطلعة كان سيُنظر إليها على أنها جميلة بالفعل - ولكنها كانت تفضل ألا تبدو جميلة وربما كانت تعترض على قُرْط دافنى الذى يصدر رنينا وبلوزتها الهندية الرقيقة مثل الشاشة بل وربما بنطلونها الجينز الذى كانت تضطر لأن ترقد على الأرض لكى تتمكن من إدخال جسدها فيه وارتدائه.

وقالت أجاثا " أتعرفين ما كانت الجدة تقوله لنا دائمًا : الدهماء والرعاع وحثالة القوم هم فقط الذين يتناولون وجبات أجازاتهم فى المطاعم "

" نعم ، ولكن كل شىء كان قد .... "

وعندئذ جاء ستيوارت قادمًا من الباب الخلفى ومعه صندوق من المياه المعدنية ، وقال " مرحبًا ، يا دافنى " ثم وضع الصندوق على الكاونتر ، وهزّ يدها فى مصافحة رسمية وقالت دافنى " حسنًا ، هاى ، مرحبًا يا ستيوارت " وتعجبت مرة أخرى من كيف أن أختها قد تزوجت رجلاً فائق الجمال على هذا النحو ، إذ كان طويلاً وقوىّ العضلات وله بشرة نحاسية بسبب كثرة التعرّض لأشعة الشمس وله شعر ذهبى مجعّد ومقصوص ليكون قصيراً وله عينان رائعتان وبعيداً عن المستشفى ، كان يرتدى الملابس الرشيقة التى تُشاهد فى الإعلانات عن منتجعات التزحلق على الجليد ، وربما هو كان بمثابة موافقة أجاثا على أهمية المظاهر ،

أو ربما هـى لم تلحظ مـدى وسـامـتـه وأنـاقـتـه ، وربما كـانت هـى المرأة الوحيدة فى حياته كلها التى لم تتراجع إلى الوراء فى ارتباك لدى القاء نظرة عليه ، وقد يُوضِّح لنا هذا السبب فى أنه قد تزوجها ، أُنظر إليها الآن وهى تُخبىء زجاجاته فى تذمر فى الثلاجة ، وقالت " يا ستيوارت أتعتقد أننا سنظل موجودين هنا حتى حلول الكريسماس : " فقال لها فى دماثة خلق " حسنًا ، سيشرب شخص ما هذه الزجاجات " ، ثم ذهب لكى يُمسك بالباب ويُبقى عليه مفتوحًا من أجل دوج الذى كان ينقل إلى الداخل كيسًا عملاقًا مليئًا بطعام القطة .

ووصل إيان قادمًا من العمل فى وقت مبكر أكثر من المعتاد واحتضن إجاثا بشّدة وصافح ستيوارت باليد فى ترحيب شديد ، فهو دائمًا ما كان يشعر بالغبطة الشديدة كلما عاد شخص إلى منزل عائلته. وبعد تناول طعام العشاء – وكان معظمه من البراعم والنباتات الصليبية التى قامت أجاثا بإعدادها – أعلن أنه سيتخلف عن اجتماع الصلاة وذلك من أجل الذهاب معهم إلى محطة السكة الحديد لاستقبال توماس ، ولم يسبق لإيان أن تخلّف عن اجتماع الصلاة إلاّ فيما ندر .

وتولى إيان مهمة قيادة السيارة وجلس والده فى المقعد الأمامى إلى جواره . وجلست دافنى فى المقعد الخلفى بين أجاثا واستيوارت وقد وضعت ذراعها اليمنى فى تخشّب بعيدًا عن كم استيوارت السويدى ، [لم يكن بمقدورها أن تأخذ طلعته أو جماله على أنه أمر مسلم به]. وانزلقت الشوارع المظلمة وراءهم وكانت تلك الشوارع مليئة بالأحداث من وقت لآخر : رجلان زنجيان يتصارعان فى مزاج عند تقاطع

للشوارع وامرأة عجوز تدفع بعربة تسوّق مليئة بدميات معطوبة وبالية ، وانحنت دافنى للأمام لكى تتمكن من مشاهدة كل شيء فى مزيد من الوضوح . ولكن الآخرين كانوا يتناقشون فى مسألة سيارة أجاثا الجديدة التى هى ماركة " صعب saab " ، وقالت أجاثا إنها تسير على ما يرام إلى حد كبير وذلك على الرغم من رائحة الجلد المنتشرة فى داخلها والتى تذكرها برائحة الشريط اللاصق ، وربما أجاثا بدأت تنظر إلى بلتيمور بحلول هذا الوقت على أنها مجرد مدينة أخرى .

وعند محطة بين Penn للسكة الحديد كانت كل الأماكن الضيقة مشغولة بالسيارات لذلك راح إيان يدور بالسيارة حول مبنى المحطة بينما ذهب الآخرون إلى داخل المحطة ، وقالت أجاثا فى همس لدافنى أثناء سيرهما عبر الرواق : " ماذا حدث لإيان ؟ "

فقالت دافنى فى تساؤل " حدث ؟ "

ولكن عندئذ لحق بهما جدهما وقال " أوه ، إننى ... إننى لا أستطيع التغلب على ما فعلوه فى هذا المكان " وهو دائمًا ما كان يقول ذلك ، فجعلهما تميلان برأسيهما إلى الوراء لكى تدرسا المنور أو الكُوَّة الموجودة فى السقف . وفى نفس تلك اللحظة اكتشف توماس وجودهم ، فقال فى أذن دافنى " أنتم تحدقون فى بلاهة فى المنور مرة أخرى " فاستدارت وقالت " توماس !! " وقبلته على خده وناولته لأجاثا ، كان قد أصبح فى الآونة الأخيرة متخذًا إلى حد كبير الطابع النيويوركى ، وكان يرتدى معطفًا أسود قصيرًا مما زاد من وضوح شعره الأسود وبشرته الزيتونية . وكان يحمل حقيبة صغيرة جلدية سوداء من النوع الذى

يُستخدم فى الرحلات القصيرة ، ولكنه عندما تجاوز يدْ ستيوارت الممدودة من أجل أن يعانقه فى حرارة أدركت دافنى أنه كان لا يزال هو أخوهم توماس القديم ، كانت له طريقته من حيث افتراضه أن الناس يحبونه على نحو طبيعى ، ولذلك فإن الناس بالطبع يحبونه كانوا بالفعل دائمًا ، والآن كان عليهم أن يتكوموا فى ازدحام فى داخل السيارة ونظراً لأن دافنى كانت أصغرهم حجماً فإنها جلست فى المقعد الأمامى ما بين دوج وإيان ، ولدى دخولهم بالسيارة فى شارع تشارلز ستريت حدّثهم توماس عن مشروعه الجديد [كان يعمل فى شركة تختص ببرامج العقل الإلكترونى بالإضافة إلى ابتكار ألعاب تعليمية بالكمبيوتر] ولم يكن بمقدور أيّ واحد منهم الحصول على مايزيد عن الأساس ، ولكن إيان ظل يقول " م م . م. م. هـ . م. م " وقد بدا عليه الابتهاج والتأثر الشديد ، وقام ستيوارت وأجاثا بتوجيه أسئلة تدلّ على الذكاء ، ولكن دوج كان ملتزمًا بالصمت ، وعندما ألقت دافنى نظرة عليه وجدته يحملق فى خط مستقيم أمامه مع وجود سطح زجاجى إضافى أمام عينيه ، وعلى الفور أدركتْ أنه كان يفكر فى زوجته بى وفى أن جميع الأطفال قد عادوا إلى منزل العائلة مرة أخرى ولكن بى لم تعد موجودة وبحيث ترحب بهم وتستمتع بهم ، فمدّت يدها وراحت تربّت على يده ، فحوّل بصره وأخذ يحملق إلى الخارج من خلال النافذة ، وأدركتْ دافنى أن أصابعه حريرية وملساء و مُتقوِّضة فى انهيار وهشة للغاية .

* * *

لم يكن الوقت متأخراً بالليل عندما ذهب دوج وإيان للنوم فى الفراش بينما الآخرون كانوا يشاهدون التليفزيون لذلك كانت لدى أجاثا الفرصة لأن تكرّر سؤالها مرة أخرى : " ما الذى حدث لإيان ؟ "

فقالت دافني " لا شيء حدث "

" وجّدنا ! وهذا المنزل بأكمله ! "

" إننى لا أعرف عماً تتحدثين "

" يا توماس ، أنت تعرف ، أليس كذلك ؟ "

فهزّ توماس كتفه هزّةً خفيفة – وتلك كانت هى إجابته على أىّ سؤال جاد ، وكان جالسًا عند الجانب الآخر لأجاثا وكان منهمكًا فى تقليب القنوات من خلال استخدام الرموت كونترول ، وكان استيوارت مضطجعًا فى تكاسل فى الأرضية وقد استند بظهره على ركبتى أجاثا ، وكان الوقت قد تجاوز منتصف الليل فبدأت دافني تشعر بالرغبة فى النوم ولكنها كانت تكره أن يفوتها أىّ شيء .

فقالت " ما رأيكم لو ذهبنا كلنا للنوم "

فقالت أجاثا " الذهاب للنوم ؟ الوقت حاليًا فى كاليفورنيا حوالى التاسعة مساء "

فقال ستيوارت من مكانه على الأرضية " حسنًا . إننى على استعداد لأن أقول عن هذا الوقت الحالى أنه نهار ، ولا تنسوا أننا تخطينا العين الحمراء أثناء الطيران "

فقالت أجاثا لدافنى " إننى أعود إلى المنزل وأجد هذا المكان مليئًا بالفوضى والخرائب ، فالعشب جاف تمامًا وحتى الشجيرات تبدو ميتة وجافة، كما أن أرجوحة الفراندا الأمامية معلقة من خلال سلسلة واحدة، والمنزل ملىء باللخبطة الشديدة حتى أنه لا يوجد مكان نضع فيه حقائبنا ، والأطباق لم يتم غسلها منذ أيام ولا يوجد فى الثلاجة أية مأكولات ، بل ولا يوجد طعام من أجل القطة ، بل ولا يوجد طعام فى حجرة إعداد الأطعمة الباردة وعندما صعدتُ إلى غرفتنا تلاحظ لى أن الحاشيتين متجردتان من كيسيهما وعاريتان تمامًا كما أن جميع الملايات موجودة فى السلة الكبيرة ذات الغطاء ، وعندما أحمل الملايات إلى البدروم أكتشف أن الغسالة الكهربائية معطلة وقال جدنا إنها ظلت معطلة طوال فصل الخريف ، فسألته [وما الذى فعلته أنت فى هذا الشأن ؟] فقال [فى أىَ مرة يخرج فيها واحد منا نحاول أن نتذكر تجميع شىء ما ضئيل من أجل الغسالة الكهربائية] وبعدئذ قال إننا سنتناول عشاء عيد الشكر فى مطعم ، مطعم ! موجود بشارع سانت بول ستريت!"

فقالت دافنى لها " حسنًا . ليس الوضع رديئًا إلى هذه الدرجة " ، وأضافت " فقد كانت هناك فترة جافة ، أعنى أن جفاف الأعشاب ليس ناجمًا عن خطأ من جانبنا ، وربما تكون الأرجوحة على ما يرام ، كل ما هناك أن الأمر يتطلب أن يقوم إيان بتفحص ألواح السقف فى المدخل المسقوف والتى انبعجت أثناء السيول "

ولكنها كانت تدرك أن هذا الكلام ضعيف وواهن – الجفاف وسيول الأمطار فى آن واحد ، وحقيقة الأمر أنها لم تكن تدرك مدى الفوضى العارمة التى تحدق بها ، ونظرت إلى أرجاء غرفة المعيشة [جرائد

ومجلات قديمة للغاية لدرجة أنها اتخذت اللون الأصفر وأزهار ميتة فى زهرية مليئة بالغبار وفراء قطعة من السجاد متعلقة بالبنطلونات القطنية المضلعة التى تخص ستيوارت] فشعرت بالتوتر والخجل ، وقفز إلى ذهنها المنظر عندما ذهبت إلى غرفة الغسّالة الكهربائية حيث شاهدت على إحدى المناضد القابلة للطى كتلة متيبسة من ملابس بيدلو مصنوعة من نسيج مربع النقش والتى كان قد نقلها شخص ما من الغسالة الكهربائية وتركها لكى تجف وهى على هيئة كتلة واحدة وربما حدث ذلك منذ أيام عديدة مضت .

وقالت أجاثا لها " وأيضاً شعر إيان بحاجة لأن يُقصّ "

فقالت دافنى " أهو بحاجة لأن يُقصّ شعره ؟ ولكنى قُمت بنفسى بقصّ شعره " [كان إيان يكره الذهاب إلى محلات الحلاقة] وأضافت " فأنا قصصت شعره منذ .... "

يا إلهى منذ الصيف الماضى ، وعلى نحو فجائى قفزت صورته إلى ذهنها : شعر طويل متدلىّ على ياقته له لون بنى مختلط مع جدائل رمادية بينما خطوط الإرهاق والإعياء تخرج من عينيه على شكل مروحة.

وقالت أجاثا " إنه يشبه عمّ من نوع ما .... غريب الأطوار وفى منتصف العمر "

فقالت دافنى فى احتجاج شديد بصوت مرتفع مما جعل ستيوارت المستند على ركبتى أجاثا يسقط فجأة ويتمايل صاعداً لأعلى " إنه لا يشبه رجلاً غريب الأطوار وفى منتصف العمر ! " ثم قال ستيوارت : "هـ و ه ؟" ، ورفع توماس صوت التليفزيون من خلال الريموت كونترول .

وقـالت أجـاثـا " وجدّنا يوجـد على صـدره بقع وتلوثات نـاجـمـة عن تناول الطعام ، وأنت أظافرك قذرة "

فـقـالت دافنى لهـا " لأننـى أعـمل فى دكـان لبـيـع الزهور " ثم ألقت نظرة سـريعـة على يدها اليـسـرى التى كـانت مـوضـوعـة على ذراع الأريكـة .

وتساءلت أجـاثا " هل السـبب فى ذلك يرجع إلى رحيل جدتنا ولكن لا يمكن أن يكون ذلك هو السـبب ، أليس كذلك ؟ وأنا أدرك أننا جـمـيعًا نفتقد جدتنا عقب انتقالها إلى رحمة الله ولكن إيان كان يتولى بنفسه شئون المنزل منذ سنوات طويلة مضت ، أليس كذلك ؟ "

فقالت دافنى " نحن نفتقدها بالفعل " وفى نفس تلك اللحظة سمعت بى وهى تنادى عليها لكى تجىء لتتناول طعام العشاء فى مساء صيف منذ فتـرة طويلة مـضت " داف .... نى ... " حـيث كـان هذان المقطعـان يسبحان عبر الشفق الأحمر ، وفى خلسة راحت تنظف أظافرها ، وقالت " ولكننا نفلح وننجح فى تدبيـر أمـورنـا ، فنحن على مـا يرام بالفـعل ! وإيان ليس فى منتـصف العـمـر وليس فى خـريف العـمر إذ يبلغ عـمـره حـاليًا أربعين سنة ، وبذلك فـهو ليس كبيـرًا للغاية فى السن ، بل هو قد تصادق مع صديقة خصوصية تسمى كلارا ، هل سبق لك أن تقابلت مع كلارا ؟ لا ، لا أعتقد ذلك ، فـهى امرأة عضوة فى كنيسـتنا ، وهى على مايرام ولا بأس بها "

" أهى ستجىء لكى تتناول معنا العشاء بمناسبة عيد الشكر ؟ "

فتساءلت دافنى فى غباء " مَنْ ؟ كلارا ؟ " ، فهى فى حقيقة الأمر لم تبدى أبداً أى اهتمام بكلارا فى أىّ وقت من الأوقات وأضافت "حسنًا . لا ، لا أعتقد أنه قد وجّهتْ الدعوة إليها"

" وماذا عنك ؟ "

" ماذا عنىّ ؟ "

" هل أنت تتقابلين مع شخص ما بصفة خصوصية وترشحينه للزواج منك ؟ "

فقالت دافنى " أوه . لا ، فأنا حالياً أتنقّل ما بين الأصدقاء "

" وماذا حدث مع ..... أكان اسمه : رون ؟ "

فقالت دافنى " اسمه ريتش . وكان قد أصبح جاداً ووقوراً ورزينًا أكثر من الازم ، وبدأ يأخذ الأمور مأخذ الجد للغاية وأنا فى حقيقة الأمر من النوع الذى يمضى ليلة واحدة فقط مع الصديق "

لم تكن تعرف السبب فى وجود هذا الإلحاح لديها فى إحداث صدمة عندما تتكلم مع أجاثا ، ولكن ذلك لم يكن يأتى بالنتيجة المرجوة ، إذ كانت أجاثا تكتفى برفع حاجبى عينيها فى دهشة وتمتنع عن إبداء أىّ تعليق ، وقال التليفزيون " أرسل إلينا بطاقة تشير فيها إلى ..... الأنثى تضع البيض فى .... ليس ٣٩٩٥ وليس ٢٩٩٥ وإنما ..... "

فقالت أجاثا لتوماس " ستيوارت يفعل ذلك أيضًا ، فهو بمجرد أن تعطيه ريموت كنترول يتحوّل إلى شخص مسعور وشديد الاهتياج . ومن المؤكد أن هذا ناجم عن زيادة فى نشاط الغدد الصمّاء "

فتساءل ستيوارت وهو يلقى برأسه لأعلى : "ما هذا الذى تقولينه ؟"

فقالت أجاثا لدافنى " سنقوم بتنظيف المنزل غداً فى فترة ما بعد الظهر "

فقالت دافنى فى خنوع " وهو كذلك " .

" ولسوف نتناول وجبة عشاء اعتيادية مصنعة بالمنزل فى مناسبة عيد الشكر ، فلقد اشتريت ١٨ رطلاً من لحوم الديك الرومى من دكان البقّال ووجّهت الدعوة للمسز جوردان والأجانب ، وبعدئذ سنبدأ فى أعمال التنظيف وفرز وتصنيف الأشياء ، والتخلص من الأشياء التى لا لزوم لها ، هل تعرفين أن أدوات التجميل الخاصة بجدّتنا مازالت على مكتبها ؟ "

فقالت دافنى فى إيحاء " ربما جدّنا يفضل وجود تلك الأشياء فى نفس المكان "

" وحبوب التهاب المفاصل الخاصة بها مازالت موجودة أيضًا فى خزانة الدواء "

" ربما ...... "

فقالت أجاثا " وهى حبوب تجاوزت تاريخ انتهائها " كما لو كانت تلك العبارة قد أنهت المناقشة فى هذا الشأن .

وقال ستيوارت " يا أجاثا ، أيمكن لنا أن نذهب للنوم فى السرير الآن ؟ "

فقالت أجاثا " الآن ؟ " ثم نظرت إلى ساعة يدها ، وقالت " الوقت لم يصل إلى التاسعة والنصف " .

وكانت دافنى تشعر بالرغبة الشديدة فى النوم مما جعل الغرفة تبدو سديمية فى غشاوة كما كان توماس يتثاءب من وقت لآخر ، ألاّ إنهم جميعا ظلوا مستيقظين فى طاعة وثبتوا عيونهم على شاشة التليفزيون .

* * *

وفى فترة ما بعد الظهر من يوم الخميس قامت أجاثا ودافنى بغسل جميع الأطباق وحتى تلك الأطباق الموجودة فى الدواليب ، وقام توماس بالتنظيف بالدور السفلى مستخدمًا مكنسة كهربائية بينما حاول إيان تخفيض الفوضى العمومية . أمَّا ستيوارت الذى اتضح أنه عديم الفائدة فى الشئون المنزلية فإنه راح يرقب مباراة لكرة القدم مع دوج .

وفى الساعة العاشرة ليلاً من يوم الخميس تناولوا ساندوتشات محشوة بلحوم الديك الرومى [وفى كاليفورنيا كان الوقت هو السابعة مساءً] وبعدئذ قامت أجاثا بازالة التراب عن أثاث الدور الأرضى بينما قامت دافنى بحك وتنظيف الأشياء الخشبية فى حين قام توماس بتلميع الفضيات .

وفى يوم الجمعة رجعت دافنى إلى دكان " فلورال فانتازى " للزهور وبحلول الوقت الذى رجعت فيه إلى المنزل كان الدور العلوى قد تم تنظيفه بالمكنسة الكهربائية علاوة على إصلاح الغسالة الكهربائية وغسل جميع الملابس المتسخة ، وأصبح المكتب الصغير المصنوع من خشب

الجوز والذى يخصّ بى والموجود فى غرفة المعيشة يقف عاريًا وشاغرًا بينما عيونه قاتمة مثل الأسنان المفقودة ، وعندما قامت دافنى بفتح الأدراج السفلية لم تجد سوى الأشياء الأساسية : صندوق به مظاريف وألبوم للصور الفوتوغرافية به ستة صفحات ممتلئة تغطى فترة الـ ٢٢ عامًا الماضية ، والوثيقة التى تمّ بمقتضاها تحويل هذين الشخصين الأجنبيين توماس وأجاثا " دولسيمور " إلى أسرة بيدلو ووضعهما تحت حماية ورعاية إيان علاوة على دافنى ذاتها ، وكانت هذه الوثيقة مألوفة للغاية لها حتى أنها كان بمقدورها أن تتذكر محتوياتها حرفيًا ولكنها تفحصتها فى دقة مرة أخرى وكذلك فعلت أجاثا وهى تتنفس بصوت عالى عبر كتف دافنى ، وقالت أجاثا لها [ولم يكن هذا للمرة الأولى] "الشىء المزعج هو أننا لا نعرف أىّ شىء عن ميراثنا الجينى ، ماذا لو كنا عرضة للإصابة بمرض السكر ؟ أو مرض الصرع ؟"

ومن الناحية الدبلوماسية أحجمت دافنى عن الاشارة إلى أنها شخصيًا تعرف بالفعل ميراثها الجينى من ناحية والدها على الأقل . وهزت رأسها وأعادت الوثيقة إلى الدرج .

وفى يوم السبت ذهب إيان إلى ورشة " جود وركس " التى يعمل بها ولكن دافنى ظلت موجودة بالمنزل لكى تستكمل أعمال النظافة ، وقالت أجاثا " يا جدّى نحن اليوم نقوم بفرز وتصنيف ممتلكات جدّتنا ، فإذا أردت الاحتفاظ بأىّ شىء فإنه يُستحسن أن تبلغنا بذلك الآن "

فقال " أوه " ثم قال " حسنًا ربما أحمر الشفايف الخاصة بها . وزجاجات عطرها "

" أحمر الشفاه ؟ العطور ؟ "

" أحب أن تتواجد أشياء على مكتبها ، فأنا لا أرغب أن أشاهد مكتبها شاغرًا تمامًا".

" ألا يكفى أن نضع زُهرية على مكتبها ؟ "

فقال جدّها فى حزم وصرامة " لا ، لا يمكن ذلك "

" حسنًا ، وهو كذلك "

" كما أحب أن يظل رداؤها معلقًا كما هو فى خزانة ملابسها "

" وهو كذلك يا جدّى "

" ولكن يمكن لك أن تتخلّصى من مجوهراتها بإرسالها إلى كلوديا ، أو على الأقل المجوهرات الحقيقية منها "

فقالت أجاثا " حسنًا ، سيكون عليك أن تفرز هذه المجوهرات وتبينّ لنا ما هو حقيقي وما هو زائف " ، حيث لم يكن بمقدروها التمييز بين النوعين .

ولكن فيما بعد وبعد أن تم الانتهاء من وضع ملابسها الداخلية المترهلة الكئيبة المليئة برائحة البودرة فى الكراتين التى أحضرها توماس من البدروم راحتا تناديان بصوت عالى على دوج لكى يرشدهما فيما يتعلق بالمجوهرات ، ولكنه لم يرد على ندائهما ، فاعتقدتا أنه يشاهد التليفزيون . ولكن عندما ذهبتا إلى التلفزيون لم تجدا سوى ستيورات حيث كان يقلب القنوات بسرعة هائلة من الجولف إلى الكرتون إلى

عـروض الطهى ، فـقـالت دافنى : " أراهن على أنه مـوجـود فى منزل الأجانب "

فقالت أجاثا " هذا صحيح "

"هل تعـرفين أن الأجـانب لديهم الآن جـهـاز VCR ؟ ولديهم جـمـيع الأفلام التى قامت ببطولتها رينا هيوارث "

فقال توماس " ربما ينبغى علينا أن نتركه الآن هناك "

" وما الذى سنفعله بشأن المجوهرات ؟ "

فقالت دافنى " أرسلى الصندوق كله إلى كلوديا " ثم قالت لتوماس " أربط وغلِّف هذا الصندوق من أجل إرساله بالبريد ، ولسوف تجد ورقًا للتغليف وخيوطًا فى حجرة الأطعمة الباردة "

فقالت أجاثا " ولكن المسألة لا تتعلق فقط بالمجوهرات . فنحن نريد منه أن يجىء هنا لكى يجيب على الأسئلة الأخرى أيضًا " .

" يا أجاثا ، هل ستتوقفين عن هذا الكلام ؟ إنه لا يريد أن يتواجد هنا لنفس هذا السبب "

فقالت أجاثا فى ضجر " آسفة "

وصـعدوا إلى غرفة نوم جدّيهم بالدور العلوى ، وبينما كان توماس يحمل صندوق المجوهرات إلى غرفة الأطعمة الباردة بدأت دافنى وأجاثا فى تفحّص الصندوق المصنوع من خشب الأرز والموجود أسفل السرير ، وكانوا قد افترضوا أن هذا الجانب سيكون سهلاً - مجرد مجموعات

من السويتر بكل تأكيد – ولكن تحت هذه السويترات كانت توجد ألبومات بالية لصور فوتوغرافية متهالكة لم يسبق لدافنى أن شاهدتها من قبل على الإطلاق ، وقالت أجاثا " أوه ، تلك الألبومات " وأضافت "لقد اعتادت أن تكون موجودة بالدور السفلى فى المكتب " والتقطت مظروفًا من ورق المانيلا وحملقتْ فى داخله ، وفى تلك الأثناء راحت دافنى تتصفح الألبوم الموجود على القمة فوجدت مستطيلات مقلمة شاحبة تظهر وجوها بشرية باهتة لا توجد بها أيه ملامح سوى عيون بلهاء ، فقالت أجاثا فى توضيح " إنها صور من نوع ألبولارويد **polaroid** فى أيامها الأولى المبكرة "

فقالت دافنى " حسنًا " لأن الشرح أو التعليق على الصور كان مُغْريا : دانى على بيلاج بيتانى فى عام ١٩٦٣ ولوسى مع آل كرين فى أغسطس عام ١٩٦٥ ، والدها الذى لم تعرفه إلاَّ من خلال صورة فوتوغرافية له رياضية وصبيانية للغاية وعلى نحو مثير للضجر مُعلَّقة فى غرفة المعيشة ، وأمها التى لم تكن سوى منحنى لخدّ فوق دافنى المولودة حديثًا على الصفحة الأولى فى ألبومها الشاغر منذ أن كانت طفلة رضيعة .

وتحولت إلى الألبومات الأخرى الموجودة أسفل الألبوم الأول ، كانت الصور بها أكثر وضوحًا ، ولكنها كانت عن فترات زمنية أقل إثارة ، كلوديا التى كانت أكثر نحافة ومائلة إلى اللون الغامق والتى تزوجت من ماسى الذى تبدو عليه الشجاعة والذى يرتدى ملابس التوكسيدو البيضاء المثيرة للسخرية ، وبوج كان واقفًا عند منضدة لتلاوة الكتاب المقدس ، وكلوديا وماسى وقد رزقهما الله بطفل ، وبعدئذ رزقهما الله بطفل آخر .

ويبدو أن عدداً كبيراً من الناس كان يتخرج من الجامعات ، إذ كان البعض يرتدى أرواباً طويلة بيضاء والقلنسوات الجامعية بينما البعض الآخركيان يرتدى أرواباً سوداء مع وضع القلنسوات الجامعية تحت أذرعهم ، وصورة واحدة مكتوب عليها " ابنة العم لويزى " وكانت لا ترتدى سوى فستان ولكن هذه الصورة كانت لحفل توزيع شهادات التخرج حيث ظهرت فى الصورة شهادة الدبلوم الخاصة بها والمربوطة بشريط بينما أقاربها محدقون بها ، كل أولئك الأقارب يحضرون كل تلك الاحتفالات ويجلسون فى صبر طوال تلك الخطب المثيرة للضيق والملل وذلك فى انتظار مجيء تلك اللحظة التى يهلّلون فيها ويهتفون لدى سماع ذكر اسم الشخص المحبوب لديهم ، ولم يكن هذا عدْلاً : فبحلول الوقت الذى تخرجت فيه دافنى كان معظم أهاليها قد اختفوا وانتقلت كلوديا وماسى إلى خارج الولاية ، إذ كانت العائلة قد تخثّرت إلى مجموعات أصغر حجْماً وأكثر تباعداً مثل اللبن الرايب وأصبحت تجمعاتهم تافهة وابتهاجاتهم ضئيلة ومحدودة .

وقالت أجاثا وهى تدفع بصورة فوتوغرافية ملونة نحو دافنى "توماس وأنا مع ماما ، إننى أتعجب كيف جاءت هذه الصورة إلى هنا"

وكانت قد جذبتها من المظروف المصنوع من ورق المانيلا : مربع مصقول ولامع أمسكت به دافنى فى تبجيل ، أهكذا ، أمها ، امرأة صغيرة فى السن للغاية ومعها طفلان صغيران يقفان أمام مقطورة على شكل بيت متنقّل ربما هى ودافنى يتشابهان فى الشكل - نفس درجة لون الشعر ونفس شكل الوجه - ولكن هذة المرأة بدا عليها أنها موغلة

فى الزمن القديم للغاية مما جعل دافنى تشعر أنها غير منتمية إليها . وكان فستانها قصيراً للغاية وكان مكياجها غير ملائم من الناحية الفنية وكانت بيئتها زائفة ومبهرجة وعلى نحو خالى من الذوق السليم ، هل بكت إلى أنْ غلبها النعاس فى أىّ وقت من الأوقات ليلاً ؟ هل هى ضحكت إلى أن أصبحت ساقاها غير قادرين على حملها ؟ هل هى انفجرت فى ثورة هائجة غاضبة مما جعلها تدّق الحائط بجُماع يديها ؟

واعتادتْ دافنى أن تسأل عن أمها طوال الوقت فى الأيام القديمة ، ودأبت على إزعاج أختها وأخيها باستمرار من خلال توجيه الأسئلة الكثيرة للغاية إليهما ، ولكنهما لم يقدما لها أبداً إجابات شافية ومُرضية فى أى وقت من الأوقات ، وقالت أجاثا " كان شعرها أسود اللون ، وكانت عيناها .... لستُ أدرى ربما زرقاء أو رمادية أو شىء من هذا القبيل " ، وقال توماس " كانت لطيفة ، وكنت ستحبينها " وذلك فى نبرة مشرقة للغاية ، ولكن عندما تساءلت دافنى " ولكن ما الذى كنت سأحبه فيها ؟ " فإنه اكتفى بالقول " أوه ، كل شىء " ثم أشاح بوجهه بعيداً عنها ، فهو كان فى بعض الأحيان مثيراً للضيق والسخط الشديد ، وهى كانت تتخيله فى بعض الأحيان مكسواً بشىء زلق وناعم مثل معطف المطر .

ومدّت أجاثا يدها لكى تستعيد الصورة الفوتوغرافية ، فقالت دافنى " لسوف أحتفظ بها"

" تحتفظين بها ؟ "

" سأطلب عمل إطار لها "

فتساءلت أجاثا فى دهشة " من أجل ماذا ؟ "

" لأننى سأقوم بتعليقها فى غرفة المعيشة مع الصور العائلية الأخرى "

فقالت أجاثا لها " فى غرفة المعيشة ! حسنًا ذلك شيء غير ملائم

وكان لدى دافنى نفور خاص من كلمة : غير ملائم وكان عدد من المدرسين قد استخدموا هذه الكلمة أثناء أيامها المدرسية ، فقالت " لا تحدثنى عن ما هو ملائم "

" ما الذى يجعلك متضايقة للغاية إلى هذه الدرجة ؟ كنت أريد فقط أن أقول ..... "

" فهى لها نفس الحق فى أن توضع على تلك الحائط تمامًا مثل عمة الأب بيس التى تُمسك بطوق رقصة الهولا الذى يخصها "

فقالت أجاثا " نعم ، لها نفس هذا الحق " وأضافت " هذا كلام جميل ! استمرى فى الكلام فى هذا الموضوع " ثم ناولت دافنى مظروف المانيلا . وقالت لها " ويوجد فى هذا المظروف كافة باقى أشيائها "

فقامت دافنى بإخراج محتويات المظروف فى حجرها ، شهادات ، وإيصالات ، وكان أحد الايصالات مؤرخًا فى ١٩٦٦/٧/٢ ولم تشهد أية صور فوتوغرافية أخرى ، وقالت أجاثا " ضعى هذه الأشياء فى مكانها المألوف ولا تتركيها ملقاة هنا وهناك " وراحت تُنقب فى الصندوق مرة أخرى ، وجاء صوتها متراميًا فى اختناق وهى تقول " وتذكرى أننا نحاول تنظيم المنزل "

لذلك أخذت دافنى الأشياء وعبرت الصالة إلى غرفتها وهى الغرفة التى كانت تُعرف عادة بأنها غرفة توماس وعلى الرغم من أن توماس كان عليه الآن أن ينام على الأريكة فإنه كان يحتفظ بحاجياته هنا أثناء زياراته ، إذ كانت أدوات التواليت أو الزينة الخاصة به تتواجد فى بعثرة على مكتب دافنى كما كانت حقيبته الجلدية تطفح الملابس على أرضيتها ، وعلى نحو فجائى شعرت دافنى بأن هذه الأشياء تُطبق عليها وتُنهك قواها ، ما الذى تحتاجه من هذه الأوراق على أية حال ؟ كلها أوراق عديمة الجدوى باستثناء الصورة الفوتوغرافية ، ومع ذلك شعرت أنها لا تستطيع تحمّل القاء هذه الأوراق بعيداً والتخلصّ منها .

وعندما عادت إلى غرفة جدّيها وجدت أجاثا تموج بالإحباط على حدّ سواء ، إذ كانت واقفة أمام دولاب بى وكانت تواجه صفًا من الفساتين والبلوزات المثيرة للحسرة الساحقة للقلوب ، وعلى الرف كانت توجد أشياء محشورة فى ازدحام : حقائب سفر وصناديق للقبعات وكومة منزلقة من الملابس الكتانية – وهى الملابس الكتانية التى تم نقلها فى فصل الربيع الماضى من تحت السقف الراشح بالماء ، ومما يدلّ على أن هذا المنزل قد انحدر كثيراً هو أن هذه الملابس الكتانية لم يتم إرجاعها إلى مكانها الأصلى باستثناء بعض الملابس القليلة التى لها استخدام منتظم ، وقالت أجاثا فى تساؤل وهى تُمسك بمقدار ضئيل من الفوط التى عليها الأحرف الأولى للاسم " وما هذه الأشياء ؟ "

فقالت دافنى " أعتقد أنه ينبغى علينا أن ننقلها إلى دولاب الملابس الكتانية "

ولكن اتضح لهما أن دولاب الكتان قد ملأ نفسه مرة أخرى على نحو متسم بالسّحر والشعوذة ، فالرف العلوى الذى تم نقل محتوياته من قبل أصبح يوجد به الآن عدة تلميع حذاء دوج وأفرول شخص ما ملوث بالزيت والشحوم وفوط ومنشفات كل يوم التى لم تكن مطوية وإنما ملفوفة على نحو متعجل ، أما الأرفف السفلية والتى لم يتم فرزها منذ سنوات فإنها جعلت أجاثا تقول " يا إلهى " وراحت تجذب فى تكاسل ملاية سرير صغير مزدانة برسومات البط الصغير [منذ متى كانوا هم فى حاجة إلى ملاية سرير صغير ؟] ، وعندما سمعا وقع أقدام توماس على السلالم قالت أجاثا بصوت مرتفع "يا توماس ، هل يمكن لك أن تحضر لى المزيد من الصناديق من البدروم ؟ "

وكانت قد انتزعت نصف رزمة من الحفاضات التى أُعدّت للتخلص منها – وهى حفاضات من النوع القديم الناشفة الهشّة الشبيهة بالألحفة الورقية التى تبطن صناديق الشيكولاته ، ومن أعماق الدولاب جذبت وسادة طفل رضيع وقالت " إيك Ick " لأن رائحة عفنة زنخة تفجرت منها فى طيات تكاد تكون مرئية ، من المؤكد أن الرُّشح قد تمادى ووصل إلى مسافات أبعد مما كانوا يتوقعوا ، فقالت لدافنى " إلقى بها بعيداً " ، فأمسكتها دافنى ما بين إصبع الإبهام والسبابّة وأسقطتها على كومة للحفاضات ، وبعدئذ استخرجت أجاثا تونية بها مياه صدئة فى القاع لمسافة بوصة – فقالت " وتلك أيضًا " – وصندوقًا مُبلَّلا مُغطى بقماش ومزدانًا بورود حمراء ذابلة ، فتساءلت " أهذا هو صندوق جدّتى ؟ إننى لا أتذكر هذا الصندوق " .

ورفرفت كلتاهما على الصندوق فى أمل لدى قيامها بوضع الصندوق على الأرضية ورفع غطائها ولكنه لم يكن سوى صندوق الخياطة تمَّ تركه فى إهمال منذ فترة طويلة للغاية حتى أن عبوة من رقعات قماشية مشبعة بالماء فى داخل هذا الصندوق كانت تحمل الاسم البتولى لكلوديا ، وكانت توجد بطاقات مشبعة بالماء لشريط خط دَرزْ ونسيج مطاطى ممتد ومترقرق بالماء وتحت تلك الأشياء كانت توجد تلك الأدوات المختلفة المليئة بالصدأ - المقصات وفتاحة الدرزات وخرامة الجلد - وصناديق كرتونية صغيرة متفككة بسبب الرطوبة ، وكان من الواضح أنه لا يوجد شىء هنا له أهمية فلماذا إذن كانتا تُصرّان على فتح كل صندوق ، وحتى أجاثا الحصيفة والتى تصدر الحكم على الأشياء بطريقة صائبة راحت فى فضول تفتح غطاء كرتونة مُتفسِّخة وتحملق لأسفل نحو مجموعة أزرار القمصان ، وكان كل شىء يسبح فى مياه لها لون بنّى ، كان لكل شىء الرائحة الكريهة للقرنبيط الذى يتعرض للطهى أكثر من الازم . وكان الصدأ منتشراً وشاملاً وعلى نحو مثير للدهشة ، وكان ينفذ إلى الخطافات والعيون ويحدث نُقطًا فى الابر ، كما أنه سدّ العجلة الدوارة لخرامة الجلد وسدّ كل سنة من أسنانها المجوفة الإسطوانية .

وفكرتْ دافنى فى قالب الفستان الموجود فى غرفة التخزين فى العلية - والذى له شكل بى ولكن له خصر وصدر أكثر ارتفاعًا ونهوداً . واعتقدتْ أن جدّتها كانت امرأة تموج بالسعادة ذات يوم ، منذ فترة طويلة وقبل أن يتغيّر كل شىء .

وتساءل توماس بعد أن جاء ومعه كرتونتان " هل ستكون هذه كافية ؟ " ، ولكن أجاثا رفرفرت بيدها بدون أن تنظر إليه فتساءل توماس " هل أقوم بتعبئة هذه الأشياء الموجودة على الأرضية ؟ "

فقالت له أجاثا " أوه ، لا تهتم بذلك " ثم استدارت وشرعت في التجول نحو السلالم .

فسأل دافنى : " عليّ فقط بترك هذه الأشياء هنا "

فقالت دافنى " أيّا كان "

وحقيقة الأمر أن تلك الأشياء قد ظلت هنالك طوال الفترات المتبقية من النهار مما أدى إلى إحداث إعاقة وعرقلة فى الصالة وذلك إلى أن جاءت دافنى اخيراً و أعادتْ هذه الأشياء إلى الدولاب ، وقامت بتكويم كل شىء فى الرفّ الموجود فى القاع ووضعت الكرتونات فى داخل الدولاب ثم أغلقت الباب .

* * *

قالت أجاثا أثناء تناول طعام الإفطار " لقد حلمتُ أن ولداً بالمرحلة الثانوية تقدم إليّ وعرض عليّ أن يتزوجنى ، وطلب منى أن أحدّد موعداً لكى يتم فيه عقْد القران وقال لى [ما رأيك فى يوم الأربعاء ، فيوم الاثنين دائمًا ما يكون مشغولاً ومزدحمًا ويوم الثلاثاء دائمًا ما يكون ممطراً] فقلت له [انتظر ... إننى ... انتظر] واضفتُ[أعتقد أنه ينبغى عليك أن تعرف أننى أكبر منك فى السن] ثم استيقظتُ من النوم وانفجرتُ فى الضحك بصوت مرتفع ، هل سمعتنى وأنا أضحك يا ستيوارت ؟

أعنى أن ما قلته بأننى أكبر منه فى السن هو الحدّ الأدنى للردّ ..إذ كان ينبغى على أن أقول له [انتظر . هناك شىء آخر أودّ أن أقوله أيضًا لك : حيث إنه من قبيل المصادفات أننى متزوجة بالفعل] "

فقال توماس " وأنا حلمتُ بأننى أصبحتُ بصدد التعرض للعمى وفقْد البصر ، فقال لى كل فرد [أوه ، ياله من شىء رهيب ، نحن نشعر بالآسف والحزن الشديد من أجلك] فقلتُ [الآسف ؟ لماذا ؟ لقد شهدتُ ٢٦ عامًا من الأبصار الممتاز !] وكنت أقصد ذلك بالفعل أيضًا ، وكنت أبدو مثل أحد تلك الحكايات المتسمة بالوحى والإلهام التى اعتدنا أن نقرأها فى معسكر الإنجيل ".

وقال ستيوارت :"حلمتُ أننى كنت أتفحص المرضى وأكشف عليهم، وكانوا كلهم يعانون من نوع ما من الطفح الجلدى وأنا كنت أحاول أن أتذكر علم الأمراض الجلدية الذى درسته ، ولم يخطر على بالى – على مايبدو – أن أقول لهم إننى غير متخصص فى الأمراض الجلدية "

فقالت أجاثا " أنا لم يكن لدىّ أىّ استعداد على الإطلاق للتخصص فى علم الأمراض الجلدية "

كانوا يتناولون فطائر رقيقة مُسطّحة ومُدّورة علاوة على العصير – هم الأربعة فقط – لأن الوقت كان قد وصل إلى العاشرة والنصف وكان إيان ودوج قد تناولا طعام الإفطار منذ ساعات ، وكان دوج متواجداً فى غرفة الطعام حيث كان منخرطًا فى لعبة الكوتشينة التى تُسمى السوليتير Solitaire والتى يلعبها المرء بمفرده ، وكان الصوت الهادئ الناجم عن تقليب ورق كوتشينة بمثابة نوع من الإيقاع الموجود فى الخلفية ،

وكان إيان يتحرك فى أرجاء المطبخ ويقوم بمسح وتنظيف الكاونتر ، وعندما اقترب من دافنى ابتسم لها وقال " وما هو الحلم الذى حلمت به يا دافنى ؟ " شيء ما يتعلق بعينيه المجعّدتين والعطف عليها الذى يطل من تعبيرات وجهه جعلها تشعر بالحزن ولكنها ابتسمتْ له ردًا على ابتسامته و قالت " أوه ، لم أحلم بأى شىء "

وكان ستيوارت يقول " علم الأمراض الجلدية ليس رديئًا ، وعلى الأقل أطباء الأمراض الجلدية لا يتم استدعاؤهم ليلاً من أجل حالات طارئة "

فقالت أجاثا " ولكنه علم يتعلق تمامًا بالمظهر الخارجى " .

فقال ستيوارت للآخرين " ينبغى عليكم أن تشاهدوا أجاثا أثناء قيامها بعلاج مرضاها ، إنها إنسانة مذهلة ، فهى تقول لهم بكل صراحة [لا يمكن لكم الشفاء من هذا المرض الذى تعانون منه] وأعتقد أنهم يشعرون بالارتياح الشديد لدى سماعهم الحقيقة فى نهاية الأمر "

فقالت أجاثا فى تصحيح لكلامه " إننى أقول لهم [ما لديكم من مرض لا يمكن شفاؤه فى هذا الوقت الحالى بصفة خاصة] ، فهناك فارق بين العبارتين "

ولم تستطيع دافنى أن تتخيل أن أىّ من العبارتين يمكن أن ينجم عنها قدر هائل من الارتياح على النحو الذى يعتقده ستيوارت .

وقال إيان وهو يضع قماشة غسيل الصحون على الحنفية " من حيث التحدث عن الوقت متى ستقلع طائرتك على وجه الدقة يا أجاثا ؟ "

" فى وقت الظهيرة على ما أعتقد . لماذا تسأل ؟ "

" حسنًا ، كنت أسائل نفسى فيما يتعلق بالكنيسة ، فإذا كنتُ سأذهب للكنيسة فإنه ينبغى علىّ أن أذهب إليها الآن وعلى الفور "

فقالت له " إذن ، عليك بالذهاب الآن "

" ولكن إذا كانت رحلة طيرانك ستبدأ فى الظهر ..... "

" أذهب أنت . وجديّ يمكن أن يقود السيارة ويوصلنا إلى المطار"

فأصيب إيان بنوع من الترددّ . وكانت دافنى تعرف الأشياء التى يفكر فيها إيان ، إذ كان يفكر فى صلوات يوم الأحد التى يحرص دائمًا على أدائها ويقارن ذلك بإمكان التسبب فى جرح مشاعر أجاثا ، وأجاثا بذقنها المرفوع لأعلى فى تحدى وبنظارتها التى تومض بضوء أبيض غير شفّاف كانت توحى بأنها من النوع الذى تُجرح مشاعره بسهولة إذا لم يذهب إيان لتوصيلها إلى المطار وذلك من وجهة نظر دافنى . وأخيرًا قال إيان " حسنًا ، إذا كنتِ متأكدة من أن ..... "فقالت أجاثا فى حدّة" أذهب إلى الكنيسة "

ويبدو أنه لم ينتبه إلى نبرة صوتها الحاد [أو أنه لم تكن لديه الرغبة فى أن يلحظ ذلك]وقال " لقد كان من الرائع للغاية أن تجيئ إلينا " فأشاحت بوجهها بعيدًا عنه ، وقام بمصافحة ستيوارت باليد وقال له " آمل أن تجيء إلينا مرة أخرى فى الكريسماس القادم "

فقال ستيوارت له وهو ينهض واقفًا " لسوف نحاول وشكرًا جزيلاً لكم على حُسن ضيافتكم "

هل ستجيء إلى الكنيسة اليوم يا دافنى ؟ "

فقالت دافنى " إننى سأذهب إلى المطار "

" إذن . سأذهب أنا الآن إلى الكنيسة "

وفى غرفة الطعام سمعوه وهو يتكلم مع دوج " أعتقد أننى سأدعك لكى تقوم بتوصيلهم إلى المطار يا والدى "

فقال دوج " أوه . حسنًا ، يبدو أننى أتعرض للخسارة هنا فى لعبة الكوتشينة على كل حال "

وقالت أجاثا لدافنى " وهناك شىء ما آخر " [فسألت دافنى نفسها فى تعجب : تُرى ماذا كان هو الشىء الأول] وأضافت " يا دافنى ، عدم تعلمك لقيادة السيارات يعتبر أمرًا متسمًا بالغباء فى حقيقة الأمر "

فتساءلت دافنى " قيادة السيارات ؟ "

" ها أنت موجودة معنا ، وتبلغين من العمر ٢٢ عامًا وجدنا يضطر لأن يقود بنا السيارة إلى المطـــار ، وبقـدر ما لدىّ من معلـومات فأنت لم تجلسى أبدًا وراء عجلة القيادة فى أىّ وقت من الأوقات على الإطلاق "

" وما علاقة تعلّمى القيادة بهذا الموقف ؟ "

" إنه عرض من أعراض مجموعة من المشاكل الأخرى ، ويمكن لأى إنسان ساذج أن يدرك ذلك ، فلماذا أنت مازلت حتى الآن تعتمدين على الناس لكى يوصلونك بالسـيارة إلى الأمـاكن المختلفة هنا وهنـاك ؟ ولمـاذا لم تذهبى للكلية ؟ ولماذا تعيشين حتى الآن فى منزل العائلة بينما كل شخص آخر قد غادر هذا المنزل منذ فترة طويلة ؟ "

فتساءلت دافنى " ربما أنا أفضل البقاء فى منزل العائلة ، فما هى المشكلة فى ذلك ؟ إنه مكان رائع للغاية من وجهة نظرى "

فقالت أجاثا " لا أحد يقول إنه ليس كذلك ، ولكن تلك ليست هى القضية ، فأنت قد وصلت إلى تلك المرحلة من العمر التى ينبغى أن تعتمدى فيها على نفسك فى كل شىء ، أليس هذا صحيح يا توماس ؟ يا ستيوارت ؟ "

فأبدى ستيوارت اهتماماً بإزالة فتات من الخبز عن السويتر الذى يرتديه ، وهزّ توماس كتفه فى لا مبالاة وتناول آخر ما تبقى من عصير البرتقال ، فتنهدت أجاثا وقالت لدافنى " أنت تعرفين من نواح عديدة أن العيش فى منزل الأسرة يشبه القيام برحلة طويلة للغاية مع أناس لست فى تعارف شديد معهم ، فهم فى بادىء الأمر يبدون على ما يرام ولكن بعد أن تسافرى معهم إلى بعض الأماكن القريبة تشعرين أنهم بدأو يسببون لك الإزعاج ويثيرون أعصابك ، بل أن عاداتهم التى لا تنطوى على أية أذى تجعلك ترغبين فى الانخراط فى الصراخ – مثل الإفراط فى استخدام عبارات معينة أو التثاؤب بصوت مرتفع للغاية – وعندئذ تشعرين أنه ينبغى عليك الابتعاد عنهم ، إنه ينبغى عليك أن تتركى منزل العائلة "

فقالت دافنى لها " حسناً ، أعتقد أننى لم أسافر معهم لفترة كافية حتى الآن "

" كيف يمكن لك أن تقولى ذلك ؟ بينما يمشى إيان فى ضعف وتكاسل فى أرجاء المنزل وينادى عليك قائلاً لك : [يا دافى – ديل]

ويمضى كل يـوم من أيـام السـبت فى ورشة " جود وركس " للنجارة ! يا إلهى ! أراهن على أن نصف هؤلاء الناس لا يريدون مجموعة من نباتات المولى الأسطورية السحرية المقدسة التى تقذف بأوراقـها أمـام جميع جيرانهم وهو ينطلق إلى الصلوات بالكنيسـة سـواء أكان الجو صحواً أو ممطراً ولا يهمه ما إذا كانت ابنة أخيه هنا فى زيارة له وما إذا كانت ستضطر للذهاب إلى المطار بمفردها .... "

فقالت دافنى " إنه يحصل على الكثير من وراء تلك الصلوات كما يحـصل أيضًـا على مكاسب من وراء عـمله فى ورشـة [جـود وركس] للنجارة ... وهذا نوع من الارتباط ، وهو ليست لديه أشياء أخرى كثيرة يا أجاثا "

فقالت أجاثا " هذا صحيح تمامًا " وأضافت " أليست تلك هى وجهة نظرى ، فهو إذا لم يكن مرتبطًا بكنيسـة الفرصـة الثـانية لأصبح لديه الكثير من الأعمـال التى يرغـب فى إنجازهـا ، صدقينى ، فذلك هو مـا يفعله الدين فيك ، الدين يجعل أفقك ضيّقا ويفرض عليك قيوداً ويحبسك فى داخل هذه القيود . إننى كثيراً ما أفكر فى كيف أن هذا الدين قد دمَّر فترة طفولتنا ! وكثيراً ما أفكر فى كافة تلك الأشياء التى لم يكن بمقدورنا أن نفعلها : مثل قانون السكر وقانون الكافيين الموجود فى الشـاى والقهوة ، وكثيراً ما أفكر فى معسكر الإنجيل ذاك المثير للشفقة والذى كانت توجد به الأخت أودرى المسكينة الجديرة بالشفقة والتى هربت أخيراً مع عسكرى إذا لم أكن مخطئة . وكثيراً ما أفكر فى الأخ سيمون الذى كان يقول لنا دائمًا إن الله قد أنقذه من أجل أن يقوم

بإنجاز شيء ما خصوصي وهام عندما احترقت الشقة التي كان يقيم بها بدون أن يوضح السبب في وقوف الله ضد أولئك الأشخاص السبعة الآخرين الذين لم يعمل على انقاذهم ، وكثيراً ما أفكر في ضرورة اضطرارنا لأن نقول [نعمة وفضل من الله] مع تناول كل قطعة تافهة من طعام الصائمين بينما كل شخص يحدق في بلاهة في .... "

فقالت دافنـــي " كانت هــذه صلاة المـــائدة الصـــامتة " وأضافت " وكانت هذه أقصر وأصغر صلاة مائدة ممكنة ، وهو كان يحاول دائماً أن تكون هذه صلاة خصوصية سرِّية ، والدين لم يدمِّر فترة طفولتي على الإطلاق . الدين يجعلني أشعر أن الآخرين يهتمون بي ويوفرون لي الرعاية ، والدين لم يُدمِّر فترة طفولة توماس ، بل أن توماس مازال يذهب بنفسه إلى الكنيسة ، أليس ذلك صحيحًا يا توماس ؟ فهو ينتمي حاليًا إلى كنيسة في نيويورك "

فقال توماس " الساعة الآن تقترب من الحادية عشر . وينبغي علينا الخروج الآن من أجل الذهاب إلى المطار " .

فقالت دافني له " لا تغير موضوع الكلام " .

فتظاهر بأنه لم يسمع كلامها ، ثم نهضوا جميعًا واقفين وقال هــو " وبعدئذ وأثناء العودة بالسيارة يمكن لك ولجدى أن تُنزلاني عند محطة السكة الحديد ، ولسوف أجمع حاجياتي ، أتريدين لي أن أضع ملاياتي في السلة الكبيرة ذات الغطاء يا دافني ؟ "

فتساءلت دافني " أتتكلَّم في جدِّية ؟ " وأضافت " فهذه الملايات تصلح للاستخدام لمدة شهر آخر " .

فدحرجت أجاثا عينيها وقالت " هذا شيء جميل "

فقالت لها دافني " ليس لك الحق فى التكلم طالما أنك لا تعيشين معنا هنا ولا تشاركين فى غسل الملابس "

فقالت أجاثا " وهذا يُذكرني " وتوقفت فجأة فى غرفة الطعام حيث كان جدّهم يجمع أوراق الكوتشينة الخاصة به ، وأضافت " وهذا يُذكرني بدولاب الملابس الكتّانية وأشياء أخرى مماثلة .... "

فقالت دافني لها " لا تفكرى على الإطلاق فى هذه الأمور ، وعليك بالانطلاق فى تحرّر إلى الجانب الآخر من القارة "

" لا ، ولكني كنت أتساءل ، ألا توجد خدمة للنظافة أو شركة للنظافة من نوع ما بحيث يمكن لها أن تُرتِّب لنا هذا المكان الخاص بنا ؟ ولا تكتفى فقط بتنظيفه ولكن تركز أيضاً على تنظيمه ، فأنا بمقدورى أن أسدّد كافة التكاليف اللازمة لذلك " .

فقالت دافني " توجد شركة للنظافة والتنظيم تسمى : كلاتار كاونسلور "

فضحك ستيوارت ، وقالت أجاثا " تُسمى : ماذا ؟ "

" تُسمى ريتا مستشارة الركام والفوضى وهى تعيش مع هذا الولد الذى أعرفه والذى يُسمى نيك باسكومب ، هل سبق لك أن تقابلت مع نيك ، وريتا تكسب رزقها من خلال تنظيف وتنظيم بيوت الناس الآخرين "

فقالت أجاثا " استعينى بها ، استأجريها "

" ولكنى لا أعرف مقدراً ما تطلبه ثمنًا لذلك "

" أستأجريها على كل حال ، وسأقوم بسداد التكاليف مهما كانت مرتفعة "

فتكلم جدّهم فجأة " ماذا ؟ ستسمحون لشخص دخيل أن يفتش فى دواليبنا وحجراتنا الخصوصية ؟ "

فقالت له أجاثا " أمَّا أن توافق على ذلك أو تسعى إلى تزويج إيان بسرعة من تلك الآنسة التى تسمى كلارا "

وقالت دافنى " لسوف أستدعى ريتا فى هذا المساء "

* * *

كان طول ريتا دى كارلو يقترب من ستة أقدام – وهى امرأة ممشوقة القوام ومتئدة فى مشيتها وفى أواخر العشرينات من عمرها ولها شعر أسود طويل مجعّد للغاية حتى أن الجديلة المتدلية حتى أسفل ظهرها كانت مُتلبِّدة أكثر مما هى مُضفَّرة ، وهى قد ظلت تقيم مع نيك ياسكومب على مدى عامين حتى الآن ولكن دافنى لم تتعرف عليها فى حقيقة الأمر الاَّ فى الصيف الماضى ، وذلك عندما ذهبت مجموعة منهم سويًا إلى حفلة موسيقية راقصة تضم رقصة الروك آند رول أقيمت فى استاد RFK ، وكانت معهم تذاكر مخصصة للمدرج المكشوف ولا تسمح لهم بالدخول إلى حلبة الرقص حيث كان يدور النشاط الحقيقى .

ولكن ريتا التى تتميز بالشجاعة إلى درجة الوقاحة سارت بخطوات واسعة نحو حلبة الرقص ! وعندما حاول المرشد إيقافها رفعت كعب تذكرتها لأعلى وواصلت المشى بخطوات واسعة ، ففكر المرشد للحظات ثم استدار على عقبيه ونادى عليها بصوت مرتفع " هاى ! تلك ليست تذكرة حلبة الرقص ولكنها كانت فى تلك الآونة قد توارت فى خضمّ الجماهير . ومنذ ذلك الحين لم تشاهدها دافنى إلاَّ نادراً ولكنها دائمًا ما كانت تتذكر تلك الواقعة – الاندفاع والمشى فى تباهى وخُيلاء ، وكانت دافنى تعتقد أن ريتا بمقدورها أن تعيد منزلهم إلى حالته الأصلية الجميلة .

وفى التليفون قالت ريتا إنها يمكن لها أن تصلح منزل آل بيدلو فى خلال الأسبوع القادم ، ولذلك فإنها جاءت فى زيارة قصيرة فى يوم الاثنين عقب انتهائها من العمل من أجل أن " تدرس وتُشخِّص حالة المنزل " وعلى حد قولها ، وجاءت وقد ارتدت جاكيت بالى أحمر / أسود وجينز أسود وحذاء جلدى ثقيل له رقبة ، ثم راحت تتجول فى بطء وتفتح الدواليب على مصراعيها وتحملق فى داخل الأدراج ، وراحت تتفحص البدروم فى هدوء وبدون أىّ انفعال ، ويبدو أنها لم تنزعج من الرائحة التى انبعثت من دولاب الملابس الكتانية ، ولم تسأل ولو مرة واحدة – وهو ما كانت تخشاه دافنى – " ما الذى أدى إلى حدوث هذا بحق الجحيم ؟ " وأطلت برأسها فى غرفة نوم دوج فوجدته جالسًا وشاغر اليدين فى الكرسى الهزاز الخاص به فاكتفت بأن قالت " هـ . م. م. م" وانسحبت ، وهذا قد دلّ بالطبع على أنها إنسانة تتميز باللباقة والذوق

ولكن غرفة دوج كانت بحاجة لخدماتها العاجلة ، ولذلك قالت دافنى لهـا " ربما بعد أن ينزل جدّى إلى الدور الأرضى ...... "

فقالت ريتا لها " لقد أخذتُ فكرة عامة "

" وفى ذلك المكان توجد الحجرة الصغيرة للجدة ولذلك .... "

" بالتـأكيد ، الملابس والأشيـاء والممتلكات الشـخـصية وصناديق القبعات "

" هذا صحيح "

" لقد أدركتُ ذلك " .

وصعـدت على السـلالم الخـشـبـيـة المؤدية إلى العلِّية والتى كـان يسودها الآن جوّ من العزلة والهواء الفاسد نظراً لأنها لم تعد تُستخدم بطريقـة منتظمـة ، وانحنت لكى تتـفـحص غرفـة التـخزين الموجودة تحت الأفريز وعندما قامت بجذب وسحب إحدى خطابات بى من كرتونة ورق مقوى شـعـرت دافنى بألم مـفـاجىء وقـالت " أعـتـقـد أن هذه الأشـيـاء الشـخـصـية ينبغى عليك أن تتركيهـا لنا " ولكن ريتـا قـالت " لا إذا كنتم تريدون أن يتم هذا العمل على النحو السليم " ثم أضـافت " لا داعى لأن تشـعرى بالقلق ، فـأنا لا أقرأ خطاباتكم ، أو لا أقوم بقراءة الخطـابات إلاَّ بالقدر الذى يسمح بتصنيفها ، فخطابات كهذه على سبيل المثال تُعتبر حديثـة للغاية مما لا يجعل لها أهمية تاريخـية ، كما لا توجد عليها طوابع بريد لها قيمة كما أن عنوان المرسل هو عنوان امرأة مما يجعلنا ندرك أنها ليست الخطابات الغرامـية لجدَّتك ، ولذلك فـإننى أنصـحك بالتخلص من هذه الخطابات "

" التخلص منها ؟ "

فاستدارت ريتا لكى تنظر إليها ، كان وجهها مائلاً إلى السُّمرة بسبب كثرة التعرض لأشعة الشمس ، وكان فكُّها مربع الشكل . وكان حاجبا عينيها اللذان لهما لون أسود فاحم مرفوعين بعض الشىء .

فقالت دافنى " ولكن يمكن لنا أن نفترض أن هذه الخطابات تبين لنا ما اعتادت أن تفكر فيه النساء الشابات فيما يتعلق بالشئون السياسية أو فيما يتعلق بالمساواة بين الجنسين سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا أو أشياء من هذا القبيل "

فاستخرجت ريتا ورقة من داخل مظروف ، وراحت تقرأ بعض العبارات : " ..... تناول الشاى فى منزل المسز .... ارتديت فستانى الجديد المزدان بالأزهار ... حزام من نفس المادة ومن نفس اللون وله إبزيم مُغطى ...... "

فقالت دافنى فى تمتمة : " حسنًا "

فقالت ريتا لها " تخلَّصى من هذه الخطابات " .

ثم رجعتا عائدتين إلى الدور الأرضى ، وشعرت دافنى أنها مثل عفريتة صغيرة تمشى وراء حذاء ريتا الضخم ذى الرقبة ، وقالت ريتا " إننى أقوم بتصنيف كل شىء إلى ثلاث مجموعات أو كومات : الأشياء التى ينبغى الاحتفاظ بها ، والأشياء التى يجب التخلص منها ، والأشياء المطلوب الاستفسار بشأنها . وأنا من الناحية العملية أحرص على الاستفسار فى أضيق حدود ممكنة ، وأى شىء نحتفظ به أقوم بتنظيمه

وأى شىء ينبغى التخلص منه أقوم بنقلة بالعربة إلى مقلب الزبالة ويساعدنى اثنان من الأولاد فى أعمال الحمل والنقل حيث أستخدم عربة النقل الخاصة بى ، وأنا أتقاضى أجرى من خلال عدد ساعات العمل ولكنى بوجه عام أعرف مقدماً الفترة الزمنية التى تستغرقها كل عملية ، فهذا المنزل – على سبيل المثال سوف يستغرق – حسنًا أننى سأحتاج للجلوس لكى أحسبها ولكن يمكن لى أن أقول بطريقة مرتجلة إننى إذا بدأت فى العمل فى صباح الغد فإنه يمكن لى الانتهاء من العمل فى وقت متأخر من يوم الخميس "

" الخميس ! أى ثلاثة أيام ! "

" أو أربعة أيام على الأكثر ، فهذا المنزل واضح المعالم إلى حدّ ما ، إذا تم المقارنة بينه وبين بعض المنازل التى شاهدتها " .

وكانتا قد عادتا إلى المطبخ الآن ، وقامت ريتا بفتح إحدى الخزائن وراحت تحملق فى تأمل فى مجموعة من برطمانات زبدة الفول السودانى الشاغرة .

وقالت دافنى لها " المنزل لا يبدو لى واضح المعالم للغاية "

فقالت ريتا " هذا شىء طبيعى ، لأنك تعيشين هنا ، وأنت تشعرين بالذنب إذا تخلصت من الأشياء ، وهذه السيدة الوحيدة العجوز التى كانت لدىّ لم يكن بمقدورها أبداً أن تتخلص من الأشياء ، رسم كان قد قام به ابنها عندما كان فى الحضانة – وأصبح ذلك الابن يبلغ من العمر ستين سنة ، ومحارة بحرية أحضرتها لها صديقتها من شاطىء ميامى فى عام ١٩٢٠ – قالت لى [أشعر إننى إذا رميتُ هذه المحارة كإننى

أرمى صديقتى هــذه وأتخلص منها]ولذلك فـإن ما فعلتـه هو أننـى لم أجعلها تعرف ، وبالطبع هى كانت تعرف بطريقة ما ، وكل ما كانت تفترضه هـو حقائب الزبالة تلك ، ولكنها لم تسـألنى أبداً وأنا لم أقل لها أبداً وعلى ذلك كان كل فرد سعيداً "

وأغلقت باب الخزانة فى عنف ، وقـالت " لقد شـاهدتُ منازل مليئة بالأشياء للغاية لدرجة أنه يتعذر على المرء . التنقل فى داخلها ، وسبق لى أن شاهدت خزائن ودواليب مليئة للغاية بالملابس التى تبدو محشورة فيها حتى الحلق مع وجود ملابس جديدة مكومة أمام الدواليب وعلى نحو يجعل المرء يعتقد أن الملابس الجديدة غير موجودة "

فقـالت دافنى " من المؤكد أن شقتك الخـاصة بك نظيفــة ومرتبة للغــاية "

فقالت ريتا لها " ليست على ذلك النحو فى حقيقة الأمر " وأضافت " فـذلك الشـاب الذى يُسـمى نيك يدَّخـر كل شىء ويسـتـبقى كل شىء وبالتـالى سـوف تتحـول شـقتى فى نهـاية الأمـر إلى وكر للفـئران " ثم ضحكت ، وأمـسكت بكرسى المطبخ باستخدام إصبع حذائها وجذبته بعيداً عن المنضدة ، ثم جلست ، وقـالت " والآن " وسحبت قلم رصاص ومفكرة من جيب صدرها ، وكان القلم الرصاص فى حجم خرطوشة ، وقـامت بلعق سنه أو طرفـه المسـتدقّ وشـرعت فى الكتـابة " ستة غرف علاوة على بدروم بالإضافة إلى عليَّة ، وعليتك شكلها جيد بعض الشىء ولكن ذلك البدروم .... "

وظهر إيان عند الباب الخلفى وقد احتضن فى مشقة صندوقًا من الورق المقوى ، ونادى من وراء الزجاج " افتحى الباب " وعندما أطاعت دافنى وفتحت الباب كاد أن يسقط على الأرض فى الداخل ، من المؤكد أنه كان يحمل طنًا من أىّ شىء بين ذراعيه ، وقال لدافنى وهو يضع الصندوق على الأرضية " قرميد السيراميك الحقيقى الأصلى غير الزائف " وأضاف " كنا نستبدل رفّ مستوقد قديم برفّ جديد فى منزل فى " فليز بوينت " ، وهذا القرميد قد تم الاستغناء عنه ولذلك .... "

فتساءلت ريتا " هل ستقوم باستخدام هذا القرميد فى خلال العشرة أيام القادمة ؟ "

فاعتدل فى وقفته وقال " عفوًا "

فقالت دافنى " يا إيان ، هذه هى ريتا دى كارلو " وأضافت " وهذا هو عمى إيان ، وريتا موجودة هنا لكى تقوم بتنظيمنا "

فقال إيان " أوه ، نعم "

وسألته ريتا " هل لديك تصورّ فى ذهنك عن غرفة حمام معينة تكون بحاجة إلى تلك القراميد فى خلال العشرة أيام التالية ؟ "

" حسنًا ، ليس على وجه الدقة ، ولكن ...."

فقالت : " إذن أقترح عليك أن تنقلها الآن إلى صفيحة الزبالة وإلاّ فسوف أضطر إلى نقلها بعربة النقل الخاصة بى وأضيف تكاليف ذلك على الفاتورة "

فقال إيان لها " ولكن هذا القرميد مستورد من أسبانيا " ثم انحنى لكى يرفع واحـدة منهـا من الصندوق - تصـمـيم هندسى من اللون الفيروزى واللون الأزرق الأرجوانى ، وأضاف " فكيف يمكن لى أن أضع شيئًا كهذا فى صفيحة الزبالة ؟ "

فأخذت ريتا تنظر إليه فى تفكير ، ولم تهتم بالنظر إلى القرميد بينما استمر إيان فى الامساك بالقرميد فى أمل أمام صدره مثل شخص يعرض رقمه من أجل أن تُلتقط له صورة فوتوغرافية .

وقالت دافنى لريتا " أتدركين ما ينبغى على أن أتعامل معه ؟ "

فقالت ريتا " نعم . أدرك ذلك "

ولكن من العجيب أن دافنى قد لاحظت عندئذ فقط كيف أن القرميد قد بدا جميلاً بالفعل ، فالرسومات كانت تبدو مشاكلة أو من النوع الذى يعكس ألوانًا متعددة ومتغيرة - بل وتكاد تكون قادرة على الحركة ، ولم يكن بمقدورها الآن أن تتذكر السبب الذى جعل تجريد المنزل من ثيابه بدا مثل فكرة جيدة .

* * *

واتضح أن ريتا قد قامت بعمل ممتاز ولكن دافنى لم يكن لديها الوقت لأن تلحظ ذلك قبل مجيىء شىء ما جديد لها لكى تفكر فيه : إذ تم فصلهامن العمل فى فترة ما بعد الظهر فى يوم الجمعة .

ولم يكن ذلك غير متوقع تمامًا ، فهى منذ أن حصلت على الترقية فقدت الاهتمام بعملها على ما يبدو ، وأصبحت تذهب إلى العمل متأخرة وتنصرف من العمل مبكرة بالإضافة إلى أنها أخطأت فى تنفيذ العديد من التعليمات والأوامر ، كما أن صيغة الرسائل التى كان يرسلها الناس مع باقات الورود الخاصة بهم بدأت تترك فى نفسها الكآبة والحزن ، إذ كانوا يقولون لها وهم يتجهّمون وينظرون فى تقطيب إلى الفضاء " حسنًا ، أعتقد أنه يمكن لى أن أقول ... حسنًا ... دعينى أرى ، ولماذا لا تقومين أنتِ بكتابة .... أوكى ! لقد هبطت عبارة على ذهنى [أبعث إليكم بالتهانى وأفضل الأمنيات] " ، وعندئذ كانت دافنى تكتب على أنموذج الطلب ثلاثة حروف فقط وهى CBW وذلك اختصاراً لعبارة : Congratulation and best wishes . وبدلاً من عبارة " إلى فتاة أحلامى To the girl of my dreams " كانت تكتب G/dms وبدلاً من عبارة " شكرًا على الليلة الأخيرة Thanks for the last night " كانت تكتب Tx/nite . وكانت تشعر بتلطيخ السمعة وجرح الكبرياء نيابة عنهم – وكانت تشعر أن مشاعرهم المخلصة للغاية النابعة من القلب يمكن النظر إليها على أنها روتينية للغاية .

وعندما لا تكون الصياغة روتينية تصبح أشد سوءًا : إننى لا أستطيع أن أعبر عن مدى أسفى الشديد وأنت على حق فى أنك لا ترغبين فى مشاهدتى مرة أخرى ولكنى لن أنساك أبدًا طوال حياتى وأتمنى لكِ زواجًا رائعًا . وعندئذ تقول بنغمة صوتها الرقيقة للغاية "ومع توصيل وتسليم باقة الزهور يصبح المبلغ سبعة وعشرون سنتًا" .

وقال لها المستر بوتوسكى إنه يمكن لها إما أن تترك العمل على الفور وإما أن تستمر فى العمل لحين انتهاء فترة الإخطار وقدرها أسبوعين ولكنها أدركت أنه كان متلهفًا على التخلص منها على الفور ، إذ كان قد حصل على فتاة جديدة وأصبحت هذه الفتاة واقفة على أُهبة الاستعداد ومنتظرة تلقىّ الأوامر لكى تدخل فى العمل ، فقالت دافنى له " لسوف أترك العمل الآن " ولذلك ما أن جاء وقت الانصراف حتى قامت بجمع حاجياتها وأشيائها القليلة وحشرتها فى حقيبة ورقية ثم ارتدت جاكتتها وتسللت فى هدوء خارجة من الباب متجنبة مشهد وداع ملىء بالارتباك . وأثناء سيرها فى اتجاه محطة الأتوبيس وجدت نفسها تؤلف رسائل موجهة للمستر بوتوسكى ، Tx/fun : شكرًا ، لقد كان عملاً مسليًا ، TK : احترس أو انتبه لنفسك Take Care ، فهى لم يكن لديها أىّ شىء ضد المستر بوتوسكى شخصيًا ، وهى كانت تدرك أن فصلها من العمل كان يرجع إلى غلطتها وتصرفاتها الخاطئة .

وكان أتوبيسها يتعرض لبعض المشكلات التى تتعلق بأجهزة التدفئة ولدى وصولها إلى المنزل وجدت نفسها ترتجف من البرد الشديد ، وبينما كانت مازالت مرتدية جاكتتها اتجهت مباشرة إلى المطبخ وأشعلت الغاز تحت غلاية الشاى ، من المؤكد أن إيان قد تأخر فى العمل فى هذا المساء ، وكان بمقدورها سماع جدها المتواجد فى البدروم حيث كان يخشخش بالآلات ويفكر بصوت عالى ولكنها لم ترغب فى المناداة عليه ، برغم كل شىء ربما كانت هناك ميزة أو منفعة تنجم عن عيش المرء بمفرده – وبحيث لا يتعامل مع أناس آخرين وبحيث لا يشعر بأنه

مسئول عن سعادة أناس آخرين ، إلاّ أن ذلك أصبح مستحيلاً أو غير وارد طالما أنها لم يعد لها مُرتّب شهرى الآن .

وأخذت كوزًا خزفيًا من الدولاب حيث كان كل شىء يقبع فى صفوف مستقيمة : ثمانية كيزان خزفية وثمانية أكواب زجاجية قصيرة وثمانية أكواب زجاجية طويلة ، وكانت الكيزان الخزفية غير المتماثلة والأكواب الزجاجية ذات الأحجام المتباينة قد تم إرسالها إلى ورشة "جود وركس" للنجارة ، كما أن الكورن فليكس الذى استخدمه الناس مرة واحدة ولم يعودوا إلى استخدامه مرة أخرى على الإطلاق قد اختفى من الأرفف ، ففى خلال ثلاثة أيام فقط تمكنت ريتا من تحويل المنزل إلى مكان منظم للغاية : مجموعة كاملة ومنظمة من كل شىء ، ولكن دافنى لم تكن قد تواءمت بعد مع الأوضاع الجديدة وأحست بقدر ضئيل من الهلع ، إذ كانت تريد بعض الأشياء الإضافية . كانت تريد تواجد ذلك الحشد من الكيزان الخزفية المشروخة والمتصدعة والمتشظية والتى بدون مقبض وبحيث يقف فى انتظار خلف الكيزان الأخرى على أمل أن تجىء فرصة ضئيلة للاحتياج لها .

وقامت بوضع ملْو ملعقة من البن فى إناء التقطير وبعدئذ قامت بصبّ الماء المغلى ، كانت القهوة هى نقطة الضعف لديها ، ولقد قال إميت الموقر إن القهوة تحدث تشويشًا على الحواس بل وتقف حائلاً بين الله والنفس البشرية ، ولكن دافنى كانت قد اكتشفت منذ فترة طويلة أن القهوة تشحذ الحواس وتزيد من حدّة الحواس ، وكانت تحب أن تجلس فى الكنيسة طوال الوقت وهى تموج بالغبطة والإعجاب بنفسها واستجماع

قواها العصبية والاصغاء لذلك النداء الداخلى الذى يقول أشياء مبهمة وغامضة قد تفهمها ذات يوم عندما تصبح أكثر حكمة : لو لم يكن الأمر يتعلق بك ، لو لم يكن الأمر يتعلق بك ويتعلق بالمروج الخضراء الموجودة هنالك والتى ينمو عليها العشب الأخضر ... وكانت تنتظر فى كل يوم الإعلان عن عدم شرعية مادة الكافين ولكن يبدو أن الحكومة لم تكن قد أدركت جوانب هذه الفكرة بعد .

وقامت بصب القهوة . وجلست إلى المنضدة مع الكوز الخزفى المليء بالقهوة وراحت تدفيء يديها المطبقتين حول الكوز ، والآن ترامى إليها وقع أقدام جدّها وهو يتسلق صاعداً على سلالم البدروم ثم وهو يعبر على حجرة إعداد الأطعمة الباردة ، ونظرت دافنى لأعلى ولكن الهيكل الذى تجسّد أمامها فى المدخل لم يكن هيكل جدّها برغم كل شيء ، وإنما كان هيكل ريتا ، فقالت دافنى " ريتا ! ألم تنتهى من العمل معنا ؟ "

كانت قد انتهت من هذا العمل بالفعل ، كانت قد انتهت منه بالأمس فى فترة مابعد الظهر بل وقدمت فاتورتها الباهظة العالية للغاية والتى كانت دافنى بصدد أن تقوم بإرسالها إلى أجاثا بمجرد أن تعرف المكان الجديد الذى تم تخصيصه لبيع طوابع البريد ، ولكن ها هى ريتا تقف أمامها وقد شعرت بالخجل بسبب صعودها على السلالم وقد بدت أكثر أناقة مما هى عليه من خلال ارتدائها قميصاً ناصع البياض فوق بنطلونها الجينز وجاكيت سويدية لها لون أسمر ضارب إلى الاصفرار وناعمة مثل الحرير ، وقالت فى صراحة "يا دافنى ، لقد ظننتُ أنك إيان"

لقد شهدتْ دافنى نفس هذا الموقف مرات عديدة من قبل ، ففى الفترات الماضية عندما كانت بالمرحلة الثانوية كانت تجىء إليها صديقات لها على نحو مفاجىء وبدون موعد مسبق وقد ارتدين ملابس جديدة للغاية ودفعن بصدورهن فى تفاخر إلى الأمام مثل فاكهة على صينية وتقلن فى نغمة مليئة بالاكتئاب والإحباط " أوه ، لقد اعتقدتُ بطرق الخطأ أنك إيان "

ولكن ريتا كانت مرتبطة على نحو ما بشخص ، أليس كذلك ، فهى كانت تسكن وتعيش مع نيك باسكومب ، ألم تكن تعيش معه ؟

وقالت ريتا " لقد خطر على ذهنى أنه ينبغى علىّ أن أحاول مرة أخرى القيام بفرز وتصنيف منضدة العمل الحرفى التى تخصّ جدَّك . وبدون أن أحصل على مبلغ إضافى عن ذلك العمل بالطبع ، ولكنى لم أشعر بالارتياح لأننى سمحتُ بأن تظل هذه المنضدة على ماهى عليه ولذلك ...... "

وتضاءل صوتها فى تخاذل وكانت دافنى الملقية بظهرها إلى الوراء فى كرسيها والممسكة بكوزها الخزفى بكلتى يديها تنظر إليها فى شىء من الاستمتاع ، ريتا دى كارلو هى الوحيدة من بين جميع الفتيات التى لا تصلح زوجة لإيان ! فهى فتاة جلفة ومشاكسة ، وكان ينبغى على دافنى أن تنبهها إلى أنها بعيدة عن طراز المرأة التى قد يرغب إيان فى الارتباط بها .

وقالت ريتا أخيراً " ولكن يبدو أن جدِّك يتشبث بأشيائه القديمة "

فقالت دافنى " نعم " . ثم أخذت رشفة من كوزها

" إذن أعتقد أنه ينبغى علىّ أن أنصرف الآن "

" أوكى ، وهو كذالك "

لو كانت دافنى تمر بحالة مزاجية أخرى لكانت قد عرضت عليها أن تتناول القهوة معها ، ولكنها كانت لديها متاعب خاصة بها الآن ، ولذلك تركت ريتا لكى تخرج بمفردها وبدون أن تودعها عند الباب .

* * *

بدأت دافنى تقرأ الإعلانات عن الوظائف أثناء تناول الإفطار فى كل صباح " هذه مضيعة للوقت هباء وسُدى وسألت جدها " ما هذا ؟ " وأضافت " مدينة لا يحتاج فيها أى شخص لأى شىء ؟ "

فقال " ربما ينبغى عليك أن تحاولى الاتصال بوكالة متخصصة فى تشغيل العاطلين"

عندما كان الأمر يتعلق بالبطالة كان يُصغى إليها فى إهتمام كبير . ودائمًا ما كان إيان يقول " أوه ، لسوف يلوح شىء ما ويظهر فى الأفق " ولكن جدّها كان قد شهد بنفسه الكساد العالمى وبالتالى كان يتعاطف معها من كل قلبه فى كل مرة تُفصل فيها من العمل ، وقال لها الآن " ربما ينبغى عليك أن تفكرى فى الالتحاق بمصلحة البريد ، فوالدك قد وجد مصلحة البريد مُرضية ومعقولة للغاية ، حيث يوجد بها الأمن والأمان والاستقرار كما توجد بها مميزات إضافية للأجور ...... "

فقالت دافنى فى تأمل وتفكير : " وأنا أحب كثيرًا العمل خارج نطاق المبنى .

فقال جدّها " لا ، لا ، لا أريدك أن تعملى ساعية بريد وموزعة للخطابات ، كُنت أقصد أن تجلسى خلف مكتب "

كانت تكره العمل المكتبى ، وتنهّدت فى عمق شديد أدى إلى صدور خشخشة عن جريدتها .

مرّ فترات ما بعد الظهر كانت تستقل الأتوبيس المتجه إلى وسط المدينة لكى تبحث بنفسها عن وظيفة ، حيث كانت " تسحق الأرض بقدميها وهى تمشى على الرصيف " على حدّ تعبيرها ، مع التفكير مرة أخرى فى فترة الكساد العالمى التى شهدها جدّها ، وكانت تحملق فى فاترينات استديوهات التصوير الفوتوغرافى وفى محلات بيع الأدوات الكتابية ومحلات بيع الإسطوانات الفونوغرافية . فربما كان محل بيع الإسطوانات الفونوغرافية متسماً بالمرح والتسلية ، إذا كانت تعرف كل ما ينبغى معرفته عن المجموعات السائدة ، ولكن إذا طلب منها الزبائن مساعدتها فى شىء ما كلاسيكى مثل ليد زبلن **Led Zeppelin** أو دورز **Doors** فإنها قد تقع فى ورطة .

وقال لها توماس إنه ينبغى عليها المجىء إلى نيويورك إذ كانت قد اتصلت به تلفونيًا لمجرد الدردشة معه ذات مساء عندما شعرت بالاكتئاب فقال لها " استقلى أقرب قطار متجه إلى نيويورك ونامى على الأريكة إلى أن تصطادى وظيفة ، وأنجى تقول نفس هذا الرأى [وكانت أنجى هى صديقته الخصوصية التى كانت قد انتقلت مؤخراً لكى تعيش معه فى شقته على الرغم من أن إيان وجدّهم لم يكن من المفروض لهما أن يعرفا ذلك] ولكن دافنى لم يكن بمقدورها أن تتخيل العيش فى مدينة

يجيء إليها الناس من كل حدب وصوب ، ولذلك قالت " أوه ، أعتقد أننى سأواصل البحث عن وظيفة هنا "

بل وفى إحدى أيام الأحد اتصلت تليفونيًا بأجاثا ، – وهذا شيء لم تكن تفعله كثيراً حيث كانت توجد صعوبة فى الاتصال بها تليفونيًا ولأنها دائمًا ما كانت تميل إلى الانتقادات ، ولكن فى هذه المرة كانت لطيفة للغاية ، وقالت لها " دافنى . ما رأيك لو التحقتِ بالكلية الآن ؟ وأنا يسعدنى أن أسدّد لك كافة النفقات والتكاليف ، فنحن نمتلك أموالاً ونكسب كل هذه النقود التى لا نستطيع أن ننفقها لأننا مشغولان للغاية فى العمل ، ولن تكونى بحاجة لأن تطلبى من إيان سنتًا واحدًا "

فقالت دافنى " حسنًا ، شكرًا جزيلاً . هذا لطيف منك للغاية "

وهى بكل صراحة لم تكن من النوع الذى يحب مواصلة الدراسة ، ولكنها شعرتْ بالارتياح عندما أدركت أن أخاها وأختها يسانداها . وكانت صديقاتها أكثر صلابة وأكثر تحملاً وكن يعملن على اصطياد الوظائف بأنفسهن أو العمل فى البارات إلى أن يحدّدن الوظيفة التى تثير اهتمامهن أو يلتحقن بكلية الحقوق لمجرد أن يبدو عليهن أنهن مشغولات ومنهمكات فى الحياة ، ولا واحدة من صديقاتها كان يبدو أن لها مستقبل حقيقى فى الحياة .

ومع بداية أسبوعها الثالث بدون عمل تحدث معها جدّها بشأن ذهابها إلى مكان يُسمى " ملخص عن الوضع الراهن للشخص الراغب فى الحصول على وظيفة Same Day Resume " وكان قد سمع إعلانًا عن ذلك المكتب يُذاع من خلال الراديو وقال إنه اعتقد أن ذلك قد يساعدها

على " تقديم " نفسها ، لذلك استقلت دافنى الأتوبيس المتجه إلى وسط المدينة وتحدثت مع رجل يبدو عليه الإعياء وجالس إلى مكتب معدنى هائل ، وكانت مفكرة التقويم السنوى المعلقة على الحائط تشير إلى يوم الثلاثاء الموافق ١٣ مماجعلها تشعر بالتوتر لأن صديقًا خصوصيًا قديمًا قال لها ذات مرة أن يوم الثلاثاء الموافق ١٣ يُنظر إليه فى دولة كوبا على أنه يوم نحس وسوء الطالع ، ألا ينبغى عليها أن تقدّم اعتذارًا ما وتعود إلى هذا المكتب فى مرة أخرى ؟ وبدا على الرجل أنه يرسم على وجهه مسحة من السخرية والازدراء أثناء استماعه لمؤهلاتها وإمكانياتها ، وحقيقة الأمر أن التجربة كلها كانت مثيرة للغاية للارتباك والتشويش حتى أنها بمجرد أن انتهت من الردّ على أسئلته سارت إلى سوق لكسنجتون ماركت وتناولت ساندويتشًا يشتمل على لحوم البقر واللوبيا ، ثم ذهبت إلى حفلة نهارية لمشاهدة فيلم من تمثيل نجمها المفضل الذى يسمى شير Cher وبعدئذ طافت بعدد قليل من المحلات التى تبيع الأشياء بأسعار منخفضة ، واشترت مجموعتين من الملابس الداخلية التى لا يكاد يوجد بها أية عيوب وبلوزة أروجوانية اللون بمبلغ إجمالى ثلاثة دولارات فقط ، ثم حان الوقت لكى تذهب للحصول على "التلخيص عن مؤهلاتها وإمكانياتها resume" والذى كان يشغل على نحو عجيب أربع صفحات ، وكان عليها أن تلقى نظرة سريعة عليه لمجرد أن تعرف طريقة تبطينه وزخرفته ، وأيضًا لقد كلفها هذا " التلخيص " مبلغًا كبيرًا للغاية ، ولقد قال جدّها إنه سيدفع التكاليف ولكن برغم ذلك فإنها كانت مستاءة من هذه التكلفة العالية .

وكل الابتهاج الجيّد الذى كانت قد شيدته فى حرص وعناية على مدى فترة ما بعد الظهر بدأ فى التبخر وبدلاً من أن تتجه إلى منزلها لكى تتناول طعام العشاء فإنها توقفت عند بار حيث كانت قد اعتادت أن تتسكع عنده هى وأصدقائها فى أجازات نهاية الأسبوع ، وكانت تنبعث من البار تلك الرائحة الرطبة المُرة التى تنبعث عادة من مثل هذه الأمكان قبل أن تمتليئ تماماً بالزبائن . وكانت الإضاءة المخفضة غير رومانتيكية وإنما بل و كانت كئيبة ، ومع ذلك فإنها جلست قابعة على كرسى بدون مسند مشروخ وطلبت كأساً من مشروب ميللر miller وشربته بسرعة كبيرة للغاية ثم طلبت كأساً أخر . وشرعت فى قراءة " التلخيص resume " الخاص بها ، وكان بمقدور أى شخص يبلغ من العمر أربع سنوات أن يدرك أنها لم تذهب إلى ما هو وراء المرحلة الثانوية حتى ولو كانت قد أخذت منهجاً تمهيدياً فى الرسم فى معهد ميريلاند وسيمنار نهاية الأسبوع الذى يسمى " توجيهات جديدة للنساء " .

قال شخص ما " هالو ، مرحباً يا دافنى " .

فالتفتت ، فوجدت ريتا دى كارلو جالسة على كرسى بدون مسند بجوارها ، وكانت تفك أزرار جاكتتها بينما كانت تنادى على الجرسون ، وقالت له " بابست Pabst " ثم قامت بفك تلفيعة من حول رقبتها وألقت بشعرها إلى الوراء ، وتساءلت " هل أنت فى انتظار شخص ما ؟ "

فهزت دفانى رأسها بما يفيد النفى .

فقالت ريتا " وأنا أيضاً لست فى انتظار شخص ما ؟ "

وكان بمقدور دافنى أن تخمن ذلك من خلال قميص ريتا الأسود البشع الذى هو من نوع تى - شيرت وبنطلونها الجينز المبقع ببقع ناجمة عن أعمال الطلاء ، بل وكان شعرها أكثر حقارة مما هو عليه عادةً بل وكانت كرات التراب الحقيقية تتجرجر من نهاية ضفيرتها .

وقالت ريتا لها " لقد شهدت اليوم أقل الأعمال والمهام المحببة إلى نفسى " وأضافت " فقد شهدتُ حالة طلاق ، شهدت حالة تحطم أسرة ، وبالطبع كان على الزوجة والزوج التواجد هناك حتى يمكن لهما أن يعرضا آراءهما " .

ثم تقبلت كأسها الملىء بالبيرة ونفختْ فى الزَّبد ، وأضافت : " وصدّقينى ... فقد كانت لهما آراؤهما " .

فقالت دافنى فى اكتئاب " كثير من المهام تكون متخذة الطابع الشخصى للغاية " .

فقالت ريتا "هذا صحيح" ، وكانت تبحث فى جيوبها عن شىء ما - منديل كلينيكس الورقى ، ثم مخّضت أنفها فى صوت شبيه بصوت الأوزة .

وقالت دافنى " مثل محل بيع الزهور هذا الذى فُصلت منه توًا ، فكل شخص له رسائله الخصوصية : ويكون عليك أو تكتبى هذه الرسائل مع التظاهر بعدم معرفة اللغة الإنجليزية ، أو عندما عملت فى محل [كاميرا كاروسيل] - والصور الفوتوغرافية لتلك الفتيات المرتديات للمايوه البكينى وكذلك صور ليالى الحفلات الراقصة الشنيعة ، وعليك أن

تقـــدمـى المظـروف مع ابتـســامـة توحى بـأنـك لم تـلاحظـى أى شىء على الإطـلاق "

فـقـالت ريتـا " استـمـعى إلىّ ، هل إيان قـال لك إننا كنا نشـاهد بعضنا البعض فى مقابلات خاصة ؟

فتساءلت دافنى " كنتما تتقابلان ؟ "

" حسنًا ، لقد تقابلنا مرتين ، حسنًا . مرة واحدة فقط فى حقيقة الأمر ، حيث أعتقد أنه لا يمكن لك أن تضعى تلك المرة فى الحسبان عندما تعمدت أن ألتقى به بطريق الصدفة فى ورشة النجارة " .

لا ، دافنى لن تدخل تلك المرة فى الإحصاء .

وقالت ريتا لها " فقد ذهبتُ إلى ورشة برانت للنجارة وطلبتُ تصنيع مكتب لى "

" لا أعتقد أنه قال لى ذلك "

" هل لديك أية فكرة عن تكاليف أشياء كهذه ؟ "

فقالت دافنى " إنها غالية الثمن "

ثم راحت تنظر مـرة أخـرى إلى " تلخـيص البـيـانات resume" الخـاصـة بهـا ، الصـفـحة رقـم ٢ : الوظائف السـابقـة ، وهنا لم تكن البيانات والحقائق مُطولة من خلال الحشو وإنما كانت مبسطة ومنظمة ومكتوبة بأسلوب عـصـرى لأن الرجل كـان قـد أشـار إلى أن القـائمـة الطويلة للغاية تجعل المرء يبدو طائشًا .

وكان قــد قال بينمـــا سخريتـــه تتصـــاعد فى مزيد من التـأكيد " وما رأيك فى أن نحذف الفترة التى عملت فيها فى محل إعداد وتصنيع إطارات الصور "

وقـالت دافنى لريتـا " وهنـا مثـال آخـر وهو عـمل إطارات للصـور ، فـالنـاس يحـضـرون تلك اللوحـات والرسـومـات الهـزلية التى رسـمـوهـا بأنفسـهم أو تلك التى بها أفـواه مُسحتْ وأُعيد رسمـها عشـرات المرات بينمـا الأيدى مـوضـوعـة خـارج نطاق الرؤية لأنـهم لا يسـتطعـون رسـم الأيدى وكل مـا تقـولينه هـو [دعونى أرى الآن ، ربمـا حـاشـيـة مـزدوجـة للصورة تقع ما بين الصورة وإطارها ....] " .

وقـالت ريتـا " وبعد أن تحدثنا عن مكتبى لبعض الوقت سـألته عمـا إذا كـان بمقدوره أن يجىء لإلقاء نظرة على شـقتـى وذلك لكى تتكون لديه فكرة عن المقياس "

فـأبعـدت دافنى عينيـها عن " تـلخيص البيـانات resume " وركـزت بصـرهـا على وجـه ريتـا على مـدى لحظات طويلة . ثم قـالت " هـل أنت تعيشين مع نيك باسكومب ؟ "

فقـالت ريتـا " حسنًا . كنت أعيش مـعـه ، ولكنى أرغـمتـه على أن يترك الشقة "

" أوه ، متى حدث ذلك ؟ "

فقالت ريتا " فى يوم الأربعاء "

" فى يوم الأربعاء ؟ تقصدين فى يوم الأربعاء الذى انتهى توًا ؟ "

فقالت ريتا " استمعى إلى ، فى يوم الاثنين ذهبتُ لزيارة إيان فى ورشة النجارة ، وفى نفس تلك الليلة طلبتُ من نيك أن يترك الشقة ، ولكنى سمحت له بالاستمرار فى التواجد بالشقة حتى يوم الأربعاء وذلك حتى يتمكن من حزم أشيائه وأمتعته . "

فقالت دافنى فى شىء من الغلظة " هذا يدل على كرم أخلاقك "

" وفى يوم الجمعة جاء إيان إلىَّ ، واتفقنا على حجم المكتب الذى أريده ، ودعوته لكى يتناول طعام العشاء معى ولكنه قال لى أنكم جميعًا تتوقعون مجيئه إلى المنزل " .

حاولت دافنى أن تعود بذاكرتها إلى يوم الجمعة ، أكانت هى موجودة فى منزلها فى يوم الجمعة ؟ وربما كانت قد خرجت فى يوم الجمعة مع شلِّتها الاعتيادية ونسيت تمامًا تناول طعام العشاء بمنزلها .

وسألت ريتا " إذن متى شاهدتيه فى المرة الثانية ؟ "

" حسنًا ، كان ذلك فى يوم الجمعة "

" تقصدين المرة الثانية عندما جاء لكى يأخذ المقاسات الخاصة بمكتبك ؟ "

" نعم "

فاتجهت دافنى بظهرها إلى الوراء وهى جالسة على كرسيها ولكن هذه الفتاة ريتا كانت " ضخمة الجثة " للغاية ، وكان لها ذلك الهيكل العظمى الضخم الجلف الخشن وبحيث يمكن لك أن تتوقع لها أن تكون إنسانة منيعة وحصينة .

وقـالت دافنى " يا ريتا ، إيـان من النـوع الذى يصعب تدبيسـه أو الاعتمادَ عليه أو تعليق الآمال عليه فى بعض الأحيان ، وأيضًا فـأنا أعتقد ان لديه صديقة خصوصية من نوع ما فى كنيسته "

فقالت ريتا " ما هذا الكلام الذى تقولينه ، فأنا كان لدى صديق خصوصى حتى يوم الأربعاء الماضى . "

" وعلاوة على ذلك فإنه يمكن لنا إن نقول أن إيان هو إنسـان .... إنسان مسيحى للغاية ، أكنت تعرفين ذلك عنه من قبل ؟ " .

" وهل تعتقدين أننى بوذية ؟ "

" ولكنه مسـيحى على نحو غير عادى ، أقصد أنه مختلف عنك ، فأنت هاهنا تجلسين فى بار وتقومين باحتساء البيرة وترتدين قميصاً من نوع [هيل بن Hell Bent] بدلاً من تى شيرت جلدى .

فنظرت ريتا لأسفل نحو قميصها وقالت " ذلك ليس خطيئة على وجه الدقة "

فقالت دافنى لها " ذلك خطيئة من وجهة نظر إيان ، أو يكاد يكون خطيئة "

فقالت ريتا " يا دافنى ، أنت تتعرفين على جوانب شخصية الناس عندما تقومين بترتيب وتنظيم ممتلكاتهم . وممتلكات إيان تتّسم بالبساطة الشديدة ، بل وواضحة للغاية ، فهو يمتلك ستة كتب عن كيف يمكن للمرء أن يصبح شخصية أفضل من ذى قبل والملابس فى دولابه تنبعث منها رائحة جوزة الطيب ، وهل سبق لك أن نظرت إليه نظرة عن كثب ؟ فهو

لديه ذلك الوجه الوسيم للغاية والذى يبدو خاليًا من التجاعيد تمامًا . وأنا فى بادىء الأمر كنت أعتقد أن عينيه لهما لون بنىّ ولكنى أدركتُ بعدئذ أن لهما لون أصفر شبيه بلون مشروب من نوع ما مثل لون عصير التفاح ، وهو عندما يتكلم يصبح جاداً للغاية ولكنه عندما يصغى للكلام الذى أقوله فإنه يبدأ فى الابتسام ، وهو يبدو عليه أنه سعيد للغاية عندما يستمع إلىّ حتى ولو كنت أتحدث عن أكرات الأدراج ، أوكى وهو كذلك : إذن فهو يفعل ذلك مع كل فتاة ، إننى لا أريد أن أخدع نفسى : فربما يكون ذلك جزء من الدين الخاص به أو أى شىء من هذا القبيل" .

فقالت دافنى " حسنًا ، لا " وشعرت بالتأثير العاطفى الشديد . وكانت تنظر إلى إيان و على نحو فجائى من وجهة نظر إنسانة دخيلة أو خارجية ، وأضافت " لم أكن أهدف إلى أن أسبب لك الألم أو الضجر أو الشقاء ، كنت فقط أفكر فى الأيام الماضية عندما كنتُ بالمدرسة وكانت بعض صديقاتى وزميلاتى بالمدرسة تتحطم قلوبهن عليه وينتهى بهن الحال إلى الإحباط الشديد وبعدئذ يشعرن نحوه بالغضب الهائل "

فقالت ريتا " حسنًا ، أستطيع أن أفهم ذلك " وفى شهية ابتلعت جرعة من البيرة ثم مسحت الرغاوى أو الزبد عن شفتيها العليا .

وقالت دافنى فى توضيح " وهو أيضًا أكبر منك فى السن بفارق كبير "

" أهو أكبر بكثير ؟ على كل حال نحن الاثنان شخصان يافعان وناضجان ، أليس كذلك ؟ بل ومن بعض النواحى أبدو أننى الأكبر سنًا ، هل تعرفين أنه لم يضاجع سوى امرأتين فقط طوال حياته ؟ "

فتساءلت دافنى " ماذا ؟ "

" أول فتاة هى حبيبته فى المرحلة الثانوية وقبل أن ينضم لكنيسة الفرصة الثانية ، وبعدئذ تلك الفتاة التى كان يتقابل معها فى مواعيد غرامية منذ سنوات قليلة مضت ، ولكنه شعر بأنه إنسان رهيب وأقسم ألا يفعل ذلك مرة أخرى على الإطلاق "

ولم تعرف دافنى ما الذى سبب لها الصدمة بشكل أكبر : حقيقة أنه قد ضاجع فتاة ما أو حقيقة أنه وريتا قد تناقشا وتطرقا إلى هذا الموضوع السرِّى سويًا .

وتساءلت " وكيف تفجَّر الكلام فى هذا الموضوع الحساس للغاية"

فقالت ريتا فى هدوء " لقد تفجَّر هذا الموضع عندما وجهتُ إليه الدعوة لكى يقضى الليل عندى " .

" أنت لم توجهى إليه الدعوة ! "

فقالت ريتا " لقد وجهتُ إليه الدعوة بالفعل " وأضافت : "يا جرسونة ؟ أحضرى لى زجاجة بيرة أخرى"

ثم نظرت بعمق فى عينى دافنى واستطردت " لقد وجهت إليه الدعوة عندما جاء بشأن أخذ مقاسات المكتب " وأضافت " ولكنه رفض ، وكان ملتزما بالأدب الشديد"

فقالت دافنى " يمكن لى أن أتخيل ذلك "

" وبعدئذ وطوال أجازة نهاية الأسبوع الأخيرة ظللتُ أنتظر منه أن يتصل بى ، وأنا لم أظل منتظرة لكى يكلمنى أحد بالتليفون منذ أن كنتُ

فى المرحلة الأولى الثانوية ، ولكنه لم يتصل بى ، ولهذا السبب فأنا جالسة هنا أتناول البيرة لكى أنسى أحزانى وآلامى "

وكانت دافنى تعتقد أنه لن يتصل بها تليفونيًا ولكنها لم ترغب فى أن تكون هى الإنسانة التى تقول لها ذلك ، ثم قالت : " أوه ، انظرى إلى الوقت الآن " وسألت الجرسونة " ما هو المبلغ الذى أنا مدينة به ؟ " ثم أحدثت ضجة كبيرة بشأن السداد ولذلك عندما استدارت لكى تقول لريتا " مع السلامة " بدا أن موضوع إيان قد انزلق من ذهنها تمامًا .

* * *

لم تحضر أجاثا وستيوارت إلى منزل العائلة بمناسبة حلول الكريسماس ، إذ تم استدعاء ستيورات للعمل فى أجازة نهاية الأسبوع تلك ، ولكن توماس جاء وأمضوا سويًا أجازة هادئة ، حيث نهضوا متأخرين فى صباح الكريسماس وراحوا يتبادلون الهدايا ، وقام إيان بإهداء دافنى سلسلة مفاتيح تتحول إلى صفارة إنذار إذا قمت بالضغط على زر سرىّ بها [وهو دائمًا ماكان يمشى وراءها ويتتبعها عندما تذهب إلى الأماكن التى تتسكع فيها] ومنحها جدّها ورقة مالية من فئة العشرة دولارات ، كما أعطى للآخرين نفس هذا المبلغ ، وتوماس الذى يُعتبر أعظم مُتسوق مُلهم وموهوب فى العالم أعطى لدافنى بلورة خاصة من الكريستال تمنح ثبات الهدف ، كما أرسلت أجاثا وستيوارت ١٢ بنطلونًا من بنطلونات الرقص السوداء الضيقة من النوع الذى تفضله دافنى ، أما دافنى فقامت بدورها .

بمنح كل فرد نباتات منزلية للزينة – وكانت قد قامت بهذه الترتيبات منذ أسبوع عندما كانت لا تزال تعمل فى محلات " فلور فانتازيا "للزهور

وبالنسبة لتناول طعام العشاء فى الكريسماس فإنهم ذهبوا إلى مطعم ، ونظرت دافنى إلى هذا التصرف على أنه بمثابة عمل شىء مُنكر بدون التعرض لعواقب وخيمة ، فلو كانت أجاثا جاءت إلى منزل العائلة لما سمحت بحدوث ذلك على الإطلاق ، ولكن ربما كان لأجاثا وجهة نظر معينة ، هكذا كانت دافنى تفكر لدى دخولهم إلى صالة الطعام ، وكان صاحب هذا المطعم يحرص على فتح أبوابه أيام الإجازات وذلك حتى يمكن للناس الذين هم بدون عائلات أن يجدوا مكانًا ما يذهبون إليه ، وإلى كل منضدة تقريبًا كان يجلس شخص واحد بائس ووحيد ومهجور ويرتشف من كوكتيل وحيد . وعبْر الصالة شاهدوا المسز جوردان مما جعل دافنى تشعر بالذنب لأن بى لو كانت لا تزال على قيْد الحياة لكانت قد تذكرت توجيه الدعوة إليها ، ولكن عندئذ تباحث إيان مع صاحب المطعم وتم إحضار أدوات طعام إضافية وتم إحضار المسز جوردان إلى مائدة آل بيدلو لكى تجلس معهم ، لقد كانت المسز جوردان مغامرة وقوية العزيمة على الرغم من أنها أصبحت الآن فى الثمانينيات من عمرها بكل تأكيد ، وما أن انتهوا من مباركة الطعام حتى أضفت المسز جوردان الحيوية على كل شىء بدرجة كبيرة ، إذ راحت تصف لهم خروجها فى نزهة مع الأجانب ، وقد تم القيام بهذه النزهة أثناء تلك الموجة الحارة التى ظهرت فى شهر نوفمبر الماضى ، حيث ذهبت مع ثلاثة من الأجانب إلى حوض لرسوّ القوارب واستأجروا مركبًا شراعيًا ،

ولكن لم يسبق لأى واحد منهم أن استقل مركبًا شراعيًا من قبل وعندما وجدوا أنفسهم فى البحر المكشوف المليء بالأمواج مع هبوب النسيم القوى اضطر الشاب الذى يسمى مانى إلى القفز فى الماء فى اتجاه الشاطىء طلبًا للنجدة ، وقالت المسز جوردان إنه بعد أن تم انقاذهم أوضح لهم صاحب المارينا أو حوض رسوّ القوارب أنه لن يسمح لهم باستئجار قارب مرة أخرى على الإطلاق ، بل ولم يكن بمقدورهم مجرد الوقوف بسيارتهم عند الميناء من أجل الاستمتاع بالمنظر الطبيعى ، وبدأت الآن تتفجر فى ضحكات صاخبة ثم رفعت يدها الرقطاء القبعة لأعلى وطلبت زجاجة من الشمبانيا – وقالت لصاحب المطعم " وينبغى عليك أن تنضم إلينا يا مستر عزرا " – علاوة على كأس من عصير التفاح الفوار من أجل إيان ، وانقلبت الوجبة إلى وليمة مهرجانية رائعة للغاية .

وفى المساء اتصلت كلوديا وأسرتها تليفونيًا من مدينة بتسبرج كما اتصلت أجاثا تليفونيًا من كليفورنيا ولم يبد على أجاثا أنها تضايقت من تناولهم الطعام فى المطعم مثلما كان متوقعًا ، وكان كل ما قالته لدافنى هو : " هل إيان أحضر كلارا إلى هذه الوليمة ؟ "

" كلارا ؟ لا "

فتنهدت أجاثا ، وقالت " ربما ينبغى علينا أن نقوم بتزويج جّدنا بدلاً منه "

فقالت دافنى لها " هذا صحيح ، فذلك ربما يكون أكثر سهولة "

* * *

في شهر يناير بدأت دافني تعمل في ورشة النجارة حيث كانت تقوم بانجاز العديد من الأعمال التي لا تتطلب مهارة مثل الدهان بالألوان الزيتية وأعمال الصقل من خلال استخدام الشمع ، وكانت قد قامت بهذا العمل مرات عديدة من قبل خلال الفترات الفاصلة بين أعمالها في المهن الأخرى ، وعلى الرغم من أنها لن تختار مهنة النجارة كمهنة مستقبلية دائمة لها فإنها وجدتها محببة لنفسها بالقدر الكافي ، إذ كانت تحب رائحة الأخشاب وتحب ذلك الضوء الذهبي الذي يشع من الأخشاب بل وكانت تستمتع بتلك المحادثة السلسة التي تتوقف وتُستأنف ثم تتوقف وتتواصل بين العمال ، إذ كان ذلك يذكرها بفترة دور الحضانة – فكل شخص كان يستغرق في المشروع الخاص به ولكنه يُلقي بتعليق من وقت لآخر ، ولكن إيان لم يكن يشارك في هذه المحادثات المُتقطعة ، وفي كل مرة يقول فيها أي كلام لدافني كانت تدرك ذلك الانتباه المختلس الذي يسري في أرجاء الغرفة ، وكان من الواضح أن العمال هنا ينظرون إليه على أنه شخص شاذ وغريب الأطوار ، وهذا جعلها تشعر بالأسف من أجله ، على الرغم من أنه لم يكن يلحظ ذلك .

وفي يوم الجمعة السابق على عيد القديس مارتين لوثر كينج جاءت أجاثا وستيوارت بالطائرة من أجل تمضية عطلة نهاية الأسبوع الطويلة كما جاء توماس من نيو يورك ، وراحت أجاثا تطوف وتتجول في المنزل من البدروم إلى العلِّية لكي تعرف النتائج التي نجمت عن أعمال النظافة والتنظيم الذي قامت به شركة " كلاتار كاونسلينج " وأعجبت بوجه عام بهذه الإنجازات ولكنها أوضحت لدافني أن طبقة طلاء بدأت تتبرعم وتخرج ورقًا جديداً على العديد من الكاونترات وخزائن الأطباق

وأدوات الطهى ، فقالت دافنى " نعم ، ريتا لفتت نظرنا إلى أن ذلك قد يحدث ، وهى قد عرضت أن تقوم بعمل تحسينات وترميمات كل ثلاثة شهور ولكنى أكدت لها أننى أستطيع أن أفعل ذلك بنفسى "

فقالت أجاثا " هـ.م.م.م " ونظرت إلى ياقة القطة الرخيصة التى كانت لسبب ما قابعة على اللوح الخشبى للخبز ، ثم قالت " تُرى كم تتكلف كل واحدة من هذه التحسينات "

فقالت دافنى لها " ربما يمكن لى الحصول على سعر منخفض وملائم " بل وربما يمكن لها الحصول على هذا العمل مجانًا إذا كانت ريتا مازالت مفتونة ومعجبة للغاية بإيان ، ولكن ربما تكون قد شُفيت من الحب بحلول هذا الوقت الحالى ، إذ لم تذهب دافنى إلى ذلك البار منذ ذلك المساء .

وفى يوم السبت حضرتْ أجاثا وستيوارت فى مؤتمر استغرق يوما واحداً عن زرع النخاع العظمى ، وفى تلك الليلة تناولا الطعام مع بعض زملائهما فى وجبة العشاء ، وربما كان هذا هو السبب فى أنهما قد وافقا فى يوم الأحد على الذهاب للكنيسة مع باقى أفراد الأسرة ، وذلك لكى يتمكنا من الجلوس لبعض الوقت مع الأسرة حيث كان من المقرر لهما العودة بالطائرة فى صباح اليوم التالى ، ويمكن القول إن إيان كان يهتز طربًا ، وتحدث مع والده لكى يجىء إلى الكنيسة أيضًا ، وكان هذا من رابع المستحيلات فى الظروف العادية ، إذا دائمًا ما كان دوج يقول إن الكنائس ينبغى أن تكون شبيهة بالكنائس ، وكان يأسف لذلك القول ولكن تلك هى المشاعر التى كان يحسّ بها .

كانت حالة الطقس تتطلب ارتداء المعاطف ولكن الشمس كانت مشرقة .. وكان الجو مُشْمِسًا ولذلك ذهبوا إلى الكنيسة سَيرًا على الأقدام – دوج وإيان وخلفهما توماس وستيوارت وفى المؤخرة أجاثا ودافنى ، ولدى مرورهم بجوار كل منزل فى شارع ويفرلى ستريت كانت أجاثا تسأل عن السكان ، : ما الذى يفعله آل كرين فى هذه الأيام ؟ وهل الآنسة بتز مازالت تعطى دروسًا فى البيانو ؟ " وحتى تلك اللحظة لم تكن دافنى قد أدركت كيف أن الأوضاع قد تغيرت هنا كثيرًا ، إذ لم يعد آل كرين من المتزوجين حديثًا حيث انتقلوا إلى منزل أكبر بعد مولد ابنتهما الثالثة ، أما الآنسة بتز فقد انتقلت إلى رحمة الله ، كما ذهب آخرون إلى الأماكن التى يسكن فيها المتقاعدون والمحالون على المعاش بعد أن أصبح أطفالهم كبارًا ، والناس الذين حلّوا محلهم – ومعظمهم من العمال والعاملات المرتبطين بالزواج والذين كان أطفالهم يحصلون على الرعاية اليومية – كان من الصعب التعرف عليهم على ما يبدو . وقالت دافنى " لم يتبق سوى الأجانب والمسز جوردان "

" أين المسز جوردان ؟ ألا ينبغى علينا أن نتوقف عند منزلهم ونلتقطها ؟ "

" إنها تضطر لأن تقود سيارتها الآن ، بسبب ما تعانيه من آلام الروماتيزم "

فقالت أجاثا " هذا شيء مثير للحزن "

وكان الوضع مثيرًا للحزن والكآبة بالفعل على ما يبدو ، أو ربما كان الأمر يتعلق فقط بالمواسم ويتعلق بالضوء الأبيض الرفيع لشهر يناير ،

لأنه على الرغم من أشعة الشمس الساطعة كان يسيطر على الحيّ منظر شاحب خالي من الحياة .

كان عدد المقاعد المشغولة بالناس بالكنيسة يكاد يصل إلى النصف ولكن لم تكن هناك ستة مقاعد شاغرة فى صفّ ، لذلك كان عليهم أن يتفرّقوا ، فجلس الرجال بالقرب من المقدمة ، وجلست دافنى وأجاثا عند المؤخرة بجوار الأخت نيل ، وانحنت الأخت نيل على دافنى لكى تقول لها " سبحان الله ! الأخت أجاثا موجودة معنا هنا ! أليس هذا بمثابة متعة كبيرة ! " فشعرت دافنى بشيء من الغيرة ، لأن أحداً لم يطلق على دافنى لقب " الأخت " على الإطلاق ، كان من الواضح أنه ينبغى عليك أن تترك المدينة قبل أن ينظر الناس إليك على أنك أصبحت يافعاً وناضجاً .

منذ عامين كانت الأخت لولا قد أوصت فى وصيتها بمنح الأرغن الكهربائى الخاص بها للكنيسة - وهو أُرغن من ذلك النوع الصغير للغاية الذى يعرضه البائعون فى بعض الأحيان فى مراكز التسويق التجارية - وكانت الأخت ميرا تعزف أنشودة " النعمة الإلهية المذهلة " بينما الذين جاءوا متأخرين كانوا يدخلون وينتشرون فى غير نظام ، وتحت تغطية من الموسيقى قالت أجاثا فى تمتمة " أرينى تلك الفتاة التى تُسمى كلارا "

فراحت دافنى تنظر فيما حولها ثم قالت وهى تنزلق بعينيها نحو اليسار " ها هى هناك " وكانت كلارا تجلس بين أبيها وأخيها - وهى امرأة نحيلة فى منتصف الثلاثينيات من عمرها ولها شعر أصفر برتقالى مزود بالريش على نحو جيّد ولها بشرة مزدانة بالبودرة ومرتدية بدلة تفصيل لها لون قرنفلى ضارب للصفرة .

فتساءلت أجاثا " وما السبب فى أنها غير جالسة مع إيان ؟"

" لأنها جالسة مع أبيها وأخيها "

فقالت أجاثا لها " أنت تعرفين ما أهدف إليه " ولكن فى تلك اللحظة توقفت الموسيقى ونهض إميت الموقّر واقفًا من وراء الكاونتر لكى يقدّم الصلاة الافتتاحية .

لقد بدأت تظهر عليه دلائل التقدّم فى السن ، وتواجد أجاثا بالكنيسة هوالذى جعل دافنى تدرك ذلك ، لقد كان أحد أولئك الناس الذين يصبحون مُجوّفين وغائرى الخدّين عندما يكبرون فى السن ، وعندما استدار لكى يمدّ يده نحو الانجيل كان لظهره انحناء شبيه بانحناء ظهر الخنفساء ، إلاّ أن صوته كان لايزال قويًا كالمعتاد ، وقال فى صوت صادح ونقى وعميق " الكتاب الشعرى للعهد القديم رقم ٢١ : الجزء الرابع " وأضاف " [المظهر الثمل والقلب المفتخر وحرث الأرض بمعرفة الشرير هو خطيئة] " ثم أعلن عن الترنيمة : " فيما يتعلّق بالمستقبل الحلو الجميل ".

اللحظة توقفت الموسيقى ، نهض إميت الموقّر واقفًا من وراء الكاونتر لكى يقدّم الصلاة الافتتاحية .

كانت دافنى تحب الأناشيد الغنائية ، ولكنها كانت قد تنسى مدى معاناتها ومحنتها عندما تغنى مع أجاثا حيث كانت تنطق بالكلمات على وتيرة واحدة وتتوقف أثناء الغناء لكى تتساءل : " أين الشباب ؟ أين يوجد الأطفال ؟ " ، وعندئذ كانت دافنى تستمر فى الغناء ولا ترد على تساؤلاتها .

وكانت الخطبة تتعلق بالكبرياء والغطرسة ، وقال إميت الموقر إنه لاشيء أكثر غطرسة من كبرياء الرجل الفاضل الطاهر المستقيم أخلاقياً . ثم قصّ عليهم حكاية ، " في الأسبوع الماضي ، قُمت بزيارة أخ توفيت زوجته مؤخراً ، وربما يعرف بعضكم ذلك الأخ ، وهو لم يكن عضواً في كنيستنا ، وسبق لي زيارته مرات قليلة للغاية ، ولقد دُهشتُ عندما شاهدته يحضر زجاجة من الخمور بمجرد أن جلست وقال لي [يا إميت الموقر من قبيل المصادفات أنك جئت عندي في عيد ميلادي الخمسين ، وكنت أنا وزوجتي قد وعدنا أنفسنا دائمًا بأننا عندما نصل إلى سن الخمسين نبادر إلى فتح زجاجة من الخمور كنا قد وفرناها منذ حفل زواجنا ، وهي لم تعد موجودة حاليًا لكي تشارك في احتساء تلك الزجاجة ولذلك فأنا آمل من كل قلبي أن تتناول كأساً وتبقى معي لبعض الوقت لكي تخفف عني الشعور بالوحدة القاسية]

فكتمت دافني أنفاسها بل وبدا على أجاثا الاهتمام الكبير .

وقال إميت الموقر " ولذلك احتسيتُ ذلك الكأس "

وبدأت دافني في التنفس مرة أخرى .

" وذهبت في تقديراتي إلى أن قانون الكحوليات هو قانون بالنسبة للذات والهدف منه هو إزالة العوائق بين الذات والله ، ولكن احتساء ذلك الكأس من الخمور كان منحة لكائن بشري آخر ، ورفضي لتناول ذلك الكأس قد يكون أمراً متسماً بالكبرياء والغطرسة ، وعندما نهضت واقفاً لكي أنصرف – حسنًا وأنا لستُ فخوراً بهذا – راودتني رغبة خاطفة في

أن أستخدم غسولاً للفم من نوع ما كنوع من الإجراء الوقائى فى حالة إذا ما تقابلتُ بطريق الصدفة مع أحد إخواننا أثناء عودتى إلى منزلى ، ولكنى قلتُ لنفسى [لا ، هذا الأمر محصوراً بينى وبين الله] ولذلك انطلقتُ ماشياً فى الشوارع وأنا أطلق فى غبطة أنفاساً لها رائحة الكحول " .

فاجتاحت أجاثا نوبة من الضحكات الصامتة ، وشعرت دافنى بها تهتز ، وفى لمحة جانبية خاطفة تمكنت من مشاهدة وجهها الأبيض وهو يتحول تدريجياً إلى الاحتقان باللون الأحمر ويتقلص فى اهتزاز عنيف ، وفى اشمئزاز ابتعدت دافنى عنها وطوت ذراعيها عبر صدرها ، وهى نفسها لم تكن توافق على قانون الكحوليات ولكنها تمنت لو كانت قد فعلت حتى يمكن لها أن تقوم بحركة مثل تلك الحركة التى قام بها إميت الموقر ، وحقيقة الأمر إنها ربما تكون قد فعلت ذلك بالفعل ، ألا يمكن لك أن تقول إن كل مشروب اجتماعى كان بمثابة منحة أو هبة لكائن بشرى أخر ؟ وراحت تلك الفكرة تتلاعب فى داخل ذهنها طوال الفترات المتبقية من الخطبة حيث تعمدت تجاهل أجاثا تماماً التى ظلت تمسح عينيها بمنديل من الورق .

وفى جلسة إصلاح الذات اعترفت دافنى فى صوت منخفض بأنها تكلمت فى وقاحة مع جدّها حيث قالت " قُلت له أن يكفّ عن حثى على الحصول على وظيفة على نحو مزعج . كما قلتُ لإيان إنه مثل خادمة طاعنة فى السن كما قلت إن بيرت يمكن له الذهاب للجحيم عندما أوضح لى أننى تغيبتُ عن العمل فى خزانة كتب " ، وكانت الأخت نيل تتمتم

بكلام مطوّل اشتمل على نزاع مع أحد الجيران، وأجاثا لم تقل أيّ كلام ، وكان هذا يعنى أنها حاولت أن تسمع خطايا كل شخص آخر لكى تصدر حكمها على الناس ، فهمست دافنى لها فى حدّة " تحدثى عن غطرستك وعن كبريائك " ، وعندئذ قال إميت الموقر " يا إلهى دعْ هذه الأشياء تختفى من نفوسنا ، باسم السيد المسيح ، آمين " وبعدئذ نهضوا جميعًا واقفين لكى يتغنوا بأغنية : " الحب المقدس يفوق كل أنواع الحبّ "

وقبل أن تنتهى مراسم منح البركات ، بلحظات شقّت أجاثا طريقها فى الممشى نحو كلارا بينما كانت ترتدى معطفها ، وسارت دافنى وراءها ولكن عندئذ أوقفها الأخ سيمون لكى يتكلم معها ولذلك وصلت إلى جانب أجاثا متأخرة للغاية مما جعلها لاتتمكن من تعريفها ، وكانت أجاثا تقول " أنا أجاثا بيدلو - سيمز " [لم يكن أحد من الأعضاء الجدد يذكر اسم عائلته بالكامل بين هذه الجدران ولكنها بدون شك كانت ترغب فى التركيز على قرابتها بإيان] وأضافت " من المؤكد أنك كلارا "

فقالت كلارا بصوت أنثوى مُعدَّل " نعم "وأضافت" وهذا هو والدى ، وهذا هو أخى إدوين ، وهذا هو أخى جيمس " ، وربما كانت تركز وتؤكد على كلمة "الأخ " ، ولكن إذا كانت قد أكدت على هذه الكلمة فإن أجاثا قد تغاضت عن ذلك ، وقالت أجاثا لهم " لقد سعدتُ كثيراً بمقابلتكم " وأضافت " يا كلارا ، لقد تحدث إيان كثيراً للغاية عنك" .

فتساءلت كلارا " أوه ، تحدث عنى ؟ " وبدأ الاحتقان باللون الأحمر ينتشر لأعلى من ياقة " بيتر بان " الخاصة بها .

وشعرت دافنى بالحيرة والارتباك ، هل تكلم إيان عنها بالفعل ؟ ولكن قبل أن تعرف إجابة على ذلك التساؤل انضم إميت الموقر إلى مجموعتهم ، وقال " أيتها الأخت أجاثا ، إننى سعيد للغاية لمشاهدتك هنا"

ولم يشر إلى أن أجاثا قد ظلت تبتعد عن كنيسته على مدى سنوات ، وأصرت على عقد زفافها فى قاعة اجتماعات كبرى بالمدينة ، ولم يبد على أجاثا أىّ ارتباك أو شعور بالخجل ، وسألته " إذن قل لى يا إميت الموقر ما هو مذاق زجاجة خمور معتقة على مدى خمسين عامًا ؟ "

فقال فى شىء من الابتهاج " أوه ، لقد كانت زجاجة خل "

" ألا تظن أن التحدث عنها كان شكلاً آخر من أشكال غسيل الفم إذا جاز هذا التعبير ؟ "

فقال مبتسماً " آه ، هذا شىء ما لكى تعترفى به فى جلسة إصلاح الذات القادمة "

ثم استدار نحو ستيوارت الذى كان قد ظهر وراءها ومعه إيان . وقال " أنت بالتأكيد زوج أجاثا "

فقال ستيوارت فى التكلف الملىء بالافتخار لشخص ما يتكلّم بلغة أجنبية " أنا الأخ ستيوارت "

كان هناك اهتياج صاخب من حالات التعريف والدردشة ثم تحرك إميت الموقر لكى يلقى التحية على شخص ما آخر فهمست أجاثا فى أذن دافنى " هل لدينا طعام إضافى يكفى لثلاثة أشخاص على وجبة الغذاء ؟"

فتساءلت دافنى " ثلاثة ؟ "

" أبوها وأخوها أيضاً ؟ "

لم يكن لديهم طعام يكفى لثلاثة إضافيين ولكن هذه لم تكن هى القضية ، إذ قالت دافنى " يا أجاثا ، إننى فى حقيقة الأمر لا أعتقد....."

لقد سبق السيف العذل ، إذ استدارت أجاثا نحو كلارا وقالت لها " ألا يمكن لكم الثلاثة المجيء معنا من أجل تناول طعام الغذاء ؟ "

وكانت كلارا مازالت فى حالة من الارتباك والخجل ، ونظرت عبر كتفها إلى إيان وقالت " أوه ، لا نريد أن نسبب لكم الإزعاج أو الارتباك "

فقال إيان " وهو كذلك " وأضاف " ربما فى فرصة أخرى قادمة " ثم أمسك بذراع أجاثا وحثها على السير نحو الباب ، وتُركتْ دافنى وكلارا بينما كانتا تنظران فى تحديق إلى بعضها البعض ، وقالت دافنى " أوم .... "

وقال كلارا فى صوت رخيم " حسناً ، لقد سعدت للغاية بمقابلتكم"

" حسناً .... إلى اللقاء "

ثم اسرعت دافنى فى مشيتها لكى تلحق بالأخرين ، وكان إيان مازال ممسكًا بذراع أجاثا التى كان يبدو عليها الضيق والتبرم والعناد . وبالخارج عندما تجمعوا مرة أخرى - وأصبحت أجاثا تسير بجوار دافنى مرة أخرى - راحت أجاثا تتمتم قائلة " يا لها من شخصية فاشلة"

" مَن هو ذلك الشخص الفاشل يا أجاثا ؟ هل تريدين القول إن كلارا فاشلة ؟ "

" إيان "

فقالت دافنى " ربما تشاجرا بسبب شىء ما "

فقالت أجاثا لها " ربنا أصابهما السأم والملل والذبول والاضمحلال" .

وأمامها كان ستيوارت يمشى ويسأل عن كنيسة الفرصة الثانية من جميع النواحى ، كان يريد أن يعرف مدى ضخامة حجم أعضائها ومتى أُسِّست وما هو وضعها الضريبى ، ويمكن القول إنه كان يتحدث من قبيل الدردشة فقط ولكن إيان كان يجيب على كل سؤال بالتفصيل وهو يموج بالغبطة والسعادة ، وأشار إلى أن كنيسة الفرصة الثانية هى التى أنقذت حياته ، وكان دوج يسير فى المقدمة مع توماس فراح يكحّ ثم قال " آوه ، حسنًا ... آوه ......" ولكن إيان أصر على قوله وأضاف قائلاً "أنت يا والدى تعرف أن هذه الكنيسة هى التى أنقذت حياتى"

وقال لستيوارت " فى بعض الأحيان يصيبنى هذا الأرق ، فى بادئ الأمر استغرق فى النوم على نحوجّيد ولكن بعد مرور ساعة أو نحو ذلك استيقظ ويحدث ذلك عندما تدخل إلى ذهنى تلك الأفكار المزعجة . أفكار تتعلق بأشياء فعلتها بطريقة خاطئة وأشياء قلتها بطريقة خاطئة وتتعلق بأخطاء أريد أن أسحبها ، وأنا دائمًا ما أسائل نفسى [إذا لم يكن لدى كيان ما ألقى عليه بهذا العبء فهل كنت سأتمكن من علاج هذه المشكلة ؟ وكيف يمكن للناس الآخرين التغلب على مشكلاتهم ؟] لأننى متأكد تمامًا من أننى لست أنا الشخص الوحيد الذى تعرض لورطة هائلة ، أليس كذلك ؟ "

ووصلوا الآن مفترق طرق ، فانتظروا على الحاجز الحجرى عند حافة الطريق بينما كان يمر سيل متدفق من السيارات ، وأحكمت أجاثا من إغلاق ياقة معطفها ونظرت عبر كتفها إلى دافنى ، وكان هناك شىء ما ذات مغزى فى الطريقة التى ضيقت بها عينيها ، ومن المؤكد أنها كانت تقول : وأنت لم ترغبى لى أن أوجه الدعوة نيابة عنه لصديقته الخصوصية

ثم أصبح الشارع شاغرًا . وكان بإمكانهم أن يعبروا ولكنهم بدلاً من ذلك راحوا يراقبون إيان وكانت أجاثا هى التى تكلمت فى نهاية الأمر ، إذ قالت " أوه ، يا إيان ، إلى متى ستظل تواجه الحياة بمفردك ؟ "

فقال لها " ليس لفترة طويلة على الإطلاق "

فنظروا إليه فى تحديق تحت ضوء الشمس .

وقال " كنت أخطط للبدء فى التطرق إلى هذا الموضوع " ، وأضاف " ونظراً لأنك تسألين فإننى أعتقد أنه ينبغى أن أتزوج بأسرع ما يمكن "

وأطلقت سيارة من مكان ما بعيد بوقها

وقالت أجاثا " تتزوج ؟ "

" على الأقل سنتطرق إلى هذا الموضوع "

فقال ستيوارت " هاى ! الآن " وقرص إيان فى كتفه ، وأضاف " هاى أيها الولد ، إليك أجمل التهانى ! "

فقال إيان وهو منخرط فى الابتسام " شكراً جزيلاً " وقالت آجاثا " سوف تتزوج من كلارا ؟ "

فقال إيان " من ؟ لا . سوف أتزوج ريتا " ثم قال موجها كلامه لدافنى " وأنت تعرفين ريتا "

فتهدل فم دافنى فى ذهول

وتساءلت أجاثا " من تكون ريتا هذه ؟ "

وجذبت فى قوة كم جاكيت دافنى ، وأضافت " من هى ريتا ؟ "

وكان جدهم هو الذى أجاب على هذا السؤال ، إذ قال " ريتا مستشارة إهمال التنظيف فى شركة [كلاتار كاونسلور] " وأضاف " إنها مثل سندوتش السجق الساخنة "

فتساءلت أجاثا " ولكن من تكون هى ؟ " وشرعوا فى عبور الشارع بينما إيان يسير فى المقدمة ، وأضافت أجاثا " هل تقابلت معها يا توماس ؟ "

فقال توماس "لا" ولكنه كان مبتسمًا أيضًا ، وقال إيان لهم "لم نكن نخرج سويًا فى مواعيد غرامية إلا منذ شهر أو نحو ذلك" وأضاف" عندما تعرفتُ عليها لأول مرة تراجعتُ لبعض الوقت ، حيث كنت أخشى أن نكون مختلفين تمامًا عن بعضنا البعض ولكنى فى نهاية الأمر قلت لنفسى [ينبغى علَّى أن أفعل هذا] ثم اتصلتُ بها تليفونيًا . ومع نهاية نفس ذلك المساء الأول بيننا بدا لنا وكأننا نعرف بعضنا البعض باستمرار"

فقالت أجاثا لدافنى " من المؤكد أنه كانت تساورك بعض الشكوك على الأقل "

فقالت دافنى " أقسم لك إننى لم تساورنى أدنى الشكوك "

كانت فى حالة من الذهول التى يبدو خلالها كل صوت واضحاً على نحو غير عادى على ما يبدو ، لقد كانت تشعر بالارتياح الشديد نحو ريتا بالطبع ومع ذلك .... وقالت لإيان " ولكن هذا شيء فجائى للغاية ، أما كان ينبغى عليك أن تسير فى هذا الموضوع تدريجياً ؟ "

فتوقف فى منتصف رصيف المشاة واستدار وقال " استمعى إلىّ ، إننى أبلغ من العمر حاليا ٤١ سنة ، وبالتالى لم أعد صغيراً فى السن . وأنتم جميعًا تعرفون آرائى ومعتقداتي ، أى تعرفون أننى لا أستطيع الاكتفاء ... بالعيش معها أو أى شيء من هذا القبيل ، فأنا أريد أن أعيش فى حياة زوجية ، أريد أن أتزوج "

فقال ستيوارت فى ابتهاج " أنت على حق أنت على صواب " .

" وعلاوة على ذلك فأنتم سوف تحبونها ، أليس كذلك يا والدى ؟ "

فقال والده فى اشراقة وغبطة " بكل تأكيد ، وهى قد نظمت منضدة العمل الحرفى الخاصة بى على النحو الذى كنت أريده تمامًا ، كما أنها جعلتنى أحتفظ بأدوات أحمر الشفاه التى تخص بى على المكتب "

وقال إيان لأجاثا " وهى طويلة للغاية ورشيقة وجميلة ، ويمكن النظر لها على أنها هندية بكل سهولة ، ولها شعر أسود طويل جميل ، وهى تتحرك بطريقة مفككة ومتمايلة مثل راقصة "

فنظرت دافنى إليه .

فى حقيقة الأمر كانت كل كلمة قالها صادقة .

وأضاف إيان " وهى تتميز بالصدق والأمانة والصراحة ، ولم يسبق لى أن شاهدت فتاة مثلها على الإطلاق "

وهنا اتخذت أجاثا خطوة للأمام ، ووضعت كلتى يديها على كتفيه وقبلت خده . وقالت له " أجمل وأخلص التهانى لك يا إيان "

فقالت دافنى " وأنا أيضًا أقدم لك أخلص التهانى يا إيان " ثم قبلته على خده الأخر ، وأمسك توماس برقبته فى إحكام واحتضنه بشدة وقال له فى مداعبة " أيها المستر مستريا صى ... أيها المستر الغامض "

وقام جدها بلمس ذراع إيان فى حياء وتحفظ ، وكان إيان يحاول الالتزام بالوقار وإزالة الابتسامة عن وجهه .

وشرعوا في السير مرة أخرى ، وسألت أجاثا عن كل ما يتعلق بالزواج والزفاف ، وأوضح دوج كيف أن ريتا قد أعجبت للغاية بطريقته في فرز وتصنيف المفكّات ووضعها في أربعة برطمانات خاصة بطعام الأطفال الرضع ، ولكن دافني كانت قد سارت في تمهل إلى جوار ستيوارت مع الالتزام بالصمت .

إذ كانت تفكر في الحلم الذي شهدته في عيد الشكر ، لم يكن حلمًا بقدر ما هو شعور – موجة من الحب العميق الحاد البالغ حد الكمال ، وكانت قد استيقظت وراحت تفكر : من أجل من كل هذا الفيض العظيم من الحب ؟ وأدركت أن هذا الحب كان منصبًّا على إيان ، ولكنه إيان متعلق بفترة ماضية وأثناء فترة طفولتها عندما بدا لها وكأنه أروع شخصية على سطح الكرة الأرضية ، ومنذ ذلك الحين لم تلحظ كيف أن حبها قد أصبح باهتًا وهزيلاً ومتصدّعًا ، وهذا جعلها ترغب في أن تبكي من أجل إيان ، وذلك هو السبب في أنها أثناء تناول وجبة الإفطار في ذلك اليوم قالت إنها لم تشهد أية أحلام على الإطلاق .

(١٠)

الشفاء من حمّى لُباب النخيل

سألته عما إذا كان يرغب فى أن يكون له أطفال فقال لها " أوه . حسنًا ، ربما فى يوم ما فى المستقبل " فتساءلت إلى متى يمكن لها الانتظار من وجهة نظره ، فقال لها " لستُ أدرى ، ربما سنوات قليلة "

كان قد مرّ على زواجهما أربعة شهور فقط فى تلك الآونة ، وكان بمقدوره أن يدرك أن إجابته جاءت بمثابة خيبة أمل وإحباط شديد .

ولكن لماذا ينبغى عليها الاندفاع نحو تغيير الأمور ؟ إذ كانت حياتهما ممتازة ، إذ كان مجرد إلقاء نظرة عليها – ومجرد الجلوس إلى مائدة المطبخ ومشاهدتها وهى تعجن رغيفًا من الخبز – يملأه بالرضا والقناعة والاطمئنان ، وكانت يداها بارعتين للغاية ، وكانت تتسم بالتدبير والاقتصاد فى النفقات ، وعندما قامت بمسح بقايا الدقيق العالق فى راحتى يديها على مؤخرة بنطلونها الجينز فإنه أُعجب بتصرفاتها العفوية الطبيعية الخالية من التكلف .

وقالت له " كنت أفكر فى هذا الموضوع وأقول لنفسى بأن هذا ينبغى أن يتم فى أسرع وقت ممكن "

فقال لها " حسنًا . نحن لسنا بحاجة لأن نتخذ قرارًا فى هذا الشأن فى هذه اللحظة " .

وراح يراقبها وهى تضع قدرًا ضئيًلا للغاية من الزيت فى الإناء الخاص بإعداد الخبز ، وهى تعجن بأصابعها الطويلة المائلة للسمرة بسبب كثرة التعرض لأشعة الشمس فى رشاقة فى أركان الإناء ، وعندئذ تذكر مدرسة كانت تدرس له فى الصف السابع الابتدائى ، وكانت تسمى المسز آرنيت ، وذات يوم كانت المسز آرنيت هى امرأته المثالية – تكورات ناعمة وعطر جميل وبشرة عاجية ، وكان يجد مبررات كثيرة للغاية لكى يحوم بدراجته حول منزلها ، وكانت نافذتها الأمامية الناتئة المدورة [المشربية] المقسمة بستارة من خلال ستائر من الجوخ ليل نهار تكشف عن إناء معدنى للشاى له لون أزرق فاتح ، وعلى نحو ما كان ذلك الإناء يشكل كل خيالاته الجامحة عن الزواج ، وكان قد تخيل المسز آرنيت وهى تلقى بالتحية على زوجها عند الباب فى كل مساء وهى مرتدية ليس ذلك الفستان البرمودا أو الثوب الفضفاض المعتم الذى ترتديه أمه وإنما ذلك الفستان الملفوف مثل الدوامة والذى له نفس اللون الأزرق الفاتح مثل إناء الشاى ، ثم تقبل المستر آرنيت على شفتيه وتقوده إلى داخل المنزل ، ويكون كل شىء مثير للتركيز ، ولا شىء يشتت الانتباه : لا بريق باهر للتلفزيون أو جرس للتليفون يدق أو جيران يتسكعون فى مكان قريب

وبكل تأكيد لا يوجد أطفال

ولم يكن بمقدورك أن تقول إن إيان وريتا كانا يعيشان بتلك الطريقة فى تلك الأونة ، إذ كانا لا يزالان يعيشان فى المنزل بشارع ويفرلى ستريت وذلك من أجل التوفير والاقتصاد فى النفقات وأيضًا من أجل الاستمرار فى مرافقة والده [إذ أصبحت دافنى تسكن فى مكان خاص بها] وكان والده ما زال يشغل غرفة النوم الرئيسية . وكانت الأم الأرملة لريتا تجىء باستمرار للزيارة ، كما كانت خالات ريتا وبنات خالاتها وكتيبة كاملة من الصديقات يجلسن باستمرار حول منضدة المطبخ فى انتظارها لكى تقوم بصب القهوة فكيف يمكن للأطفال أن يتلاءموا مع كل هذا ؟

وقالت ريتا له "فى عيد ميلادى القادم سيصبح عمرى ثلاثين عامًا" .

فقال إيان " الثلاثون سنة عُمر صغير "

فإيان سيبلغ ٤٢ سنة فى عيد ميلاده القادم .

وبدا أن أى إنسان يبلغ من العمر ٤٢ سنة يُعتبر عجوزًا للغاية بحيث لا يمكنه أن يفكر فى إنجاب أطفال .

* * *

وفى ورشة نجارة الأخشاب كان لأحد العمال ابنة أصغر فى السن من حفيداته ، حيث أنجبها من زوجة ثانية وهى امرأة تعمل كمدومة أظافر أى تقص الأظافر وتشذبها وتصبغها وتسمى لارى . وكانت لارى قد قالت له إنه ليس من العدل أن يحرمها من إنجاب أطفال نظرًا لأن

لديه أسرة بالفعل وكان قد تحدث بالتفصيل عن مناقشتهما حول هذا الموضوع وبعدئذ تناقش في موضوع الحمل الذى بدا جديداً ومثيراً للغاية بالنسبة للارى وقديماً للغاية بالنسبة ليوتش ، وأخيراً تلكم عن الطفلة ذاتها التى كانت تبكى فى كل مساء وتعوق تناول طعام العشاء وتتسبّب في جعل رائحة اللبن المسكوب تفوح باستمرار من لارى ، والآن أصبحت الطفلة تبلغ من العمر سنتين وبدأت تجىء مع والدتها لكى توصل بوتش بالسيارة إلى المنزل عقب الانتهاء من العمل ، وبدأت تمشى بخطوات قصيرة قلقة بين نشارة الخشب وتصيح فى ابتهاج وتمد زراعيها الصغيرين إلى أن يترك فأرة النجارة الخاصة به ويلتقطها ، وكان يسأل الآخرين " أليست هى دمية جميلة ومحبوبة ؟ "

" أليست هى دمية مفعمة بالحياة ؟ "، إلا أن منظر خده الضارب إلى اللون الرمادى بجوار وجهها الشبيه ببتلة الزهرة كان مثيراً للازعاج على نحو ما ودائماً ما كان إيان يشيح بوجهه بعيداً ويبتسم ابتسامات زائفة ويبدو عليه أنه مشغول للغاية مع أدواته ومعداته .

ذهب إيان وريتا إلى الكنيسة سيراً على الأقدام فى يوم الأحد التالى لأن الطقس كان جميلاً للغاية ، وعلاوة على ذلك كان إيان يحب هذه الطقوس : أن يتشابك كلاهما بالأيدى أثناء سيرهما مع إلقاء التحية بصوت عالى على العديد من الجيران الذين يعملون فى المساحات الخضراء بالفناء الخاص بهم وعادة كانت ريتا ترتدى فستاناً [أو على الأقل كانت ترتدى قميص تى شيرت أسود طويل يصل إلى أعلى الركبتين] لأنها كانت قد نشأت تحت رعاية كنيسة آلاميدا المعمدانية

وبالتـالى كـانت ترى أن البنطلون الجـينز لا ينبـغى ارتداؤه أثنـاء الذهاب الكنيسـة ، كما كانت ضـفيرتـها ملفوفة فى عقدة عند الجزء الخلفى من رقبتـها وكان إيان يلحظ كيف أن شـعرها يبدو جذاباً للغاية وعلى نحـو غير عـادى وكيف أنه يحتضن خديها عن كثب وينقض لأسفل على أذنيها فى تموجات صغيرة .

وتسـاءلت " هل أنا قلتُ لك إن مـارى - كـلاى قـد ذهبت إلى المستشفى لكى يتم الكشف عليها بالموجات فوق الصوتية ؟ " وأضـافت "ولقد قال لها الطبيب إنها حامل فى توأم"

فقال " توأم ! يا إلهى ! " وهبط عليه شىء من الحزن والكآبة .

" والطبيب يعتقد أنهما طفلتان صغيرتان . ومارى / كلاى تشعر بالبهجة لأنها تعتقد أن ولادة البنات تكون أسهل من ولادة الأولاد "

فـقـال إيان " يا ريتـا ، ليـست هناك ولادة سـهلة " فنظرت إليـه فى تمعن وعمق ، إنه لم يكن يقصد أن يكون متشدداً للغاية .

فقـال " على الأقل ، ليس وفقًا لخـبرتى المحدودة " ثم انعطفا إلى شـارع يورك رود ، وأصـبح بمقدورهـما مشـاهـدة جماعـة من المتعـبدين واقفين أمام الكنيسة حيث كانوا يستمتعون باللحظات القليلة الأخيرة من أشعة الشمس ، قبل دخولهم إلى الكنيسة ، وقالت ريتا " حسنًا ، خبرتك كـانت مـحدودة ، فـأولئك الأطفـال لم يكونوا أطفـالك ، بل ولم تكن أنت الشخص الوحيد المسئول عنهم ! "

فقال إيان لها " هذا صحيح ، إذ كان والداى يساعدان فى هذا الشأن ، ومع ذلك لم تكن تربيتهم سهلة ، وكان قدر كبير من هذه التربية مثيراً للملل ، مجرد تقديم جسد دافء ومجرد التواجد هناك ، كان بمقدور أى شخص أن يفعل ذلك ، وفى بعض الأحيان كنت أشعر أننى مثل رجل الإطفاء أو عامل الإنقاذ أو أى شىء من هذا القبيل - وكل ذلك الملل والضجر الذى لا تتخلله سوى هبات قليلة من الدراما السعيدة "

وأخذت ريتا نفساً عميقاً ، ولكنهما كانا قد وصلا آنئذ إلى الأخرين ، فقالت الأخت ميرا " مرحباً بكما أنتما الاثنان !" ثم قبّلتهما ، وهى لم تكن قد قبلت إيان فى خلال الفترة السابقة على زواجها على الإطلاق ، فأدرك إيان أن الزواج قد غير الأمر بدرجة كبيرة .

فى تلك اللحظة كانا هما الوحيدان المتزوجان حديثاً بالكنيسة . وكانت إجراءات زواجهما قد تمت فى كنيسة الأميدا المعمدانية ولكن معظم أعضاء كنيسة الفرصة الثانية قد حضروا تلك المراسم والإجراءات كما ساعد إميت الموقر فى تقديم القداس بل وارتدى إحدى الأرواب الرعوية السوداء الفضفاضة التى تخص كنيسة الأميدا ولذلك فإنه عندما رفع يديه لكى يُصلّى فإنه بدا شبيها بقاذفة القنابل النحيلة ماركة ستيلث ، والآن كان يتم تمريرهما من يد لأخرى مثل أطفال رضع فى منزل أناس شعبيين منتمين للعصور القديمة بينما ريتا تقول الأشياء الملائمة التى تعرف النساء على نحو ما كيفية قولها " يا أخ كنيث ، كيف حال عرق النسا معك ؟ أوه يا أختى دنيس لقد جعلت شعرك يتخذ اللون الفاتح " ، وكان إيان متأثراً للغاية ولكنه أيضاً كان مرتبكاً ومضطرباً ، وكانت ريتا

مختلفة عن ريتا التى عرفها والتى كانت تقضى أيام الأسبوع فى تبلد وهى تخبر زبائنها بأن معظم الأشياء التى احتفظوا بها على مدى فترة حياتهم ينبغى الالقاء بها فى أقرب مقلب للزبالة .

ودخلا فى الكنيسة وأخذا مقعدين فى منتصف المشى وراحت الأخت نيل توزع كراسات الترانيم ، وعندما فتح إيان كراسته اكتشف أن الحافة العلوية لكل صفحة ممزقة كما لوكان قد قضمها فأر ، فابتسم فى سره ونظر فيما حوله بحثًا عن دافنى [دائمًا ما قالت أجاثا عنها إنها تعانى بالتأكيد من نقص من نوع ما لأنها تقرض الورق بتلك الطريقة] ولكنه لم يجدها ، وحقيقة الأمر إنها بدأت تقلل تدريجيًا من مجيئها للكنيسة بعد أن سكنت فى شقة فى وسط المدينة ، والشىء الوحيد الذى كانت تفعله وبحيث يمكن الاعتماد عليها فى إنجازه هو ذهابها إلى ورشة [جود وركس] للنجارة فى صباح كل يوم من أيام السبت .

وكانت ريتا تتلكم مع جارها الجالس على الجانب الآخر وهو جونى ابن الأخ كنيث والذى كان ينظر إليه عادة على أنه ولد صغير تافه ولكنه أصبح الآن يدرس من أجل الحصول على درجة الكاهن ومن أجل أن يصبح قسيسًا ، وفى الفترات الأخيرة كان يساعد فى بعض الأحيان فى إنجاز الصلوات والطقوس الدينية ولكن فى هذا اليوم نهض إميت الموقر بمفرده لكى يؤدى الصلاة الافتتاحية ، واتجهت ريتا ببصرها للأمام فى طاعة وإذعان وأحنت رأسها ، ولكن إيان شعر أنها غير مصغية فى انتباه شديد ، إذ أنها لم تعتدل فى جلستها عندما قال إميت الموقر "آمين" . كما أنها كانت تمضغ ظفر إبهامها فى انفعال شديد أثناء تلاوة الإنجيل ،

ولذلك مد إيان يده وأمسك بيدها ووضع يدها تحت يده فاسترخت في مواجهته .

وقال إميت الموقر " وهكذا نختتم القراءة في الإنجيل " وأضاف " ولسوف نتغنى الآن بالأنشودة الرابعة عشر "

وبدأ الأرغن الصغير يطلق أزيزًا مترنمًا بالنغمات الأولى ، فترك إيان يد ريتا . ولكنها لم تنسحب ، بل وراحت تنظر بنظرات عميقة مباشرة في وجهه لدى وقوفهما متجاهلة كراسة الترانيم التي كان يمسك بها أمامها .

وقالت له في صوت منخفض " استمع إليّ " وأضافت : " أعتقد أنني ربما أكون حاملاً "

وكان قد فتح فمه بالفعل استعدادًا للانطلاق في الغناء ، فأغلق فمه ، واستمرت حشود المصلين في الغناء بدونهما .....

" وأنت يا الهي تقوم بتكسير وتقطيع خبز الحياة .... "

وقالت هي " لم أتعمد ذلك " ، وأضافت : " ولكنني أعتزم أن أكون مسرورة من ذلك "

فماذا قال ؟

لقد قال " وأنا أيضًا مسرور يا حبيبة قلبي "

ونظر أمامها مرة أخرى ، وفي شيء من التعلثم عثر على مكانه في الإنشودة وانضم مع المنشدين الآخرين .

* * *

كان ذلك فى شهر يوليو ، وبحلول شهر سبتمبر كان عليها أن تترك حزام بنطلونها الجينز مفكوك الأبزيم وكان عليها أن ترتدى القمصان الفضفاضة ، وقالت إنها تعتقد أن بمقدورها أن تشعر بتحركات الطفل فى بطنها......... وقالت إنه مثل فقاعة صغيرة ترفرف هنا وهناك فى نوع من اللهو والمزاح ، ووضع إيان راحة يده على بطنها ولكن كان الوقت مبكراً للغاية بحيث لا يمكنه أن يشعر بأى شىء من الخارج .

وقامت بشراء كتاب يوضح الطريقة التى يبدو عليها الطفل أسبوعاً وراء أسبوع ، وراحت هى وإيان يقرآنه فى دراسة عميقة ، رأس حلزونية ، الشرغوف [فرخ الضفدع] وأخيراً يتكون شخص على نحو آخرق مثل شىء ما يتم تشكيله فى روضه للأطفال ، وكانا يفكران فى اسم : جوشوا بالنسبة للولد واسم : راشيل بالنسبة للبنت ، وجرب إيان هذين الأسمين على لسانه ليرى ما إذا كانا يصلحان للاستخدام فى الحياة اليومية ، " أوه ، أود أن تتقابل مع ابنى جوشوا بيدلو ..... " ابنه ! هذه الفكرة قد أحدثت مزيجًا من المشاعر المذهلة للغاية : الأسف والإثارة وتحتهما أيضًا احساس مُقنَّع بالتعب والإعياء ، وتكلم مع ريتا عن كل شىء باستثناء التعب والإعياء ، إذ احتفظ بذلك لنفسه .

ويدا الآن أن شئون المنزل قد اضطلعت بها النساء تماماً . إذ كانت بوبين - وهى أم ريتا وكانت معتوهة على ما يبدو - تقضى الساعات الطوال فى مطبخهم وعمومًا لم تكن تجلس إلى المنضدة وإنما كانت تجلس فوق المنضدة وتدلى صندلها ذا الكعب العالى من أصابع قدميها ،

ومع جيشانها وفرقعتها ومع شعرها الأبيض المنتشر على شكل مروحة ومع فرقعة مضيغتها ومع السيل الجارف من النصائح الثابتة التى لا تتغير فإنها كانت تبدو كهربائية ومثيرة للأعصاب بل وتكاد تكون خطيرة ، " يا ريتا أنت مجنونة لأنك مازلت مستمرة فى العمل فى حين أنه ينبغى عليك أن تتوقفى عن العمل ألا تتذكرين ما حدث لخالتك دورا عندما أصرت على مواصلة العمل ؟ يا إيان قل لها أن تتوقف عن العمل ، قل لها أن تتوقفى عن نقل زبالة الناس الآخرين خاصة بعد أن أصبحت حاملاً فى أربعة شهور ونصف وبعد أن أصبحت عظام الحموض لديها مُفككَّةً " ولكنها لم تكن تهدف فى حقيقة الأمر أن يقول إيان أى كلام ، إذ لم تكن تترك أية لحظة قصيرة من التوقف عن الكلام قبل أن تدخل فى سلسلة من الأفكار الجديدة " وأعتقد أنك سمعت عن موللّى سيدنى . إنها على مدى ستة شهور تتصل بطبيبها وتقول له [أشعر كأن شخصاً ما يجذب حبلاً من مكانه ويتجه به إلى أسفل ظهرى] فيقول لها طبيبها [أوه ، ذلك وضع طبيعى ، ذلك شىء طبيعى ، ولا تهتمى بذلك] وعليك أن تخمنى ما حدث فى نفس الليلة التالية "

وكان بمقدورها أن تحكى أعجب القصص : حبل سرى ملتوى ومتشنج مثل خرطوم المكنسة الكهربائية الملتوى وأطفال يولدون وقد ظهرت ذيول فى مؤخرتهم وفراء على بشرتهم بالإضافة إلى طوفان من الدماء فى غرفة العمليات ، ولو سمعت صديقتا ريتا المتزوجتان هذا الكلام لبادرتا إلى التعبير عن استهجانها "اسكتى وكفى عن هذا الكلام ، فأنت سوف تتسببين فى إخافتها وترويعها " ، ولكن القصص الخاصة

بهما كانت مماثلة فى الترويع تقريبًا " لقد ظللتُ فى حالة من المخاض على مدى ٣٣ ساعة " حسنًا ، لقد اضطروا لأن يربطونى فى السرير بالحبال " ، وفى هدوء ووقار دارت ريتا بابريق القهوة على الحاضرين ، وذهب إيان إلى البدروم حيث كان والده يقوم هناك بإصلاح الكرسى العالى .

وقال إيان " النساء " وأضاف " تجعلننى أرتجف رُعبًا "

فقال والده " أرجوا أن تغلق ذلك الباب وراءك يا إيان " وأضاف " أبخرة الطلاء المتاصعدة هى التى جعلت الطفل ابن لينلى التى هى ابنة خالتك يصاب بهذه المشكلة الصغيرة التى تتعلق بالتعليم "

* * *

وفى أكتوبر بدأ إيان فى تصنيع مهد أو سرير صغير من خشب الكرز المأخوذ من منطقة فرجينيا - مجرد صندوق بسيط له جانبان مائلان وبدون غطاء لأن ريتا كانت تريد للطفل الرضيع أن يتمكن من مشاهدة العالم ، وبالطبع حصل إيان على المواد الخام مجانًا ولكنه كان عليه أن يساهم بالوقت الخاص به و لذلك فقد حرص على أن يظل متواجداً فى داخل ورشة النجارة عقب إغلاقها ، وكان المبرد المحبب المعدنى الذى يعمل بزمام منزلق على حافة الشريحة الخشبية التى يهتز عليها سرير الأطفال يصدر صوتًا شبيهًا بـ " ك ا ر ى ن careen ! كارين ، وهو غالبًا ما كان يستمع على ما يبدو لأصوات العمال الآخرين التى كانت تدوى فى أرجاء الغرفة الشاغرة ...... إذ قال بيرت فى

وضوح " دفعت بوتد مغزل بقوة وتمكنت من شق ..... " فتساءل المست
برانت " لماذا بحق الجحيم تختار لوح خشب ثقيل وسميك من نو
خشب النُسْغْ ؟ " وتوقف إيان عن الكشط بالمبرد وجرى بيده على حاف
الشريحة الخشبية فى محاولة لقياس المنحنى ، فطوال السنوات الت
قضاها فى العمل هنا كان يعمل فى خطوط مستقيمة ، وكان قد تعمد
الابتعاد عن تصنيع الكراسى والمقاعد التى لها ظهر مقوس والتى تتطلب
تقديراً سليماً بالعين المجردة وتتطلب رأياً شخصياً ، والآن دهش م
كيف أن هذين الشكلين اللذين يشبهان حرف u قد سارا فى توافق م
راحة يده .

وطوال سنواته التى قضاها فى العمل هنا فى هذه الورشة لم يفه
الأسباب التى جعلت المستر برانت يتحيز ضد استخدام المسامير ويصر
على أعمال الحفر والنقر فى الخشب ويصر على استخدام اللسا
الخشبى والتعشيقات الخشبية ، وكان المستر برانت يحلو له أن يقول
"إذا قمت بتصنيع درج بطريقة التعشيقات الخشبية فإنه يظل فى حال
جيدة للغاية على مدى قرن من الزمان مهما كانت حالة الطقس " وعندئ
كان إيان دائماً ما ينخرط فى التفكير ، قرن من الزمان و من الذى يهم
أن يظل الأثاث متيناً على مدى قرن كامل من الزمان ، وهو بالطب
لم يكن يعنى بذلك أنه يعترض على أن يفعل شيئاً ما على نحو متي
للغاية ، فكل الانتاج الذى خرج من يديه كان جميلاً وناعماً ومتيناً للغاي
ولكن كان بالمستطاع أيضاً استخدام المسامير فإذا لم تصمد قطعة الأثا
وتبقى فى حالة جيدة للأبد " فإنه " لن يكون متواجداً على قيد الحيا

لكى يلحظ ذلك ، ولكنه قد شعر بالافتخار الآن بهذا السرير الصغير الجميل الناعم والذى يمكن توسيعه وتضييقة بسهولة والذى يمكن أن يستمر فى حالة متينة وجيدة عبر مئات من فصول الصيف المشبعة ببخار الماء وفصول الشتاء المتسمة بالجفاف .

وفى وقت مبكر من شهر ديسمبر ذهبت ريتا وإيان مع دافنى وصديقها الخصوصى الجديد الذى يسمى كيرت إلى بار فى وسط المدينة يوجد بها فى مكان بارز ما كينات لعبة الكرة والدبابيس ، وكانت دافنى أُعجبت كثيراً بهذه اللعبة وكانت ريتا قد بدأت تجتاز شهرها السابع من الحمل ، كما كانت قد خفضت فى الآونة الأخيرة ساعات عملها إلى النصف مما جعل لديها الكثير من الوقت الشاغر ، وكانت تفضل الخروج على البقاء بالمنزل ، وهذا هو السبب فى أن إيان قد وافق على الذهاب إلى البار رغم أنه لم يكن يتناول الخمور ، وبالطبع لم يكن بمقدور ريتا أن تتسى الخمور كما اتضح أن كريت كان ينتمى إلى جمعية A.A التى تحرم تناول الكحوليات ، لذلك جلس ثلاثتهم يشربون عصير الفواكه بينما راحت دافنى تحرك زجاجة البيرة الخاصة بها فى عنف وهى تطوف بالألعاب المختلفة و أشارت إلى أن لعبتها المفضلة هى " الفارس الأسود ٢٠٠٠ " وأرادت أن يجربوها هم الأربعة إذا أعطاهم الآخرون الفرصة ، ثم ألقت بنفسها على كرسى بدون مسند وراحت تحدق فى تجهم نحو الجمهور ، وكان يوجد عدد كبير للغاية من الناس هنا حتى أن إيان لم يستطيع أن يدرك نوعية تلك الغرفة .

وكان كريت يتكلم مع ريتا عن طفل أخته الرضيع [أكان الناس يجـمـعـون هـذه الحكايات بالفـعل ؟] ولم يكن - من وجـهـة نظر إيان الصريحة - يشبه كثيراً الطراز ذا اللحية المرتدى نظارات وملابس ريفية ساذجة على نحو حاسم . وأيضًا شىء ما تعيس قد حدث لشعره ، إذ كان شعره يبرز فى جميع أرجاء رأسه فى إسطوانات صغيرة ناشفة ، فقال إيان " ماذا ...... ؟ " ثم انحنى عن كثب نحو دافنى وقال " ماذا تسمين تسريحة الشعر هذه على وجه الدقة ؟ "

فقالت " أتحب هذه التسريحـة ؟ أنا شخصيًا أحببتهـا " وأضافت " أنت تقوم بتضفير عشرات وعشرات من الضفيرات الصغيرة للغاية ثم تغمسها فى مادة ألمار الغرائية لكى تجعلها تستمر فى الالتصاق ، ولكن المشكلة الوحيدة تظهر عندما يحرك نفسه فى اهتزازات "

" اهتزازات ؟ "

" إنه يقول أن هذه الضفائر تهتز فى ارتباك على رأسه وتضرب فروة رأسه "

فشخر إيان ولكنه شعر على نحو فجائى أنه عجوز وطاعن فى السن ، وحقيقة الأمر أنه كان بالفعل أكبر الموجودين فى السن ، ونظرلأسفل نحو يده التى تحدق بكوب عصيره - وإلى البشرة المليئة بالعروق على مفاصل أصابعه وإلى العروق الكثيرة العقد الموجودة فى ساعده وذراعه ، كيف أمكن له أن يفترض أن الناس العجائز قد ولدوا على ذلك النحو ؟ وأن العمر كان خاصية فردية مثل النمش أو لون ؟ الشعر لن تحدث له على الإطلاق فى أى وقت من الأوقات ؟

واعتقد في شيء من الصدمة الشبيهة بضربة مكتومة أنه أصبح الآن أكبر في السن من أخيه داني أي أكبر من عمر أخيه لدى انتقاله إلى رحمة الله .

وكانتريتا تضحك من شيء ما قاله كيرت وتضع يدها بدون وعي على انتفاخ بطنها الذي يضم طفلها لدى استنادها إلى الوراء في مواجهة البار . وكانت دافني تترنم مع الفونوغراف الآلي ، ثم توقفت عن الترنم لكي تقول لإيان " مادونا Madona "

" عفواً ؟ "

" إنها أغنية [مثل صلاة] "

" عفواً ؟ "

" الأغنية . يا إيان "

" أوه "

وأخذ جرعة من كوب العصير الخاص به ، [كان لهذا العصير رائحة تشبه رائحة الكلب المبلل] ثم قال لدافني " على كل حال ، أين تقابلت أنت وكيرت ؟ "

فقالت " في العمل "

كانت دافني تعمل الآن في مكان يُسمى " رحلات غير محدودة Trips Unlimited "

فتساءل إيان " هل كيرت يعمل كوكيل لأسفار ويقوم بتنظيم الرحلات ؟ "

" لا ، لا ، لقد جاء لكى يحجز رحلة بالطائرة ، وهو من حيث المهنة يمكن أن نقول عنه إنه مخترع "

" مخترع "

" فهو لديه اختراع واحد يُسمى : مخلب الورقة **leaf paw** ، تلك الأداة الغريبة الشكل والتى تشبه المخلب والتى يمكن أن تمسكها فى يدك اليسرى لكى تجرف بها الأوراق التى تجمعها بالميدمة . ونحن نعتقد أن هذا الاختراع سيجعل منه رجلاً غنيًا " .

ونظر إيان من فوق كتفه إلى ريتا وهو يأمل أن تكون قد سمعت ذلك الكلام . [دائمًا ما كانا ينظران إلى بعض الأشياء على أنها هزلية] ولكن ريتا كانت تحملق فى ثبات عبر الحجرة ، فتتبع عينيها فشاهد فتاة صغيرة وجميلة مرتدية قميص دانزيخ تى شيرت ومنهمكة فى لعبة بلاك نايت ٢٠٠٠ ربما هذه الفتاة صديقة قديمة ؟ ولكن عندما التفت إيان لكى يسأل أدراك أن حملقة ريتا لم تكن متركزة على تلك الفتاة ، وإنما كانت تلك الحملقة الداخلية لشخص ما يستمع لموسيقى مترامية من مسافة بعيدة . فقال : " ريتا ؟ "

فقالت على نحو مفاجيء " لو سمحت " ثم نهضت واقفةً وشقت طريقها بين الجماهير ، واختفت وراء باب التواليت المكتوب عليه "السيدات" فتساءلت دافنى "هل تعتقد أنه يتبغى علىّ أن أذهب وراءها ؟"

فقال " لست متأكداً " وأضاف " حسنًا . ربما تكون على مايُرام " وذلك على الرغم من أنه لم يكن واثقًا من نفسه على النحو الذى بدا عليه.

والتزموا بالصمت ، وحتى كيرت توقف عن الدردشة والآن بدأ إيان يلحظ الضجة والضوضاء الموجودة فى هذا المكان - الضحكات وقرع الكؤوس والهرج والمرج المترامى من ماكينات لعبة الكرة والدبابيس التى كانت تضرب وتحدث دويًا وتخرخر بالتعليمات بأصوات جوفاء معدنية ، وكان كل شخص سعيداً ومغتبطًا للغاية ! وكان بعض الأشخاص يتغنون فى كشك الموسيقى بأغنية " عيد ميلاد سعيد " .

وبعدئذ عادت ريتا وقد شحب وجهها ، فنهضوا واقفين جميعًا ، فقالت لإيان " إننى أتعرض لنزيف "

فابتلع ريقه .

وكان كيرت هو أول شخص تظهر عليه ردود الفعل إذ قال : "سوف أدفع الحساب ، وأنتم الثلاثة تذهبون إلى السيارة" ثم وضع سلسلة مفاتيح فى راحة يد إيان .

وكان إيان قد نسى أنهم قد جاءوا إلى هنا بسيارة كيرت ماركة فولفو . وقال " هيا بنا " واقتاد ريتا نحو الباب ، واتبعتهما دافنى ومعها لفائفهم ، وعندما وصلوا إلى رصيف المشاة توقف لكى يساعد ريتا على ارتداء جاكتتها فهزت رأسها بما يفيد عدم رغبتها فى ارتداء الجاكيت ولكنه كان بمقدوره سماع صوت اصطكاك أسنانها فقال لها فى لهجة آمرة " ارتدى الجاكيت " فأذعنت وسمحت له بمساعدتها على الارتداء .

ولحق بهم كيرت بينما كان إيان يفتح باب السيارة وتساءل وهو ينزلق إلى مقعد القيادة " إلى أى مستشفى ؟ " ثم أدار الموتور فى سلاسة وانطلق بطريقة تدل على أن له خبرة فى التعامل مع مثل هذه الأزمات ، وفى تلك الأثناء كان إيان يمسك بكلتى يدى ريتا فى يده . وكانت أسنانها مازالت تصطك فساءل نفسه عمّا إذا كانت قد تعرضت لصدمة .

وعند مدخل صالة الطوارئ توقف كيرت خلف عربة اسعاف ، وساعد إيان ريتا على الخروج من المقعد الخلفى ثم اصطحبها إلى الداخل عند امرأة تقف خلف كاونتر طويل له لون أخضر ، وقال للمرأة " إنها تنزف "

فتساءلت " منذ متى ؟ وإلى أى درجة "

فأحس إيان على الفور بشئ من الطمأنينة ، إذ بدا أن هناك درجات للنزيف ، وبالتالى لا ينبغى عليهم أن يفترضوا أسوأ الأمور على نحو تلقائى ، وقالت ريتا " ليس بكميات كبيرة "

فنادت المرأة على ممرضة وتم اصطحاب ريتا إلى الداخل بينما ظل إيان واقفًا لكى يملأ الاستمارات ، شركة التأمين وتاريخ الميلاد ..... وملأ البيانات على وجه السرعة وماإن كاد أن ينتهى من كتابة البيانات حتى جاءت دافنى وكيرت بعد تجريش السيارة وقال لهما " لقد أخذوها إلى مكان ما فى داخل المستشفى " ثم سأل دافنى " هل تعرفين الاسم البتولى لأمها ؟"

فقالت دافنى " لفق أى اسم " ثم نظرت فيما حولها إلى الجدران ذات اللون الأخضر الفاتح وإلى الرجل العجوز الأسود الشبه نائم على كرسى بلاستيك مزدان ببعض الرسومات ثم قالت " هذا المكان ليس رديئًا ، وهو عادة ما يكون مزدحمًا "

فكم عدد المرات التى جاءت فيها إلى هنا ؟ وقال كيريت الواقف خلفها " يا الهى ، فى بعض الأحيان كنت أضطر للانتظار على مدى ستة ساعات وسبعة ساعات "

فقال إيان " حسنًا ، ربما سنضطر نحن أيضًا للانتظار هنا فى هذا المساء أيضا " وأضاف " وربما ينبغى عليكما أنتما الاثنان الذهاب للمنزل "

فقالت دافنى له " لسوف أنتظر هنا "

فقال إيان "نعم ، لكن " ثم دفع بالاستمارة عبر الكاونتر للمرأة . وقال " ولكن ، أوه ، ولكنى فى حقيقة الأمر أفضل أن تذهبى "

وأدرك أنها شعرت بأن مشاعرها قد جرحت وقالت " أوه "

وتساءل " كل ما هناك أننى أريد أن أركز على .... هذا أوكى ؟ "

فقالت " باستطاعتى أن أركز أيضًا "

ولكن كيرت لمس كمها وقال : هيا بنا يا دافنى ، أنا متأكد من أنه سوف يتصل تليفونيًا بمجرد أن يكون لديه أى شىء يقوله لك "

وعندما اقتادها منصرفًا شعر إيان بالامتنان الشديد بل وشعر بأنه بدأ يحب هذا الولد .

استلقت ريتا على نقالة فى حظيرة لها سياج من الستائر البيضاء ، وأشارت إلى أن أحد لم يجىء بعد لكى يفحصها ولكنهم اتّصلوا بالطبيب تليفونيًا لكى يجىء ويكشف عليها ، وكانت ترتدى ثوبًا نسائيًا من ثياب المستشفى له لون أزرق باهت ، كما كانت هناك ملاية بيضاء تغطى ساقيها وترتفع فى رفق على رابية بطنها ، وكان إيان قابعًا فوق كرسى بدون مسند بجوار النقالة ، وقام بالتقاط يدها التى أصبحت الآن أكثر دفئًا و أقل رطوبة ، وضغطت بأصابعها فى خفة حول أصابعه .

وسألته " أتتذكر ليلة زفافنا ؟ "

" نعم ، بالطبع "

" أتتذكر ما حدث فى الفندق ؟ فأنا خرجت من الحمام وأنا مرتدية قميص النوم وأنت كنت منتظراً وجالسًا على حافة السرير وكنت تتلامس بأصابعك على جبهتك . فاعتقدت أنك متوتراً بشأن ممارسة الحب "

فقال " نعم ، لقد كنت متوترًا للغاية بالفعل "

وكنت تصلى "

" نعم . كنت أصلى بالفعل "

" وأنت كنت خجولاً ومرتبكًا فيما يتعلق بتأدية صلاتك لفترة الذهاب للنوم أمامى ولذلك فأنت تظاهرت بأنك منخرط فى نوع من التفكير "

فقال لها " كنتُ أخشى أن أبدو مثل المسيحيين الذين يتباهوا ويسعون إلى لفت الأنظار "

فسألته " هل يمكن لك أن تصلى الآن ؟ "

" الآن ؟ "

" أيمكن لك أن تصلى من أجل الطفل ؟ "

فقال " يا حبيبتى ، لقد ظللت أصلى منذ أن تركنا البار "

وحقيقة الأمر إن صلواته كانت منصبّة على ريتا ومن أجل ريتا . وتمكن تثبيتها فى رسوخ وقوة فى هذا الكوكب ، وإبقاهـا هنـالك بكل ما لديه من قوة ، ولكنه لم يصلٍّ من أجل صحتها فقط ولكن أيضًا من أجل سعادتها ، وبالتالى فإنه اعتقد إلى حد ما إنه يمكن لك القول إنه قد صلى من أجل الطفل أيضًا .

* * *

وأمضت ليلة وحيدة فى المستشفى وتم التصريح لها بالخروج فى صباح اليوم التالى وهى ما زالت حاملاً مع التنبيه عليها بضرورة أن تنام فى وضع مستوى ومنبسط إلى أن يجىء موعد الولادة ، وفى بادئ الأمر بدا هذا أمرًا سهلاً. وقالت إنها على استعداد لأن تفعل أى شىء ، بل وعلى استعداد لأن تقف على رأسها على مدى شهرين إذا كان هذا سيساعدها على التمسك بقوة بهذا الطفل . ولكنها كانت دائمًا من النوع الرياضى المغامر ، ولذلك فإن قراءة الكتب لم تدخل عليها المتعة والتسلية كما أن التليفزيون كان يجعلها تموج بالقلق والملل والضجر ، ولذلك ففى كل مساء عندما كان إيان يرجع من عمله إلى منزله كان يسمع دوى الراديو ويجد ريتا منهمكة فى التحدث فى التليفون بينما المطبخ يموج

بنساء يقمن بإعداد طعام شهى من أجل فتح شهيتها للطعام ، كما لو كانت إنسانة معتلة الصحة وعاجزة وضعيفة ، بينما هى بالطبع لم تكن على ذلك النحو ، وكانت تصيح فى سماعة التليفون قائلة " لا يهمنى إذا استلزم الأمر عملية جراحية كبرى " وتضيف " ويجب عليك أن تبعد عنها تلك المجلات القديمة البالية المتعفنة "

[لقد كانت تتكلَّم مع دانيس أوليونيل – أحد مساعديها المساكين المتهالكين المرهقين] ، كان شعرها يتماوج فى تمرد خارجًا من ضفيرته كما كان كُمّا قميصها مرتفعين لأعلى على ذراعيها ، لم يكن بمقدور شيء أن يحثها على أن تمضى النهار وهى مرتدية برنس الحمام . وظلت تقفز باستمرار على قدميها وفق ادعاء ما أو آخر بينما كل شخص يصيح " توقفى عن هذا ! انتظرى ! " مع مد أيديهم كما لو كانوا يحاولون الإمساك بالطفل الذى قد تسقطه من بين فخذيها .

ووالد إيان الذى كان يحرص فى هذه الأيام على تمضية معظم الوقت فى البدروم قال لإيان إن هذا كله قد حدث نتيجة لعثرة أو خطوة خاطئة فى سلسلة التطور وأضاف " فالآدميون ما كان ينبغى عليهم أبدًا أن ينهضوا واقفين فى اعتدال " واستطرد " والآن نجد أن عامل الجاذبية يعمل ضد كل امرأة حامل ، أتتذكر ما حدث مع كلوديا ؟ نفس هذا الشيء قد حدث لكلوديا عندما كانت حاملاً فى فرانى "

فقال إيان " هذا صحيح ، فقد حدث هذا لكلوديا " وكان قد نسى ذلك ، وعلى نحو فجائى شاهد لوسى وهى مرتدية منديلها الأحمر الجميل الكبير المزدان بالرسوم بينما شعرها يتدلى إلى أسفل ظهرها ،

وقالت له بصوتها الأجش الغريب الجذاب " المسألة كما تعرف مجرد نزيف خفيف ..... " وكانت لوسى حاملاً فى ذلك الوقت ، وأغلب الظن إنها كانت حاملاً أثناء زفافها والآن فقط كان إيان قد توقف عن التفكير فى كيف إنها كانت تجتاز تلك الأسابيع الأولى المبكرة وهى تخفى أعراض الحمل عن كل شخص مع محاولة اكتشاف طريقة ما لتدبير أمورها .

وقالت " لن يكون هذا ممتازًا على نحو حقيقى "

ثم قالت " عشرون دولارًا وسبعة وعشرون سنتًا . يا إلهى العظيم! "

ثم قالت " هل تعتقد أن دانى سيشعر بالقلق والانزعاج ؟ "

فى ذلك المساء وبينما كان هو وريتا يلعبان لعبة " خلط وتوليد الكلمات scrabble " نهض واقفًا واتجه نحو صورة لوسى الفوتوغرافية الموضوعة فى إطار والموجودة فوق البيانو ، وكانت دافنى قد علقتها هناك منذ فترة ولكنها منذ ذلك الحين نادرًا ما ألقت عليها نظرة ، وقام برفع الصورة من خُطافها وأمسك بها بكلتى يديه ، وقالت ريتا " لسوف أعطيك حرفين من حروفى اللينة فى مقابل أن تعطينى حرفًا واحدًا ساكنًا " ولكن إيان استمر فى النظر فى تجهم فى وجه لوسى الصغير المشرق .

وكان بالطبع مذهولاً لأنها كانت صغيرة فى السن للغاية وعلى نحو لايصدقه العقل وكان ذلك أمرًا متوقعًا ، وكل شىء يتعلق بها كان عتيق الطراز ،

تلك النظرة الطويلة العميقة المتفحصة التى كانت سائدة فى الستينيات . وتلك الوقفة الطفولية لكرستوفر روبين التى كانت تفضلها الفتيات الناضجات مع المباعدة بين القدمين وضم الركبتين العاريتين! كانت تشبه خيمة من خيام الهنود الحمر المخروطية الجلدية مرفوعة فوق رجلين خشبيتين ، مظلة ورقية من كأس كوكتيل إحدى نباتات عش الغراب اليابانية الصغيرة المستدقة الرأس التى لها سيقان رفيعة وطويلة .

كان يلحظ هذا من أجل الحصول على بعض التباين ومن المؤكد أنه أصبح قادرًا على مشاهدتها بوضوح الآن ، فمن المؤكد أنه كان لديه على الأقل المنظور الذى يعينه على أن يفهم مغزى لوسى فى حياته .

ولكن ريتا قالت " أوكى ، وهو كذلك ، ثلاثة حروف من حروفى اللينة ، فى مقابل حرف واحد ساكن حقير ، أنت تعقد صفقة ظالمة . أيها الشيطان "

وقام إيان بإعادة الصورة الفوتوغرافية إلى خُطَّافها .

* * *

كان هذا سيصبح أول كريسماس يجىء منذ زواجهما وكان لدى ريتا خطط عظيمة ، فبعثت بدافنى فى مهام سرية وغامضة وزودتها بقوائم لشراء الحاجيات وهمست فى أذنها بالتعليمات ، ثم اتصلت تليفونيًا بتوماس فى نيويورك وبأجاثا فى لوس أنجيلوس ، وأكدت عليهما بضرورة المجىء فى الكريسماس ، وقامت بكتابة قائمة بأسماء الأشخاص الذين ستوجه إليهم الدعوة للحضور على مأدبة العشاء

فى الكريسماس : المسز جوردان والأجانب وأمها وكيرت ، وكان إيان قد أشار ذات مرة إلى أن وجبات آل بيدلو فى الأجازات عادة ما تكون بمثابة فاتحات للشهية ولذلك قررت ريتا إحياء هذه العادة حتى ولو كان ذلك يعنى إعداد الطهى من غرفة المعيشة ، وعلى مدى أيام استلقت على السرير مع وضع طاولة الخبز على حجرها وتشغيل دولاب الهواء . وإنتاج أشكال جميلة من عجينات البسكويت والأعشاب المفرومة التى كان ينقلها إليها دوج جيئة وذهاباً ، وكان إيان يشعر بالقلق لأنها كانت ترهق نفسها أكثر من اللازم . إلا أن هذا على الأقل كان يجعلها تشعر بالتسلية والمتعة .

وفى تلك السنة جاء الكريسماس فى يوم الاثنين ، ووصل توماس فى الوقت المحدد إلى الكنيسة فى صباح يوم الأحد وتقابلت دافنى معهم هناك حاملة معها حقيبة الظهر الخاصة بها لأنها قد تضطر للنوم عليها لبعض الوقت . وجاءت أجاثا واستيوارت بالطائرة فى فترة ما بعد الظهر ، وكان العشاء فى ليلة الكريسماس يتكون من اللوبيا والأرز ، وكان كل شخص يشعر بالحيرة والارتباك [فهم عادة كانوا يتناولون يخنى المحار] إلا أن ريتا أوضحت لهم أن تناول اللوبيا فى هذه المناسبة كانت عادة قديمة ، وأشارت إلى أن ذلك يتعلق بالحظ – الحظ السعيد فى السنة القادمة ، وعلى الفور طافت فرقعة للمعرفة من نوع ما حول المنضدة . السنة القادمة ؟ ألم تكن تلك ليلة سنة جديدة ؟ وألقوا نظرات سرية نحو بعضهم البعض ثم انكبوا فى انهماك على تناول الطعام وهم يموجون فى ابتسام ، لم تلحظ ريتا أى شىء ، ولكن إيان

لاحظ وتأثر من لباقة أسرته ، وكان قد بدأ مؤخراً يقيم مثل هذه الخصائص والصفات ، وكان قد بدأ يدرك مدى أهمية الأخلاق والحركات المهذبة ، واعتقد الآن أن مرح ونشاط أمه الراسخ كان متسماً بالشجاعة وعلى نحو يفوق ما كان يدركه أثناء فترة شبابه [فى الصيف الماضى عندما لازم الفراش بسبب حدوث تمزق فى ظهره تعجب على نحو فجائى من كيف أن بى قد تحملت كل تلك الآلام المزمنة الناجمة عن إصابتها بالتهاب المفاصل طوال تلك السنوات] .

وقال توماس وهو يرفع كوب الماء الخاص به لأعلى " فى صحة الطاهية ! " فقالوا جميعًا " فى صحة ريتا ! " فابتسمت ريتا ورفعت الكوب الخاص بها ، وربما على مدى عشرات من ليلى الكريسماس القادمة سيتناول آل بيدلو فى إخلاص والتزام اللوبيا الأرز .

وفيما بعد وأمام المدفأة أعلن توماس خطبته . إذ قال لإيان "أنتما الاثنان لن تكونا المتزوجين حديثًا بعد الآن " ، ولم يكن هذا بمثابة مفاجأة أو صدمة على وجه الدقة – إذ كان يخرج فى مواعيد غرامية مع نفس تلك الفتاة منذ فترة ، ولكنهم كانوا يأملون أن يُشفى منها ويقطع علاقته بها . إذ كانوا يشعرون أنها تفرض سيطرتها عليه أكثر من اللازم . ولقد ظل معجبًا بتلك النوعية من الفتيات المتسمات بالروح الإدارية والضبط والربط اللائى لايوجد بهنّ أى رقة واللائى يشبهن الشريكات فى أعمال البزنس . وهذا هو ما اشتكت منه دافنى ذات مرة] ، ومع ذلك قامت النساء باحتضانه ، وقال دوج " هذا هو ما كنا نتوقعه " واقترح عليهم إيان أن يقوموا بالاتصال تليفونيًا بأنجى ويرحبوا

بانضمامها للأسرة ففعلوا ذلك واصطفوا فى طابور فى الصالة لكى يبلّغوها بنفس هذا المعنى تقريبًا بوسائل وطرائق مختلفة . وبينما كان إيان منتظرًا دوره على التليفون هبط على ذهنه على نحو فجائى منظر دانى وهو يقدم لوسى فى نفس هذا المكان ، فما الذى قاله دانى ؟ لقد قال " أودّ لكم أن تتقابلوا مع المرأة التى غيرت حياتى ، "وبعدئذ ومثلما حدث الآن فإن الأسرة استقبلت الخبر بنفس التصميم الشديد على إظهار الغبطة والسرور .

وفى الفترة الصباحية من يوم الكريسماس قاموا بفتح هداياهم - معظم الهدايا المقدمة لإيان وريتا لها علاقة بالأطفال الرضع - وأزالوا الأوراق واللفائف التى تلتف بها الهدايا وبدأوا يستعدون من أجل ضيوف الغذاء ، وكانت ريتا تصدر توجيهاتها من الكرسى الفوتى الذى كان إيان قد أحضره لها من غرفة الطعام ، ولكنها ظلت تقفز لأعلى لكى تنجز الأمور بنفسها ، وأخيرًا طلبت أجاثا من ستيوارت أن يعمل على تحويل انتباهها " إذ قالت " يا ستيوارت : اشرح لها الخدع الخاصة بالكوتشينة " فقالت ريتا فى تأوه " أوه ، لا ، أرجوك " ، وقام إيان ووالده بمواءمة كافة الأوراق مع المائدة . وأضافت النساء اللمسات الأخيرة على الأطباق التى قامت ريتا بإعدادها . وشعركل شخص بالبهجة عندما لم يجد سوى فاتحات الشهية ، إذ قال دوج " انظروا !هذا خرشوف ! " وقالت ريتا فى إشراق " انظروا إلى هذا ... هذا هو طبقى المفضل : جمبرى الشيزابيك . إنه يشبه تمامًا جمبرى الأيام القديمة " ، وقال ستويارت لها " هيا يا ريتا التقطى ورقة كوتشينة ، أى ورقة ، ركزى انتباهك الآن " .

كانت الأسماء الحالية للأجانب هي : مانى ومايك وبوك . ، وكانوا أول من وصلوا إلى المنزل - فهم دائمًا ما كانوا يجيئون فى الوقت المناسب تمامًا ، حيث كانوا لا يعرفون على وجه الدقة طرائق وأساليب بلتيمور - ثم جاءت بعدهم المسز جوردان وقد حملت معها إحدى كعكات الفاكهة السوداء الخاصة بها والتى أنفقت عليها فى سخاء والتى لها طبقة خارجية مزركشة ينبغى أن تشق باستخدام أزميل ثم لاحت بوبين فى الأفق وقد حملت معها ثلاجة صغيرة لتجميد الأيس كريم مزودة بذراع كرنك من طراز قديم ومحشوة تمامًا ومستعدة للثلج . وأخيراً جاء كيرات وقد بدا عليه أنه قد ترك السرير لتوه ، وكان الأمر يتطلب شرح وتوضيح فواتح الشهية لأولئك الذين كانوا ضيوفًا - باستثناء المسز جوردان بالطبع التى شهدت ذلك عامًا وراء عام ، وقالت المسز جوردان "يا إلهى ! لقد قمتم بإعداد طبق لُباب النخيل الذى اشتهرت بى بإعداده !" وبعدئذ - وبعد أن جلسوا على مقاعدهم وبعد أن قام دوج بمباركة الطعام قالت " يا ريتا ، لو أمكن لأم إيان مشاهدة ما قمت بعمله لشعرت بالغبطة والسعادة الغامرة "

وقالت أجاثا لتوماس فى تساؤل " أتتذكر أول مرة تذوقنا فيها طعم لباب النخيل ؟ "

" أكان عندما كنا مصابين بالانفلوانزة ؟ "

" لا ، لا ، كان ذلك قبل الإصابة بالأنفلوانزة ، وأنت كنت صغيراً للغاية فى تلك الآونة، وكانت دافنى مجرد طفلة رضيعة ، ولا أعتقد إنها قد تذوقت لباب النخيل ، ولكن أنا وأنت كنا معجبين للغاية بلباب النخيل

بل وكنا نلتهم كل الكمية الموجودة بالطبق الكبير ونتركه نظيفًا تمامًا ، وبعد ذلك بحوالى خمس سنوات أو ست سنوات أصبنا بتلك الأنفلوانزة "

فقال توماس " أوف !! لقد كانت أسوأ أنفلوانزا شهدتها في حياتى "

" وأنا أيضًا ، لم يكن بمقدورى تناول وجبة طعام خفيفة على مدى أيام ولكنى أخيرًا ناديت قائلة بصوت مرتفع [يا إيان . إننى أشعر بالجوع] أتتذكر ذلك يا إيان ؟ لقد كنت أنت مستلقيًا على ظهرك ..... "

فتساءل إيان " أكنت أنا مريضًا ؟ "

" كل شخص كان مريضًا بل وجدتى وجدى ، وأنت قلت لى [وما الذى تريدين أن تأكلينه ؟] فرحت أفكر وأفكر وكان الشىء الوحيد الذى هبط على ذهنى هو : لباب النخيل "

وقال توماس له " ولذلك كنا جميعًا ترغب عندئذ فى تناول لباب النخيل " وأضاف " إذ كانت وجبة لباب النخيل تبدو ممتازة للغاية رغم أننى كنت قد نسيت طعمها ورغم أن دافنى لم تكن قد تناولتها من قبل على الإطلاق لذلك قلنا [نرجوك يا إيان ، نرجوك أن تحضر لنا لباب النخيل .....] "

فقال إيان " إننى لا أتذكر هذا "

" لذلك أنت نهضت واقفًا ونزلت فى ترنح هابطًا على السلالم ممسكًا بالدرابزين .... "

" وأنت ارتديت معطفك على بيجامتك ولبست حذاء له رقبة يخص شخصًا ما ...... "

" وذهبت بالسيارة على طول المسافة إلى دكان البقال وأحضرت معك لباب النخيل "

فقال إيان " لا أتذكر أى شىء من كل ذلك "

فراحوا جميعًا ينظرون إليه فى إعجاب - جميعهم باستثناء الأجانب الذين كانت اهتماماتهم تتصبّ فقط على فواتح الشهية ، وقالت ريتا له " يا بطلى .... يا أيها البطل ! "

واستطردت أجاثا " وأنا قلت [شكرك يا إيان] وأنت قلت [شكرًا لك قبل أن تنطقى بكلمة لباب النخيل لم أكن أدرك أن ذلك الشىء هو الذى كنت أريده لنفسى منذ فترة طويلة للغاية] "

وقال ستيوارت " ربما كان لباب النخيل يحتوى على عنصر أساسى كانت أجسادكم تدرك أنها فى مسيس الحاجة إليه "

وقال كيرت " مهما يكن الأمر فهذا الطعام الموجود أمامنا له مذاق رائع للغاية ، وينبغى عليك يا ريتا أن تفتحى مطعمًا يرتكز على هذه النوعية من الطعام " .

فقالت له " أوه ، أعتقد أننى سأكون مشغولة بالمشروع الجديد الصغير " ثم راحت تربت على بطنها الممتلىء الذى كان القميص المستعار من إيان يغطيه بصعوبة .

وقالت دافنى " هل سمعتم هذا الخبر ؟ بعد أن يتم مولد هذا الطفل سأكون شريكة مع ريتا فى العمل ، فعلى مدى نصف الوقت سأقوم بالأعمال الاستشارية المتعلقة بالركام بينما تظل ريتا بالمنزل مع طفلها ، وفى نصف الوقت الآخر سأبقى أنا مع الطفل الرضيع بينما تقوم هى بالأعمال الاستشارية المتعلقة بالركام "

فرفع إيان حاجبى عينيه وأدرك أن ريتا كانت تنظر بعين الاعتبار إلى استراتيجية مختلفة ولكنها لم تذكر دافنى ، فقال " وماذا عن شركة [رحلات غير محدودة] ؟ "

فقالت دافنى له " تلك الشركة لا تعمل بنجاح فى حقيقة الأمر " وأضافت " وهى شركة تتخذ الطابع الشخصى أكثر من اللازم "

" أهناك شركة سياحية تنظم الرحلات وتتخذ الطابع الشخصى ؟ "

" المستر X والمسز Y يحجزان تذكرتين بالطائرة إلى باريس وغرفة فندقية واحدة على سبيل المثال ، وأنا لا أستطيع أن أُفشى الأسرار التى عرفتها ، أو هم يغشون فى حساب النفقات مع حجوزات الدرجة الأولى إلى .... "

ولم يشر أحد إلى أن هذه الوظيفة الجديدة يمكن أن تكون متسمة أكثر بالطابع الشخصى – مما جعلها تتقصى ما هو شخص ، وأخيراً قال كيرت " حسنًا إذا شعرت بالسأم والملل من الأعمال الاستشارية المتعلقة بالركام فإنه يمكن لك دائمًا أن تُصبحى كاتبة "

فتساءلت دافني وهي تموج بالابتهاج والنشاط على نحو فجائي "كاتبة ؟"

" يمكن لك أن تستأجري كشكًا في منطقة هاربربلاس وتقومي بكتابة خطابات الناس نيابة عنهم "

وبدا على دافني الارتباك والحيرة ، وكان إيان هو الشخص الوحيد الذي ابتسم ضاحكًا .

وكانت هناك فترة انتظار قصيرة سابقة على تقديم طبق الحلو ، حيث كان عليهم أن يجمدوا الأيس كريم ، وقالت بوبين : " أتدركون أننا لا يوجد لدينا أي طفل هنا ؟ ولا حتى طفل واحد ؟ لا يوجد أي طفل يتوسل لكي نسمح له بأن يدير ذراع الكرنك نيابه عنا " ولكن اتضح أن الأجانب يسعدهم أن يديروا ذراع الكرنك ، فاندفعوا إلى المطبخ بينما كانت دافني وأجاثا تقومان بتنظيف المائدة ، وظلت ريتا جالسة على يسار إيان حيث كانت منخرطة في مناقشة عن أسماء الأطفال الرضع مع المسز جوردان ، وكان كيرت يحاول تقطيع كعكة الفاكهة بينما كان توماس يتحدث مع جده عن أحدث لعبة كمبيوتر خاصة به ، وقال إن الفكرة هي أن تبين كيف أن إزاحة حدث تاريخي واحد يمكن أن يؤدي إلى إزاحة مائة حدث آخر حتى تلك التي تبدو غير متصلة" وأضاف : " خُذ العبودية على سبيل المثال . فالطلبة يمكن لهم أن يخبروا الكمبيوتر بأن الولايات المتحدة الأمريكية لم تشهد العبودية على الإطلاق ولم تظهر بها العبودية في أي وقت من الأوقات وبعدئذ يذكروا حدثًا واحدًا لاحقًا ، وعندئذ يقول الكمبيوتر : [بيب ! بيب ! بيب peeb] ، وتظهر على الشاشة في وميض رسالة : هذا باطل Null and void "

فتساءل دوج " ولكن ما هو اللهو والمزاح الموجود فى هذا ؟ "

" حسنًا ، لا يفترض في هذا أن يكون فكاهيًا بقدر ما يكون تعليميًا "

فقال دوج في حزن وكآبة " إننى أتعجب مما حدث للاحتكار "

أمسكت ريتا بيد إيان ووضعت راحة يده على مكان أسفل ثديها الأيسر مباشرة ، وهمست " أتشعر بشيء " فازلقت تحت أصابعه أكرة أو مقبض غير حاد ومستدير - ربما ركبة أو قدم أو مرفق ، ودائمًا ما كانت تثار أعصابه كلما حدث ذلك .

وكان فى الأسبوع الماضى قد قام بالتوقيع على الأوراق التى يتم بمقتضاها السماح لريتا بالدخول إلى المستشفى والإقامة بها ، وكان من المقرر لها أن تمضى ليلة واحدة إذا سارت الأمور كلها على ما يرام ، فى اليوم الأول كان مسئولاً عن شخص واحد وفى اليوم الثانى يصبح مسئولاً عن شخصين ، شخصين ؟ ثم أدرك : إنه الطفل المولود ، إنسانة واحدة تدخل إلى المستشفى ويُسجل اسمها بها ثم يخرج من المستشفى شخصان ، كان الأمر يبدو مثل خفة اليد أو البراعة فى الخداع وألعاب الشعوذة ، لم يلحظ من قبل كيف كان هذا أمرًا مذهلاً بالفعل .

* * *

دافنى له " لذلك اختصرت المسافة من خلال السير فى شارع جانبى " وأضافت " أو هو كان أقرب إلى زقاق إو حارة ضيقة وكان الجو قد بدأ فى الإظلام وسمعت وقع أقدام متراميًا من ورائى ، باد -

باد – باد – باد ، وقع أقدام لحذاء رياضى ، له نعل من المطاط ، فبدأت في السير بسرعة أكثر من ذى قبل، فازدادت سرعة وقع الأقدام أيضًا ، فألقيتُ بيدى فى داخل حقيبتى وجذبت منها صفارة الانذار التى كنت قد أعطيتها لى ، أتذكر . سلسلة المفاتيح تلك والتى بها صفارة إنذار والتى أعطيتها لى كهدية فى أحدى أعياد الكريسماس ؟"

كانا يتجهان سويًا إلى ورشة النجارة لكى ينقلا سرير الطفل الصغير إلى المنزل ، وكان إيان يقود عربة ريتا البيك آب التى كان مُبدِّل السرعات بها جامحًا للغاية مما كان يضايقه كثيراً .. وعندما كان ضوء إشارة المرور يتحول إلى اللون الأخضر كان عليه أن يكافح لكى يدخل مبدل السرعات إلى السرعة الأولى وقال " هذا شىء مؤلم للغاية يا دافنى . ألم أحذرك مراراً وتكراراً من عدم السير بمفردك ليلاً ؟ "

" فدرتُ فيما حولى وقمت بالضغط على الزر فانطلقت الصفارة : واو ! واو ! واو ! فكاد أن يسقط هذا الشخص فوقى – وهو ولد زنجى شاب من النوع الذى يمشى فى خلسة باحثًا عن الطرائد وكان يلبس حذاء كرة قدم ضخم وهائل وأبيض اللون . ويمكن لك أن تقول إنه صُدم لدى سماع صفارة الانذار ، فتراجع إلى الوراء وراح يحملق فىَّ ثم قال [ما هذا بحق الجحيم ؟ ما هذا المزاح الثقيل ؟] وأنا كنت واقفة أمامه وقد فتحت فمى لأننى أدركت أننى ليس لدى فكرة عن طريقة غلق هذا الشىء اللعين ، وهكذا وقفنا ننظر إلى بعضنا البعض بينما الصفارة مستمرة فى : واو – واو إلى أن بدأت على نحو تدريجى فى الضحك ، وعندئذ هز رأسه أخيراً وتخطانى سائراً أمامى ، لذلك ألقيت بالصفارة

من فوق سور وواصلت السير مع الحرص على ألا أمشى وراءه عن كثب شديد وعلى مسافة بعيدة ورائى كان لا يزال بمقدورى سماع ! واو واو واو .... "

فقال إيان وهو ينعطف إلى شارع شالمار " أنت تعتقدين أن هذا ليس سوى دعابة سخيفة "

" حسنًا لقد كان ذلك مزاحًا على نحو ما ، أعنى أننى لم أكن سأصاب بالدهشة إذا كان ذلك الولد قد قال لى [أوه ، ذلك الرجل الذى هو عمك] وذلك أثناء هزه لرأسه كما لو كنا نحن الناس الكبار فى السن و كما لو كنت أنت الشخص الصغير فى السن ، كما لو كنت أنت الشخص الغر أو القليل الخبرة "

فقال إيان لها " على الأقل لم تكن حياتى ستنتهى بالموت فى زقاق ما " وأضاف " وماذا كنت تفعلين فى ذلك الجزء من المدينة ؟ ولماذا تتجولين وتطوفين دائمًا فى الاحياء الغريبة ؟ "

فقالت دافنى " لأننى أحب التجديد ، وأحب مشاهدة أماكن لم يسبق لى مشاهدتها من قبل "

وقام بتجريش عربة النقل أمام ورشة النجارة .

وأضافت دافنى " أحب أن تكون الأشياء غير مألوفة لى للغاية وأحب الذهاب فى مواعيد غرامية للمرة الأولى ، وأشعر بالمتعة عندما يأخذنى شاب إلى مكان ما لم يسبق لى مشاهدته من قبل أو إلى مطعم أو بار لم أشاهده من قبل وأحب أن أشاهد الجرسونة وهى تنادى عليه

باسمه وأحب أن أشاهد الساقية فى البار وهى تمزح معه بينما أنا أكون بمثابة الإنسانة الغريبة على هذا المكان فأكتفى بالنظر فيما حولى فى استمتاع بهذا العالم الجديد غير المعروف لى وغير المجرب بمعرفتى "

وخرجا من عربة النقل [لم يسأل إيان عن كيف أنها قد تسنى لها فى تلك الحالة أن تظل مقيمة فى بلتيمور فقد كان سعيداً للغاية لاقامتها فى بلتيمور] ومشى نحو الجزء الخلفى من العربة لكى ينزل الباب الخلفى للسيارة ومد يده لكى يمسك بالبطانية المطوية التى كان قد أحضرها معه ثم نشرها عبر أرضية العربة .

وقالت دافنى وهى تمشى وراءه " لو قدر لى أكون رجلاً لقمت بالاتصال تليفونياً بامرأة مختلفة فى كل ليلة فأنا أحب تلك الإثارة التى تتعلق بعدم معرفة ما إذا كانت ستوافق على الخروج معى فى موعد غرامى أم لا .

فقال إيان لها " من السهل عليك أن تقولى ذلك "

لم يكن بحاجة لاستخدام مفتاحه لكى يدخل إلى الورشة ، وكان هذا يعنى أن المستر برانت يواصل العمل بالتأكيد فى أجازة نهاية الأسبوع مرة أخرى ، واصطحب دافنى إلى داخل الورشة وقاد الطريق عبر مشمع الأرضية ومر بجوار مكتب لم يتم استكمال تجميعه وبجوار هيكل لخزانة كبيرة ، ومن خلال مدخل المكتب لمح المستر برانت منحنياً على منضدة رسم فراح يدق بقدميه على الأرض فى عنف لكى يثير انتباه المستر برانت ويجعله يشعر بتواجده ، فرفع المستر برانت رأسه ولكنه اكتفى بالإيماء برأسه فى تحية بوجه جامد خالى من أية تعبيرات .

وعندما وصلا إلى الركن الذى يوجد به المكان المخصص لأعمال إيان توقف عن السير ، ثم تحرك نحو السرير الصغير الذى كان له حافة مستقيمة ولامعة ، وقال " حسنًا ؟ ما رأيك فى هذا السرير ؟ "

" أوه . يا إيان ، إنه جميل للغاية ! ولسوف تحبه ريتا تمامًا ! "

فقال " حسنًا ، آمل ذلك " ثم انحنى لكى يرفعه فانسابت نحوه فى رفق الرائحة الحلوة لشمع عجينة الأخشاب الرائعة الجمال ، وأضاف "أنت تمسكين بالطرف الآخر ، والتزمى بالحرص والحذر وأنت تمرين بجوار ذلك المكتب ، فقد أمضيتُ وقتًا طويلاً فى وضع اللمسات الأخيرة"

وشرعا فى العودة عبر الورشة وهما ممسكان بالسرير الصغير بينهما ، وجاء المستر برانت إلى مدخل المكتب لكى يراقب الموقف ، إلا أن دافنى لم تلق ولو نظرة واحدة فى اتجاهه ، إذ كانت لا تزال تتكلم عن التجديد والأشياء الجديدة ، وقالت " فأقوم بالاتصال بامرأة ما أكون قد شاهدتها توًا عبر غرفة أو شىء من هذا القبيل ، ولا أقول لها [أنت لا تعرفينى ولكن ....] فهذه ملحوظة واضحة للغاية ، ولماذا تكون هى بحاجة لأن يُقال لها إنها لا تعرفك ؟ "

وعلى نحو فجائى بدا الزمن وكأنه قد انزلق أو اهتزّ فى تراجع أو سقط تحت قدمى إيان ، إذ أصبح على نحو فجائى فى الخامسة عشر من عمره وكان يتدرب على الطريقة التى يطلب بها من سيسلى براون أن ترقص معه " رقصة الرجل الفرنسى " ، وعلى مدى مرات عديدة راح يدير رقم التليفون الذى يجعل التليفون الخاص به يدق فيلتقط دانى السماعة فى المطبخ ويتظاهر بأنه والدة سيسلى ويرد فى نغمة ذهبية

بغيضة وبعدئذ ينادى " يا سيسلى يا حبيبتى " ثم يتحول إلى صوت حبيبته سيسلى القصير الحاد الرقيق على نحو مُتكلف الأجش المبحوح عبر النغمات العالية " هالو ؟ مرحبًا ؟ أوه ! أيها الطفل الصغير المدلل إيان !! " وبالوصول إلى تلك المرحلة يكون إيان قد أصبح منخرطًا فى ضحكات منفلته للغاية بحيث لا يمكنه كبح جماحها ، ولكن دانى يظل منتظراً فى تسامح ثم يرشد إيان إلى كل خطوة من خطوات المحادثة . وقال لإيان إنه قد أسعده سماع صوته والاستماع إلى كلامه ، وسأل عما فعله فى اختبار التاريخ وأمضى دقائق عديدة فى التحدث عن القيل والقال وكلام البنات الذى يدور دائمًا عن أن فلانًا قال كذا وأن فلانه قالت كذا وهو الكلام الذى يعتبر هاماً للغاية من وجهة نظر البنات رغم أنه فى هذه الحالة كان " أنه قال غمغمة ودمدمة وهى قالت يا تاتا يا تاتا yattata " وبعدئذ ترك مساحة كافية من الوقت لكى يعبر فيها عما يريد أن يقوله وبعدئذ قال له إنه يسعده كثيراً الذهاب للرقص .

وقالت دافنى " إيان ؟ "

فقام بموازنة الطرف الذى يمسك منه السرير على ركبة واحدة واستدار مبتعداً وهو ينشف ويجفف عينيه بكم جاكتته ، وعندما نظر وراءه وجد المستر برانت يسير خلفه مباشرة ، وقال إيان موضحًا " الجو حار " وكان الوقت هو شهر يناير وكان الجو بارداً للغاية فى الورشة حتى أنه يمكن لك مشاهدة أنفاسك ، ولكن المستر برانت أومأ برأسه موافقًا كما لو كان يعرف كل ما يتعلق بهذا الموضوع ثم قام بفتح الباب الأمامى من أجله ، فواصل إيان ودافنى فى نقل السرير إلى الخارج .

* * *

بدأ المخاض لدى ريتا فى منتصف يوم من أيام العمل ومع تخيل تلك اللحظة منذ فترة مضت كان إيان قد توقع لها أن تجيء فى الليل - بحيث تقوم ريتا بلكزه لكى توقظه من النوم مثلما كانت تفعل النساء فى المسلسلات على شاشات التليفزيون - ولكن المخاض جاء فى فترة مشمشة من فترات ما بعد الظهر فى أواخر فبراير عندما جاءت دورين إلى باب المكتب وقالت " يا إيان ، ريتا على التليفون " فنظر الرجال الأخرون المنكبون على العمل لأعلى ، وقال أحدهم فى ابتسامة : " من المؤكد إنك لست بحاجة لأن تغير رأيك الآن " كانوا قد بدأوا يتحدثون معه فى تحفظ أقل منذ انتشار الخبر المتعلق بالطفل الذى هو على وشك المجيء .

وفى التليفون قالت ريتا إنها على ما يرام ولكنها تعانى من آلام تجيء كل حوالى خمسة دقائق وأوضحت أنه لا داعى لأن يترك عمله بورشة النجارة اللهم إلا إذا كان يرغب فى ذلك . ولكن بحلول الوقت الذى وصل فيه إلى المنزل [إلا أنه بالطبع جاء على الفور] كانت الأحداث قد تسارعت ، وقالت ريتا له إنه يمكن التفكير فى الذهاب إلى المستشفى ، وكانت تمشى بخطوات واسعة جيئة وذهابًا فى غرفة المعيشة وقد لبست الحذاء الجلدى ذا الرقبة والبنطلون الجينز الخاص بالأمومة وأحد قمصان إيان المصنوعة من نسيج قطنى خفيف . وكان والده يُسرع فى الخطى إلى جوارها ولا يفعل أى شيء سوى لوى يديه المتشابكتين وقال لإيان " إننى لم أكن أحب هذه المرحلة فى أى وقت من الأوقات على الإطلاق ، ألا ينبغى أن نجعلها تجلس على الأرض ؟ "

فقالت ريتا " إننى أشعر بمزيد من الارتياح أثناء المشى "

لم يحدث من قبل أن كان الجو فى منتصف فبراير معتدلاً للغاية بحيث لا يتطلب الأمر إرتداء سويتر - ولذلك ظهرت الدهشة على وجه ريتا عندما أراد إيان أن يحضر معطفها إلى المستشفى وقال لها " أنت لا تعرفين ما سيكون عليه الطقس عندما تعودين إلى المنزل "

فقالت " يا إيان . أنا سوف أرجع إلى المنزل غداً "

" أوه ، نعم "

بدا عليه وكأنه يستعد لمواجهة لحظة ما بعيدة ومؤغلة فى المستقبل ، ولم يكن يتصور أنهما سيعودان إلى المنزل ومعهما طفل فى خلال ٢٤ ساعة .

وفى المستشفى قاموا بنقلها فى رشاقة إلى الجناح المختص بينما قام هو بتحرير الاستمارات التى تتعلق بإدخالها إلى المستشفى ، وبحلول الوقت الذى سمحوا فيه له بالدخول إلى غرفة المخاض فإنها تحولت إلى مريضة خاضعة للمعالجة الطبية ، كانت راقدة فى السرير وهى مرتدية ثوباً نسائياً من قماش خشن أبيض اللون بينما جبينها كان مليئاً بقطرات من العرق الغزير ، وفى كل دقيقتين أو نحو ذلك كان وجهها يتسطح ويتخذ شكلاً مستوياً على ما يبدو ، وظل إيان يسألها "أأنت على ما يُرام ؟ " ويضيف " أتريدين منى أن أعمل لك أى شىء ؟ "

فكانت تقول " أنا على مايرام " ، وكانت شفتاها جافتين للغاية حتى أنهما كانتا تبدوان وكأنهما متقيحتين ، وكانت الممرضة قد طلبت منه أن

يطعمها رقائق الثلج من وعاء بلاستيك موجود على الكومودينو ولكن عندما قدم لها إحدى الرقائق أبعدت رأسها فى ضيق ونكد .

عادة ما كانت تبدو قوية وغير قابلة للتعرض لأى أذى أو ضرر فى أى وقت ولو مرة واحدة ، وربما كان ذلك هو السبب الذى دفعه للزواج منها .

كان الجو قد أصبح مظلمًا قبل أن يتم نقلها على عربة صغيرة ذى عجلات إلى حجرة الولادة ، وكانت الألواح الزجاجية فى النوافذ تومض باللون الأسود لدى اجتياز إيان الصالة إلى جوار ناقلتها ، وكانت غرفة الولادة شبيهة بغرفة الرعب - ضوء أبيض مُبهر وملاقط وأدوات تلمع فى وميض وماكينات عملاقة مطلية بمادة الكروم ، وقال الطبيب لإيان : "عليك بالوقوف إلى جوار رأسها يا أيها الأب " وأضاف " وعليك الإمساك بيد الأم " ووجدت ريتا فى هذا سببًا يدعوها للضحك فضحكت بالفعل ضحكات مكبوتة بعض الشىء ، ولكن إيان أطاع الأوامر فى تجهم بل وكان خائفًا للغاية مما جعله غير قادر على أن يبتسم ، وكانت يدها رطبة ومبللة وراحت تعتصر أصابعه فى قوة إلى أن أحس أن عظامه تتراصف مرة أخرى .

وقال الطبيب معلنًا " فى أى لحظة الآن " ، أى لحظة بشأن ماذا ؟ لقد ظل إيان ناسيًا الهدف من وراء مجيئهما إلى هنا ، لقد كان مشدودًا ومتوترًا للغاية مثل أوتار الجيتار وبدأت عضلات بطنه تموج بالآلام بسبب حثه ريتا على أن تدفع وتحزق ، أيمكن أن يتسبب هذا فى قتل النساء ؟ نعم بالتأكيد ، يمكن أن يؤدى هذا إلى قتلهن ، بل وهذا كان يحدث فى كل يوم ، ولم يشاهد ما كان يمنعها من التمزق بكل سهولة .

وقال الطبيب " ولد جميل " ورفع لأعلى مخلوقًا زلقًا وغاضبًا وصارخًا وساخيًا معه لفات من سلك التليفون .

وأطلق إيان الأنفاس التي كان قد حبسها بكل تأكيد في صدره على مدى دقائق كاملة ، ثم قال لريتا " انتهى كل شيء يا حبيبة قلبي " وكان عليه أن يرفع صوته لكي يعلو على صوت الضجة والضوضاء .

ووضع الطبيب الطفل الوليد بين ذراعي ريتا الممدودتين فاحتضنته ووضعت رأسه الأسود في راحة يدها ، وقالت للطفل " هالو ، مرحبًا يا جوشوا " وبدا عليها وكأنها تبتسم وتبكي في آن واحد ، واستمر الطفل في البكاء المتوالي المليء بالبؤس الشديد ، وقالت ريتا وهي تنظر لأعلى نحو إيان " هل تشعر بالحب نحوه ؟ "

فقال إيان لها " بالطبع "

وآلمه أنها أحست أنها بحاجة إلى أن تسأل

وأخيراً تم نقل الطفل المولود إلى مكان ما ، وطلبت ريتا من إيان الذهاب لكي يجري بعض المكالمات التليفونية ، وفي غرفة الانتظار استخرج إيان كمية من أرباع الدولار من مظروف كانت ريتا قد جهزته منذ أسابيع ، وقام بالاتصال تليفونيا بكل رقم من الأرقام التليفونية التي كتبتها ريتا – أولا بوبين ثم والده ثم دافني وتوماس وستيوارت [كانت أجاثا مازالت بالعمل] وصديقتي ريتا المفضلتين وأبدوا جميعًا الإثارة والدهشة كما لو كانوا لم يدركوا حتى الآن أن طفلاً حقيقيًا يمكن أن ينجم عن هذا الزواج وأرادت بوبين أن تجيء بسيارتها على الفور إلى

المستشفى ولكن إيان أقنعها بضرورة الانتظار وقال لها " يمكن لك أن تقومى بزيارتها غداً " وأضاف " ولكن فى الصباح الباكر ، حيث سيسمحون لها بالخروج من المستشفى والذهاب إلى منزلها عقب تناول طعام الغذاء مباشرة "

فقالت بوبين فى تعجب " هذا هو العصر الحديث !" وأضافت " عندما ولدت ريتا كان علىّ البقاء لمدة أسبوع ، ولم يسمحوا لفيك بالتواجد فى غرفة الولادة ولذلك فأنتم سعداء الحظ فى هذا العصر الحديث "

لقد طلب من بوبين الانتظار حتى الصباح وذلك بناء على رغبة ريتا ، وكان قد افترض أن ريتا تمر بحالة من التعب والإرهاق الشديد ، ولكنه عندما ذهب إلى غرفتها وجدها جالسة فى اعتدال وقد ظهر عليها الاستعداد لآن تقفز خارجة من السرير ، وكان شعرها ممشطاً وكانت ترتدى بيجامة من نسيج صوفى ناعم بدلاً من ثوب المستشفى ، وقالت "ثمانية أرطال وأربعة ونصف أوقية " ، من المؤكد إنها كانت تتكلم عن الطفل المولود الذى لم يكن موجوداً إلى جوارها بعد ، فهم يضعون المولودين فى حجرة الحضانة على مدى الساعات الأولى القليلة ، وأضافت : "وهو له فم شبيه بفمك – تلك الانعطافات الخفيفة فى الزوايا ، وهو له شعر مثل الشعر الإيطالى الخاص بوالدى ، أوه ، أتمنى أن يحضروه الآن " فقال إيان لها " سوف تحصلين عليه على مدى الثمانية عشر عاماً القادمة "

أوه ، ثمانى عشرة سنة . شكراً لله الرحمن الرحيم .

وجلس معها لبعض الوقت مصغيًا لثرثرتها المتواصلة ، ثم قبلها وقال لها " تصبحين على خير " . وعندما غادر كانت هى تدير القرص لكى تتكلم مع أمها تلفونيًا .

وفى المنزل كانت لمبة واحدة تضىء الصالة الأمامية ، من المؤكد أن والده قد ذهب للنوم فى السرير ، كانت الساعة قد جاوزت العاشرة ليلاً مما أثار دهشة إيان ، وفى إعياء وإرهاق صعد السلالم إلى غرفته .

وبدا حمل ريتا وكأنه قد تم منذ فترة طويلة للغاية كانت الوسادة موضوعة فى وضع رأسى عمودى من أجل تخفيف آلام ظهرها كما لو كانت نسخة من كتاب " جعل شهور الحمل التسعة تمرّ بسهولة " مفتوحة كما كانت ساعة الجيب الخاصة بدوج موجودة – وبدت له هذه الأمور مثل أشياء تذكارية لا فتتان قديم من نوع ما .

وجلس على السرير لكى يخلع حذاءه ، وبعدئذ أدرك أنه لن يتمكن أبدًا من الاستغراق فى النوم ، وصحيح أنه كان يشعر بالتعب الشديد ولكنه كان فى حالة من الإثارة فلبس حذاءه الخفيف ونزل هابطًا على السلالم إلى الدور الأول وإلى المطبخ وأضاء الأنوار ، وصب مقدارًا من اللبن من قدر صغير ذات مقبض وأشعل إحدى العيون بالبوتاجاز . وأثناء انتظاره غليان اللبن اتصل تليفونيًا بأميت الموقر .

قال أميت الموقر وقد بدا عليه أنه فى حالة استيقاظ شديد " هالو مرحبًا "

" يا أميت الموقر ، أنا إيان ، آمل ألا تكون فى السرير استعدادًا للنوم "

" لا ، ماهى الأخبار ؟ "

" حسنًا ، لقد رزقنا الله بولد ، وسميناه : جوشوا ويبلغ وزنه ثمانية أرطال وبعض الأوقيات "

" أجمل التهانى ، وكيف حال الأخت ريتا ؟ "

فقال إيان له " إنها على ما يرام " وأضاف "ولقد كانت الولادة سهلة للغاية ، وربما أنت تود أن تجىء إلى هنا لكى تشاهدها "

فقال أميت الموقر " بكل سرور " وأضاف" نحن لم نحصل على طفل وليد جديد فى كنيستنا منذ حفيدة الأخت ميرا ، بل وربما أكون أنا قد نسيت كيفية الإمساك بطفل وليد بالطريقة السليمة "

فقال إيان له " نحن نرحب بمجيئك إلينا لكى تستعيد معنا بَراعتك المفقودة "

فقال أميت الموقر " بارك الله فيك يا أخ إيان لأنك قد حرصت على الاتصال بى تليفونيًا " وأضاف : " وأنا أعلم علم اليقين أنه ستكون والدًا ممتازًا ، وينبغى عليك أن تحصل على قدر من الراحة وتخلد إلى النوم "

فقال إيان " أعتقد أننى سوف أخلد إلى النوم "

وحقيقة الأمر إنه شعر على نحو فجائى بالرغبة الشديدة فى النوم عقب وضع سماعة التليفون ، وقام بإطفاء البوتاجاز ، ثم اتجه مباشرة إلى السرير ، وقام بخلع قميصه وبنطلونه الجينز واستلقى وهو مرتدى ملابسه الداخلية بل وبدون أن يهتم بجذب الأغطية عليه ، وأغلق عينيه

فشاهد وجه ريتا الامع كما شاهد تعبيرات الغضب الصادرة عن وجه الطفل الوليد، وأيضاً شاهد أميت الموقر وهو يحاول الإمساك بطفل وليد، وذلك من شأنه أن يكون مشهداً جديراً بالمشاهدة وهذا حثه على أن يتخيل التعارض والتنافر - وأن يحاول أن يتصور أميت الموقر فى هذه البيئة الجديدة وعلى النحو الذى اعتاد عليه أن يتخيل مُدرِّسته فى السنة السابعة الابتدائية وهى تصنع شيئًا ما متعلقًا بالحياة الدنيوية مثل إعداد طعام الإفطار لزوجها .

وكان يعتقد على ما يبدو أنه كان هناك أناس فى هـذا العالم قد جاءوا بدون أن يكونوا متسمين بالوضوح على الإطلاق مثل إميت الموقر والمستر برانت والمجموعات المتناوبة المتداخلة من الأشخاص الأجانب .... ففى نهاية الأمر كان عليك أن تتقبل أنه لن يجىء اليوم الذى تفهم فيه اتجاهاتهم على وجه الدقة ،

ولسبب ما جعله هذا يشعر بالسعادة على نحو غير عادى ، فجذب الأغطية حوله وصلى صلاة الشكر لله ثم استغرق فى النوم على الفور .

* * *

وقال الشخص الأجنبى الذى يسمى باك لإيان " هذه هدية ملائمة ومناسبة " أو إيان " اعتقد " أنه قال تلك العبارة للشخص الأجنبى . وبعد لحظات أدرك أن تلك العبارة كانت بالتأكيد على شكل سؤال : " أهذه هدية ملائمة ؟ "

كان يقصد الكرسى / النونية البلاستيك البيضاء التى تشبه تواليت حقيقى والتى رُبط بها شريط وردى عبر المقعد مثل إحدى تلك الشرائط الورقية الصحية الموجودة فى غرف الحمام بالفنادق ، وكان باك ومانى يمسكان بهذه النونية فى توازن بينهما وهما واقفان على السلمة العلوية للمدخل المسقوف ، فلو أجاب إيان قائلاً " لا " فإنهما كانا على استعداد للاستدارة والذهاب بها إلى منزلهما ولكن إيان رد قائلاً " إنها ملائمة بالطبع ، وأنا أقدم لكم جزيل الشكر "

وقال مانى لباك " فى أمريكا كل شىء تفعله يكون ملائمًا " وبدا أنهما يستأنفان مناقشة ما سابقة وأضاف قائلاً " فلماذا تكون دائمًا مذعوراً للغاية ؟ "

وقال باك " هذا خطأ " ثم أضاف بصوت مرتفع مما جعل إيان يفزع " فهم يقولون لك أنك على حق وعلى صواب وبعدئذ يلتقطون الغلطة التى وقعت فيها " واستطرد : " شريط أحمر وردى ، بالنسبة للأولاد ينبغى أن يكون الشريط أزرق اللون "

وقال و مانى له فى تجهم " كنا نتناقش بالفعل فى هذا الموضوع " وأضاف " فهذه لا تشكل مشكلة " ثم استدار إلى إيان وقال " وردى أو أزرق : هذا سيَّان بالنسبة لك ، هذا سيان من وجهة نظرك ، أهذا صحيح ؟ "

فقال إيان له فى تأكيد " هذا صحيح " وأضاف : " هيا تفضلا بالدخول "

وأخذ خطوة إلى الوراء مع الإمساك بالباب لكى يظل مفتوحًا ، فقاما بحمل النونية عبر الصالة الأمامية وإلى غرفة المعيشة ، كانت ريتا جالسة فى الكرسى الهزاز مع وضع وسادة كبيرة تحتها ، وكانت دافنى وأميت الموقر يجلسان على الأريكة ، وقال باك لهم "هذه هدية ملائمة " . ثم قام هو ومانى بوضع النونية على الأرضية .

وقالت ريتا " حسنًا ، بكل تأكيد فهذه النونية هى ما كنا نريده على وجه الدقة ، شكرًا جزيلاً لك يا باك ، وشكرًا جزيلاً لك يا مانى "

" ولقد شارك ما يك معنا أيضًا فى هذه الهدية ، كل ما هنالك هو أن مايك قد ألقى القبض عليه "

" إلى القبض عليه ؟ "

ولكن قبل أن يعرفوا تفاصيل هذا الموضوع قالت بوبين بصوت مرتفع " يو - هو !! " ودخلت ، كان كعباها يقعقعان عبر الصالة وبعدئذ ظهرت فى المدخل مرتدية بنطلونًا وجاكيت لهما لون برتقالى ووشاحًا من الحرير مربوطًا فى أناقة حول حلقها ، ومدت يديها عند جانبيها بينما كيس نقودها كان يتدلى من معصمها ، وقالت " حسنًا ؟ " وأضافت "أين هو ؟ أين وضعتموه ؟ أين ذلك الحفيد الصغير الغالى ؟ "

فقالت ريتا " هاى ، مرحبا ، يا أمى " وأضافت : " أنت تتذكرين باك ومانى الموجودين هنا كما يوجد أميت الموقر هنا "

فقالت بوبين " أوه ، نعم " مع توجيه ابتسامتها الحولاء نحو أميت الموقر فقط ، كان يقف الآن وقد ظهر عليه القلق وعدم الارتياح واتخذت

بوبين خطوة للأمام لكى تمسك بيديه وتضعهما فى يديها ، وقالت : " إنه من كرم أخلاقك المسيحية أن تجيء إلينا رغم انشغالك فى أداء واجباتك " وكان إيان يشك دائمًا فى أنها تكن اهتمامات رومانتيكية نحو أميت الموقر ولكنها ربما كانت ورعة ومليئة بالتقوى على نحو استثنائى ، وأضافت عبر كتفها " هاى مرحبًا يا دافنى يا حبيبتى " ثم جلست فى وسط الأريكة وجذبت أميت الموقر إلى جانبها ، وقالت له " لا أستطيع أن أصدق أننى أصبحت جدة " وأضافت " أليس ذلك أمرًا عجيبًا ؟ إننى بكل تأكيد لا أشعر أننى جدة "

وكان من المفروض أيضًا أن يقول أميت الموقر أنها لا تشبه جدة . ولكنه اكتفى بإطلاق ابتسامة قوية وأمسك بالعظم المتحرك فى رأس ركبتيه ، وراحت بوبين تتفحصه للحظات ، وأخذت تُربِّت على نهايات شعرها فى تفكير عميق ثم التفتت نحو ريتا ، " وتساءلت " أين ذلك الطفل الحلو الصغير ؟ "

فقالت ريتا لها " لقد ذهب إيان توا لإحضاره "

" أذهب أيان بالفعل ؟

قبل وصول الأجانب كان أميت الموقر ودافنى على وشك أن يسيرا وراء إيان إلى الدور العلوى لكى يلقيا نظرات خاطفة مختلسة فى داخل السرير الصغير ، ولكن إيان اعتقد أن الوضع قد اختلف الآن بسبب وصول عدد كبير من الزائرين ولذلك أومأ برأسه وترك الغرفة ، وكانت المشكلة هى أنه كان قليل الخبرة ، إذ لم يكن متأكدًا من أنه يتذكر كيفية الامساك برأس طفل مولود حديثًا .

وعندما شرع فى الصعود على السلالم سمع بوبين تقول " والآن قُل لى يا أميت الموقر . هل أنت توافق تماماً على التعميد ؟ أو ما هو موقفك من التعميد على وجه الدقة ؟ "

فقال أميت الموقر " نحن نعتقد أن التعميد هو عرف أو تقاليد ظاهرية اصطناعية "

فقالت له فى نغمة لطيفة ومهدئة " إنه بالطبع على ذلك النحو "

" ولكن يهمنى أن أوضح لك أن التعميد لا يوجد به أى شىء خاطىء ، كل ما هنالك أننا نعتقد أن الأطفال الرضع يكونوا غير قادرين على تحمّل .... ولكن إذا كانت كنيستك تحبذ وتفضل التعميد فإننى بكل تأكيد ......: "

فصاحت بوبين فى غير اكتراث " أوه ، وما الذى يجعلنى أهتم بالتعميد ؟ فأنا أعتقد أنه من كرم أخلاقك من الناحية الدينية أن تتخلص من النواحى السطحية الدينية يا أميت الموقر "

ودخل إيان إلى غرفة النوم التى تخصه هو وريتا وهى الغرفة التى كانا يحتفظان فيها بالطفل الوليد على مدى الليالى القليلة الأولى ، كان الطفل مستلقياً على وجهه فى ركن بالسرير الصغير بينما ركبتاه مسحوبتان لأعلى نحو بطنه وأنفه مضغوط على الملاية . كيف أمكن له التنفس وهو على هذا الوضع ؟ ولكن إيان سمع أصوات تنهيدات ضعيفة ، وكانت جدائل طويلة من الشعر الأسود الناعم ملفوفة إلى ما وراء شريط الرقبة للثوب المصنوع من نسيج صوفى ناعم ، واجتاح إيان جيشان من

الشفقة على هــذين الكتفــين الضعيفــين المحدبين الصغــيرين اللذين لا يتمتعان بأية حماية .

وانحنى بجوار السرير الصغير وقلب الطفل الرضيع مع غرفه فى نشاط وحيوية فى نفس الوقت لأعلى إلى أن أمسك بحزمة مجعدة على صدره لدى نهوضه واقفًا ، ولم يشعر أن وزنه ثمانى أرطال - لا وزن له ومثل زغب النبتة الشائكة ، حمل خفيف للغاية حتى أنه بدا وكأنه يمكن أن يطفو على سطح الماء أو ربما تعرض إيان الخداع من خلال نعومة النسيج الصوفى الناعم ، وتحرك الطفل الرضيع وأمسك الهواء بيديه الصغيرتين ولكنه استمر فى مواصلة النوم ، وكان إيان يحمل ابنه فى رفق شديد عبر صالة الدور الثـــانى وكانت بوبين تقــول لأميت المــوقر " كنت فى حقيقة الأمر أفكر فى الانضمام لرعايا كنيستكم ، هل تحدثت ريتا معك فى هذا الشأن ؟ "

" أووم ، لا ، لم تتحدث معى فى هذا الشأن "

" إننى أشعر أن لديك كافة الإجابات عن الأسئلة الدينية الصعبة"

فقال أميت الموقــر " أوه ، حسـنًا ، الإجــابات " وأضـــاف قائلاً " فى حقيقة الأمر يا مسز ...."

" بوبين "

فابتسم إيان

لأنه عندما وصل إلى منتصف المسافة هابطًا على السلالم شعر بنوع من تأثير الصدى - شعر بذكرى بعيدة عن فهمه وبعيدة عن متناول

يده ، فتوقف وتقدم دانى خطوة للأمام لكى يقدم أول مولودة له ، وقال : " ها هى " ولكن عندئذ انزلقت تلك اللحظة على جانب مثل إبرة فونوجراف تتخطى أخدوداً ، وعلى نحو فجائى أصبح يقدم لوسى بدلاً من تقديمه ابنته حيث قال " أود لكم أن تتقابلوا مع المرأة التى غيرت حياتى " ، وكان وجهه وقوراً للغاية بينما كانت لوسى مشرقة فى إبتسامة ، وبدا عليها وكأنها تقول " غيَّرتْ ماذا ؟ ماذلك الشىء الذى غيرته ؟ أوه ..... حياتك " ثم أمالت رأسها وابتسمت ، ومع ذلك فهى ربما قالت إن هذا كان بمثابة حدث عادى ، فالناس كانوا يغيرون حيوات بعضهم البعض فى كل يوم من أيام السنة وبالتالى لم يكن هناك داع أو مبرر لإحداث مثل هذا الاهتياج بشأن هذا الموضوع .

* * *

الكاتبة فى سطور :

* وُلدت آن تيلر في ميناپوليس بالولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٤١ ولكنها عاشت على مدى سنوات عديدة مع أسرتها في بلتيمور التي دارت حولها رواياتها .

* يرى بعض النقاد إنها أعظم مَنْ يكتب الرواية باللغة الإنجليزية بالعالم كله في الوقت الحالى .

* حصلت روايتها « دروس التنفس » على جائزة بوليتزر .

* تحوَّلت بعض رواياتها إلى أفلام سينمائية ناجحة وحاصلة على جوائز عالمية . وذلك مثل أفلام : سائح بالصدفة وسُلَّم السنوات وربما كان قديساً .

* صدرت روايتها «ربما كان قدّيسًا » عن دار نشر فنتاج Vintage فى عام ١٩٩٢ .

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ١	رينيه وليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ – السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ – نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ – چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ – مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (المجلد الأول)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨ – الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ – النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ – قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ – صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ – حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة	فرانسيس هيدسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنيل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ – نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ – الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقل الكسندر وفنانوليتا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقى	سيدريك ثورب ديقى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ – فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ – الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٢٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٢٧ – مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٢٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ – قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامبليون (حياة من نور)	جان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ – العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بُزُرْج علَوى	ت : علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	پول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – سياحت نامه إبراهيم بك جـ١	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو– أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ – الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ – الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى – سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ – ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ - بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ - شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ - المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماريا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ - الدراقيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ - العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلدافر - رابوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ١)	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد منديثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الچينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وابيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان رولفو	ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – سياحت نامه إبراهيم بك ج٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بـوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريـوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت : جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية	خايير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت :كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط	آ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد	شير لايموفا – زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ – لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج١)	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ – وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو. إيوجين كليينباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ – عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ – المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ – يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

٢٣٠ – كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شيرد	ت : سامي صلاح
٢٣١ – عندما جاء السردين	ستيفن جراي	ت : سامية دياب
٢٣٢ – رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	ت : علي إبراهيم علي منوفي
٢٣٣ – الإسلام في بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٢٣٤ – لقطات من المستقبل	آرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمي
٢٣٥ – عصر الشك	ناتالي ساروت	ت : فتحي العشري
٢٣٦ – متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٢٣٧ – فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصاري
٢٣٨ – نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوي
٢٣٩ – تاريخ الأدب في إيران جـ٣	علي أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٢٤٠ – اضطراب في الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخري لبيب
٢٤١ – قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمي
٢٤٢ – سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٢٤٣ – العالم البرجوازي الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٢٤٤ – الموت في الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٢٤٥ – الركض خلف الزمن	بونه ندائي	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦ – سحر مصر	رشاد رشدي	ت : جمال الجزيري
٢٤٧ – الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو
٢٤٨ – المتصوفة الأولون في الأدب التركي جـ١	محمد فؤاد كوبريلي	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٢٤٩ – دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدرون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٢٥٠ – بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٢٥١ – مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصاري
٢٥٢ – قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٢٥٣ – الفن الإسلامي في الأندلس (هندسية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : علي إبراهيم علي منوفي
٢٥٤ – الفن الإسلامي في الأندلس (نباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : علي إبراهيم علي منوفي
٢٥٥ – التيارات السياسية في إيران	حجت مرتضى	ت : محمود سلامة علاوي
٢٥٦ – الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعي
٢٥٧ – متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٢٥٨ – أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت : مصطفى حجازي السيد
٢٥٩ – محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت : حبيب الشاروني
٢٦٠ – أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت : ليلى الشربيني
٢٦١ – التصحر : التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت : عاطف معتمد وآمال شاور
٢٦٢ – تلميذ باينبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٢٦٣ – حركات التحرر الأفريقي	ريتشارد جيبسون	ت : صبري محمد حسن
٢٦٤ – حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٢٦٥ – سأم باريس	شارل بودلير	ت : محمد أحمد حمد
٢٦٦ – نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت : مصطفى محمود محمد

٣٦٧ – القلم الجرىء	نخبة	ت : البرّاق عبد الهادى رضا
٣٦٨ – المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت : عابد خزندار
٣٦٩ – المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت : فوزية العشماوى
٣٧٠ – الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت : فاطمة عبد الله محمود
٣٧١ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ٢	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٧٢ – عاش الشباب	وانغ مينغ	ت : وحيد السعيد عبد الحميد
٣٧٣ – كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٧٤ – اليوم السادس	أندريه شديد	ت : حمادة إبراهيم
٣٧٥ – الخلود	ميلان كونديرا	ت : خالد أبو اليزيد
٣٧٦ – الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت : إدوار الخراط
٣٧٧ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٤	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٧٨ – المسافر	محمد إقبال	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٧٩ – ملك فى الحديقة	سنيل باث	ت : جمال عبد الرحمن
٣٨٠ – حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت : شيرين عبد السلام
٣٨١ – أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت : رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢ – تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت : أحمد محمد نادى
٣٨٣ – هدية الحجاز	محمد إقبال	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٨٤ – القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت : إيزابيل كمال
٣٨٥ – مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٨٦ – دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت : ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧ – أغنيات وسوناتات	جون دن	ت : بهاء جاهين
٣٨٨ – مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٨٩ – من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٩٠ – الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت : عثمان مصطفى عثمان
٣٩١ – الحافلة الليلكية	مايف بينشى	ت : منى الدروبى
٣٩٢ – مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانخا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٣٩٣ – فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت : زينب محمود الخضيرى
٣٩٤ – القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	ت : هاشم أحمد محمد
٣٩٥ – آلام سياوش	إسماعيل فصيح	ت : سليم حمدان
٣٩٦ – السافاك	تقى نجارى راد	ت :محمود سلامة علاوى
٣٩٧ – نيتشه	لورانس جين	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٨ – سارتر	فيليب تودى	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٩ – كامى	ديفيد ميروفتس	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٤٠٠ – مومو	مشيائيل إنده	ت : باهر الجوهرى
٤٠١ – الرياضيات	زيادون ساردر	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٢ – هوكنج	ج . ب . ماك ايفوى	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٣ – ربة المطر والملابس تصنع الناس	تودور شتورم	ت : عماد حسن بكر
٤٠٤ – تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ت : ظبية خميس
٤٠٥ – إيزابيل	أندريه جيد	ت : حمادة إبراهيم
٤٠٦ – المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٤٠٧ – الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	ت : طلعت شاهين
٤٠٨ – معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	ت : عنان الشهاوى

٤٠٩ – انتصار السعادة	برتراند راسل	ت : إلهامى عمارة
٤١٠– خلاصة القرن	كارل بوبر	ت : الزواوى بغورة
٤١١ – همس من الماضى	جينيفر آكرمان	ت : أحمد مستجير
٤١٢ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج٢)	ليفى بروفنسال	ت : نخبة
٤١٣ – أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت : محمد البخارى
٤١٤ – الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	ت : أمل الصبان
٤١٥ – صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	ت : أحمد كامل عبد الرحيم
٤١٦ – مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	ت : مصطفى بدوى
٤١٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج٥	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤١٨ – سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	ت : عبد الرحمن الشيخ
٤١٩ – العصر الذهبى للإسكندرية	جون ماريو	ت : نسيم مجلى
٤٢٠ – مكرو ميجاس	فولتير	ت : الطيب بن رجب
٤٢١ – الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى	روى متحدة	ت : أشرف محمد كيلانى
٤٢٢ – رحلة لاستكشاف أفريقيا ج١	نخبة	ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٢٣ – إسراءات الرجل الطيف	نخبة	ت : وحيد النقاش
٤٢٤ – لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبد الرحمن الجامى	ت : محمد علاء الدين منصور
٤٢٥ – من طاووس حتى فرح	محمود طلوعى	ت : محمود سلامة علاوى
٤٢٦ – الخفافيش وقصص أخرى من أفغانستان	نخبة	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧ – بانديراس الطاغية	باى إنكلان	ت : ثريا شلبى
٤٢٨ – الخزانة الخفية	محمد هوتك	ت : محمد أمان صافى
٤٢٩ – هيجل	ليود سبنسر وأندرزجى كروز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٠ – كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣١ – فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٢ – ماكيافللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٣ – جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	ت : حمدى الجابرى
٤٣٤ – الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	ت : عصام حجازى
٤٣٥ – توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ت : ناجى رشوان
٤٣٦ – تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٧ – رحالة هندى فى بلاد الشرق	شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨ – بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	ت : عايدة سيف الدولة
٤٣٩ – موت المرابى	صدر الدين عينى	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠ – قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	ت : محمد الشرقاوى
٤٤١ – رب الأشياء الصغيرة	أروندهاتى روى	ت : فخرى لبيب
٤٤٢ – حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت : ماهر جويجاتى
٤٤٣ – اللغة العربية	كيس فرستيغ	ت : محمد الشرقاوى
٤٤٤ – أمريكا اللاتينية : الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	ت : صالح علمانى
٤٤٥ – حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	ت : محمد محمد يونس

٤٤٦ – التحالف الأسود	ألكسندر كوكيرن وجيفرى سانت كلير	ت : أحمد محمود
٤٤٧ – نظرية الكم	ج. پ. ماك ايفوى	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٤٨ – علم نفس التطور	ديلان ايفانز – أوسكار زاريت	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٤٩ – الحركة النسائية	مجموعة	ت : جمال الجزيرى
٤٥٠ – ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا – ريبيكارايت	ت : جمال الجزيرى
٤٥١ – الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن / بورن ڤان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢ – لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجنانزى / أوسكار زاريت	ت : محى الدين مزيد
٤٥٣ – القاهرة : إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت : حليوم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤ – خمسون علماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت : سوزان خليل
٤٥٥ – تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كوبلستون	ت : محمود سيد أحمد
٤٥٦ – لا تنسنى	مريم جعفرى	ت : هويدا عزت محمد
٤٥٧ – النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر اوكين	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٨ – الموريسكيون الأندلسيون	خوليو كارو باروخا	ت : جمال عبد الرحمن
٤٥٩ – نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
٤٦٠ – الفاشية والنازية	ستوارت هود – ليتزا جانستز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦١ – لكان	داريان ليدر – جودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦٢ – طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبد الرشيد الصادق محمودى	ت : عبد الرشيد الصادق محمودى
٤٦٣ – الدولة المارقة	ويليام بلوم	ت : كمال السيد
٤٦٤ – ديمقراطية القلة	ميكائيل بارنتى	ت : حصة منيف
٤٦٥ – قصص اليهود	لويس جنزبرج	ت : جمال الرفاعى
٤٦٦ – حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	ت : فاطمة محمود
٤٦٧ – التفكير السياسى	ستيفين ديلو	ت : ربيع وهبة
٤٦٨ – روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٤٦٩ – جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	ت : مجدى عبد الرازق
٤٧٠ – الأراضى والجودة البيئية	نخبة	ت : محمد السيد النتة
٤٧١ – رحلة لاستكشاف أفريقيا ج٢	نخبة	ت : عبد الله الرازق إبراهيم
٤٧٢ – دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٣ – دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٤ – الأدب والنسوية	بام موريس	ت : سهام عبد السلام
٤٧٥ – صوت مصر : أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	ت : عادل هلال عنانى
٤٧٦ – أرض الحبايب بعيدة : بيرم التونسى	ماريلين بوث	ت : سحر توفيق
٤٧٧ – تاريخ الصين	هيلدا هوخام	ت : أشرف كيلانى
٤٧٨ –الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج ولى شى دونج	ت : عبد العزيز حمدى
٤٧٩ – المقهى (مسرحية صينية)	لاوشه	ت : عبد العزيز حمدى
٤٨٠ – تساى ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	ت : عبد العزيز حمدى
٤٨١ – عباءة النبى	روى متحدة	ت : رضوان السيد
٤٨٢ – موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	ت : فاطمة محمود
٤٨٣ – النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	ت : أحمد الشامى

٤٨٤ – جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	ت : رشيد بنحدو
٤٨٥ – التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٦ – الذاكرة الحضارية	يان أسمن	ت : عبد الحليم عبد الغنى رجب
٤٨٧ – الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٨ – الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٩ – هُسُرل : الفلسفة علماً دقيقاً	هُسُرل	ت : محمود رجب
٤٩٠ – أسمار البيغاء	محمد قدرى	ت : عبد الوهاب علوب
٤٩١ – نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	ت : سمير عبد ربه
٤٩٢ – محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	ت : محمد رفعت عواد
٤٩٣ – خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	ت : محمد صالح الضالع
٤٩٤ – كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	ت : شريف الصيفى
٤٩٥ – اللوبى	إدوارد تيفان	ت : حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦ – الحكم والسياسة فى أفريقيا	إكوادو بانولى	ت : مجموعة من المترجمين
٤٩٧ – العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلىّ	ت : مصطفى رياض
٤٩٨ – النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	ت : أحمد على بدوى
٤٩٩ – تقاطعات : والأمة والمجتمع والجنس	نخبة	ت : فيصل بن خضراء
٥٠٠ – فى طفولتى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيتز رووكى	ت : طلعت الشايب
٥٠١ – تاريخ النساء فى الغرب	أرثر جولد هامر	ت : سحر فراج
٥٠٢ – أصوات بديلة	هدى الصدّة	ت : هالة كمال
٥٠٣ – مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	ت : محمد نور الدين عبد المنعم
٥٠٤ – كتابات أساسية ج١	مارتن هايدجر	ت : إسماعيل المصدق
٥٠٥ – كتابات أساسية ج٢	مارتن هايدجر	ت : إسماعيل المصدق
٥٠٦ – ربما كان قديساً	آن تيلر	ت : عبد الحميد فهمى الجمال

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٩٢٢٠ / ٢٠٠٣